كتاب الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني

المجلد الثامن عشر

القسم ٦٨ - ٧٢

تحقيق

عبد الستار أحمد فراج

الناشر

دار الثقافة

بيروت

١٣٧٩هـ = ١٩٥٩م

كتاب الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني

المجلد الثامن عشر

تحقيق

عبد الستار أحمد فراج

الناشر

دار الثقافة

بيروت

١٩٥٩

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلد الثامن عشر

من كتاب الأغانى

ذكر مقتل الزبير وخبره

حدثنا أحمد بن عبيد الله بن عمار وأحمد بن عبد العزيز الجوهرى قالا : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا المدائنى ، عن أبى بكر الهذلى ، عن قتادة قال :

سار أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السلام من الزاوية [1] يريد طلحة والزبير وعائشة ، وساروا من الفُرْضة [2] يريدونه ، فالتقوا عند قصر عبيد الله بن زياد يوم الخميس النصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين ، فلما تراءى الجمعان خرج الزبير على فرس وعليه سلاحه : فقيل لعلىّ عليه السلام : هذا الزبير . فقال : أما والله إنه أحرى [3] الرّجلين إنْ ذُكّر بالله أن يذكره ، وخرج طلحة وخرج علىّ عليه السلام إليهما ، فدنا منهما حتى اختلفت أعناق دوابهم ، فقال لهما : لعمرى لقد أعددتما خيلا ورجالا ، إن كنتما أعددتما عند الله عُذرا فاتقيا الله ولا تكونا « كالتى نَقَضَتْ غزْلها مِن بَعْد قُوَّةٍ أنْكاثا » [4] ألم أكن

(١) انظر الطبرى حوادث ٣٦ بعنوان نزول على الزاوية من البصرة .

(٢) فى مخطوط : العرضة .

(٣) فى مخطوط : أحد .

(٤) سورة النحل ٩٢ .

أخا كما فى دينكما تُحرِّمان دمى وأحرم دماء كما ؟ فهل من حدَثٍ أحلّ لكما دمى؟ فقال له طلحة : ألَّبْتَ الناس على عثمان ، فقال : [١] يا طلحة أتطلبنى بدم عثمان ؟ فلعن الله قتَلة عثمان . يا زبير أتذكر يوم مررت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله فى بنى غَنْم فنظر إلىّ وضحك وضحكتُ إليه، فقلتَ: لايَدَعُ ابن أبى طالب زَهْوه ، فقال : مه [٢] ليس بمزهُوّ ، ولتُقاتلنَّه وأنت مزهوٌّ ظالم له ، فقال : اللهم نعم ، ولو ذكرتُ ما سرتُ مسيرى هذا، والله لا أقاتلك أبداً ، وانصرف علىّ عليه السلام إلى أصحابه . وقال : أما الزبير فقد أعطى الله عهدا ألا يقاتلنى .

قال : ورجع الزبير ، إلى عائشة فقال لها : ماكنتُ فى مَوْطِنٍ مُذْ عقَلتُ إلاّ وأنا أعرف فيه أمرى غيرَ موطنى هذا . قالت : وما تريد أن تصنع ؟ قال : أدَعهم وأذهب ، فقال له ابنه عبد الله : أجمَعْتَ بين هذين الغارَيْن [٣] حتى إذا حدّد بعضهم لبعض أردت أن تذهب وتتركهم؟أحسَسْتَ [٤] رايات ابن أبى طالب وعلمت أنها تحملها فتية أنجاد ، فأحفظه .فقال: إنى حلفت أن لا أقاتله . قال : كفِّر عن يمينك وقاتِله .فدعا غلاما له يدعى مكحولا فأعتقه ، فقال عبدالرحمن ابن سليمان التيمى [٥] فى ذلك :

لم أرَ كاليومِ أخا إخوانِ أعْجَبَ من مُكَفِّر الأيمانِ
بالعِتق فى مَعْصية الرّحمنِ

وقال بعض شعرائهم :

---

(١) فى الطبرى والرواية عن أبى بكر الهذلى عن قتادة : قال على « يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق يعلمون أن الله هو الحق المبين » ياطلحة تطلب بدم عثمان.

(٢) فى الطبرى : صه .

(٣) الغار : الجمع الكثير من الناس ، وقيل : الجيش الكثير ، ويقال : التقى الغاران : أى الجيشان .

(٤) فى مخطوط : أحثيت . ولعلها : أحشيت .

(٥) فى الطبرى : التميمى .

يُعْتِق مكحولاً لصَوْدينهِ كفَّارةً لله عن يمينهِ
والنَّكْثُ قد لاح على جبينهِ

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمار والجوهري قالا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا علي بن محمد النوفلي، عن الهذلي، عن قتادة قال:

وقف الزبير على مسجد بني مُجاشع، فسأل عن عياض بن حمّاد، فقال له النّعمان بن زمام: هو بوادي السِّبَاع، فمضى يريده.

وحدثني ابن عمار والجوهري قالا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني المدائني قال: حدثني أبو مِخنف، عمن حدثه عن الشّعبي قال:

خرج النعمان [1] مع الزبير حتى بلغ النجيب ثم رجع.

قال: وحدثنا المدائني عن مسلمة بن محارب، عن عوف وعن أبي اليقظان قالا:

مرّ الزبير ببني حمّاد فدعوه إلى أنفسهم فقال: اكفوني خيركم وشركم، فقال عوف: فوالله ما كفوه خيرهم وشرّهم، ومضى ابن فَرْتَنَى إلى الأحنف وهو بعِرق سُوَيْقة، فقال: هذا الزبير قد مرّ، فقال الأحنف: فما أصنع به؟ جمع بين غارَيْن من المسلمين فقَتَل بعضُهم بعضا، ثم مرّ يريد أن يلحق بأهله، فقام عمرو بن جُرموز وفَضالة بن حابس ونُفَيع بن كعب أحدُ بني عوف — ويقال نفيع بن عُمير — فلحقوه بالعِرْق، فقُتِل قبل أن ينتهي إلى عياض، قتله عمرو ابن جرموز.

حدثني أحمد بن عيسى بن أبي موسى العجلي الكوفي وجعفر بن محمد بن الحسن العلوي الحسني [2] والعباس بن عليّ بن العباس وأبو عبيد الصيرفي قالوا: حدثنا محمد بن علي بن خلف العطّار. قال: حدثنا عمر بن عبد الغفار، عن سفيان الثوري عن جعفر بن محمد عن أبيه، عن علي بن الحسين عليه السلام قال:

(١) في مخطوط: النفر.
(٢) في مخطوط: الحسيني.

حدثنى ابن عباس قال: قال لى علىّ عليه السلام : ائت الزبير فقل له : يقول لك على بن أبى طالب : نشدتك الله ألستَ قد بايعتنى طائعا غير مُكْرَه ؟ فما الذى أحدثتُ فاستحللتَ به قتالى ؟

وقال أحمد بن يحيى فى حديثه : قل لهما إن أخاكما يقرأ عليكما السلام ويقول : هل نَقِمتُما علىّ جَوْرًا فى حكم أو استئثارا بفىء ؛ فقالا : لا ، ولا واحدة منهما ، ولكن الخوف وشدة المطامع . وقال محمد بن خلف فى خبره : فقال الزبير مع الخوف شدة المطامع ، فأتيت عليًا عليه السلام فأخبرته بما قال الزبير ، فدعا علىّ عليه السلام بالبغلة فركبها وركبت معه ، فدَنَوَا حتى اختلفت أعناق دابتيهما ووقفتُ حيث أسمع كلامهما ، فسمعت عليا عليه السلام يقول له : نشدتك الله يا زبير ، أتعلم أنى كنت أنا وأنت فى سقيفة بنى فلان تُعالجنى وأعالجك ، فمرّ بنا النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال : كأنك تُحبه ، فقلتُ : وما يمنعنى ؟ قال : أمَا إنه ليقاتلنّك وهو لك ظالم [١] . فقال الزبيرُ : اللهم نعم ، ذكّرتنى ما نسيت ، وولى راجعا ، ونادى منادى علىّ ألا لا تقاتلوا القوم حتى يَستشهدوا منكم رجلا ، فما لبث أن أُتى برجل يَتَشَحّط فى دمه ، فقال علىّ عليه السلام : اللهم اشهد ، اللهم اشهد ، اللهم اشهد . وأمر الناس فشدُّوا عليهم ، وأمر الصُّرّاخَ فصرخوا : لا تُذَفّفوا [٢] على جريح ، ولا تَتبعوا مُدبرا ، ولا تَقتلوا أسيرا .

حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن أيوب المخزومى قال : حدثنا سعيد بن محمد الجرمى قال : حدثنا أبو الأحوص ، قال حدثنا عاصم بن بَهْدلة ، عن زرّ بن حُبَيش ، ولاأحسبه إلا قال :

(١) انظر تهذيب ابن عساكر ج ٥ ص ٣٦٤ فى ترجمة الزبير بن العوام .

(٢) ذفف على الجريح : أجهز عليه ، وفى اللسان مادة ذفف : وفى حديث على كرم الله وجهه : أنه أمر يوم الجمل فنودى أن لايتبع مدبر ، ولايقتل أسير ، ولايذفف على جريح . وانظر النص أيضا فى النهاية لابن الأثير مادة ذفف .

كنت قاعدا عند علىّ عليه السلام ، فأتاه آت فقال : هذا ابن جُرموز قاتلُ الزبير بن العوام يستأذن على الباب ، قال : ليدْخُلَنّ قاتلُ ابنِ صَفيّةَ النارَ ، إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «إن لكل نبىّ حَوَارىّ وإن حَوارِىّ الزبيرُ» .

أخبرنى الطوسى الحرمى بن أبى العلاء قالا : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثنى على بن صالح عن عامر بن صالح عن سالم بن عبد الله بن عروة عن أبيه .

أن عَمْرًا أو عُويمر بن جرُموز قاتل الزبير أتى مصعبا حتى وضع يده فى يده فقذفه فى السجن ، وكتب إلى عبد الله بن الزبير يذكر له أمره ، فكتب إليه عبد الله : بئس ما صنعتَ ، أظننت أنى أقتل أعرابيا من بنى تميم بالزبير ؟ خلّ سبيل الرجل ، فخلاّه .

أخبرنى الطوسى والحرمى بن أبى العلاء قالا : حدثنا الزبير بن بكار عن عمه قال :

قتل الزبير وهو ابن سبع وستين سنة أو ست وستين سنة ، فقالت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نُفيل ترثيه :

غدر ابنُ جُرْموز بفارس بُهْمةٍ ... يوم اللِّقاءِ وكان غير مُعَرِّدِ [1]
يا عَمْرُو لو نبّهته لوجدته ... لا طائشا رَعِشَ اللسانِ ولا اليد [2]
شُلّتْ يمينُكَ إنْ قتلتَ لمسلما ... حلّت عليك عقوبة المستشهدِ [3]
إن الزبير لذو بلاء صادق ... سمْحٌ سجيّته كريمُ المَشْهَدِ
كم غَمْرةٍ قد خاضها لم يَثْنِه ... عنها طِرادُك يابن فَقْعِ القَرْدَدِ [4]

(١) البهمة : الشجاع ، ويراد هنا بالبهمة : الجيش . انظر الخزانة ٣٥١/٤ . والمعرد : الهارب المحجم عن قرنه .

(٢) فى طبقات ابن سعد القسم الأول ج ٣ ص ٧٩ : رعش الجنان . وكذلك فى تهذيب ابن عساكر ج ٥ /٣٦٦ . وفى مخطوط : رعش السنان .

(٣) فى طبقات ابن سعد تهذيب ابن عساكر : عقوبة المتعمد . وكذلك الخزانة ٣٤٨/٤ ، ٣٤٩ .

(٤) الفقع : نوع من الكمأة . والقردد : المستوى ، ويقال للذليل : فقع قرقرة وفقع القردد . وفى المطبوع . بوم نقع القردد ، وفى مخطوط : بابن نبع .

فاذهبْ فما ظفِرَتْ يداك بمثله فيما مضى ممن يروح ويَغْتدِى[1]

وكانت عاتكة قبل الزبير عند عُمَرَ ، وقبل عمر عند عبد الله بن أبى بكر .

أخبرنى بخبرها محمد بن خلف وكيع قال : حدثنا أحمد بن عمرو بن بكير قال : حدثنا أبى قال : حدثنا الهيثم بن عدى ، عن محمد بن عمرو ، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن ، وأخبرنا محمد بن خلف وكيع قال : حدثنى إسماعيل بن مجمِّع[2] عن المدائنى . وأخبرنى الطوسى والحرمى بن أبى العلاء قالا : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثنى عمى عن أبيه ، وأخبرنى اليزيدى عن الخليل بن أسد عن عمرو بن سعيد عن الوليد بن هشام بن يحيى الغسانى . وأخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرى عن عمر بن شبة قال : حدثنا محمد بن موسى الهذلى . وكل واحد منهم يزيد فى الرواية وينقص منها ، وقد جمعت رواياتهم قالوا :

تزوج عبدالله بن أبى بكر الصديق عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نُفيل ، وكانت امرأة لها جمال وكمال وتمام فى عقلها ومنظرها وجزالة رأيها ، وكانت قد غلبته على رأيه ، فمر عليه أبو بكر أبوه وهو فى عِلِّيَّة[3] يناغيها فى يوم جمعة ، وأبو بكر متوجه إلى الجمعة ، ثم رجع وهو يناغيها ، فقال : ياعبد الله أجَمَّعْتَ ؟ قال : أوقد صلّى الناس ؟ قال : نعم . قال : وقد كان شغلته عن سوق وتجارة كان فيها ، فقال له أبو بكر : قد شغلتك عاتكة عن المعاش والتجارة ، وقد ألهتك عن فرائض الله تعالى ، طلِّقها ، فطلقها تطليقة ، وتحولت إلى ناحية الدار . فبينا أبو بكر يصلى على سطح له فى الليل إذ سمعه وهو يقول :

أعاتكِ لا أنساك ما ذَرَّ شارقٌ وما ناح قُمْرِىُّ الحمامِ المُطوَّقُ
أعاتكُ قلبى كلَّ يوم وليلة لديك[4] بما تخفى النفوس معلَّقُ
لها خُلُقٌ جزْلٌ ورأىٌ ومنطِقٌ وخَلْقٌ مَصونٌ فى حياءٍ ومَصْدَقُ[5]

(١) فى مخطوط : فيما تروح وتنتدى . (٢) فى مخطوط : مجمد .
(٣) العلية « بكسر العين وضمها » : بيت منفصل عن الأرض ببيت (أى هى دور أعلى) .
(٤) فى مخطوط : ... ... إليك بما تخفى .
(٥) فى الخزانة ج ٤ ص ٣٥١ :
لها خلق جزل ورأى ومنصب وخلق سوى فى الحياة ومصدق
وفى مخطوط : لها خلق جزل ورأى ومنصب وخلق سوى فى حياء ومصدق

فلم أر مثلى طلَّق اليوم مثلها ولا مثلَها فى غير شىء تُطلَّقُ

فسمع أبو بكر قوله ، فأشرف عليه وقد رقّ له فقال : يا عبد الله ، راجعْ عاتكه ، فقال : أُشهدك أنى قد راجعتها ، وأشرف على غلام له يقال له أيمن فقال له : يا أيمن أنت حرٌّ لوجه الله تعالى. أُشهدك أنى قد راجعت عاتكة ، ثم خرج إليها يجرى إلى مؤخر الدار وقال :

أعاتكَ قد طُلِّقتِ فى غير ريبة ورُوجعت للأمر الذى هو كائن
كذلك أمرُ الله غادٍ ورائحٌ على الناس فيه أُلْفَةٌ وتبايُنُ
وما زال قلبى للتفرُّقِ طائرًا وقلبى لما قد قرَّب اللهُ ساكِنُ[1]
لِيَهْنِيكِ أنى لا أرى فيك سَخْطةً وأنكِ قد تمّت عليك المحاسِنُ
فإنك ممن زيَّن اللهُ وجْهَهُ وليس لوجه زيَّن اللهُ شائنُ

قال : وأعطاها حديقة له حين راجعها على أن لا تتزوج بعده ، فلما مات من السهم الذى أصابه بالطائف[2] أنشأت تقول :

فلله عينا من رأى مثله فتى أكرَّ وأحمى فى الهياج وأصْبرا
إذا شُرعت فيه الأسِنَّة خاضها إلى الموت حتى يترك الرُّمح أحمرا
فأقسمتُ لا تنفكُّ عينى سخينةً عليكَ ولا ينفكُّ جلدِيَ أغبرا
مدَى الدهرِ ما غنّتْ حمامةُ أيكةٍ وما طرد الليلُ الصباحَ المنوّرَا

فخطبها عمر بن الخطاب فقالت : قد كان أعطانى حديقة على أن لا أتزوج بعده ، قال : فاستفتى ، فاستفتتْ علىَّ بنَ أبى طالب عليه السلام فقال : ردّى الحديقة على أهله وتزوجى ، فتزوجت عُمر فسرَّح عمرُ إلى عدّةٍ من أصحاب

(١) فى مخطوط : فقلبى لما قرت (به) للعين ساكن .

(٢) كان شهد مع رسول الله غزوة الطائف فأصابه سهم فمات منه بعد ذلك فى المدينة . وانظر الخزانة ٣٥١/٤ واختلاف ترتيب الأبيات ، وفيها أيضا زيادة بيت هو :

رزئت بخير الناس بعد نبيهم وبعد أبى بكر وما كان قصر

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام — يعني دعاهم — لمّا بَنَى بها ، فقال له عليّ : إن لي إلى عاتكه حاجةً أريد أن أُذكِّرها إياها ، فقل لها تستتر حتى أكلمها ، فقال لها عمر : استتري يا عاتكة فإن عليّ ابن أبي طالب يريد أن يكلمك ، فأخذت عليها مِرْطَها فلم يظهر منها إلا ما بدا من بَرَاجِمها [1] فقال : يا عاتكة :

فأقسمتُ لا تنفكُّ عيني سخينةً ... عليكَ ولا ينفكُّ جلدِيَ أغبرا

فقال له عُمَرَ : يرحمك الله وما أردت إلى هذا ؟ فقال علي عليه السلام : وما أرادتْ إلى أن تقولَ مالا تفعل؟ وقد قال الله عز وجل « كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أن تَقُولُوا مالا تَفْعَلُون » [2] وهذا شيء كان في نفسي أحببت والله أن يخرجَ ، فقال عمر : ما حسَّن اللهُ فهو حسن ، فلما قُتِل عمر عنها قالت ترثيه :

عَيْنُ جُودِي بِعَبْرَةٍ ونحيبِ ... لا تَمَلِّي على الإمام النَّجيبِ

فجعتْنا المَنُونُ بالفارِسِ المُعْـ ... ـلِمِ يوم الهياجِ والتَّلْبِيبِ [3]

عِصْمَةِ اللهِ والمُعِينِ على الدَّهْـ ... ـرِ غياثِ المُنْتابِ والمَحْرُوبِ

قل لأهل الضرَّاء والبُؤْس موتوا ... قد سقته المنون كأسَ شَعُوبِ [4]

وقالت أيضا ترثيه :

صوت

مُنِـعَ الرُّقادُ فعاد عَيْنَيَ عِيدُهُ [5] ... مما تضمَّن قلبيُ المَعْمُودُ

يا ليلَةً حُبِسَتْ عليَّ نُجومُها ... فَسَهِرْتُها والشامِتون هُجُودُ [6]

---

(١) البراجم : رءوس السلاميات من ظهر الكف إذا قبض الشخص كفه نشزت وارتفعت .

(٢) سورة الصف الآية ٣ .

(٣) في الخزانة : يوم الهياج والتثويب . هذا والتلبيب : الأخذ بالتلابيب والجر .

(٤) في الخزانة : الضراء والبأس . وشعوب : الموت .

(٥) العيد من معانيه : ما اعتاد من هم أو مرض أو حزن ونحوه .

(٦) في مخطوط : رقود .

قد كان يُسهرني حذارُك مرّةً فاليوم حقّ لعيني التسهيدُ
أبكى أميرَ المؤمنين ودُونه للزائرين صفائحٌ وصَعيدُ

غنى فيه طُويس خفيف رمل عن حماد والهشامى.

فلما انقضت عِدّتها خطبها الزبير بن العوام فتزوجها، فلمّا ملكها قال: يا عاتكة لا تَخرُجى إلى المسجد، وكانت امرأة عجزاء[١] بادنة، فقالت: يا ابن العوام أتريد أن أدع لغيرتك مُصَلّى صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر فيه؟ قال: فإنى لا أمنعك، فلما سمع النّداء لصلاة الصبح توضأ وخرج فقام لها فى سُقيفة بنى ساعدة، فلما مرّت به ضرب بيده على عَجيزتها فقالت: مالك قطع الله يدك؟ ورجعت، فلما رجع من المسجد قال: يا عاتكة مالى لم أرك فى مُصَلاك؟ قالت: يرحمك الله أبا عبد الله فسد الناس بعدك، الصلاة فى القَيْطُون[٢] اليوم أفضل منها فى البيت، والصلاة فى البيت أفضل منها فى الحجرة[٣] فلما قتل عنها الزبير بوادى السباع رثته فقالت:

غدر ابنُ جُرْموز بفارس بُهمةٍ يوم اللقاء وكان غيرَ مُعَرّدِ
يا عمرُو لو نَبّهته لوجدتَه لا طائشا رَعِش اللسان ولا اليَدِ
هَبِلَتْك أمك إن قتلتَ لَمُسْلِما حلّت عليك عقوبةُ المُتَعَمّدِ

فلما انقضت عِدّتها تزوجها الحسين بن على بن أبى طالب عليهما السلام، فكانت أول من رفع خده من التراب — صلى الله عليه وآله ولعن قاتله والراضى به يوم قتل —[٤] وقالت ترثيه وتقول:

وحُسينا فلا نَسيتُ حُسينا أقصدَتْه أسِنّةُ الأعـــداءِ

(١) عجزاء: كبيرة الأرداف.
(٢) القيطون: المخدع.
(٣) فى الخزانة ٤/٣٥٢: أن الزبير قال لها: أنا فعلت ذلك، فقالت: أليس يقدر غيرك أن يفعله.
(٤) لاشك أن هذه الجملة من زيادة نساخ الشيعة.

غادروه بكربلاء صريعا جادت المزن فى ذرى كربلاء[١]

ثم تأيمت بعد ذلك فكان عبد الله بن عمر يقول : من أراد الشهادة فليتزوج عاتكة ، ويقال : إن مروان خطبها بعد الحسين عليه السلام فامتنعت عليه وقالت : ما كنت لأتخذ حما بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدى قال : حدثنا الخليل بن أسد قال : حدثنى العمرى قال : حدثنا أسامة بن زيد، عن القاسم بن محمد قال :

لم يزل السهم الذى أصاب عبد الله بن أبى بكر عند أبى بكر ، حتى قدم وفد ثقيف فأخرجه إليهم فقال: من يعرف هذا منكم ؟ فقال سعيد بن عبيد من بنى علاج: هذا سهمى وأنا بريته وأنا رشته، وأنا عقبته[٢] ، وأنا رميت به يوم الطائف. فقال أبو بكر : فهذا السهم الذى قتل عبد الله، والحمد لله الذى أكرمه بيدك ، ولم يهنك بيده .

أخبرنى محمد بن العباس اليزيدى قال: حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثنى أحمد بن عبيد الله بن [عبد الله] بن عاصم بن المنذر بن الزبير قال :

لما قتل الزبير وخلت عاتكة بنت زيد خطبها على بن أبى طالب عليه السلام فقالت له : إنى لأضن بك على القتل يا ابن عم رسول الله .

أخبرنى الحسين بن يحيى ، عن حماد عن أبيه ، عن محمد بن سلام قال : حدثنى أبى قال :

بينا فتية من قريش ببطن محسر يتذاكرون الأحاديث ويتناشدون الأشعار إذ أقبل طويس وعليه قميص قوهى[٣] وحبرة قد ارتدى بها ، وهو يخطر

(١) الذرى : الفناء والنواحى .

(٢) عقب السهم والقوس : لوى شيئا من العقب عليها .

(٣) القوهى : ثياب بيض .

فى مشيته ، فسلَّم ثم جلس ، فقال له القوم : يا أبا عبد الله غَنِّنا شعرا مليحا له حديث ظريف ، فغناهم بشعر عاتكة بنت زيد ترثى عمر بن الخطاب :

مُنِع الرُّقاد فعاد عينىَ عِيـدُ[١] ... مِمَّا تضمَّن قَلْبِىَ المَعمودُ

الأبيات ، فقال القوم : لمن هذه الأبيات يا طويس ؟ قال : لأجمل خلق الله وأشأمهم ، فقالوا : بأنفسنا أنتَ ، من هذه ؟ قال : هى والله من لا يُجهل نَسَبُها ولا يُدْفَع شَرفُها ، تزوجت بابن خليفة نبى الله ، وثنت بخليفة خليفة نبىّ الله ، وثلثت بِحَوارِىِّ نبى الله ، وربَّعت بابن نبى الله ، وكُلاًّ قَتَلَتْ، قالوا جميعا : جُعِلْنا فداك إن أمر هذه لعجيب : بآبائنا أنت من هذه ؟ قال : عاتكة بنت زيد ابن عمرو بن نُفيل . فقالوا : نعم هى على ما وصفت ، قوموا بنا لا يُدْرِكْ مجلِسَنا شُؤْمُها ، قال طويس : إن شؤمها قد مات معها ، قالوا : أنت والله أعلم منا.

صوت

يا دنانيرُ قد تنكَّر عقْلى ... وتحيَّرت بين وَعْدٍ ومَطْلِ
شَغَفَنى شافعى إليك وإلاَّ ... فاقتلينى إن كنت تَهْوَين قَتلى

الشعر والغناء لعقيد[٢] مولى صالح بن الرشيد خفيف ثقيل ، وفيه لعَريب رمل بالوسطى ، وهذا الشعر يقوله فى دنانيرَ مولاةِ البرامكةِ ، وكان خطبها فلم تجبه، وقيل : بل قاله أحد اليزيديين ونحله إياه .

---

(١) العيد : ما اعتاد الإنسان من هم أو مرض أو حزن ونحوه .

(٢) فى مخطوط جاء خطأ ما يأتى :

فى كفه خيزران ريحه عبق ... من كف أروع فى عرنينه شمم
يغضى حياء ويغضى من مهابته ... فما يكلم إلا حين يبتسم

الشعر للحزين بن سليمان الديلى ، والغناء لإسحاق ، ثانى ثقيل ، بالبنصر عن حبش وفيه لعريب رمل عمله على لحن ابن سريج[١] ◦ أقفرت الأطلال والقاع ◦

وهذا النص تقدم فى المجلد ١٥ ص ٢٥٧ تحقيقنا .

ذكر أخبار دنانير وأخبار عقيد[1]

كانت دنانير مولاة يحيى بن خالد البرمكي ، وكانت صفراء مولدة ، وكانت من أحسن الناس وجها وأظرفهن وأكملهن وأحسنهن أدبا وأكثرهن رواية للغناء والشعر ، وكان الرشيد لشغفه بها يكثر مصيره إلى مولاها ويقيم عندها ويبرّها ويفرط ، حتى شكته زبيدة إلى أهله وعمومته فعاتبوه على ذلك ، ولها كتاب مُجرّد فى الأغانى مشهور ، وكان اعتمادها فى غنائها على ما أخذته من بَذْل وهى خرّجتها وقد أخذت أيضا عن الأكابر الذين أخذت بذل عنهم مثل فُلَيح وإبراهيم وابن جامع وإسحاق ونظرائهم .

أخبرنى أحمد بن جعفر جحظة قال : حدثنى بن المكى عن أبيه قال :

كنت أنا وابن جامع نُعانى دنانيرَ جاريةَ البرامكة ، فكثيرا ما كانت تغلبنا .

أخبرنى إسماعيل بن يونس الشيعى قال : حدثنا عمر ابن شبة . قال :

حدثنى إسحاق الموصلى قال : قال لى أبى : قال لى يحيى بن خالد : ان ابنتك دنانير قد عَمِلتْ صوتا اختارته وأُعجِبَت به ، فقلتُ لها لايشتدّ إعجابُكِ حتى تَعْرِضيه على شيخك ، فإن رضيه فارضَيْه لنفسك ، وإن كرهه فاكرهيه ، فامضِ حتى تعرضه عليك . قال : فقال لى أبى : فقلت له : أيها الوزير فكيف إعجابك أنت به ؟ فإنك والله ثاقب الفطنة صحيح التمييز ، قال : أكره أن أقول لك أعجبنى فيكون عندك غير مُعجب إذ كنتَ عندى رئيس صناعتك تعرف منها مالا أعرف ، وتقف من لطائفها على ما لا أقف ، وأكره أن أقول لك

(١) فى المطبوع عقيل وأثبتنا ما فى مخطوط وهو يتفق مع نهاية الأرب ج ٥ ص٩٢ — ٩٤ ترجمة دنانير .

لايعجبنى وقد بلغ من قلبى مبلغا محمودا ، وإنما يتم السرور به إذا صادف ذلك منك استجادة وتصويبا ، قال : فمضيت إليها وقد كان تقدم إلى خدمه يعلمهم أنه سيرسل بى إلى داره ، وقال لدنانير : إذا جاءك إبراهيم فاعرضى عليه الصوت الذى صنعتِه واستحسنته ، فإن قال لك أصبتِ سررتنى بذلك ، وإن كرهه فلا تُعْلمينى لئلا يزول سرورى بما صنعتِ ، قال : إسحاق قال أبى : فحضرت الباب فأدخلت ، وإذا الستارة قد نُصبت ، فسلمت على الجارية من وراء الستارة، فردت السلام وقالت : يا أبت أعرض عليك صوتا قد تقدّم لا شكّ إليك خبرُه وقد سمعتُ الوزير يقول : إن الناس يُفتنون بغنائهم فيعجبهم منه مالايعجب غيرهم وكذلك يفتنون بأولادهم فيحسن فى أعينهم منهم ما ليس يحسن ، وقد خشيت على الصوت أن يكون كذلك . فقلت : هاتى ، فأخذت عودها وتغنت تقول :

صوت

نَفْسى أكنتُ عليك مُدّعِياً أم حين أزمع بَيْنُهُم خُنْتِ

إنْ كنت مولعةً بذكرهمُ فعلى فراقهمُ ألا مُتّ

قال : فأعجبنى والله غاية العجب ، واستخفّنى الطرب ، حتى قلت لها : أعيديه ، فأعادته ، وأنا أطلب لها فيه موضعا أصلحه وأغيرّه عليها لتأخذه عنى ، فلا والله ما قدرت على ذلك ، ثم قلت لها : أعيديه الثالثة ، فأعادته . فإذا هو كالذّهب المُصفّى . فقلت : أحسنت يا بُنَيّة وأصبتِ [وأجدت] وقد قطعتِ عليك ١ بحُسْن إحسانك وجودة إصابتك فائدةَ المعلمين ، إذ قد صِرْتِ تحسنين الاختيار وتُجيدين الصنعة ، قال : ثم خرج فلقيه يحيى بن خالد [فرآه متهللا] فقال : كيف رأيت صنعة ابنتك دنانير ؟ قال : أعزّ الله الوزير والله ما يُحسن كثيرٌ من حُذّاق المغنين مثل هذه الصنعة ، ولقد قلت لها أعيديه فأعادته علىّ مرات ، كل

(١) فى مخطوط : عنك .

ذلك أريد به إعناتها ، لأجتلب [١] لنفسي مَدْحلا يُؤْخذ عني ويُنسب إليّ ، فلا والله ما وجدته ، فقال لي يحيي : وصْفُك لها يقوم مقام تعليمك إياها ، وقد والله سَرَرْتَني وسأسرّك ، فوجه إليّ بمال عظيم .

وذكر محمد بن الحسن الكاتب قال : حدثني ابن المكي قال :

كانت دنانير لرجل من أهل المدينة ، وكان خرَّجها وأدّبها ، فكانت أروَى الناس للغناء القديم ، وكانت صفراءَ صادقةَ الملاحة ، فلما رآها يحيي وقعت بقلبه فاشتراها ، وكان الرشيد يصير إلى منزله فيسمعها حتى ألفها واشتد إعجابه بها ، فوهب لها هباتٍ سَنِيَّة ، منها أنه وهب لها في ليلةِ عيدٍ عِقْدًا قيمته ثلاثون ألف دينار ، ـ فرُدَّ [٢] عليه في مصادرة البرامكة بعد ذلك ـ وعلمت [٢] أم جعفر خبره فشكته إلى عمومته ، فصاروا جميعا إليه فعاتبوه فقال : مالي في هذه الجارية من أرب في نفسها ، وإنما أربي في غنائها ، فاسمعوها ، فإن استحقّت أن يُؤْلَفَ غناؤها وإلا فقولوا ما شئتم ، فأقاموا عنده ، ثم نقلهم إلى يحيي حتى سمعوها عنده فعذروه ، وعادوا إلى أم جعفر فأشاروا عليها أن لاتُلِحَّ في أمرها ، فقبلت ذلك ، وأهدت إلى الرشيد عَشْرَ جوارٍ ، منهن ماردة أم المعتصم ومراجل أم المأمون ، وفاردة [٣] أم صالح .

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات : أخبرني محمد بن عبد الله الخزاعي قال :

حدثني عبَّاد البشري [٤] قال : مررت بمنزل من منازل طريق مكة يقال له النبَّاج ، فإذا كتاب [٥] على حائط في المنزل ، فقرأته فإذا هو : النَّيك أربعة ،

(١) في مخطوط : الأحتال .
(٢) في مخطوط : فردته . . . . وعرفت أم جعفر الخبر .
(٣) في مخطوط : فارد .
(٤) في مخطوط : النشوى .
(٥) الكتاب : الكتابة .

فالأول شهوة ، والثانى لذّة ، والثالث شفاء ، والرابع داء ، وحِرٌ إلى أيْرَين أحْوَجُ من أيْرٍ إلى حِرَيْنِ ، وكتبتْ دنانيرُ مولاةُ البرامكة بخطها .

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال : حدثنى عمر بن شبة .

أن دنانير أخذت عن إبراهيم الموصلى حتى كانت تُغَنِّى غناءه ، فتحكيه فيه حتى لا يكون بينهما فرق ، وكان إبراهيم يقول ليحيى : متى فقَدْتَنِى ودنانيرُ باقيةٌ فما فقَدْتَنى .

قال : وأصابتها العِلَّةَ الكَلْبِيَّة ، فكانت لا تصبر عن الأكل ساعة [1] واحدة فكان يحيى يتصدّق عنها فى كل يوم من شهر رمضان بألف دينار لأنها كانت لاتصومه وبقيت عندالبرامكة مدة طويلة .

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار وأحمد بن عبد العزيز الجوهرى وإسماعيل ابن يونس قالوا : حدثنا عمر بن شبة ، عن إسحاق . وأخبرنى أحمد بن جعفر جحظة قال : حدثنى أحمد بن الطيب .

أن الرشيد دعا بدنانير البرمكية بعد قتله إياهم فأمرها أن تغنى ، فقالت : يا أمير المؤمنين إنى آليت أن لا أغنى بعد سيدى أبدا ، فغضب وأمر بصفعها ، فصُفِعت وأُقيمت على رجليها ، وأُعطيت العود فأخذته وهى تبكى أحرَّ بكاء ، واندفعت فغنت .

صوت

يا دارَ سَلْمى بنازح السَّنَدِ بين الثَّنايا ومَسْقَط اللَّبَدِ
لمَّا رأيتُ الدّيار قد دَرَسَتْ أيقنتُ أنّ النعيم لم يَعُدِ

الغناء للهذلى خفيف ثقيل أول مطلق فى مجرى الوسطى ، وذكر علىّ بن يحيى المنجم [2] وعمرو أنه لسياط فى هذه الطريقة .

(١) فى مخطوط : مرة واحدة . (٢) فى مخطوط : وذكر عن أبى المنجم .

قال : فرقَ لها الرشيد وأمر بإطلاقها ، فانصرفت ، ثم التفت إلى إبراهيم بن المهدى فقال له : كيف رأيتها ؟ قال : رأيتها تختِله برفق ، وتقْهره بحذْق .

وقال على بن محمد البسامى ١ : حدثنى جدى يعنى أبا عبد الله بن حمدون .

أن عَقيدا : مولى صالح بن الرشيد خطب دنانير البرمكية ، وكان هويها وشُغِف بذكرها ، فردّته ، واستشفع عليها بمولاه صالح بن الرشيد وبذل والحسين بن المحْرز ، فلم تجبه ، وأقامت على الوفاء لمولاها ، فكتب إليها عقيد قوله :

يا دنانير قد تنكّر عقلى وتحيّرت بين وَعْدٍ ومَطْلِ
شفّعى شافعا٢ إليك وإلا فاقتلينى إن كنت تهوين قتلى
أنا بالله والأمير وما آ مل مِن مَوْعد الحسين وبذْلِ
ما أُحبُّ الحياة يا حِبّ٣ إن لمْ يجمع الله عاجلا بكِ شملى

فلم يعطفها ذلك إلى ما يحب ، ولم تزل على حالها إلى أن ماتت .

وكان عَقيد حسن الغناء والضرب قليل الصنعة ، ما سمعنا له بكثير صَنعة ، ولكنه كان بموضع من الحذق والتقدم .

قال محمد بن الحسن : حدثنى أبو حارثة ٤ عن أخيه أبى معاوية قال : شهدت إسحاق يوما وعقيدٌ يغنيه .

صوت

هلا سألتِ ابنةَ العبسىّ ماحسَبى عندَ الطّعان إذا ما احمرّت الحدَق
وجالت الخيلُ بالأبطال عابسةً شُعْثَ النواصِى عليها البيضُ تأتلق

---

(١) فى المطبوع : المشامى .
(٢) فى المطبوع : شفعى شافعى . ويتفق مع نهاية الأرب ٥/٩٣ .
(٣) فى المطبوع : يا أخت . هذا واحب الحبيب .
(٤) فى المطبوع : جارية .

الشعر يقال إنه لعنترة ولم يصح له[١]، والغناء لابن محرز خفيف ثقيل أول بالوسطى[٢].

قال : فجعل إسحاق يستعيده ويشرب ويصفق حتى والى بين أربعة أرطال وسأله بعضُ من حضر : من أحسن الناس غناء ؟ قال : من سقانى أربعة أرطال.

وفى دنانير يقول أبو حفص الشطرنجى :

صوت

[أَشْبَهَكِ المِسْكُ وأشبهتِهِ قائمة فى لونه قاعدهْ

لا شكَّ إذ لونكما واحدٌ أنكما من طينة واحدَهْ

غناه ابن جامع هزجا بالبنصر وقيل إنه لأبى فاره .

وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات عن على بن محمد النوفلى عن مولاه ابن جامع أن مولاها كان يهوى جارية صفراء فقال فيها هذا الشعر وغنى فيه، وأظن هذا وهما لأنا لم نسمع لابن جامع بشعر قط ولعله غناه فى شعر أبى حفص الشطرنجى فظنه له .

ومما غناه عقيد فى دنانير والشعر للموصلى إلا البيت الأول فليس له] .

صوت

هذِى دنانيرُ تنسانى فأذكرها وكيف تنسى مُحِبًّا ليس ينْساها

واللهِ واللهِ لو كانت إذا برزت نفسُ المُتَيَّمِ فى كفَّيْهِ ألقاها

الشعر والغناء لعقيد[٣] ولحنه من الرمل المطلق فى مجرى الوسطى ، وفيه هزج خفيف محدث .

قال أحمد بن أبى طاهر : حدثنى على بن محمد قال : حدثنى جابر بن مصعب.

---

(١) له قصيدة فى ديوانه على وزنها وقافيتها.

(٢) فى مخطوط : خفيف ثقيل بالوسطى . انظر سابق قوله .

(٣) انظر سابق قوله : « والشعر للموصلى . . . » .

عن مخارق قال : مرّت بى ليلة ما مرّ بى مثلها قط . جاءنى رسول محمد الأمين وهو خليفة ، فأخذنى وركض بى إليه ركضا ، فحين وافيت أُتى بإبراهيم الموصلى [١] على مثل حالى ، فنزلنا فإذا هو فى صحن لم أر مثله ، قد مُلِىء شمعا من شمع محمد الأمينِ الكبارِ ، وإذا محمد قد دخل فى الخدم [٢] والدار مملوءة بالوصائف يغنين على الطبول ، والسرنايات ، ومحمد فى وسطهن يرتكض فى الكرج [٣] ، فجاءنا رسوله فقال : قُوما . فى هذا الباب مما يلى الصحن ، فارفعا أصواتكما مع السرناى أين بلَغ ، وإياكما أن أسمع فى أصواتكما تقصيرا عنه ، قال : فقمنا [٤] ، فإذا الجوارى والمخنثون يزمرون ويضربون :

هذى دنانير تنسانى وأذكرها | وكيف تنسى مُحِبًّا ليس ينساها

فما زلنا نشق حلوقنا مع السرناى ونتبعه ، حذرا من أن نخرج عن طبقته ، أو نقصّر عنه ، إلى الغداة [٥] ، ومحمد يجول فى الكرج ما يسأمه ، يدنو إلينا مرّة فى جولانه ويتباعد عنا مرّة ، ويحول الجوارى بيننا وبينه حتّى أصبحنا .

[وتمام أبيات الموصلى التى أضيفت إلى هذين البيتين :

هذى دنانير تَنسانى وأذكرها

أعوذ بالله من هِجران جارية | أصبحتُ من حبها أهذِى بذكراها
قد أُكمل الحُسن فى تركيب صورتها | فارتَجّ أسفلها اهتزّ أعلاها
قامت تمشّى فليت الله صيّرنى | ذاك التراب الذى مسّته رجلاها
والله والله لو كانت ، إذا برزت ، | نفسُ المتيّم فى كفّيه ألقاها]

---

(١) فى المطبوع : إبراهيم بن المهدى .
(٢) فى المطبوع : وإذابه واقف ثم دخل فى الكرج .
(٣) السرنايات : من آلات الصفير كلمة فارسية ، والكرج : بيت الراهب ولعله هنا الخدع .
(٤) فى المطبوع : فأصغينا .
(٥) فى مخطوط : إلى الصلاة .

صوت

ألا طرَقت أسماءُ لاحينَ مطْرَقِ   وأنىَّ إذا حلّتْ بنَجْرانَ نلتقى
ألحّتْ بنوح مالنوح ومالها   ومن يَلْقَ يوماً جِدَّةَ البَيْن[1] يُخلق

عروضه من الطويل ، الشعر لخُفاف بن نَدْبة ، والغناء لابن محرز خفيف ثقيل أول بالسبابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لابن سريج ثانى ثقيل بالسبابة فى مجرى البنصر عن إسحاق أيضا ، وذكر عمرو بن بانة أن فيه لحنا لمعبد ثانى ثقيل بالوسطى ، وفيه لعلويه خفيف رمل بالوسطى ، وفيه للقاسم بن زورز خفيف رمل آخر صحيح من غنائه ، وفيه لابن مسجح ثقيل أول عن إبراهيم ويحيى بن المكى والهشامى ، وفيه لمخارق رمل بالبنصر .

---

(١) فى المطبوع :
بوج وما بالى بوج وبالها ... . جدة الحب

أخبار خفاف بن ندبة ونسبه

هو خُفاف بن عمير[١] بن الحارث بن الشّريد بن رِياح بن يقظة بن عُصَيّة ابن خُفاف بن امرئ القيس بن بُهْثَة بن سُلَيم بن منصور بن عِكْرمة بن خَصَفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نِزار. ونَدْبَة أُمُّه وَهِيَ أَمَةٌ سوداءُ، وكان خفاف أسود أيضا، وهو شاعر من شعراء الجاهلية وفارس من فرسانهم، وجعله ابن سلام فى الطبقة الخامسة من الفرسان مع مالك بن نويرة ومع ابنى عمه صخر ومعاوية ابنى عمرو بن الشريد ومالك بن حِمارٍ الشَّمْخى[٢].

أخبرنى أبو خليفة إجازة عن محمد بن سلام قال:

كان خفاف بن ندبة — وهى أُمُّه — فارسا شجاعا شاعرا، وهو أحد أغربة العرب[٣] فكان أغار هو ومعاوية بن عمرو بن الحارث بن الشّريد على بنى ذُبيان يوم حَوْزة[٤]، فلما قتلوا معاوية بن عمرو قال خفاف: والله لاأريم اليوم أو أُقيدُ به سيِّدَهم، فحمل على مالك بن حمار وهو يومئذ فارسُ بنى فَزارة وسيدهم فطعنه فقتله وقال:

فإن تك خيلى قد أصيبَ صَميمها ... فعَمْداً على عينى تيمَّمتُ مالكا

(١) فى الخزانة ٢/٤٧٢: بن عمير، وكذلك فى مخطوط، أما فى المطبوع فهو عمرو:

(٢) لايوجد هؤلاء فى طبقات ابن سلام، ولاشك أن أصول طبقاته المطبوعة ناقصة.

(٣) أغربة العرب هم: عنترة بن شداد، وسليك بن سلكة، وأبو عمرو بن الحباب، وخفاف ابن ندبة، وهشام بن عقبة بن أبى معيط «الخزانة ٢/٤٧٣».

(٤) انظر نهاية الأرب ج ١٥ ص ٣٦٥ يوم حوزة الأول ويوم حوزة الثانى ص ٣٦٧، والعقد الفريد ج ٣ ص ٧٢، ٧٣ طبع بولاق، والمجلد الخامس عشر من الأغانى تحقيقنا. وفى مخطوط: يوم الحريرة وفى المطبوع يوم الجزيرة، وهذا والحريرة أيضا كانت فيها واقعة من حروب الفجار.

رفعتُ له ما جرّ إذ جرَّمَوته لأبنىَ مجدا أو لأثأر هالكا[1]
أقول له والرمح يأطِرُ مَتْنَهُ تأمَّلْ خُفافا إننى أناذلكا

قال ابن سلام : وهو الذى يقول :

يا هِنْدُ يا أخت بنى الصارِدِ ما أنا بالباقى ولا الخالدِ
إنْ أُمْسِ لا أملِكُ شيئا فقدْ أملك أمر المُنْسِرِ الحارِدِ[2]

فى هذين البيتين لعبيد الله بن أبى غسان خفيف ثقيل أول بالبنصر عن الهشامى .

أخبرنى عمى قال حدثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدثنى أحمد بن عمر ، قال حدثنى عمر بن خالد بن عاصم بن عمرو بن عثمان بن عفان رضى الله عنه ، عن الحجاج السلمى قال :

كان بدء ما كان بين خُفاف بن نَدْبَة والعباس بن مرداس أن خُفافا كان فى ملأ من بنى سليم ، فقال لهم : إن عباس بن مرداس يريد أن يبلغ فينا ما بلغ عباس بن أنس [الأصم] ويأبى ذلك عليه خِصال قَعَدْن به ، فقال له فتى من رهط العباس بن مرداس : وما تلك الخصال ياخُفاف؟ قال خفاف : اتقاوه بخيله عند الموت ، واستهانته بسبايا العرب [، وقتله الأسرى ، ومكالبته الصعاليك على الأسلاب ، ولقد طالت حياته حتى تمنينا موته . فانطلق الفتى إلى العباس فأخبره الخبر ، فقال العباس : يا ابن أخى إن لم أكن كالأصم فى فضله فلست كخُفاف فى جهله ، وقد مضى الأصم بما فى أمس وخلفنى بما فى غد ، فلما أمسى تغنى وقال :

---

(١) فى العقد ٣/٧٣ : « نصبت له علوى وقد خام صحبتى » « مع تحريف » ، وانظر المجلد الخامس عشر والخزانة ج ٢ ص ٤٧٠ ، وفى مخطوط : « دلفت له ياحز إذ حز ثوبه » .

(٢) المنسر : من معانيه الخيل مابين الثلاثين إلى الأربعين أو من الأربعين إلى الخمسين أو من المائة إلى المائتين ، والحارد ، من حرد : بمعنى غضب أو قصد ، والحارد أيضا : المجتمع الخلق الشديد المهيب الذى تفله لعزة نفسه غضبان ، ومنه ليث حارد . هذا وفى الأصول : الجارد ، والجارد : من جرد سيفه : سله .

خُفافٌ ما تزال تجرُّ ذَيْلاً إلى الأمر المُفارِق للرشـــاد
إذا ما عاينَتْك بنو سُلَيمٍ ثنيت لهم بداهيةٍ نآدِ[١]
وقد علم المعاشر من سُلَيم بأنى فيهم حســـن الأيادى
فأوْرِد يا خُفافُ فقد بليتم بنى عوْف بحَيَّةِ بَطْنِ وادِى

قال : ثم أصبح فأتى خفافا وهو فى ملأمن سليم فقال : قد بلغنى مقالتُك يا خفاف والله لا أشتم عِرْضك ، ولا أسب أباك وأُمَّك ، ولكنى رامٍ سوادكَ بما فيك ، وإنك لتعلم أنى أحمى المَصافَّ[٢] وأتكلم على السَّبى ، وأُطلق الأسير وأصون السَّبِيَّة . وأما زعمك أنى أتقى بخيلى الموت فهاتِ من قومك رجلا اتقيت به ، وأما استهانتى بسبايا العرب فإنى أحذُو القومَ فى نسائهم بفعالهم فى نسائنا ، وأما قتلى الأسرى فإنى قتلت الزُّبَيدى بخالك إذ عجزت عن ثأرك ، وأما مكالبتى الصعاليك على الأسلاب ، فوالله ما أتيت على مسلوب قط إلا لمتُ سالبه ، وأما تمنيك موتى فإن متُّ قبلك فأغْنِ غَنائى ، وإن سُليما لتعلم أنى أخفُّ عليهم مؤُونة ، وأثقل على عدوهم وَطْأة منك ، وإنك لتعلم أنى أبحْتُ حِمَى بنى زُبَيد ، وكسرتُ قَرْنَىْ بنى الحارث ، وأطفأت جَمْرة خَثْعم ، وقلَّدت بنى كنانة قلائد العار . ثم انصرف ، فقال خفاف أبياتا لم يحفظ الشيخ منها إلا قوله :

ولم تَقْتُل أسيرك من زُبَيدٍ بخالى بل غَدَرْت بمُستفادِ
فزَنْدُك فى سُلَيم شَرُّ زَنْدٍ وزادك فى سُلَيم شَرُّ زادِ

فأجابه العباس بقوله :

ألا من مُبلغ عنِّى خُفـــافا فإنى لا أُحاشى عن خُفافِ
نَكحتَ وَليدَة ورضعتَ أخرى وكان أبوك تحمله قَطافِ[٣]

---

(١) النآد : الداهية ، وهى بدل من داهية ، وقد تكون وصفا لها ، انظر اللسان مادة نأد ، وفى المخطوط : تبيت .

(٢) المصاف : جمع مصف ، وهو موقف القتال .

(٣) قطاف : علم على الأمة ، بناه على الكسر مثل حزام وقطام .

فلست لحاصِنٍ إن لم تَزُرْها تُثير النقْع من ظَهْرِ النِّعافِ[1]
سراعا قد طواها الأيْنُ دُهْمًا وكُمْتًا لونُها كالوَرْس صافِى[2]

قال : ثم كف العباس وخفاف ، حتى أتى ابنُ عم للعباس يكنى أبا عمرو بن بدر وكان غائبا ، فقال : يا عباس ما تقول فيك خيرا إلاَّ وهو باطل ، قال : وكيف ذلك ويحك ؟ قال : أخْبِرْنى عنك ، أكُلُّ الذى أقررتَ به من خفاف فى نَقْصِه ، أباك وتهجينه عِرْضَك ، ليأسٍ من نصر قومك أو ضعف فى نفسك ؟ قال : لا ، ولا واحدة منهما ، ولكنى أحببت البُقْيا ، قال : فاسمع ما قلتهُ ، قال : هات فأنشأ يقول :

أرَى العباسَ ينْفض مِذْرَوَيْهِ[3] دَهِينَ الرأس تَفْلِيه النساءُ
وقد أزْرى بوالده خُفـــافٌ ويُحْسَبُ مِثْلَه الدَّاءُ العَياءُ
فلا تُهدِ السِّبابَ إلى خُفافٍ فإن السَّبَّ تُحْسِنُه الإماءُ
ولا تَكذِبْ وأهْدِ إليه حَرْبا مُعَجَّلَةً فإن الحرب داءُ
أذلَّ اللهُ شرَّكما قَبِيـــلاً ولا سَقَتْ له رَسْمًا سَماءُ

قال العباس : قد آذنت خفافا بحرب ، ثم أصبحا فالتقيا بقومهما ، فاقتتلوا قتالا شديدا يوما إلى الليل ، وكان الفضل للعباس على خُفاف ، فركب إليه مالك بن عوف ودريد بن الصِّمَّةِ الجشمى فى وجوه هوازن ، فقام دريد خطيبا فقال : يا معشر بنى سُلَيْم إننى أعجلنى إليكم صَدْرٌ وادٌ ، ورأْىٌ جامع ، وقد ركب صاحباكم شرَّ مَطِيَّة ، وأوْضعا إلى أصعب غاية ، فالآن قبل أن يندم الغالب ،

(١) النعاف : جمع نعف ، وهو المكان المرتفع فى اعتراض ، أو ما انحدر من السفح وغلظ ، أوما ارتفع عن الوادى إلى الأرض . والحاصن : العفيفة . وفى الأصل حاضن . والحاضن : الموكل بالصبى يحفظه ويربيه .
(٢) الأين : الإعياء .
(٣) المذروان : طرفا الألية : ويقال ؛ جاء فلان ينفض مذرويه : إذا جاء باغيا يتهدد .

ويذلّ المغلوب ، ثم جلس ، فقام مالك بن عوف فقال : يا معشر بنى سُليم إنكم نزلتم منزلا بَعُدَتْ منكم فيه هوازن ، وشَبِعَتْ منكم فيه بنو تميم ، وصالت عليكم فيه بكر بن وائل ، ونالت فيه منكم بنو كنانة ، فانزِعوا وفيكم بقيَّة قبل أن تلقَوْا عدوكم بِقَرْنٍ أعضَب وكفّ جَذْماء ، قال : فلما أمسيا تغنّى دريدُ بن الصِّمة فقال :

سليمُ بنَ منصور ألمَّا تُخَبَّرُوا ... بما كان من حرْبَىْ كُلَيبٍ وداحسِ
وما كان فى حربِ اليحابر من دم ... مُباحٍ وجَدْعٍ مُؤْلم للمعاطسِ
وما كان فى حرْبَىْ سُليمٍ وقبلهمْ ... بحَرب بُعاثٍ من هلاك الفوارس
تسافهت الأحلامُ فيها جهالةً ... وأُضرم فيها كلُّ رَطْبٍ ويابس
فكُفُّوا خُفافا عن سفاهةِ رأيه ... وصاحِبَه العبّاس قبل الدّهارِس[1]
وإلاّ فأنتمْ مثلُ مَن كان قبلكمْ ... ومن يَعْقل الأمثال غيرُ الأكايس

وقال مالك بن عوف النصرى :

سُليم بن منصور دعوا الحرب إنما ... هى الهُلْك للأقصَينَ أو للأقاربِ
ألم تعلموا ما كان فى حرب وائل ... وحرب مُرادٍ أو لُؤَىِّ بن غالب
تفرّقتِ الأحياءُ منهم لحاجَةً ... وهم بين مغلوب ذليلٍ وغالبِ
فما لسليم ناصر من هوازن ... ولو نُصِروا لم تُغْنِ نُصرةُ غائبِ

قال : ثم أصبحا [2] فاجتمعتْ بنو سُليم ، وجاء العباس وخُفافٌ . فقال لهما دريد ابن الصمة ولمن حضر من قومهما : يا هؤلاء إن أوّلكم كان خيرَ أول ، وكلّ حىّ سَلَف خيرٌ من الخلَف ، فكُفُّوا صاحبيكم عن لجَاج الحرب وتَهاجى الشعر ، قال: فاستحيا العباس فقال : فإنا نكفّ عن الحرب ونَهادى الشعر ، قال: فقال دريد : فإن كنتما لابُدّ فاعلين فاذكرا ما شئتما ودعا الشّتم ، فإن الشتم طَريق الحرب . فانصرفا على ذلك ، فقال العباس بن مرداس :

---

(١) الدهارس : الدواهى ، واحدها دهرس . (٢) فى مخطوط : ثم اصطحبا .

فأبلِـغْ لديك بنى مالكٍ فأنتمْ بأنبائنا أخبرُ
فأمّا النَّخيل فليستْ لنا نَخيلٌ تُجذُّ ولا تُؤْبَرُ
ولكنّ جَمْعا كجِذْلِ الحِكا كِ فيه المُقنَّعُ والحُسَّرُ[1]
مَغاويرُ تحمــل أبطالنا إلى الموت سابِحةٌ ضُمَّرُ
وأعددت للحرب خَيْفانَةً تُديم الجَدَاء إذا تَخْطِرُ[2]
صنيعا كقارورة الزعفرا نِ مما تُصانُ ولا تُؤْثَرُ

ويقال : صبيغا ، قال : فأجابه خفاف فقال :

أعبّاسُ إنّ استِعارَ القَصيـ ـدِ فى غير معشره مُنْكَرُ
عَلامَ تَناوَلُ مالا تَنالُ فتقطعُ نفسك أو تَحْسَرُ[3]
فإن الرِّهان إذا ما أُريد فصاحبه الشامخ المُخْطِرُ[4]
تَخاوَصُ لم تستطع غيره كأنك من بُغْضنا أعْوَرُ[5]
فقَصْرُك مأثورةٌ إن بَقيـ ـتُ أصحو بها لك أو أسكرُ[6]
لسانى وسيفى معا فانْظُرَنْ إلى تلك أيهما تُبْدَرُ

قال: فلما طال الأمر بينهما من الحرب والتهاجى قال عباس : إنى والله ما وجدت لخُفاف مثلا إلاّ شِبام بنى زُبيد[7] فإنه كان يلقى من ابن عمه ثَرْوان بن مرة من الشتم والأذى ما ألقى من خفاف ، فلما لجّ ثروان فى شتمه تركه وما هو فيه وقال :

وهبتُ لثَرْوانَ بن مُرَّة نَفْسه وقد أمكنتْنى من ذُؤابته يدِى
وأحلُ ما فى اليوم من سوء رأيه رَجاء الذى يأتى به اللهُ فى غدِ

(١) الجذل : عود ينصب للإبل الجربى لتحتك به .

(٢) الخيفانة : السريعة . والجداء : الغناء ، وما يجدى عنك ويغنيك . وفى مخطوط ومهذب الأغانى ج ٢ ص ٨٩ : تديم الجراء . هذا والجراء : الفتوة . أو لعله بمعنى الجرى .

(٣) تحسر : تكل وتعيا :

(٤) المخطر ، من أخطر الرجل : جعل نفسه خطرا لقرنه فبارزه . وفى مخطوط : السابح المحضر .

(٥) تخاوص : تغض من بصرك وأنت مع ذلك تحدق النظر . وفى المطبوع : عدة كأنك .

(٦) فى مخطوط . فقصرك ما بعده . . . أو أشكر .

(٧) فى مخطوط : شيام .

فقال خفاف : إنى والله ما وجدت لعباس مثلا إلا ثروان بنى زبيد ، فإنه كان يلقى من شبام ما ألقى من العباس من الأذى فقال ثروان :

رأيتُ شباما لا يزال يَعيبنى ... فلله ما بالى وبال شبامِ
فَقَصْرُكَ منى ضربةٌ مازنيّة ... بكفَّ فتى فى القوم غير كَهام
فتُقصِر عنى ياشبامُ بن مالكٍ ... وما عَضَّ سيفى شاتمى بحرام[1]

فقال عباس : جزى الله عنى خفافا شرا ، فقد كنتُ أخفَّ بنى سُليم من دمائها ظَهرًا ، وأخمَصها من أموالها بَطنًا ، فأصبحتِ العرب تُعَيّرنى بما كنت أعيب عليها من احتمال الدماء وأكل الأموال ، وصرت ثقيل الظهر من دمائها ، مُنفَضِجَ[2] البطن من أموالها ، ثم أنشأ يقول :

ألم تَرَ أنى تركت الحروب ... وأنى ندمتُ على ما مَضى[3]
ندامة زارٍ على نفسه ... لتلك التى عارُها يُتَّقى[4]
فلم أوقِدِ الحرب حتى رمى ... خُفافٌ بأسهمه مَنْ رَمى
فإن تعطفِ القومَ أحلامُهُمْ ... فيرجع من ودّهم ما نَأى
فلستُ فقيرًا إلى حربهم ... وما بى عن سِلْمهم من غِنى

فقال خفاف :

أعباس إمّا كرهتَ الحروبَ ... فقد ذُقتَ من عضّها ما كفى
أألقحتَ حربا لهاشِدّةٌ ... زَمانا تُسَعّرُها باللّظى[5]

---

(١) فى مخطوط : وما غض منى شاتمى بحرام .

(٢) انفضج البطن : استرخت مراقه .

(٣) فى الشعر والشعراء ترجمة العباس بن مرداس ص ٧٢٣ : كرهت الحروب وانظر تهذيب ابن عساكر ج ٧ ص ٢٦٦ .

(٤) بعده فى الشعر والشعراء : ص ٧٢٣ .

وأيقنت أنى لما جئته ... من الأمر لابس ثوبى خزى
حياء ومثلى حقيق به ... ولم يلبس القوم مثل الحيا
وكانت سليم إذا قدمت ... فتى للحوادث كنت الفتى
وكنت أقوم عليها الناب ... وأنكى عداها وأحمى الحمى

(٥) فى الشعر والشعراء : لها درة زبونا تسعرها . وفى مخطوط : لها حدة .

فلما ترقَّيْتَ فى غيِّها دَحَضْتَ وزلَّ بك المُرْتقى
فلا زِلْتَ تبكى على زلَّةٍ وماذا يَرُدُّ عليك البُكا
فإن كنتَ أخطأتَ فى حربنا فلسنا نُقيلُك هذا الخطا
وإن كنتَ تطمعُ فى سلْمنا فزاولْ ثَبيرًا ورُكنَى حِرَا[1]

[أخبرنى [2] حبيب بن نصر المهلبى قال : حدثنا عبد الله بن أبى سعد قال : حدثنى مسعود بن عيسى العبدى ، عن يحيى بن عبد الله بن الفضل الفزارى وكان علاَّمة بأمر قيس قال :

كان خفاف بن ندبة فى جماعة من قومه ، فقال إنّ عباس بن مرداس ليريد أن يبلغ فينا مبلغ عباس بن أنس ، ويأبى عليه خصال ٌ قعدن به عن ذلك ، فقال فتى من رهط عباس : ما تلك الخصال يا خفاف ؟ فقال اتقاؤه بخيله عند الموت ، ومكالبته الصعاليك على الأسلاب ، وقتله الأسرى ، واستهانته بسبايا العرب ، وايم الله لقد طالت حياته حتى تمنينا موته . فانطلق الفتى إلى العباس فحدّثه الحديث ، فقال العباس : يابن أخى إلا أكن كالأصمّ فى فضله فلست كخفاف فى جهله ، وقد مضى الأصم بما فى أمس وخلفنى لما فى غد ، فلما أمسى تغنى فقال :

خفافُ أما تزال تجرُّ ذيلا إلى الأمر المقرَّب للفسادِ
وقد علم المعاشر من سُليم بأنى فيهم حَسَنُ الأيادِى
وأنى يوم جَمْع بنى عطيف حملت بخالك وهجِ المَرادِى[3]
وأنى لا أُعَيَّر فى سُلَيم بِرَدّ الخيل سالمةَ الهوادِى
وأنى فى مُلِمَّةٍ كلّ يوم أقى صحبى وفى خيلى تَعادِى
ولم أسلب بحمد الله كَبْشا سلاحا بينَ مختلف الصِّعادِ[4]

(١) ثبير وحراء : جبلان .

(٢) هذا النص بطوله ساقط من المطبوع إلى قوله : أنشأت تضرب أخماسا لأسداس ص ٣٣ .

(٣) المرادى : جمع مردى ، وهو حجر يرمى به ؛ ومنه قيل للرجل الشجاع : إنه لمردى حروب وهم مرادى الحروب ؛ وتطلق المرادى على القوائم .

(٤) الكبش من معانيه : رئيس القوم . والصعاد : جمع صعدة ، وهى القناة المستوية .

ولم أحلُلْ لمُحْصَنَة نِطاقا ... ولم أرَ عِتقَها إلاَّ مُرادى

فأورِدْ ياخفافُ فقدمُنيتم ... بنى عوْفٍ بحيَّة بطن وادى

فلما أصبح أتى خفافا وهو فى ملأ من قومه فقال: قد بلغنى مقالك يا خفاف وايم الله إنك لتعلم أنى أحمى المُصاب[1]، وأكره السلب وأطلق الأسير وأصون السَّبيَّة، فأما زعمك أنى أتَّقى بخَيلى عند الموت فهاتِ لى من قومك رجلا اتقيت به، وأما قتلى الأسرى فإنى قتلت الزُّبيدىَّ بخالك، وأما سلبى الأسير فو الله ما أتيت على مسلوب قط إلاَّ لمت سالبه، وأما استهانتى بالسبايا فإنى أحذُو القوم فى سباياهم فِعالهم فى سبايانا، وأما تمنيك موتى فإن متُّ قبلك فأغنِ غنائى. ثم انصرف، فقال خفاف مجيبا للعباس عن قوله:

لعمرُ أبيك يا عباس إنى ... لمنقطع الرِّشاءِ من الأعادى[2]

وإنى قد تُعاتبنى سليم ... على جرِّ الذيول إلى الفسادِ[3]

أكُلَّ الدهر لا تنفكُّ تجرى ... إلى الأمر المفارق للسَّدادِ

إذا ما عاينتك بنو سُليم ... تَبيتُ لهم بداهية نآدِ

فزندك فى سُليم شرُّ زَند ... وزادك فى المعاشر شرُّ زادِ

ألا لله درُّك من رئيسٍ ... إذا عاديْتَ فانظرْ من تعادى

جرَيْتُ مبرِّزا وجرَيتَ تكْبو ... على تَعبٍ فهل لك من مَعاد

ولم تقتلْ أسيرك من زُبيد ... بخالى بل غدَرْت بمِستفاد

ومستفادٌ: الزُّبيدىُّ.

وإن رهط خفاف لاموه وقالوا: اكفف عن الرجل. فقال: كيف أكفُّ عن رجل يريد أن يبترَنا أمرنا بغير فضل، وقال رهط العباس له: أيها الرجل اكفف، فقال قولا جميلا، وقال العباس عند ذلك:

(١) تقدمت عن المطبوع: المصاف ص ٢٤.

(٢) الرشاء: الحبل.

(٣) لعله أيضا: وإنى لم تعاتبنى.

هل تعرف الطَّلَلَ القديمَ كأنه | وشمٌ بأسفلِ ذى الخيامِ مُرَجَّعُ
بقيتْ معارِفُه على مرِّ الصَّبا | بعد الجميع كأنه قديمٌ مَرْبَعُ[١]
دارُ التى صادت فؤادك بعد ما | شَمِلَ المفارقَ منك شيبٌ أروعُ
وزعمتَ أنك لاتُراحُ إلى الصِّبا | وعلتك منه شبيبة لاتَرجعُ
يا أيها المرء السفيه ألا ترى | أنى أضرُّ إذا هويت وأنفعُ
وأعيش ماقدرَ الإله على القِلى | وأعفُّ نفسى عن مطامعَ تُطمِعُ
كرما على الخطرِ اليسير ولاترى | نفسى إلى الأمر الدَّنِىِّ تطلَّعُ
وأردُّ ذا الضِّغنِ اللئيمَ برأيه | حتى يموت وليس فينا مَطمعُ
لله درُّك لا تَمَنَّ مماتنا | فالموت ويحك قصرُنا والمرجعُ
لو كان يَهلِك من تُمَنَّى موته | حلَّت عليك دُهَيَّةٌ لا تُرفعُ
ومكثت فى دار الهوان مُوطَّأً | بالذلِّ ليس لداركم من يمنعُ

فقال خفاف مجيبا له :

عجبتْ أُمامةُ إذْ رأتنى شاحبا | خَلَقَ القميص وأنَّ رأسى أصلعُ
وتنفستْ صُعَدا فقلت لها اقصرى | إنى امرؤ فيا أضر وأنفع
مهلاً أبا أنسٍ فإنى للّذى | حَلَّى عليك دُهَيَّةٌ لاتُرفَعُ
وضربْتُ أمَّ شُؤُونِ رأسك ضربةً | فاستَكَّ منها أُذْنُ اللقاءِ المسمَعُ
نَعْلٌ حَذْوٌ نِعالِها ولربما | أحَذْ والعِدا ولِكُلِّ عادٍ مصرعُ
لاتفخرنَّ فإن عودِىَ نبعةٌ | أعيَتْ أبا كَرِبٍ وعودُكَ خِروَعُ
ولقد أقودُ إلى العدوِّ مقلِّصًا | سَلِسَ القيادِ له تليلٌ أتلعُ[٢]
نَهْدَ المراكِلِ والدَّسيع يزينه | شَنَجُ النَّسا وأبا جِلٌ لا تُقطَعُ[٣]

---

(١) مرع المكان : أخصب بكثرة الكلأ .
(٢) التليل : العنق ، وأتلع : طويل . والمقلص : الطويل القوائم ، ويريد بذلك جواده .
(٣) النهد: المرتفع . والمركل: هو حيث تصيب رجلك من الدابة إذا حركتها للركض . والدسيع =

وعلىَّ سابغةٌ كأنَّ قتيرَها حدَقُ الجنادب ليس فيها مَطمَعُ[١]
زَغفٌ مُضاعفةٌ تخيَّرَ سَرْدَها ذُو فائشٍ وبنو المُرار وتُبَّعُ[٢]
فى فتية بيضِ الوجوه كأنهم أُسْدٌ على لحم ببِيشة طُلَّعُ[٣]
لاينكلون إذا لَقُوا أعـــداءهم إن الحِمام هو الطريق المهيَعُ[٤]

وكان خفاف قد كف عن العباس، حتى أتاه غلام من قومه فقال: أبى العباسُ إلاَّ جرأة عليك وعيبا لك، فغضب خفاف ثم قال: ما يدعوه إلى ذلك؟ فوالله إن أباه لرابط السهم وإن أمه لخفيَّة الشخص، ولئن طلب مسعاى ليعلمنَّ أنه قصير الخطوة أجذم الكفّ، وما ذنبنا إليه إلا أنَّا استنقذنا أباه من عِصِيِّ بنى حِزام، وكافحنا دونه يوم بنى فراس، ونصرنا أباه على حرب ابن أميَّة، وقال خفاف فى ذلك:

لن يترك الدهرَ عبَّاسٌ تقَحُّمَهُ حتى يذوق وبالَ البغى عباسُ
أمسكتُ عن رَمْيِه حوْلا ومَقتلُهُ بادٍ لتعذرَنى فى حربها الناسُ
عمدًا أجرُّ له ثوبى لأخـــدعه عن رأيه ورجائى عنده ياسُ
فالآن إذ صرَّحت منه حقيقتُه ظُلما فليس بشتْمى شاتمى باسُ
أجُدُّ يوما بقولى كلَّ مبتدئ كما يَجُدُّ بكفِّ الجازرِ الفاسُ[٥]
تأبى سُليم إذا عدَّتْ مَساعيَها أن يُحرِزَ السَّبْقَ عباسٌ ومرداسُ
أوْدى أبوعامرٍ عباسُ مُعْترِفا أنَّا إذا ما سُليم حَصَّلَتْ راسُ

فبلغ العباسَ أمر خفاف فأتاه، فالتقيا عند أسماء بن عروة بن الصلت بن حزام بن عبد الله بن حازم بن الصلت، وكان مأمونا فى بنى سليم، فقال العباس:

= منزر العنق فى الكاهل. والخيل تمدح بشنج النسا، والنسا عرق، فإذا شنج نساه: أى تقبض، لم تسترخ رجلاه. والأباجل: جمع أبجل، وهو عرق فى الفرس والبعير.

(١) القتير: رءوس المسامير فى الدرع.

(٢) ذو فائش: لقب أحد ملوك اليمن. وزغف: محكمة.

(٣) بيشة: فى واديها موضع مشجر كثير الأسد. وفى الأصل: خلع.

(٤) المهيع: الواسع البين.

(٥) أجد: أقطع.

قد بلغني قولك ياخفاف، ولعمرى لا أشتم أباك ولا أمك، ولكني رامٍ سَوادك بمافيك، والله ماكنت إلى ذمك بالمَيْمان، ولا إلى لحمك بالقَرِم، وإن سُليما لتعلم أنى أبحتُ حِمى بنى زبيد، وأطفأت جمرةَ خثعم، وكسرْتُ قرْني بنى الحارث بن كعب وقلّدت بنى كنانة قلائد العار، وإنى يا خُفاف لأخفٌّ منك على بنى سُليم مؤونة، وأثقل منك على عدُوِّهم وَطْأة. وقال مجيبا له:

إنى رأيت خفافا ليس يُهِينُه[1] شيء سوى شتم عباسِ بن مرداسِ
مهلا خفافٌ فإن الحق مَعْضَبة والحُمق ليس له فى الناس من آسى[2]
سائِل سُليما إذا ما غارةٌ لحقتْ منها فوارسُ حُشُدٌ غيرُ أنكاس
من خثعم وزُبيد أو بنى قَطَنٍ أورهط فَرْوَة دَهرا أوشَحا الناس[3]
يُنْبوا مَن الفارس الحامى حقيقته إذا أتوك بحامٍ غير عباس
لايحسب الناس قول الحق مُعترَفا فانظر خفاف فما فى الحق من باس
من زار خيل بنى سعد مُسوَّمةً يُهدى لأولها لأْىَ بن شمّاسِ
يوم اعترضتُ أبا بدر بجائفة تَعوى بِعرق من الأحشاء قلّاس[4]
أُدعى الرئيس إذا ماحربكم كشفتْ عن ساقها لكمُ والأمرُ للرّاسِ
حتى إذا انكشفت عنكم عَمايتها أنشأت تَضْرِب أخماسا لأسداس][5]

وسعى أهل الفساد إلى خفاف فقالوا: إن عباسا قد فضحك، فقال خفاف:

ألا أيها المهدى لِىَ الشتمَ ظالما ولستُ بأهْلٍ حين أُذْكر للشتم
أبى الشتمَ أنى سيّدٌ وابنُ سادةٍ مطاعينَ فى الهيجا مَطاعيم للَّحْمِ
همُ مَنَحوا نصرًا أباك وطاعنوا وذلك إذ يُرْمى ذليلا ولا يَرْمى

(١) كذا، ولعلها: ليس يمنعه. أو: لا ينهنه.
(٢) معضبة من عضب: بمعنى قطع.
(٣) الشحا: اتواسع من كل شىء: ولعله أريد به: كل الناس.
(٤) الجائفة: الطعنة التى تبلغ الجوف. والعرق القلاس: الذى يمج الدم.
(٥) «يضرب أخماسا لأسداس»: مثل يراد به السعى فى المكر والخديعة. انظر اللسان مادة «خمس» وتفسير المثل. وإلى هنا انتهى ما جاء زيادة من مخطوط دفعة واحدة من ص ٢٩.

كمستلحِمٍ فى ظُلمة الليل بعدَ ما ... رأى الموتَ صِرفاً والسيوفُ بها تهمِى[1]
أديبٌ على أنماطٍ بيضاء حُرَّةٍ ... مُقابلَةِ الجدَّين ماجدةِ العَمِّ[2]
وأنت لَحنفاء اليديْن لوَ انَّها ... تُباع لما جاءت بزندٍ ولاسَهْمِ[3]
وإنى على ماكان أوّلُ أوَّلٍ ... عليه، كذاك القَرْمُ يُنْتجُ للقَرْمِ
وأُكرم نفسى عن أمور دَنيَّة ... أصون بها عرضى وآسُو بها كَلْمِى
وأصفح عمن لو أشاءُ جزَيْتُه ... فيمنعنى رُشدى ويُدركنى حِلمى
وأغفر للمولى وإنْ ذو عظيمة[4] ... على البَغْى منه لايَضيق به حزْمى
فهذى فَعالى ما بقيتُ وإننى ... لمُوصٍ به عقْبى إذا كنتُ فى رَجْمى[5]

فقال له قومه لو كان أول قولك كآخره يا خفاف لاطفأت النائرة ، وأذهبت سخائم النائم ، فقال العباسُ مجيبا له :

ألا أيها المُهدى لىَ الشَّتمَ ظالما ... تَبَيَّنْ إذا راميتَ هضْبةَ مَن ترْمى
أبى الذمَّ عرضي إنَّ عرْضِيَ طاهرٌ ... وإنى أبىٌّ من أُباة ذوى غَشْمِ
وإنى من القوم الذين دماؤهمْ ... شِفاءٌ لطلاَّب الشفاءِ من الرَّغم

وقال أيضا :

إن تلْقنى تلْقَ ليثا فى عَرِينته ... من أُسْد خِفَّانَ فى أرساغه فَدَعُ[6]
لايَبرح الدَّهرَ صَيداً قدْ تقنَّصه ... من الرجال على أشداقه القَمَعُ[7]

وكان العباس وخفاف قد هَمَّا بالصلح ، وكرهت بنو سليم الحرْب ، فجاء غوِى

---

(١) المستلحم : الذى نشب فى الحرب فلم يجد مخلصا ،وتهمى تسيل وفى المطبوع: محزما ...وتعمى .
(٢) الأنماط : جمع نمط وهو البساط . والمقابل : الكريم النسب من قبل أبويه ، ويعنى بهذا المديح أمه.
(٣) حنفاء اليدين : معوجتهما .
(٤) فى مخطوط : وإن دق عظمه .
(٥) رجمى : قبرى .
(٦) الفدع : الاعوجاج .
(٧) القمع : الاحمرار .

من رهط العباس فقال للعباس : إن خفافا قد أنحى عليك وعلى والديك . فغضب العباس ثم قال : قد والله هجانى فكان أعظم ما عابنى به أصغر عيب فيه ، ثم هجا والدىَّ فما ضرهما ولا نفعه ، ثم برزت له فأخنى شخصه واتقانى بغيره ، ولو شئت لشتمت أباه وثلبت عِرضه ، ولكنى وإياه كما قال شِبام بنى زبيد لابن عم له يقال له ثروان بن مرّة كان أشبه الناس بخفاف :

وهَبْتُ لثَرْوان بنِ مُرَّة نفسه ... وقد أمكنتنى من ذُؤابته يَدى
وأحمل ما فى اليوم من سوء رأيه ... رجاء التى يأتى بها الله فى غَدِ
ولستُ عليه فى السَّفاه كنفسه ... ولستُ إذا لم أهْجُه بمُوَعَّدِ[1]

ثم وقال :

أرانى كلما قاربتُ قــومى ... نَأَوْا عنّى وقَطعُهم شَديدُ
سئمتُ عِتابهم فصفحتُ عنهم ... وقلتُ لعل حِلْمهمُ يعودُ
وعلَّ اللهَ يُمكن من خُفافٍ ... فأسقيَهُ التى عنها يَحيــدُ
بما اكتسبت يداه وجرَّ فينا ... من الشَّحْنا التى ليست تَبيدُ
وأَنّى لى بِوُدّ بنى خُفــافٍ ... وَعوفٍ والقلوب لها وَقُودُ
وأنّى لا أزال أُرِيد خــيرا ... وعند الله من نَعَمٍ مَزِيدُ
فضاقت بى صُدورهمُ وغصّتْ ... حلوقٌ ما يَبَضُّ لها وَريــدُ[2]
متى أبْعُدْ فشرُّهمُ قريبٌ ... وإن أقْرُبْ فوُدُّهمُ بَعيدُ
أقول لهم وقد لَجُّوا بشتمى ... تَرَقَّوْا يا بنى عَوْفٍ وزِيدُوا
فما شتمى بنافِعِ حَىّ عَوْفٍ ... ولا مِثْلى بضائره الوَعيدُ
فما أدرى وما تَدْرِيه عَوْفٌ ... أينقصنى الهبوطُ أم الصعودُ
أتجعلنى سَراةُ بنى سُــليم ... ككلب لا يَهِرُّ ولا يَصيدُ

(١) فى مخطوط : ولست له إذ لم أهجه بموعد .
(٢) يبض : يسيل .

كأنى لم أقُدْ خيلا عِتـاقا شوازبَ مالها فى الأرض عُود[١]
أُجَشِّمها مَهامِهَ طامساتٍ كأنَّ رِمال صَحْصَحِها قُعود[٢]
عليها من سَراة بنى سُلَيم فوارسُ نَجْدةٍ فى الحرب صِيدُ
فأُوطِى مَن تريد بنو سليم[٣] بِكَلْكَلها ومن ليست تريدُ

فلما بلغ خفافا قول العباس قال : والله ما عِبْتُ العباس إلا بما فيه ، وإنى لَسَليم العُودِ صحيح الأديم ، ولقد أدْنيت سوادى من سواده فلم أُحْجِم ولا نكصت عنه ، وإنى وإياه كما قال ثروان لشبام بنى زبيد، وكان يلقى منه ماألقى من العباس قال :

رأيت شباما لايزال يعيبنى فلله ما بالى وبال شِبام
فَقَصْرُكَ منى ضربةٌ مازنيّة بكفَّ فَتى فى الحق غيرِ كَهام
من اليوم أو من شَيْعه بِمُهنّدٍ[٤] خَصُوم لهامات الرجالِ حُسامِ
فتُقْصِرُ عنى يا شبام بن مالك وما عَضّ سيفى شاتمى بحرام

وقال خفاف :

أرى العباسَ يَنْقُص كلَّ يوم ويزعم أنه جهْلاً يَزِيدُ
ولو نَقَصَتْ عواليه وزادت سلامَتَه لكان كما يُريـدُ
ولكنّ المعايِب أفسدتْه وخلْق فى عَشيرته زَهيدُ
أعبّاس بن مرداس بن عمرو وكِذْبُ المرْءِ أقبحُ ما يُفيد
حلفت برب مكة والمُصلّى وأشياخٍ مُحلّقة تَهُود[٥]
بأنك من مودّتنا قريب وأنت من التى تهوى بعيد

(١) الشوازب : الضامرة . وفى مخطوط : خيلا سيارا .
(٢) الصحصح : ما استوى من الأرض وكان أجرد .
(٣) فى مخطوط : من أراد بنى سليم .
(٤) شيعه : بعده ، ويعنى به الغد بعده . تقول : آتيك غدا أو شيعه : أى أو بعد غد .
(٥) تهود : تتوب وترجع إلى الحق . وفى مخطوط : تنود . أى تتمايل من النعاس .

فأبْشر أنْ بقيتَ بيوم ِ سوء — يَشيب له من الخَوْف الوَليدُ
كيومك إذ خرجتَ تفوت ركضًا — وطار القلب وانتفخ الوَريد
فدعْ قول السفاهة لا تَقُلْه — فقد طال التَهدُّد والوَعيدُ
رأينا من نُحاربه شقيًّا — ومن ذا يا بنى عوْفٍ سَعيدُ[١]

وقال خفاف أيضًا :

أعَبَّاسُ إنَّا وما بيننا — كَتَصدُّعِ الزجاجة لا يُجبرُ
فلستَ بكُفْءٍ لأعراضنا — وأنت بِشتَمكنَا أجدَرُ
ولسنا بأهلٍ لما قلتُمُ — ونحن بشتمكُمُ أعْذَرُ
أراك بصيرًا بتلك التى — تُريد ، وعن غيرها أعْوَرُ
فقَصْرُك منى رَقيقُ الذُّبا — بِ عَضْبٌ كَريهتُه مِبْتَرُ[٢]
وأزرقُ فى رأْس خَطيَّةٍ — إذا هُزَّ أكْعُبُها تَخطِرُ
يلوح السِّنان على مَتْنها — كنارٍ على مَرْقَب تُسْعَرُ
وزَغْفٌ دِلاص حباها العَزيزُ[٣] — تَوارَثَها قبلَه حِمْيَرُ
فتلك وجرداءُ خَيْفانَةٌ — إذا زُجِرَ الخيلُ لا تُزْجَرُ[٤]
إذا ألقت الخيلُ أذيالَها — فأنت على جَرْيها أقْدَرُ
متى يَبْلُلِ الماءُ أعطافَها — تَبُذُّ الجياد وما تُبْهَرُ
أُنهنه بالسوط من غَرْبها — وأُقْدِمُها حيث لا يُنْكَرُ[٥]
وأزْجِعها غَيرَ مَذمُومة — بِلَبَّاتها العَلَقُ الأحمرُ[٦]

(١) فى مخطوط : ومن ذا فى بنى عوف .
(٢) قصرك : كافيك ، ورقيق الذباب السيف .
(٣) الزغف : الدروع ، والدلاص : اللينة الملساء . وفى المطبوع : دلاص كذه الندير .
(٤) الخيفانة : السريعة .
(٥) غربها : حدتها ونشاطها .
(٦) فى المطبوع وأرحضها .

أقول وقد شكَّ أقــراَبها غدَرْتَ ومثلىَ لا يَغْدِرُ [١]
وأشهدها غمراتِ الحــروب فيسيَّانِ تَسْلَمُ أو تُعْقَرُ

وقال العباس :

خُفافُ ألمْ ترَ ما بيننــا يَزيد استعاراً إذا يُسْعَرُ
ألم ترَ أنَّا نُهِينُ التّــلا دَ للسائلين ومانُعْذِرَ
لِأنَّا نُكلِّف فوق التى يُكَلِّفها الناسُ لو تَخْبُرُ
لنا شِيَمٌ غيرُ مجهــولةٍ توارَثَها الأكبرُ الأكبرُ
وخيل تكدَّسُ بالدّارِعيـ ـن تُنْحَرُ فى الرَّوْعِ أو تُعْقَرُ
عليها فوارسُ مَخْبُورةٌ كَجِنٍّ مساكنها عَبْقَرُ
ورجراجةٌ مثلُ لونِ النجو م لا العزْلُ فيها ولا الحُسَّرُ
وبيضٌ سوابغُ مَسْرودةٌ مواريثُ ما أورثت حِمْيَرُ
فقد يعلم الحىّ عند الصِّياحِ بأن العقيلَةَ بى تُسْتَرُ
وقد يعلم الحىُّ عند الرها نِ أنى أنا الشامخ المُخطِرُ [٢]
وقد يعلم الحى عند السؤا ل أنى أجودُ وأُسْتَمْطَرُ
فأنَّى تُعَيِّرنى بالفخــارِ هذاذيكَ [٣] هذا هو المُنْكَرُ

صوت

ألا لا أُبالى بعد رَيَّا أوافقتْ نَوانا نَوَى الجيرانِ أم لم تُوافِقِ
هِجانُ المحَيَّا حُرَّةُ الوجه سُرْبلتْ منَ الحُسْنِ سِرْبالاً عَتيقَ البنائق [٤]

الشعر لِجَشْباء الأشجعى ، والغناء لإسحاق رمل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق

(١) الأقراب : جمع قرب ، وهو الخاصرة .
(٢) أخطر الرجل فهو مخطر : جعل نفسه خطرا لقرنه فبارزه . وفى مخطوط : السابح المطلح .
(٣) هذاذيك : قطعا بعد قطع وفى أصل : هذان هذا .
(٤) الهجان : البيضاء . والبنائق : جمع بنيقة ، وهى زيق القميص الذى ينفتح على النحر .

أخبار جبهاء ونسبه

جَبْهاء لقب غلب عليه، يقال له: جَبْهاء وجُبَيْهاء معا، واسمه يزيد بن عُبيد ويقال يزيد بن حُميمة بن عبيد بن عُقيلة بن قيس بن روبية بن سحيم بن عبيد بن هلال بن زبيد بن بكر بن أشجع ، شاعر بدوى من مخاليف الحجاز نشأ وتوفى فى أيام بنى أمية ، وليس ممن انتجع الخُلفاء بشعر. ومدحهم فاشتهر ، وهو مقلّ وليس من معدودى الفحول ، ومن الناس من يروى هذه الأبيات لابن دُبيس التغلبى [١] ، وليس ذلك بصحيح ، وهى فى شعر جَبْهاء موجودة .

أخبرنى الحرمى بن أبى العلاء قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثنى عمى. وأخبرنى على بن سليمان الأخفش قال : حدثنا أبو الحسن الأحول ، عن الطوسى عن أبى عمرو الشيبانى قال :

قدم جُبَيْهاء الأشجعى البصرة بجَلُوبة [٢] له يريد بيعها ، فلقيه الفرزدق بالمِرْبَد فقال له: ممن الرجل ؟ قال : من أشجع ، قال : أتعرف شاعرا منكم يقال له جَبْهاء أو جُبَيهاء ؟ قال : نعم . قال أفتروى قوله :

أمِنَ الجميعِ بذى النعاع رُبوعُ ... هاجتْ فؤادكَ والربوعُ تَرُوعُ

قال : نعم ، قال : فأنشدنيها ، فأنشده قوله منها :

من بعد ما نكِرتْ وغيّر آيها ... قَطْرٌ ومُسبلةُ الدموع خَرِيعُ

يا صاحبيَّ ألا ارْفعَا لى آيـــة ... تَشْقُى الصُّداع فيُذْهَل المرفوعُ

ألواح ناجية كأنَّ تَليلهـــــا ... جِذْعٌ تُطيف به الرُّقاةُ مَنيعُ [٣]

(١) الله : لأبى ربس التغلبى انظر اللسان مادة ربس .

(٢) الجلوبة : الإبل يحمل عليها متاع القوم وفى مخطوط بجلوبة .

(٣) التليل : العنق ، والناجية الناقة . وفى مهذب الأغانى ٤/١٢٤ : صدع تطيف .

حتى أتى على آخرها ، فقال الفرزدق : فأقسم بالله ، إنك لجُبَيهاء ؛ أو إنك لشيطانه .

قال الأخفش فى خبره عن أصحابه . الخَرِيع : الذاهبة العقل ، شبه السحابةَ بها لأنها لا تتمالك من المطر .

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدثنا أحمد بن عبيد المكتب قال : حدثنى علىّ بن الصباح ، عن ابن الكلبى قال :

قدم جُبَيهاء الأشجعى المدينة بجَلُوبة له ، فبينا هو يبيعها، والفرزدق يومئذ بالمدينة، إذ مر به فقال له : ممن أنت ؟ قال : من أشجع ، قال : أتعرف شاعرا منكم يقال له جَبْهاء أو جُبَيهاء ؟ قال : نعم ، قال : أتروى قصيدته :

ألا لا أبالى بعد رَيَّا أوافقتْ ... نَوَانا نَوَى الجيرانِ أم لم تُوافقِ

قال : نعم ، قال : أنشدنيها ، فأنشده إياها ، فقال الفرزدق : أقسم بالله إنك لجبيهاء أو إنك لشيطانه .

أخبرنى الحرمى قال : حدثنا الزبير قال : حدثنى عمى عن سليمان بن عياش قال :

قالت زوجة جَبْهاء الأشجعى له : لوهاجرت بنا إلى المدينة وبعت إبلك وافترضت فى العطاء كان خيرا لك ، قال : أفعل . فأقبل بها وبإبله ، حتى إذا كان بحرَّة واقِمٍ من شَرْقىّ المدينة ، شرَعها بحوض واقِمٍ ليسقيها ، فحنَّت ناقة منها ثم نزعت وتبعتها الإبل ، وطلبها ففاتته ، فقال لزوجته : هذه إبل لاتعْقِلُ تحِنّ إلى أوطانها ، ونحن أحقُّ بالحنين منها ، أنت طالق إن لم ترجعى وفعل الله بك وفعل . فردها وقال :

قالتْ أُنَيْسة دَعْ بلادك والتمس ... دارًا بطَيْبَةَ رَبَّةِ الآطامِ[1]

تكتُبْ عيالك فى العطاء وتفترِضْ ... وكذاك يفعلُ حازِمُ الأقوامِ

(١) فى معجم البلدان ، فتام . . بع تلادك . . بيثرب ربة الآطام .

فَهَمَمْتُ ثم ذكرتُ ليلَ لقاحنا بلوى عُنيزةَ أو بقُفِّ بَشامِ[١]
إذهنّ عن حَسَبى مذاودِ كُلَّما نزل الظلام بعُصبة أغتامِ[٢]
إن المدينة لا مدينة فالزمى حِقْفَ السِّتارِ وقُبَّةَ الأرجامِ[٣]
يُجلَبْ لك اللبنُ الغريضُ ويُنتزع بالعِيس من يَمَنٍ إليك وشامِ[٤]
وتُجاورى النَّفَرَ الذين بِنَبْلِهم أرمى العدوَّ إذا نهضت أرامى
الباذلين إذا طلبت تِلادَهم والمانِعى ظَهرى من الغُرّام

أخبرنى محمد بن خلف وكيع قال : حدثنى أحمد بن زهير قال : حدثنى مصعب قال :

جاور جبهاء الأشجعى فى بنى تيم بطنٍ من أشجع ، فاستمنحه مولى لهم عنزاً ، فنحه إياها ، فأمسكها دهرا ، فلما طال على جَبْهاء ألاَّ يردَّها قال جَبْهاء :

أمولى بنى تيمٍ ألستَ مؤدّيا منيحتَنا فيما تُرَدّ المنائحُ[٥]
لها شَعَرٌ صافٍ وجِيدٌ مُقلِّص وجسمٌ زُخارِىٌّ وضِرْسٌ مُجالحُ[٦]

فأرسل إليه التيمىّ يقول :

بَلَى سنؤديها إليكَ ذميمةً لِتَنكِحَها إن أعوزتك المناكحُ

فعمد بها جَبْهاء فنزل وقال :

لو كنتُ شيخا من سواةَ نكحتها نِكاحَ يَسارٍ عنزَهُ وهْىَ سارحُ

قال : وهم يُعيّرون بنكاح العنز .

---

(١) عنيزة وبشام : موضعان . والقف : ما ارتفع من الأرض وغلظ .
(٢) الأغتام : جمع أغتم ، وهو من لا يفصح شيئا .
(٣) الحقف : ما اعوج من الرمل واستطال ، وفى معجم البلدان « الأرجام » أرض الستار وقنة الأرجام . وفى « قشام » حقف الستار .
(٤) الغريض اللبن الحليب وفى المطبوع : التريض . وفى معجم البلدان الغريض وينتزع بالعيش .
(٥) المنيحة : ما يمنح وهو الهبة . وانظر القصيدة فى المفضليات ص ١٦٥ وهى اثنا عشر بيتا .
(٦) مقلص : طويل والزخارى : الكثير الشحم واللحم . والمجالح : الذى يجتلع الشجر : أى يقشره .

أخبرنى وكيع قال : حدثنى أبو أيوب المدينى عن مصعب قال :

استطرق جبهاء الأشجعى موسى بن زياد الأشجعى كبشا ، فوعده ثم مطله فقال جبهاء :

واعدنى الكبشَ موسى ثم أخلفنى ... وما لمثلِىَ تُخْتَلُ الأكاذيبُ
يا ليت كَبْشك ياموسى يصادفه ... بين الكُراعِ وبين الوَجْنةِ الذيبُ
أمسى بذى الغصن أوأمسى بذى سلم ... فقَحَّمتْهُ إلى أبياتك اللُّوبُ[1]
[فجاء والحىُّ أيقاظ فطاف بهم ... طَوْفين ثم أقرَّتْه الأحاليبُ
فبات ينظره حرّانَ منْطَوِيا ... كأنه طالب للوتر مكروبُ
وقام يشتدُّ حتى نال غِرّتَه ... طاوى الحشاذَرِبُ الأنياب مذبوب[2]
بغفلة من زرَيْقٍ فاستمرَّ به ... ودونه آكُمُ الحِقف الغرابيب[3]
« يذود » أرخمة بيضا وأغربة ... سُودًا لحِن حتى أطمى سلاهيب[4]
يردين رَدْىَ العذارى حول دمنتِه ... كما يطوف على الحوض المعاقيب
فجاء يحمل قرنيه ويندبه ... فكلُّ حىّ إذاما مات مندوب]

صوت

ولها ولا ذنب لهـــا ... حُبٌّ كأطراف الرماحِ
فى القلب يجرح والحشا ... فالقلب مجْروحُ النَّواحى

الشعر لوالبة بن الُحباب ، والغناء ليزيد حوراء رمل بالوسطى عن الهشامى وعمرو ، وفيه لسبك[5] الزامر لحن عن ابن خرداذبه .

(١) اللوب : العطش .

(٢) المذبوب : المجنون ، والذرب : الحاد .

(٣) الحقف بكسر الحاء ما اعوج من الرمل والغرابيب : السود .

(٤) كذا فى الأصل وزدنا كلمة « يذود » والسلاهيب : الطوال .

(٥) فى مخطوط النسك الزمر .

أخبار والبة بن الحباب

والبة بن الحَباب أسدى صليبة ، كوفى شاعر من شعراء الدولة العباسية ، يكنى أبا أُسامة ، وهو أستاذ أبى نواس ، وكان ظريفا شاعرا غزِلا وصافا للشراب والغِلمان المُرد ، وشعره فى غير ذلك مقارب ليس بالجَيِّد ، وقد هاجى بشارا وأبا العتاهية فلم يصنع شيئا وفضحاه ، فعاد إلى الكوفة كالهارب ، وخمل ذكره بعد .

أخبرنى محمد بن الحسن بن دريد قال : حدثنا حماد بن إسحاق قال : حدثنى أبى ،وأخبرنى محمد بن القاسم الأنبارى والحسن بن على الأدمى جميعا عن القاسم بن محمد الأنبارى قال : حدثنا يعقوب بن عمر [١] قال : حدثنى أحمد بن سلمان قال : حدثنى أبو عدنان السُّلَمى الشاعر قال :

قال المهدى لعُمارة بن حمزة : من أرقُّ الناس شعرا ؟ قال : والبة بن الُحباب الأسدى وهو الذى يقول :

ولها ولا ذنب لهـــا حُب كأطراف الرّماحِ
فى القلب يَقْـــدَح والحشا فالقلبُ مجروح النواحى

قال : صدقت والله ، قال : فما يمنعك من منادمته يا أمير المؤمنين ؟ قال : يمنعنى من منادمته قوله [٢] :

---

(١) لا توجد جملة : قال حدثنا يعقوب بن عمر » . فى مخطوط .

(٢) انظر طبقات الشعراء لابن المعتز تحقيقنا ص ٨٩ ، وما أثبتناه من مراجع فى الهامش ، وفى ص ٤٧٥ ، وفى مخطوط التوافى « راسى . جلاسى » ، وقد وردت الروايتان فى مصادر مختلفة .

قلتُ لساقينا على خلوةٍ ... أدْنِ كذا رأسك من راسيا
ونمْ على صدرِك لى ساعةً ... إنى امرؤٌ أنكح جُلاَّسيا

أفتريد أن نكون جُلاسه على هذه الشريطة .

أخبرنى الحسين بن القاسم الكوكبى إجازة : حدثنى عبد الله بن مسلم بن قتيبة ووجدته فى بعض الكتب عن ابن قتيبة وروايته أتم فجمعتهما قال :

حدثنى الدّعلجى غلام أبى نواس قال :

أنشدت يوما بين يدى أبى نواس قوله :

ياشَقيقَ النَّفْسِ من حَكَمٍ ... نِمْتَ عَن لَيْلِى وَلَمْ أَنَمِ

وكان قد سكر فقال : أخبرك بشيء على أن تكتمه ، قلت : نعم ، قال : أتدرى مَن المعنىُّ بقوله : يا شقيق النفس من حكم ؟ قلت : لا ، قال : أنا والله المعنىّ بذلك والشعر لوالبة بن الحباب . قال : [١] وما علم بذلك غيرك وأنت أعلم ، فما حدثت بهذا حتى مات .

قال : وقال الجاحظ : كان والبة بن الُحباب ومطيع بن إياس ومنقذ بن عبد الرحمن الهلالى ، وحفص بن أبى وردة ، وابن المقفع ، ويونس بن أبى فروة وحمادُ عَجْرَدٍ ، وعلىٌّ بن الخليل ، وحمادُ بن أبى ليلى الراوية ، وحماد بن الزبرقان ، وعمارة ابن حمزة ، ويزيد بن الفيض ، وجميل بن محفوظ ، وبشار المرعث ، وأبان اللاحقى ، نُدماء يجتمعون على الشراب وقولِ الشعر ، ولا يكادون يفترقون ، ويهجو بعضهم بعضا هزلا وعمدا ، وكلهم مُتَّهم فى دينه .

حدثنى محمد بن يحيى الصولى قال : حدّثنا محمد بن موسى بن حماد قال : حدثنى محمد بن القاسم قال : حدثنى إسحاق بن إبراهيم بن محمد السالمى الكوفى التيمى . قال :

---

(١) انظر الشعر والشعراء ٧٧١ وقول الدعلجى . والقصيدة فى ديوان أبى نواس منسوبة لأبى نواس.

حدثنى محمد بن عمر الجرجانى قال : رأيت أبا العتاهية جاء إلى أبى فقال له : إن والبة بن الحباب قد هجانى ، ومن أنا منه ؟ أنا جرّارٌ مسكين — وجعل يرفع من والبة ويضع من نفسه — فأُحبّ أن تكلمه أن يُمسك عنى . قال : فكلم أبى والبةَ وعرّفه أن أبا العتاهية جاءه وسأله ذلك : فلم يقبل ، وجعل يشتم أبا العتاهية فتركه . ثم جاء أبو العتاهية فسأله عما عمل فى حاجته ، فأخبره بما ردّ عليه والبة ، فقال لأبى : لى الآن إليك حاجة ، قال : وما هى ؟ قال لاتكلمنى فى أمره ، قال : فقلت له : هذا أقلّ ما يجب لك ، قال : فقال أبو العتاهية يهجوه :

أوَالبَ أنت فى العربِ كمثل الشِّيص فى الرُّطَبِ
هلُمَّ إلى الموالى الصِّيدِ فى سَعَةٍ وفى رَحَبِ
فأنت بنا لعمرُ الله أشبه منك بالعَرَب
غضبتُ عليك ثم رأيتُ وجهك فانجلى غضبى
لِما ذكّرتنى من لَوْن أجدادى ولونِ أبى
فقل ما شئت أقبلْه وإن أطنبتَ فى الكذِبِ
لقد أُخبرت عنك وعن أبيك الخالص العرَبِى
فقال العارفون به مُصَاصٌ غيرُ مُؤْتَشِب[1]
أتانا من بلاد الروم مُعْتَجِرًا على قَتَبِ
خفيفَ الحاذِ كالصُّمصام أطلسَ غيرَ ذى نَشَبِ[2]
أوالبَ ما دهاك وأنت فى الأعراب ذو نَسَبِ
أراك وُلِدْتَ بالمرّيخ يا ابن سبائك الذهبِ
فجئت أُقَيْشر الخدّين أزرق عارمَ الذَّنَبِ

---

(١) مصاص القوم : أخلصهم نسبا . والمؤتشب : المخلوط .
(٢) الحاذ : الظهر ، ويقال خفيف الحاذ : أى قليل المال . وفى مخطوط : خفيف الحال .

لقد أخطأتَ في شتمي فخبرني ألم أُصِبِ

وقال في والبة أيضا ١ :

نطقتْ بنو أسدٍ ولم تَجْهَرْ وتكلَّمتْ خَفْيا ولم تَظْهَرْ ٢

وأما ورب البيت لو نطقتْ لتركتُها وصباحُها أغبَرْ

أيروم شتمي منهم رجلٌ في وجهه عِبَرٌ لمَنْ فَكّرْ

وابنُ الحبابَ صليبيةٌ زعموا ومن المحال صَليبيةٌ أشْقَرْ

ما بال من آباؤه عُرُبُ الْ أكوازن يُحْسب من بني قَيصرْ

أترون أهل البدْوِ قد مُسِخوا شُقْرًا أما هذا من المُنْكَرْ

قال وأول هذه القصيدة :

صرِّح بما قد قُلْتَه واجْهَرْ لابن الحُبابِ وقُلْ ولا تَحْصَرْ

مالي رأيت أباك أسودَ غِرِ يَبِب القَذال كأنه زُرْزُرْ ٣

وكأن وجهك حُمْرَةٌ رِئَةٌ وكأن رأسك طائر أصفر ٤

قال : وبلغ الشعر والبة فجاء إلى أبي فقال : قد كلمتَني في أبي العتاهية وقد رغبتُ في الصلح ، قال له أبي : هيهات ، إنه قد أكّد عليّ أن لايقبل ما طلب وأن أخلي بينك وبينه وقد فعلت ، فقال له والبة : فما الرأى عندك ؟ فإنه فضحني : قال : تنحدر إلى الكوفة ، فركب زورقا ومضى من بغداد إلى الكوفة .

وأجود ما قاله والبة في أبي العتاهية قوله :

كان فينا يُكنَى أبا إسحاقِ وبها الرَّكْبُ سارَ في الآفاقِ

---

(١) في مخطوط : وقال أيضا فيه .

(٢) في مخطوط : وتكلمت حينا .

(٣) الزرزر : طائر أكبر من العصفور منه نوع لونه أسود . وزرزر أيضا : شاعر اجتمع هو ووالبة وعلي بن الخليل ، انظر كتاب الورقة لابن الجراح ص ٣٧ .

(٤) في مخطوط : وكأن وجهك مثل حمرة .

فتكنى معتوهنا بعتاه … يا لها كُنْيَةٌ أتتْ باتفاق

خلق الله لِحيةً لك لاتنـ … فكُّ معقودةً لدى الحلَّاقِ[1]

وله فيه ، وهو ضعيف سخيف من شعره[4] :

قل لابن بائعة التيغار[2] … وابنِ الدَّوارق والجِرارِ

تَهْوَى عُتَيْبةَ ظاهراً … وهواك فى أيْرِ الحمارِ

تهجو مواليَكَ الأُلى … فكَّوك من ذُلِّ الإسارِ

أخبرنى عمى قال : حدثنى أحمد بن أبى طاهر قال : حدثنى ابن أبى فنن قال :

كان والبة بن الحباب خليلا لعلىّ بن ثابت[3] وصديقا وودودا ، وفيه يقول :

حَىٌّ بها والبَةَ المُصْطفى … حَىٌّ كريما وابنَ حُرٍّ هِجانِ

وقاسِمًا نفسى فَدَتْ قاسِمًا … من حَدَثِ الموت ورَيْبِ الزمانِ

قال : ولمَّا مات والبة رثاه فقال :

بكت البريَّةُ قاطِبَهْ … جزَعا لمصرع والِبَهْ

قامتْ لموت أبى أسا … مةَ فى الرِّفاق النادِبَهْ

قال : وكان والبة بن الحباب أستاذ أبى نواس ، وعنه أخذ ومنه اقتبس ، قال : وكان والبة قد قصد أبا بُجَير الأسدى[4] وهو يتولى للمنصور الأهواز ، فمدحه وأقام عنده ، فألفى أبا نواس هناك[5] وهو أمرد ، فصحبه وكان حسن الوجه ، فلم يزل

---

(١) فى المجلد الرابع فى ترجمة أبى العتاهية : . . معقودة بداء الحلاق . وداء الحلاق : الأبنة .

(٢) فى المطبوع : القصارى هذا والدار . لعلها لغة فى التيغار وهى الإجانة وهى إناء .

(٣) على بن ثابت لعله على بن الخليل انظر كتاب الورقة تحقيقنا ٣٧ .

(٤) فى مخطوط : أبى بجيرا الأسدى .

(٥) فى كتاب أخبار أبى نواس لأبى هفان تحقيقنا ص ١٠٩ أن اجتماع والبة بأبى نواس كان عند النجاشى والى الأهواز للمنصور ، ووالبة ابن عم النجاشى ، وانظر طبقات الشعراء لابن المعتز ص ١٩٤ تحقيقنا فهو مثله ومثله فى تاريخ بغداد ترجمة أبى نواس الحسن بن هانىء ، وفى كتاب أخبار أبى نواس لابن منظور ج ١ ص ١١ قصة تخالف ذلك ، وملخصها أن أبا نواس هو الذى سعى إلى والبة فى طيرناباذ . وقد نقلتها فى ملحق بأخبار أبى نواس لأبى هفان ص ١٣٨ .

معه ، فيقال إنه كشف ثوبه ليلة فرآى حُمْرة أليتيه وبياضها ، فقبلهما ، فضرط عليه أبو نواس ، فقال له : لم فعلت هذا ويلك ؟ قال : كراهة أن يضيع قول القائل : ماجزاء مَنْ قبّل الاست إلا ضرطة .

أخبرنى محمد بن العباس اليزيدى قال : حدثنى عمى الفضل قال :

حدثنى أبوسلهب الشاعر قال : كان والبة بن الحباب صديقى ، وكان ما جنا طَبْعا خفيف الروح خبيث الدِّين ، وكنا ذات يوم نشرب بِغُمَّى فانتبه يوما من سكره فقال لى : يا أبا سلهب اسمع ، ثم أنشدنى قال :

شربتُ وفاتِكٌ مثلى جمــوحُ ... بِغُمَّى بالكؤوس وبالبواطى
يُعاطينى الزجاجةَ أرْيحِىٌّ ... رخيمُ الدَّلِّ بُورِك من مُعاطى
أقول له على طَرَب ألِطْنِى ... ولو بمُؤاجِرٍ عِلْجٍ نَباطى
فما خيرُ الشراب بغيرِ فِسْقٍ ... يُتابع بالزناء وباللواطِ[1]
جعلت الحج فى غُمَّى وبِنّا ... وفى قُطْرُبُّل أبدا رِباطى
فَقُلْ للخَمْسِ آخرُ مُلْتقانا ... إذا ماكان ذاك على الصِّراطِ

يعنى الصلوات .

قال : وحدثنى أنه كان ليلة نائما وأبو نواس غلامه إلى جانبه نائمٌ ، إذ أتاه آتٍ فى منامه[2] فقال له : أتدرى من هذا النائم إلى جانبك ؟ قال : لا ، قال : هذا أشعر منك وأشعر من الجنّ والإنس ، أما واللهِ لأفتنن بشعره الثقلين ، ولأُغرين به أهل المشرق والمغرب ، قال : فعلمت أنه إبليس فقلت له : فما عندك ؟ قال : عصيت ربى فى سجدة فأهلكنى ، ولو أمرنى أن أسجد له ألفا لسجدت .

أخبرنى الحسين بن يحيى قال : حدثنا حماد بن إسحاق قال : قرأت على أبى عن أبيه .

---

(١) فى المطبوع إقواء ، فقد ورد فى المطبوع : يتابعه زناء أو لواط . وانظر معجم البلدان « غمى » .
(٢) فى طبقات الشعراء لابن المعتز تحقيقنا ص ٨٧ : رأيت إبليس فيما يرى النائم كأنه أتانى فقال لى ترى غلامك الحسن . . .

أن حكم الوادى أخبره أنه دخل على محمد بن العباس يوما بالبصرة وهو يتململ خُمارًا ، وبيده كأس وهو يجتهد فى شُرْبها فلا يطيقه ، وندماؤه بين يديه فى أيديهم أقداحُهم، وكان يوم نيروز ، فقال لى: يا حكم غننى ، فإن أطربتنى فلك كل ما أُهدى إلىّ اليومَ ، قال: وبين يديه من الهدايا أمر عظيم ، فاندفعت أغنى فى شعرِ والبة بن الحباب :

صوت

قد قابَلَتْنا الكُـــؤوسُ   ودابَرَتْنا النُّحــوسُ
واليوم هـــرْمزروز   قد عظَّمتــه المجوسُ[1]
لم تُخْطِه فى حســابٍ   وذاك مما نَســوسُ

فطرب واستعاده ، فأعدته ثلاث مرات،فشرب قدحه واستمر فى شربه ،وأمر بحَمْل كلّ ماكان بين يديه إلىّ ، فكانت قيمته ثلاثين ألف درهم .

لحن حكم فى هذا الشعر هزج بالبنصر عن الهشامى وإبراهيم وغيرهما .

صوت

لقد زاد الحياةَ إلىّ حُبًّا   بناتى إنهنّ من الضِّعافِ
مخافَةَ أن يذقْنَ البُؤْسَ بعدى   وأن يشربن رَنْقا بعد صافى
وأن يعْرَين إن كُسِيَ الجوارى   فيُبْدِى الضُّرّ عن كَرَمٍ عجافِ[2]
ولولاهنّ قد سوَّمْتُ مُهْرِى   وفى الرحمن للضعفاءِ كافى

الشعر لعِمران بن حِطّان فيما ذكر أبو عمرو الشيبانى ، وذكر المدائنى أنه لعيسى الحَبطى ، وكلاهما من الشُّراة ، والغناء لمحمد بن الأشعث الكوفى خفيف رمل بالوسطى من رواية عمرو بن بانة :

(١) واليوم هرمز روز : أى يوم هرمز ، وانظر طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٨٨ ، وفى المطبوع : واليوم هو نيروز . وفى مخطوط : واليوم هرمززور .
(٢) الكرم : جمع كرمة ، وهى رأس عظمة الفخذ .

أخبار عمران بن حطان ونسبه

هو عِمران بن حِطّان بن ظَبْيان بن لو ذان بن عمرو بن الحارث[١] بن سَدُوس بن شيبان بن ذُهْل بن ثَعلبة بن عُكابة بن صَعْب بن عَلِيّ بن بكر ابن وائل . وقال ابن الكلبي هو عمران بن حطان بن ظَبْيان بن سعد بن معاوية ابن الحارث بن سدوس[٢] ، ويكنى أبا سماك ، شاعر فصيح من شعراء الشُّراة[٣] ودعاتهم والمُقدَّمين فى مذهبهم ، وكان من القَعَدِيّة[٤] لأن عمره طال فضعف عن الحرب وحضورها ، فاقتصر على الدعوة والتحريض بلسانه ، وكان قبل أن يُفتَن بالشُّراة مشتهرا بطلب العلم والحديث ، ثم بُلِى بذلك المذهب فَضَلّ وهلك ، لعنه الله[٥] ، وقد أدرك صدرا من الصحابة وروى عنهم وروى عنه أصحابُ الحديث .

فمما رُوِىَ عنه ما أخبرنا به محمد بن العباس اليزيدى قال : حدثنا الرياشى قال : حدثنا أبو داود الطَّيالسى ؛ عن أبى عمرو بن العلاء ، عن صالح بن شريح[٦]

---

(١) فى الإصابة حرف العين القسم الرابع ترجمة عمران بن حطان بن ظبيان بن لو ذان بن الحارث. وفى الكامل للمبرد مطبعة مصطفى محمد سنة ١٣٥٥ ج ٢ ص ١٠٨ عمران بن حطان أحد بنى عمرو ابن شيبان .

(٢) فى مخطوط : ابن طبيان بن سعد بن معاوية بن سدوس ، ويكنى أبا شهاب .

(٣) سموا الشراة ، لأنهم زعموا أنهم شروا أنفسهم ابتغاء مرضاة الله .

(٤) القعدية : من الخوارج الذين لا يحاربون ويدعون إلى التحكيم ، أو الذين يحسنون لغيرهم الخروج على المسلمين ولا يباشرون القتال ، وقال الشاعر :

وكأنى وما أزين منهـــــا قعدى يزين التحكيما

(٥) جملة « لعنه الله » يغلب أنها من زيادة ناسخ شيعى .

(٦) فى الأصل أبو الوليد الطيالسى . . . عن أبى صالح بن شريح . وانظر صحة السند فى الإصابة فى ترجمة عمران بن حطان .

اليشكرى ، عن عمران بن حطان قال : كنت عند عائشة فتذاكروا القُضاة فقالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يؤتى بالقاضى العَدْل فلا يزال به ما يَرى من شدّة الحساب حتى يتمنّى أنه لم يقض بين اثنين فى تَمْرة» .

وكان أصله من البصرة ، فلما اشتهر بهذا المذهب طلبه الحجّاج فهرب إلى الشام ، فطلبه عبد الملك فهرب إلى عُمان ، وكان يتنقل إلى أن مات فى تواريه .

أخبرنى محمد بن عمران الصَّيرفى قال : حدثنا الحسن بن عليل العَنَزى قال : حدثنا منيع بن أحمد السدوسى عن أبيه عن جدّه قال :

كان عمران بن حطان من أهل السُّنّة والعلم ، فتزوج امرأة من الشُّراة من عشيرته وقال : أرُدُّها عن مذهبها إلى الحقّ ، فأضلته وذهبت به .

وأخبرنى بخبره فى هربه من الحجاج عمر بن عبد الله بن جميل العتكى ومحمد ابن العباس اليزيدى قالا : حدثنا الرياشى قال : حدثنا الحكم بن مروان قال : حدثنا الهيثم بن عدى قال :

طلب الحجاجُ عمرانَ بن حطان السدوسى وكان من قَعَدة الخوارج ، فكتب فيه إلى عماله وإلى عبد الملك .

وأخبرنى بهذا الخبر أيضا الحسن بن على الخفاف ومحمد بن عمران الصيرفى قالا : حدثنا العنزى قال : حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن عبد الصمد الدارع قال : حدثنا أبو عبيدة معمر بن المثنى عن أخيه يزيد بن المثنى .

أن عمران بن حطان خرج هاربا من الحجاج ، فطلبه وكتب فيه إلى عماله وإلى عبد الملك ، فهرب ولم يزل يتنقل فى أحياء العرب وقال فى ذلك :

حَلَلْنا فى بنى كَعْبِ بن عمرو ... وفى رِعْلٍ وعامرِ عَوْثَبانِ
وفى جَرْمٍ وفى عمرو بن مرّ ... وفى زيدٍ وحىّ بنى الغُدانِ (١)

(١) فى الكامل للمبرد ج ٢ ص ١٠٩ :

ثم لحق بالشام فنزل برَوْح بن زِنباع الجُذَامى ، فقال له روح : ممن أنت ؟ قال : من الأزدِ أزدِ السَّراة . قال : وكان روح يسمر عند عبد الملك ، فقال له ليلة : يا أمير المؤمنين ، إن فى أضيافنا رجلا ما سمعت منك حديثا قط إلا حدثنى به وزادنى ما ليس عندى . قال : ممن هو ؟ . قال : من الأزد . قال : إنى لأسمعك تصف صفة عمران بن حطان لأنى سمعتك تذكر لغة نِزارِيةً وصلاة وزهداوورواية وحفظا،وهذه صفته . فقال روح : وما أنا وعمران بن حطان ؟ ثم دعا بكتاب الحجاج فإذا فيه : أما بعد ، فإن رجلا من أهل الشِّقاق والنِّفاق قد كان أفسد علىَّ أهلَ العراق وخيَّبهم بالشَّراية ، ثم إنى طلبته ، فلما ضاق عليه عملى تحوَّل إلى الشام ، فهو ينتقل فى مدائنها ، وهو رجل ضَرْبٌ طُوالٌ أفْوَه[١] أزرق ، قال : قال روح : هذه والله صفة الرجل الذى عندى،ثم أنشد عبدُ الملك يوما قولَ عمران يمدح عبد الرحمن بن مُلْجَم لعنه الله بقتله أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله عليه :

يا ضَرْبةً من كريمٍ ما أرادَ بها ... إلاَّ ليبلغ من ذى العرش رِضْوانا[٢]
إنى لأُفكِرِ فيه ثم أحسبه ... أوْفى البريَّةِ عند اللهِ ميزانا[٣]

ثم قال عبد الملك : من يعرف منكم قائلها؟فسكت القوم جميعا ، فقال لروح : سل ضيفك عن قائلها ، قال : نعم أنا سائله ، وما أراه يخفى عليه ، ولا سألته عن شىء قط فلم أجده إلا عالما به ، وراح روح إلى أضيافه فقال : إن أمير المؤمنين سألنا من الذى يقول :

يا ضربة من كريم ما أراد بها

= نزلنا فى بنى سعد بن زيد ... وفى علك وعامر عوثبان
وفى لخم وفى أزد بن عمرو ... وفى بكر وحى بنى العدان

وفى مخطوط : حللنا فى بنى كعب بن عوف .

(١) الرجل الضرب : الماضى الخفيف فى الحاجة الظريف . والأفوه : ذو الفوه ، وهو سعة الفم وخروج الأسنان من الشفتين وطولها .

(٢) فى مخطوط : غفرانا .

(٣) فى الكامل : إنى لأذكره حينا فأحسبه .

ثم ذكر الشعر وسألهم عن قائله ، فلم يكن عند أحد منهم علم ، فقال له عمران : هذا قول عمران بن حطان فى ابن مُلْجم قاتِل علىّ بن أبى طالب ، قال : فهل فيها غير هذين البيتين تفيد نيه ؟ قال : نعم :

للهِ دَرُّ المُرادِىّ الذى سَفَكتْ كفّاه مُهجةَ شرِّ الخَلْفِ إنسانا[١]
أمسى عشيّةَ غشّاه بضربته مما جناه من الآثام عُرْيانا

صلوات الله على أمير المؤمنين على بن أبى طالب ولعن الله عمران بن حطان وابن ملجم [٢] [أستغفر الله ولاحول ولاقوّة إلا بالله] فغدا رَوح فأخبر عبد الملك ، فقال : من أخبرك بذلك ؟ فقال : ضيفى ، قال : أظنه عمران بن حطان ، فأعلِمه أنى قد أمرتك أن تأتينى به ، قال : أفْعل ، فراح روح إلى أضيافه فأقبل على عمران فقال له : إنى ذكرتك لعبد الملك فأمرنى أن آتيه بك ، قال : قد كنت أحب ذلك منك وما منعنى من ذِكْره إلا الحياء منك ، وأنا مُتبعك ، فانطلق فدخل روح على عبد الملك ، فقال له : أين صاحبك ؟ فقال : قال لى أنا متبعك ، قال أظنك والله سترجع فلا تجده ، فلما رجع روح إلى منزله إذا عمران قد مضى وإذا هو قد خلّف رقعة فى كُوّة عند فراشه ، وإذا فيها يقول [٣] :

يا رَوْحُ كم من أخى مَثْوًى نزلتُ به قد ظَنّ ظنك من لَخْمٍ وغَسانِ
حتى إذا خِفتُه فارقتُ منزِلَه من بعد ما قيل عِمرانُ بنُ حِطانِ
قد كنتُ ضيفك حولاً لاتروّعُنى فيه الطوارِقُ مِن إنسٍ ولاجانِ
حتى أردْتَ بىَ العُظْمى فأوحشنى ما أوحش الناس من خَوْفِ ابن مرْوانِ

(١) الخلف : الناس اللاحقون بأناس سبقوهم ، ومنه قول الله تعالى « فخلف من بعدهم خلف » . وفى مخطوط : الخلق .

(٢) يغلب أن هذه الجمل من زيادات ناسخ شيعى .

(٣) انظر اختلاف رواية بعض الأبيات فى الكامل ج ٢ ص ١١٠ .

فاعذِرْ أخاك ابنَ زِنْباعٍ فإنّ له ... فى الحادثاتِ هَناتٍ ذاتَ ألوانِ
يوما يمانٍ إذا لاقيتُ ذا يَمَنٍ ... وإنْ لَقِيتُ معَدّيًّا فعَدْنانى
لو كنتُ مستغفرًا يوما لطاغيةٍ ... كنْتَ المُقَدّمَ فى سرّى وإعلانى
لكنْ أبتْ ذاك آياتٌ مطهّرةٌ ... عند التّلاوةِ فى طه وعِمْرانِ [1]

قال : ثم أتى عمرانُ بن حطان الجزيرة ، فنزل بزُفَرَ بنِ الحارث الكِلابى بقَرْقِيسْيا ، فجعل شبابُ بنى عامر يتعجبون من صلاته وطولها ، وانتسب لزفر أوْزاعيا ، فقدم على زفرَ رجلٌ من أهل الشام قد كان رأى عمران بن حطان بالشام عند روح بن زنباع ، فصافحه وسلم عليه ، فقال زفر للشامى : أتعرفه ؟ قال نعم ، هذا شيخ من الأزد ، فقال له زفر : أزدى مرة وأوزاعىّ أُخرى ، إن كنت خائفا آمناك ، وإن كنت عائلا أغنيناك ، فقال : إن الله هو المغنى ، وخرج من عنده وهو يقول [2] :

إن التى أصبحت يَعْيا بها زُفَرٌ ... أعيتْ عَياءً على رَوْحِ بن زِنباعِ
أمسى يُسائلنى حَوْلاً لأُخْبِرَهُ ... والناسُ من بين مخدوع وخَدّاعِ
حتى إذا انْجذَمتْ منى حَبائلُه ... كَفّ السُّؤالَ ولم يُولَع بإهلاعى [3]
فاكففْ كما كفّ رَوْحٌ إننى رجل ... إمّا صَريحٌ وإما فَقْعَةُ القاعِ [4]
أمّا الصلاةُ فإنى غيرُ تارِكها ... كلٌّ امرئٍ للذى يُعْنَى به ساعى
فاكففْ لسانَك عن هزّى ومسألتى ... ما ذا تُريد إلى شيخٍ لأوْزاعِ
أكْرِمْ بروْحِ بنِ زِنباعٍ وأسرتِهِ ... قوما دعا أوّليهم للعُلا داعى
جاورتُهم سنةً فيما دعوتُ به ... عِرضى صحيحٌ ونَوْمى غيرُ تَهْجاعِ

---

(١) لعله يراد ما فى سورة آل عمران الآية ٢٨ « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين » وفى الكامل عنه الولاية فى طه وعمران . وشرح ذلك فى ص ١١٣ .

(٢) انظر اختلاف رواية بعض الأبيات فى الكامل ج ٢ ص ١١١ .

(٣) الإهلاع : الإفزاع والترويع .

(٤) يقال لمن لا أصل له : هو فقعة القاع .

فاعمَل فإنَّكَ مَنْعِيّ بحادثةٍ حَسْبُ اللبيب بهذا الشيبِ من ناعي

ثم خرج فنزل بعُمان بقوم يُكثرون ذِكْر أبي بلالٍ مِرداسِ بن أُدَيَّة [1] ويبكون عليه ويذكرون فضله ، فأظهر فضله ويسر أمره عندهم [2] وبلغ الحجاجَ مكانه ، فطلبه فهرب فنزل فى روذ مَيْسان : طَسُّوج من طساسيج السواد إلى جانب الكوفة ، فلم يزل به حتى مات ، وقد كان نازلا هناك على رجل من الأزد فقال فى ذلك [3] :

نزلت بحمد الله فى خير أُسْرة أُسَرُّ بما فيهم من الإنْس والخفَرْ

نزلت بقوم يجمع الله شملَهم وما لهُمْ عُودٌ سوى المجد يُعتصرْ

من الأزْد إنَّ الأزد أكرمُ أُسرة يمانية قَرْبُوا إذا نُسِبَ البَشَرْ

قال اليزيدى : الإنس بالكسر . الاستئناس ، وقال الرياشى : أراد قَرُبُوا فخفّف :

وأصبحت فيهم آمنا لا كمعشر أتونى فقالوا من ربيعةَ أو مُضرْ

أو الحىّ قحطانٍ وتلك سفاهة كما قال لى رَوْحٌ وصاحِبُه زُفَرْ

وما منهم إلاّ يُسَرُّ بِنِسْبَةٍ تُقَرِّبُنى منه [4] وإن كانَ ذا نفرْ

فنحن بنو الإسلام والله ربنا وأَوْلى عبادِ الله بالله مَنْ شَكَرْ

أخبرنا اليزيدى قال : حدثنا الرياشى قال : حدثنا الأصمعى عن المُعْتمر بن سليمان قال :

كان عمران بن حطان رجلا من أهل السنة ، فقدم عليه غلام من عُمان كأنه نَصْلٌ فقَلبه عن مذهبه فى مجلس واحد .

---

(١) قتل فى إمارة عبيد الله بن زياد سنة ٦١ هـ وأدية جدته وأبوه حدير ، وهو أحد بنى ربيعة ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ، وكان من رءوس الخوارج وفى رثائه يقول عمران بن حطان :

لقد زاد الحياة إلىّ بغضا وحبا للخروج أبو بلال

انظر الأبيات وغيرها فى الكامل ٢/١٠٨ . انظر أيضا مواقعه وكيف قتل ص ١٥٨-١٥٩ .

(٢) فى الكامل ٢/١١١ فأظهر أمره فيهم . وفى مخطوط : فأظهر أمره عندهم .

(٣) انظر اختلاف الرواية فى الكامل ٢/١١١ . (٤) فى المطبوع : تصيرنى منهم .

أخبرنى اليزيدى قال : حدثنا الرياشى قال : حدثنا مسدَّدُ بن مسرهد قال : حدثنا بشر بن المفضل ، عن سلمة بن علقمة ، عن محمد بن سيرين ، وأخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدثنا الحسن بن عليل العنزى قال : حدثنا عمرو بن على القلاس وعباس العنبرى ومحمد بن عبد الله المخزومى قالوا : حدثنا عبد الرحمن بن مهدى ، عن بشر بن المفضل ، عن سلمة بن علقمة ، عن محمد بن سيرين قال :

تزوج عمران بن حطان امرأة من الخوارج ، فقيل له فيها ، فقال : أردّها عن مذهبها ، فذهبت هى به .

نسخت من بعض الكتب : حدثنا المدائنى عن جُويرية قال : كتب عيسى الحبطى إلى رجل منهم يقال له أبو خالد كان تخلف عن الخروج مع قطرىّ أو غيره منهم :

أبا خالدٍ أُنْفُرْ فلستَ بخالدٍ وما تركَ القرآنُ عُذرًا لقاعدِ
أتزعم أنَّا الخارجون على الهدى وأنت مُقيم بين لِصٍّ وجاحدِ

فكتب إليه : ما منعنى عن الخروج إلاّ بناتى والحدَب عليهن حين سمعت عمران ابن حطان يقول :

لقد زاد الحياةَ إلىّ حُبًّا بناتى إنهنّ من الضّعافِ
ولولا ذاك قد سَوَّمْتُ مُهْرِى وفى الرحمن للضعفاء كافى

قال : فجعل عيسى يقرأ الأبيات ويبكى ويقول : صدق أخى إن فى ذلك لعُذْرًا له ، وإن فى الرحمن للضعفاء كافيا .

وقال هارون بن الزيات : حدثنى أبو أيوب المدينى قال : أخذت من خطّ أبى عدنان : أخبرنى أبو ثروان الخارجى قال : سمعت أشياخ الحى يقولون.

اجتمعت الشعراء عند عبد الملك بن مروان فقال لهم : أبَقِىَ أحدٌ أشعر منكم ؟ قالوا : لا ، فقال الأخطل : كذبوا يا أمير المؤمنين ، قد بقى من هو أشعر منهم قال : ومن هو ؟ قال : عمران بن حطان . قال : وكيف عمران أشعر منهم ؟ قال : لأنه قال وهو صادق ففاقهم ، فكيف لو كذب كما يكذبون ؟

أخبرنا الحسن بن على قال : حدثنا ابن مهروية ، عن بن أبى سعد، عن أحمد ابن محمد بن على ابن حمزة الخراسانى ، عن محمد بن يعقوب بن عبد الوهاب ، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبى الأسود محمد بن عبد الرحمن القارئ ، عن الزهرى عن أبيه .

أن غَزَالة الحَرُورِيَّة [١] لما دخلتْ على الحجاج هى وشبيبُ الكوفة َتحصّن منها وأغلق عليه قصره، فكتب إليه عمران بن حِطّان وكان الحجاج قد لجّ فى طلبه قال :

أسدٌ علَىّ وفى الحروب نعامةٌ ... ربْداء ُتجْفُلُ من صَفير الصافرِ

هلاّ برزتَ إلى غزالةَ فى الوَغى ... بل كان قَلْبك فى جَناحَىْ طائرِ

صَدَعتْ غزالةُ قَلْبه بفوارسٍ ... تركتْ مدابِرَه كأمس الدّابرِ

ثم لحق بالشام فنزل على رَوْح بن زِنْباع .

أخبرنا محمد العباس بن اليزيدى قال : حدثنا محمد بن خالد أبو حرب قال : حدثنا محمد بن عباد المهلبى قال : حدثنا جَرير بن حازم عن الليثى قال :

كان عمران بن حِطّان أشد الناس خصومة للحَرُورية ، حتى لقيه أعرابى حرورى ، فخاصمه فخصمه ، فصار عمران حَرُوِيا ورجع عن رأيه .

قال جرير بن حازم : وكان الفرزدق يقول : لقد أحسن بنا ابن ُحطان حيث لم يأخذ فيما أخذنا فيه ، ولو أخذ فيما أخذنا فيه لأسقطنا ، يعنى بجودة شعره .

نسخت من كتاب ابن سعد قال : أخبرنى الحسن بن عليل العنزى قال : أخبرنى أحمد بن عبد الله بن سويد بن منجوف السدوسى قال : أخبرنى أحمد بن مؤرّج عن أبيه قال : حدثنى به تميم بن سوادة وهو ابن أختِ مؤرّج قال : حدثنى أبو العَوام السدوسى قال :

---

(١) سمى الخوارج الحرورية ، وذلك لأن سيدنا على بن أبى طالب قال لهم ما نسميكم ؟ ثم قال : أنتم الحرورية لاجتماعكم بحروراء . انظر الكامل ج ٢ ص ١١٧ .

كان مالك المزموم [١] رجلا من بنى عامر بن ذهل ، وكان من الخوارج ، وكان الحجاج يطلبه ، قال أبو العوَّام : فدخلت عليه يوما وهو فى تَوَاريه فأنشدنى يقول :

ألمْ يأنِ لى يا قلبُ أن أترك الصبا ... وأن أزجر النفس اللجُوجَ عن الهوى
وما عذْرُ من يعمىَ وقد شاب رأسهُ ... ويُبصِر أبوابَ الضلالة والهُدَى
ولو قُسِمَ الذنبُ الذى قد أصبتُه ... على الناس خاف الناسُ طُرّاً من الرَّدى
وإنْ جَنّ ليْلٌ كان بالليل نائما ... وأصبح بَطّالَ العَشيات والضُّحى

قال : فلما فرغ من إنشادها قال : سيغلبنى عليها صاحبكم ، يعنى عمران بن حطان ، فكان كذلك ، لما شاعت رواها الناس لعمران بن حطان ، وكان لا يقول أحد من الشعراء شعرًا إلا نُسب إليه لشهرته إلا من كان مثله فى الشهرة مثل قَطَرِىّ وعمْرِ والقَنا وذويهما ، قال : ثم هرب إلى اليمامة من الحجاج ، فنزل بحَجْر ، فأتاه آل حكَّام الحنفِيُّونَ فقال :

طَيَّروني من البِلاد وقالوا ... مالَكَ النّصفُ من بنى حكَّام [٢]
ناقَ سيرى قد جَدّ حقًا بنا السيـ ... ـرُ وكونى جوَّالة فى الزِّمام
فتى تَعلق يَدَ الملك الأسـ ... ـودِ تَستَيقنى بأن لا تُضامى
قد أرانى ولى من الحاكم النّصـ ... ـفُ بِحَدِّ السنان أو بالحسامِ

قال : والملك الأسود إبراهيم بن عربى [٣] والى اليمامة لعبد الملك ، وكان ابن حكَّام على شرطته قال :

ومُنينا بِطِمَنْطِمِ حَبَشِيٍ ... حالكِ الوَجنتين من آل حامِ
لا يُبالى إذا تَضلّع خَمْـرًا ... بحلال رَماك أم بحرامِ

(١) فى معجم الشعراء ص ٣٦٣ : مالك المزموم ، ويقال مويلك ربعى ذهل من شعراء البحرين . وفى مخطوط : المزموم . وفى المطبوع : المذموم .
(٢) النصف : الإنصاف « بفتح النون وكسرها وضمها » .
(٣) فى مخطوط : والملك الأسود بن عدى .

قال العنزى : فأخبرنى محمد بن إدريس بن سليمان بن أبى حفصة عن أبيه قال :

كان مالك المزموم من أحسن الناس قراءة للقرآن ، فقرأ ذات ليلة، فسمعت قراءته امرأة من آل حكام ، فرمت بنفسها عليه من سطح كانت فوقه ، فسمع الموتَ أهلُها فأتوه فضربوه ضربات، فاستعدى عليهم إبراهيم بن عربى، وكان عبد الله بن حكّام على شُرطته ، فلم يُعْدِه ١ عليهم ، فهجاه بالأبيات الماضيه وهجاه بقصيدته التى أولها :

دارَ سَلْمى بالجزع ذى الآطام خبِّرينا سُقيت صَوبَ الغَمامِ

وهى طويلة ، والناس ينسبونها أيضا إلى عمران بن حطان .

أخبرنى أحمد بن الحسين الأصبهانى ابن عمى قال : حدثنى جعفر بن رستم الطبرى النحوى قال : حدثنا أبو عثمان المازنى قال : حدثنا عمرو بن مُرّة قال :

مرّ عمران بن حطان على الفرزدق وهو ينشد والناس حوله فوقف عليه ثم قال :

أيها المادح العبادَ ليُعْطَى إنّ لله ما بأيدى العبادِ
فأسأل اللهَ ما طلبتَ إليهم وارجُ فضل المُقسِّم العوَّادِ
لا تقُل فى الجواد ما ليس فيه وتُسَمِّى البخيلَ باسم الجوادِ

فقال الفرزدق : لولا أن الله عز وجل شغل هذا عنا برأيه للقينا منه شرا .

وقال هارون بن الزيات : أخبرنى عبد الرحمن بن موسى الرَّقىّ قال : حدثنا أحمد بن محمد بن حميد بن سليمان بن حفص بن عبد الله بن أبى جهم بن حذيفة بن غانم العدوى قال : حدثنا يزيد بن مرة ، عن أبى عبيدة معمر بن المثنى ، عن عيسى بن يزيد بن بكر المدنى قال :

اجتمع عند مسلمة بن عبد الملك ناس من سُمّاره فيهم عبد الله بن عبد الأعلى الشاعر . فقال مسلمة : أى بيت قالته العرب أوعظ وأحكم ؟ فقال له عبد الله قوله :

صَبا ماصَبا حتى علا الشَّيبُ رأسه فلما علاه قال للباطل ابْعُدِ

(١) لم يعده : لم ينصره .

فقال مسلمة : إنه والله ما وعظني شعر قط كما وعظني شعرُ عمران بنِ حِطّان حيث يقول :

فيوشك يومٌ أن يُقارِنَ ليلةً يسوقان حتفًا راح نحوك أوغدا

فقال بعض من حضر : أما والله لقد سمعته أجَلّ الموتَ ثم أفناه ، وما صنع هذا شاعر قبله ، فقال مسلمة : وكيف ذاك ؟ قال : قال :

لايُعجزُ الموتَ شيء دون خالقه والموتُ فانٍ إذا ما ناله الأجَلُ

وكلُّ كرب أمام الموت متَّضِعٌ للموت ، والموت فيما بعده جَلَل

فبكى مسلمة حتى اخضلّت لحيته ثم قال : ردّدهما عليّ ، فردّدهما عليه حتى حفظهما .

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدثنا الحسن بن عليل العنزى قال : حدثنى منيع ابن أحمد بن مورّج السدوسى عن أبيه عن جده قال :

تزوج عمران بن حطان حَمْزَة بنتَ عمه ليردّها عن مذهب الشُّراة ، فذهبت به إلى رأيهم ، فجعل يقول فيها الشعر ، فمما قال فيها :

يا حَمْزَ إني على ما كان من خلقي مُثْنٍ بخَلاّت صِدقٍ كلُّها فيكِ

اللهُ يعلم أنى لم أقل كَذِبا فيما عَلِمْتُ وأنى لا أُزَكِّيكِ

أخبرني الحسن قال : حدثنا محمد بن موسى ، وحدثنى بعض أصحابنا عن العمرى عن الهيثم بن عديّ .

أن امرأة عمران بن حطان قالت له : ألم تزعم أنك لاتكذب فى شعرك ؟ قال بلى ، قالت : أفرأيت قولك :

وكذاك مجـــزأة بن ثَوْ رٍ كان اشجع من أُسامَهْ

أيكون رجل أشجع من الأسد ؟ قال : نعم ، إن مجزأة بن ثور فتح مدينة كذا ، والأسد لايقدر على فتح مدينة .

صوت

نديمىَّ قدخفَّ الشَّرابُ ولم أجدْ لهسَوْرَةً فى عَظْمِ رَأسى ولاجِلْدى [١]
نديمَىَّ هذى غِبُّهُم فاشرَبا بِها ولاخَيرَ فى شُرْبٍ يكون على حَرْدِ [٢]

الشعر لعُمارة بن الوليد [٣] بن المغيرة والغناء لابن سريج خفيف ثقيل .

---

(١) فى مخطوط : عظم رأسى ولا يدى .

(٢) فى مخطوط : نديمى هذى عنهم . . . . . شرب هناك مصرد
والغب : الزيارة يوما وتركهم يوما . والحرد : الغضب .

(٣) عمارة بن الوليد : هو الذى بعثته قريش إلى النجاشى مع عمرو بن العاص ليرد المهاجرين من الحبشة .

أخبار عمارة بن الوليد ونسبه

عمارة بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرّة بن كعب بن لؤى بن غالب ، وهو أحد أزواد الرَّكْبِ ، ويقال له الوحيد ، وكان أزوادُ الرَّكْبِ لا يمرّ بهم غريب إلاّ قَروه وأحسنوا ضيافته وزوّدوه ما يحتاج إليه لسفره ، وكان عُمارة بن الوليد فخورا معيِّيًا متعرّضا لكل ذوى عارضة من قريش .

فأخبرنى عمى قال : حدثنا عبد الله بن شبيب قال : حدثنا الزبير بن بكار عن الحزامى قال :

مرّ عمارة بن الوليد بمُسافر بن أبى عمرو ، فوقف عليه وهو منتش فقال :

خُلِقَ البيضُ الحِسان لنا وجِيادُ الرَّيْطِ والأُزُرُ
كابِرًا كُنَّا أحـــقّ به حين صِيغ الشمسُ والقَمَرُ

فأجابه مسافر بن أبى عمرو بن أمية فقال :

أعمار بنَ الوليـــد وقد يذكر الإنسان منْ ذكَرَه[1]
هل أخو كأس مُحَقِّقُها ومُوَقّ صحبه سَكَرَهْ
ومُحَيّيهم إذا شَرِبُوا ومُقِلّ فيهم هَذَرَهْ
خُلِق البيضُ الحسانُ لنا وجيادُ الرَّيْط والحَبَرَهْ
كابرًا كُنَّا أحقّ به كلُّ حيّ تابعٌ أثَرَهْ

أخبرنى عمى قال : حدثنا الكرانى قال : حدثنا العمرى ، عن الهيثم بن عدى ولقيط عن حماد الراوية .

---

(١) فى المطبوع : لقد يذكر الشاعر من ذكره .

أن عمارة بن الوليد خطب امرأة من قومه فقالت : لا أتزوجك أو تترك الشراب والزنا ، قال : أما الزنا فأتركه ، وأما الشراب فلا أستطيع تركه[١] ، ثم اشتد وَجْدُهُ فحلف أن لا يشرب ، فتزوجها ومكث حينا لا يشرب ، ثم إنه لبس ذات يوم حُلَّته ، وركب ناقته ، وخرج يسير ، فمرَّ بخمَّار و عنده شَرْبٌ يشربون ، فدعوه فدخل عليهم وقد أنفدوا ما عندهم ، فقال للخمار : أطعمهم ويلك ، فقال : ليس عندى شىء ، فنحرلهم ناقته فأكلوا منها ثم قال : اسقهم ولم يكن معهم شىء يشربون به ، فسقاهم بِبُرْدَته ، ومكثوا أياما ذوات عدد ، ثم خرج فأتى أهله ، فلما رأته امرأته قالت له : ألم تحلف ألاَّ تشربَ ؟ ولامته فقال :

وَلسنا بشَرْبٍ أمَّ عمرٍو إذا انْتَشَوْا ثيابُ النَّدامى عندهم كالغنائمِ
ولكنَّنا يا أمَّ عمـــرو نَديمُنا بمنزلة الريَّان ليس بعائمِ
أسرَّك لما صرَّع القومَ نشوةٌ أنَ اخرُجَ منها سالما غير غارمِ
خليًّا كأنى لم أكن كنتُ فيهمُ وليس الخداعُ مرتضًى فى التنادمِ

[أخبرنى جعفر [٢] بن قدامة قال : حدثنى عبد الله بن أبى سعد قال : حدثنى محمد بن محمد بن قادم مولى بنى هاشم قال : حدثنى عمى أحمد بن جعفر ، عن ابن دأب قال :

قدم رجل من تجار الروم بحلة من لباس قبيصة على أهل مكة ، فأتى بها عمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومى ، فعرضها عليه بمائة حِقّ من الإبل ، فاستغلاها ، فأتى بها عمرَو بن العاص ، فقال له : هل أتيت بها أحدا ؟ قال : نعم ، عمارة بن الوليد فاستغلاها وقال لن تعدَم غويًّا من بنى سهم قال قد أخذتها ، فاشتراها بمائة حِقّ ، يعنى مائة بعير ، ثم أقبل يخطِر فيها حتى أتى بنى مخزوم ، فناداه عمارة أتبيع الحلة يا عمرو ؟ فغضب والتفت إلى عمارة فقال :

---

(١) فى المطبوع : فلا أتركه ولا أستطيع .
(٢) هذا النص بطوله ساقط من المطبوع .

عليك بجزَّ رأس أبيك إنّا كفيناك المُسَنَّمة الرِّقاقا[١]
زَوَوْها عنكم ُ وعلَتْ عليكم ْ وأعطينا بها مائةً حِقاقا
وقلتم لانطيق ثياب سَهْم ٍ[٢] وكلٌّ سوف يَلْبَس ما أطاقا

قال : فغضب عمارة وقال : يا عمرو ، ما هذا التهوّر ؟ إنك لست بعُتْبة ابن ربيعة ، ولا بأبى سفيان بن حرب ، ولا الوليد بن المغيرة ، ولاسُهَيل بن عمرو ،ولا أُبَىّ بن خلَف ، فقال عمرو : إلاّ أكن بعضهم فإنّ كلّ واحدٍ منهم خيرٌ ما فيه فِىّ : من عتبة حِلْمه ، ومن أبى سفيان رأيه ،ومن سهيل جُوده ، ومن أبىّ بن خلف نَجْدَته ، وأما الوليد فوالله ما أحب أن فىّ كلّ ما فيه من خير وشرّ ، ولكنك والله مالَكَ عقلُ الوليدِ ولا بأسُ الحارث بن[ ]هشام وخالدِ بن الوليد ، ولا لسانُ أبى الحكم ،يعنى أبا الجهل . وانصرف، فأمر عمارة بجزور فنُحرت على طريق عمرو ، وأقبل عمرو فقال : لمن هذه الجزور؟ قيل : لعمارة ، فقال له : أطعمنا منها يا عمارة ، فضحك منه ثم قال :

عليك بِجزْرِ أيْرِ أبيك إنّا كفيناك المُشاشة والعُرَاقا[٣]
ومَنسَبَة الأطايبِ من قُريش ولم تَرَ كأسنا إلاّ دِهاقا[٤]
ونلبس فى الحوادثِ كل زَغْفٍ وعند الأمن أبرادا رِقاقا[٥]

فوقع الشر بينهما فقال عمرو :

لعمرو أبيك والأخبار تَنْمِى لقد هَيَّجْتَنى ياابن الوليدِ
فلا تَعجَلْ عُمارةُ إنّ سَهْما لمخزوم بن يَقْظَة فى العديد

(١) المسهمة من الثياب : المخططة . وفى البيت التالى كتب : رووها .
(٢) فى الأصل : ثبات سهم .
(٣) المشاشة : رأس العظم اللين . والعراق : العظم أكل لحمه .
(٤) كاس دهاق : ممتلئة .
(٥) الزغف : الدرع الواسعة الطويلة .

وأَوْرِدْ ياعمارةُ إنّ عُودى من آعوادِ الأباطحِ خيرُ عُودِ

فأجابه عمارة فقال :

ألا يا عمرو هل لك فى قريش أبٌ مثل المغيرة والوليدِ
وجدٌّ مثلُ عبد الله يَنْمِى إلى عمرو بنِ مخزومٍ بِعُودِ
إذا ما عُدَّتِ الأعواد نَبْعا فما لى فى الأباطح من نَدِيدِ
وقد علمت سَرَاةُ بنى لؤىّ بأنى غير مُؤْتَشَب زهيدِ [1]
وإنى للمُنابِذ من قريش شجا فى الحَلْقِ من دُونِ الوريدِ
أحوط ذمارهم وأكفُّ عنهم وأصبر فى وَغا اليومِ الشديدِ
وأبذل ما يضِنُّ به رجالٌ وتُطمعنى المروءة فى المَزيد
وإنك من بنى سَهْم بن عمرو مكانَ الرِّدْفِ من عَجُزِ القَعود
وكان أبوك جزّارا وكانت له فأس وقِدْرٌ من حديدِ] [2]

أخبرنى عمى قال : حدثنا الكرانى ، عن العمرى ، عن أبى عوانة، عن عبد الملك بن عُمير .

أنّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه قسم برودا فى المهاجرين .

قال العمرى : هكذا ذكر أبو عوانة ، وقد حدثنى الهيثم ، عن أبى يعقوب الثقفى ، عن عبد الملك بن عمير قال : أخبرنى من شهد ذلك .

أن عبد الله بن أبى ربيعة [3] المخزومى بعث إلى عمر بن الخطاب بحُلل من اليمن ، فقال عمر : علىَّ بالمحمّدِين ، فأتى بمحمد بن أبى بكر ، ومحمد بن جعفر بن أبى طالب ، ومحمد بن طلحة بن عبيد الله ، ومحمد بن عمرو بن حزم ، ومحمد ابن حاطب بن أبى بَلْتعة ، ومحمد بن حطّاب أخى حاطب ، وكلهم سماه النبىّ صلى الله عليه وسلم محمدا ، فأقبلوا ، فاطّلع محمد بن حَطّاب فيها ، فقال

(١) نسب مؤتشب : مخلوط غير صريح .
(٢) إلى هنا انتهت الزيادة من مخطوط .
(٣) فى مخطوط : أن عمر بن أبى ربيعة .

له عمر : ياشَيبة مَعْمَر — يعني عماً له قُتل يوم بدر — اكْفُف ، قال : وكان زيدُ ابن ثابت الأنصارى عنده فقال له عمر : أعطهم حلّةً حُلَّةً ، فنظر إلى أفضلها وكانت أمّ أحدهم عنده ، فقال عمر : ماهذا ؟ فقال : لفلان ، الذى هو ربيبه ، فقال عمر : اردد ، وتمثل بقول عمارة بن الوليد :

أسرَّكَ لما صرّع القومَ نَشْوَةٌ ... أن اخرُجَ منها سالما غير غارمِ

خلِيًّا كأنى لم أكن كنت فيهم ... وليس الخِداعُ مرتضًى فى التنادم

وقال أبو عوانة :

. . . . من تصافى التنادم

ثم أمر بالبرود فغطيت بثوب ثم خلّلها ثم قال : ليدخل امرؤٌ يدَه يأخذ حلّته وما قُسِمَ له .

صوت

قد يجمع المالَ غيرُ آكله ... ويأكل المال غيرُ من جمعَهُ

فاقبلْ من الدهر ما أتاك به ... من قَرَّ عينا بعيشه نَفَعه

لكلّ همّ من الهموم سَعَةٌ ... والصُّبحُ والمُسْىُ لافلاح معه[1]

الشعر للأضبط بن قُرَيع ، والغناء لأحمد بن يحيى المكى ثقيل أول بالسبابة فى مجرى البنصر من روايته ، وسمعناه يُغَنَّى فى طريقة خفيف رمل ، فسألت عنه ذكاء وجه الرَّزّة ، فذكر أنه سمعه من أحمد بن يحيى المكى فى هذه الطريقة : ولم يعرف صانعه ولا سأل عنه .

---

(١) المسى « بضم الميم وكسرها مع سكون السين معا » : اسم من الإمساء . والفلاح هنا : البقاء . انظر اللسان مادة « فلح » . وفى مخطوط : لابقاء معه .

أخبار الأضبط [1] ونسبه

أخبرنى جعفر بن قدامة قال: حدثنى عبيد الله بن طاهر قال: قال لى أبومحلم: أخبرنى صبَّار بن عيينة أحد بنى عبد شمس قال:

كان الأضبط بن قُريع مُفَرَّكا، وكان إذا لقى فى الحرب تقدم أمام الصف ثم قال:

أنا الذى تفركه حلائلُهْ [2] ألا فتى مُعَشَّقٌ أنازِلُهْ

قال: فاجتمع نساؤه ذات ليلة يَسْمُرْن، فتعاقدن على أن يصدُقْن الخبر عن فَرْك الأضبط، فأجمعن أنّ ذلك لأنه بارد الكَمَرَة، فقالت لإحداهن خالتُها: أتعجِز إحداكن إذا كانت ليلته منها أن تُسخن كَمَرته بشىء من دهن؟ فلما سمع قولها صاح: يا آل عوف، يا آل عوف، فثار الناسُ وظنوا أنه قد أُتِىَ، فقالوا له: ما حالك؟ فقال: أوصيكم بأن تسخنوا الكمرة فإنه لاحُظْوَةَ لبارد الكَمَرَة. فانصرفوا يضحكون وقالوا: تبًّا لك ألهذا دعوتنا؟

قال أبومحلم: كانت أم الأضبط عجيبة [3] بنت دارم بن مالك بن حنظلة. وخالته الطموح [4] بنت دارم بن جشم وعبد شمس ابنى [5] كعب بن سعد، فحارب بنوا ظمىّ

(١) الأضبط بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم. انظر الخزانة ٤/٥٩١ وكتاب المعمرين ص ٨ والشعر والشعراء ترجمته. وانظر أيضا اللسان مادة «أطم» الأضبط بن قريع ابن عوف بن سعد بن زيد مناة. وفى مخطوط: أخبرنى أحمد بن جعفر.

(٢) المفرك: الذى تبغضه زوجته. وفى مخطوط: أنا الفتى تفركه حلائله.

(٣) فى الخزانة نقلا عن الأغانى: عجيبة. انظر ج ٤ ص ٥٩٠. وفى المطبوع: عجبة.

(٤) فى المطبوع: الطم. وفى الخزانة: الطموح. (٥) كذا.

قوما من بنى سعد ، فجعل الأضبط يدسّ إليهم الخيل والسلاح ولايصرح بنصرتهم خوفا من أن يتحزّب قومه حزبين معه وعليه . وكان يشير عليهم بالرأى فإذا أبرمه نقضوه وخالفوا عليه ، وأروه مع ذلك أنهم على رأيه ، فقال فى ذلك :

لكل همّ من الهموم سَعَهْ ... والصبح والمُسى لافلاح معه[1]

لا تحقرَنّ الفقير علّك أن ... تركع يوما والدهرُ قد رَفَعَهْ

وَصِل حبال البعيد إن وصل الحبـ ... ـل وأقص القريبَ إن قطَعه

قد يجمع المالَ غيرُ آكله ... ويأكل المالَ غيرُ من جمعَهْ

مابال من غيُّه مُصيبُك لو ... يملك شيئا من أمره وزَعَهْ[2]

حتى إذا ما انجلت غوايته ... أقبل يلحى وغيُّه فجعَهْ[3]

أذود عن نفسه ويخدعنى ... يا قوم مَن عاذِرى من الخُدعه

فاقبل من الدهر ما أتاك به ... من قرّ عينا بعيشه نفَعَهْ

أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنا الحراز ، عن المدائنى قال :

كان الأضبط بن قُريع قد تزوج امرأة على مال ووَصيفة ، فَنَشَزت عليه ، ففارقها ولم يعطها ماكان ضَمِن لها ، فلما احتملت أنشأ يقول :

ألم ترَها بانَتْ بغير وَصيفةٍ ... إذا ماالغوانى صاحَبَتْها الوصائفُ

ولكنّها بانت شَموسٌ بَزِيّةٌ ... مُنعّمةُ الأخلاق حدباءُ شارِفُ

لوَ ان رسول اللّهْوِ سلّم واقفا[4] ... عليها لرامَتْ وَصْلَه وهو واقفُ

أخبرنا وكيع قال : حدثنا ابن أبى سعد قال :

حدثنا الحمّاز قال : أنشدت أبا عبيدة وخلفا الأحمر شعر الأضبط :

---

(١) فى مخطوط : والصبح والمسى لابقاء معه .

(٢) غيه ، هنا : خيبته وحرمانه ، ووزعه : كفه . ورويت : ما بال من سره مصابك . ورويت : لايملك ، وخطأها صاحب الخزانة انظر ج ٤ ص ٥٨٩ — ٥٩٠ .

(٣) الغى هنا : الضلال .

(٤) فى مخطوط : لو ان رسول الله .

وَصِلْ حبال البعيد إن وصلَ الـ ـحبلَ وأقْصِ القريب إنْ قَطَعَهْ

فما عرفا منه إلا بيتا وعَجُزَ بَيت ، فالبيت الذى عرفاه .

فاقبل من الدهر ما أتاك به من قرعينا بعيشه نفعه

والعَجُز .

يا قوم مَن عاذرى من الخُدعه

والخُدَعة : قوم من بنى سعد بن زيد مناة بن تميم .

صوت

وما أنا فى أمرى ولا فى خصومتى بمهتَضَمٍ حقى ولا قارعٍ سِنّى [1]
ولا مُسْلِمٍ مولاى عند جناية ولا خائفٍ مولاى من شرّ ما أجنى

الشعر لأعشى بنى ربيعة . والغناء لإبراهيم ثانى ثقيل بالوسطى عن عمرو .

(١) فى مخطوط : « ولا قارع قرنى » ، وكذلك فى روايته فى الترجمة .

أخبار الأعشى ونسبه

الأعشى اسمه عبد الله بن خارجة بن حبيب[1] بن قيس بن عمرو بن حارثة بن أبى ربيعة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة الحصين بن عُكابة بن صَعْب بن علىّ ابن بكر بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أفصى بن دُعْمِىّ بن جَدِيلة بن أسد ابن ربيعة بن نزار . شاعر إسلامى من ساكنى الكوفة وكان مَرْوانى المذهب شديد التعصب لبنى أمية .

حدثنى محمد بن العباس اليزيدى قال : حدثنى عمى عبيد الله عن محمد بن حبيب ، وأخبرنى محمد بن الحسن بن دريد ، عن عمه عن العباس بن هشام عن أبيه قال :

قدم أعشى بنى ربيعة على عبد الملك بن مروان ، فقال له عبد الملك : ما الذى بقِى منك ؟ قال : أنا الذى أقول :

وَما أنا فى أمرى ولا فى خُصومتى ... بمهتَضَمٍ حقى ولاقارعٍ سنّى
ولامُسْلِمٍ مولاىَ عند جناية ... ولاخائفٍ مولاى من شرّ ما أجنى
وإن فؤادى بين جَنْبَىَّ عالِمٌ ... بما أبصرَتْ عينى وماسمِعتْ أُذنى
وفضّلنى فى الشعر واللبّ أنّنى ... أقول على علم وأعرف من أعنى [2]
فأصبحت إذفَضّلتُ مروان وابنه ... على الناس قدفضّلتُ خيرَ أبٍ وابن

(١) انظر المؤتلف والمختلف ص ١٣ : عبد الله بن خارجة بن حبيب « وبالهامش خبيب عن الطيالسى » بن عمرو بن يعسوب بن قيس بن عمرو بن أبى ربيعة بن ذهل بن شيبان ، ووجدت فى كتاب أنساب بنى شيبان مجردا أنه حبيب بن عمرو بن قيس بن عمرو المزدلف . وانظر ترجمته فى تهذيب ابن عساكر ج ٧ ص ٣٧٥ . وفى مخطوط : بن قيس بن عمرو بن قيس بن عمرو بن حارثة .

(٢) فى كتاب الصبح المنير ص ٢٨٢ : وفضلنى فى القول والشعر . . . وأعرف ما أعنى .

فقال عبد الملك : من يلومني على هذا ؟ وأمر له بعشرة آلاف درهم ، وعشرة تُخُوت ثياب ، وعشر فرائض من الإبل ، وأقطعه ألف جَرِيب[١] ، وقال له : امض إلى زَيْدٍ الكاتبِ يكتب لك بها ، وأجرى له على ثلاثين عيّلاً ، فأتى زيدا ، فقال له : ائتني غدا ، فأتاه فجعل يردّده ، فقال له :

يا زيدُ يا فِداك كلُّ كاتبِ في الناس بين حاضرٍ وغائبِ
هلْ لك في حقّ عليك واجبِ في مثله يرغب كلُّ راغبِ
وأنت عفٌّ طيِّب المكاسبِ مُبرّأٌ من عيب كلّ عائبِ
ولستَ — إن كفيتني وصاحبي طُولَ غُدُوٍّ ورواحٍ دائبِ
وشِدّةَ الباب وعُنْفَ الحاجبِ[٢] من نِعْمةٍ أسْدَيتها — بخائبِ

فأبطأ عليه زيد ، فأتى سفيان بن الأبرد الكلبيّ ، فكلّمه سفيان فأبطأ عليه ، فعاد إلى سفيان فقال له :

عُدْ إذ بدأتَ أبا يحْيى فأنت لها ولا تكن حين هاب الناس هيّابا[٣]
واشفَعْ شفاعة أنفٍ لم يكن ذَنَبا فإن من شُفعاء الناسِ أذنابا

فأتى سفيان زيدا الكاتب فلم يفارقه حتى قضى حاجته .

قال محمد بن حبيب : دخل أعشى بني أبي ربيعة[٤] على عبد الملك ، وهو يروّى[٥] في الخروج لمحاربة ابن الزبير ولا يجِدّ ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، مالي أراك متلوّما يُنْهِضك الحَزْمُ ، ويُقْعِدك العزْم ، وتَهمُّ بالإقدام ثم تجنح

(١) الجريب : قيل ثلاثة آلاف وستمائة ذراع ، وقيل عشرة آلاف ذراع ، والوادي مطلقا .
(٢) في المطبوع : وسدة الباب .
(٣) في تهذيب ابن عساكر ج ٧ ص ٣٧٦ عد إذ بدأت أبا يحيى وفي المطبوع : عد إذ بدأت بحسنى ... ولا تكن من كلام .
(٤) يقال له أعشى بني ربيعة نسبة إلى ربيعة بن نزار ، ويقال له أعشى بني أبي ربيعة نسبة إلى أبي ربيعة ابن ذهل بن شيبان . وفي مخطوط : بني ربيعة .
(٥) في تهذيب ابن عساكر ص ٣٧٦ : وهو يروى . وفي المطبوع : يتردد .

إلى الإحجام ، انفُذْ لبَصيرتك[١] وأمض رَأْيك، وتوجّهْ إلى عدُوّك ، فجَدُّك مُقبل ، وجَدُّه مُدْبِرٌ وأصحابه له ماقتون ، ونحن لك محبون ، وكلمتهم متفرقة وكلمتنا عليك مجتمعة ، والله ما تؤتى من ضعفِ جَنانٍ ، ولا من قِلّةِ أعوانٍ ، ولايُثَبِّطك عنه ناصحٌ ، ولا يُحرّضك عليه غاشٌ ، وقد قلتُ في ذلك أبياتا ، فقال : هاتِها ، فإنك تنطق بلسان وَدود وقلب ناصح ، فقال :

آلُ الزُّبير من الخلافة كالتى عَجِلَ النِّتاجُ بِحَملها فأحالها
أو كالضّعاف من الحمولة حُمِّلتْ مالا تُطيقُ فضَيّعتْ أحمالها[٢]
قُوموا إليهمْ لا تناموا عنهمُ كمْ للغُواةِ أطلتُمُ إمهالها[٣]
إن الخلافة فيكُمُ لا فيهـمُ ما زلتمُ أركانها وثِمالها[٤]
أمْسَوْا على الخيرات قُفْلاً مغلقا[٥] فانهض بيُمنكِ فافتحْ أقفالها

فضحك عبد الملك وقال : صدقتَ يا أبا عبد الله ، إن أباخُبيب لقُفل دون كل خير ، ولن نتأخر عن مناجزته إن شاء الله ، ونستعين الله عليه ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وأمر له بصلة سنية .

قال ابن حبيب : كان الحجاج قد جفا الأعشى واطّرحه لحالة كانت عند بشر بن مروان ، فلما فرغ الحجاج من حرب الجماجم ذكر فتنة ابن الأشعث ، وجعل يوبّخ أهل العراق ويؤنبهم ،فقال بعض مَنْ حضر من أهل البصرة : إن الريب والفتنة بدءا من أهل الكوفة ، وهم أوّل من خلع الطاعة وجاهر بالمعصية . فقال

---

(١) فى تهذيب ابن عساكر : انفذ لبصيرتك . وفى المطبوع : لنصرتك .
(٢) فى تهذيب ابن عساكر زيادة بيت ص ٣٧٥ :
أو كالتى نصبت لعبه رزائح خبث القدور فعجلت إنزالها
وهذا البيت لم يذكره فى ص ٣٧٦ حينما أورد النص بتمامه ، وخلا كتاب «الصبح المنير» من هذا البيت أيضا .
(٣) فى مخطوط : إمهالها .
(٤) الثمال : الغياث .
(٥) فى مخطوط : قفلا موثقا .

أهل الكوفة : لا بل أهل البصرة أوّل من أظهر المعصية مع جرير بن هميان السدوسى إذ جاء مخالفا من السند . وأكثروا فى ذلك، فقام أعشى بنى أبى ربيعة فقال : أصلح الله الأمير لابراءة من ذنب ، ولا ادعاء على الله فى عصمة لأحد من المِصْرين قد والله اجتهدوا جميعا فى قتالك ، فأبى الله إلاّ نَصْرك ، وذلك أنهم جزِعوا وصبرْتَ ، وكفروا وشكرتْ، وعفوت إذ قدرت ، فوسعهم عفوا الله وعفْوُك فنجَوا ، ولولا ذلك لبادوا وهلكوا . فسُرّ الحجاج بكلامه وقال له جميلا ، وقال له : تَهيّأْ للوفادة إلى أمير المؤمنين حتّى يسمع هذا منك شفاها .

أخبرنى محمد بن خلف وكيع قال : حدثنى حماد بن إسحاق عن أبيه . قال : بلغ الحجاجَ أن أعشى بنى أبى ربيعة رثى عبد الله بن الجارود فغضب عليه فقال يعتذر إليه :

أبيتُ كأنى من حذار ابن يوسف ... طريدُ دَمٍ ضاقتْ عليه المسالكُ
ولو غيْرُ حَجّاجٍ أراد ظُلامتى ... حَمتْنى من الضّيْمِ السيوفُ الفواتك[1]
وفتيانُ صِدْقٍ من ربيعةَ قُصْرة ... إذا اختلفت يومَ اللقاءِ النّيازِكُ[2]
يُحامُون عن أحسابهم بسيوفهمْ ... وأرماحِهم واليومُ أسْوَدُ حالِك

أخبرنى أبو الحسن الأسدى قال : حدثنى أحمد بن عبد الله بن علىّ بن سويد بن منجوف ، عن ابن مُؤَرّج عن أبيه قال :

دخل أعشى بنى أبى ربيعة على عبد الملك بن مروان [3] فأنشده قوله :

رأيتك أمسِ خيرَ بنى مَعَدَ ... وأنت اليومَ خيرٌ منك أمسِ
وأنت غداً تزيد الضّعف ضِعْفا ... كذاك تزيد سادةُ عبْدِ شمسِ[4]

(١) فى مخطوط : البواتك . والبواتك معناها القواطع .

(٢) يقال هو ابن عمى قصرة : أى دنية قريب . والنيازك : جمع نيزك ، وهو الرمح القصير .

(٣) فى المؤتلف والمختلف ص ١٣ دخل على بشر بن مروان ، وانظر أنساب الأشراف ج ٥ طبع الخارج ، أما فى تهذيب ابن عساكر فكالأصل .

(٤) فى الصبح المنير فى تعليقاته ص ٣٧٣ زيادة بيت هو :

وبيتك فى المنابت خير بيت ... وغرسك فى المكارم خير غرس

فقال له : من أى بنى أبى ربيعة أنت ؟ قال : فقلت له : من بنى أُمامة ، قال : فإن أمامة ولد رجلين : قيسا وحارثة ، فأحدهما نَجَمَ[١] والآخر خَمَل . فمن أيهما أنت؟ قال : قلت : أنا من وَلَد حارثة وهو الذى نجم ، وقد كانت بكرُ بن وائل توَّجته ، قال : فقال بمخصرة[٢] فى يده فغمز بها فى بطنى ثم قال : يا أخا ابن أبى ربيعة هَمُّوا ولم يفعلوا ، فإذا حدَّثتنى فلا تكذِبْنى ، فجعلت لله عهدا ألاّ أُحدِّث قُرشيا بكذب أبدا .

أخبرنى عمى قال : حدثنا ابن أبى سعد قال : حدثنى أحمد بن الهيثم السلمى قال : حدثنى أبو فراس محمد بن فراس ، عن الكلبى قال :

أتى أعشى بنى أبى ربيعة أسماءَ بنَ خارجة فامتدحه فأعطاه وكساه فقال :

لأسماءُ بنُ خارجةَ بنِ حِصْنٍ ... على عِبْءِ النوائبِ والغَرامَهْ
أقلُّ تعلُّلاً يوما وبُخْـــلاً ... على السُّؤَّال من كعْبِ بنِ مامَهْ[٣]
ومَصْفَقَة الذى يَبْتاع بيعا ... رَبيحا قرْمُ ناجيةَ بنِ سامَهْ

قال الكلبى : جعل ناجيةَ رجلا وهى امرأة لضرورة الشعر .

قال أبو فراس : فحدثنى الكلبى ، عن خِداش قال :

دخل أعشى بنى أبى ربيعة على سليمان بن عبد الملك وهو ولى عهد فقال :

أتينا سليمانَ الأميرَ نزوره ... وكان امرأً يُحْبِى ويُكْرِمُ زائرهْ
إذا كنتَ فى النجوى به مُتَفَرِّدا ... فلا الجودُ مُخْليه ولا البخل حاضره
كِلا شافِعَىْ سُؤَّاله من ضميرِه ... على البُخْلِ ناهيه وبالجود آمِرُهْ[٤]

= وفى المؤتلف والمختلف ص ١٣ زيادة بيت هو :

وتاج الملك ليس يزال فيهم ... تحول فوق رأس كل رأس

(١) نجم : ظهر .

(٢) المخصرة كالسوط . والمخصرة : ما يتوكأ عليه كالعصا .

(٣) كعب بن مامة : من الذين يضرب بهم المثل فى الكرم .

(٤) فى الصبح المنير ص ٢٨٠ وبالحلم آمره .

فأعطاه وأكرمه ، وأمر كلّ من كان بحضرته من قومه ومواليه بصلته ، فوصلوه فخرج وقد ملأ يديه .

صوت

نَأَتْكَ أُمامةُ إلاّ سؤالاَ ... وإلاّ خيالاً يُوافِي خيالا
يُوافي مع الليل ميعادُها ... ويأبى مع الصبح إلاّ زِيالا
فذلك يبذُلُ مِن وُدّها ... ولو شَهِدَت لم تُواتِ النَّوالا
فقد ريعَ قلبي إذا أعلنوا ... وقيل أجدَّ الخليطُ احتمالا(١)

الشعر لعمرو بن قَمِيئة ، والغناء لحُنَيْن خفيف رمل بالوسطى من رواية أحمد بن يحيى المكي ، وذكر الهشامي وغيره أنه من منحول يحيى إلى حنين .

(١) فى المطبوع : الخليط الزيالا . وأثبتنا ما فى مخطوط متفقا مع ديوان عمرو بن قميئة . هذا وعدد أبيات فى الديوان ص ٤٢ أربعة وعشرون بيتا .

أخبار عمرو بن قميئة ونسبه

هو – فيما ذكر أبو عمرو الشيبانى عن أبى برزة [١] – عمرُو بن قَمِيئة بن ذرِيح بن سعد بن مالك بن ضُبَيعة بن قيس بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أفصى بن دُعْمِىّ بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار .

قال ابنُ الكلبىّ : ليس من العرب من له وَلَدٌ كلٌّ واحد منهم قبيلة مفردة قائمة بنفسها غيرُ ثعلبة بن عكابة ، فإنه ولد أربعة ، كل واحدمنهم قبيلة ، شيبان بن ثعلبة وهو أبو قبيلة ، وقيس بن ثعلبة وهو أبو قبيلة ، وذُهل بن ثعلبة وهو أبو قبيلة [وتيم الله بن ثعلبة وهو أبو قبيلة] [٢] .

وكان عمرو بن قميئة من قدماء الشعراء فى الجاهلية ، ويقال : إنه أوّل من قال الشعر من نزار ، وهو أقدم من امرئ القيس ، ولقيه امرؤ القيس فى آخر عمره فأخرجه معه إلى قيصر لما توجه إليه فمات معه فى طريقه ، وسمّته العرب عمرا الضائع لموته فى غربة وفى غير أرب ولا مطلب .

نسخت خبره من رِوَايتَىْ أبى عمرو الشيبانى ومُؤَرِّج ، وأخبرنى ببعضه الحسن ابن على عن أبيه عن ابن أبى سعد عن [على بن الصباح] عن ابن الكلبى ، فذكرت ذلك فى مواضعه ونسبته إلى رواته ، قالوا جميعا :

كان عمرو بن قميئة شاعرا فحلا مُقدما ، وكان شابا جميلا حسن الوجه مديد

(١) فى مخطوط : ابن أبى ثروة . عمرو بن قميئة بن سعد بن مالك .

(٢) تيم الله بن ثعلبة بن عكابة مع قيس بنى ثعلبة بن عكابة وعنزة بن أسد وعجل بن لجيم ، يسمون اللهازم . وشيبان بن ثعلبة بن عكابة وذهل بن ثعلبة بن عكابة اسمهم الذهلان . انظر العقد الفريد طبعة بولاق ج ٢ ص ٦٧ وجمهرة أنساب العرب ص ٢٩٦ .

القامة حسَنَ الشَّعر ، ومات أبوه وخلَّفه صغيرا ، فتكفّله عمُّه مرثد بن سعد ، وكانت سبَّابتا قدَميْه ووُسْطياهما مُلتصقتين ، وكان عمُّه مُحِبًّا له مُعجبا به رفيقا عليه .

وأخبرنى عمى قال : حدثنا الكرانىّ قال : حدثنا أبوعمر العمرى ، عن لقيط وذكر مثلَ ذلك سائرُ الرواة .

أن مَرْثَدَ بن سعد بن مالك عم عمرو بن قميئة كانت عنده امرأة ذات جمال ، فهويت عَمْرًا وشُغِفَتْ به ولم تُظْهِر له ذلك ، فغاب مَرْثَدٌ لبعض أمرِه — وقال لقيط فى خبره : مضى يضرب بالقداح — فبعثت امرأته إلى عمرو تدعوه على لسان عمه ، وقالت للرسول : ائتنى به من وراء البيوت ، ففعل ، فلما دخل أنكر شأنها ، فوقفت ساعة ثم راودته عن نفسه فقال : لقد جئتِ بأمر عظيم ، وما كان مثلى ليُدعى لمثل هذا ، والله لو لم أمتنع من ذلك وفاءً لعمّى لأمتنعنّ منه خوف الدناءة والذّكْر القبيح الشائع عنّى فى العرب . فقالت: والله لتفعلنّ أو لأسُوأنّك ، قال : إلى المساءة تَدْعِيننى ، ثم قام فخرج من عندها ، وخافت أن يخبر عمه بما جرى ، فأمرت بِجَفْنَة فكُفِئَتْ على أثرِ عمرٍو ، فلما رجع عمه وجدها مُتغضّبه ، فقال لها : مالَكِ ؛ قالت : إن رجلا من قومك قريبَ القرابةِ جاء يستامنى نفسى ويُريد فراشَك منذ خرجتَ ، قال : ومن هو؟ قالت : أما أنا فلا أُسمّيه ، ولكن قم فاقتفِ أثره تحت الجفنة ، فلما رأى الأثر عرفه . قال مؤرّج فى خبره : فحدثنى أبو برزة وعلقمة بن سعد وغيرهما من بنى قيس بن ثعلبة قالوا : وكان لمرْثَد سيفٌ يسمى ذا الفقّار ، فأتى ليضربه به ، فهرب فأتى الحيرة ، فكان عند اللّخميين ، ولم يكن يقوى على بنى مرثد لكثرتهم وقال لعمرو بن هِنْد : إن القوم اطّردونى ، فقال له ، ما فعلوا إلاّ وقد أجرمْتَ ، وأنا أفحص عن أمرك ، فإن كنتَ مجرما رددتُك إلى قومك

فغضب وهَمَّ بهجائه ، وهجاءِ مرثد ثم أعرض عن ذلك ، ومدح عمَّه واعتذر إليه .

وأما أبو عمرو فإنه قال : لما سمع مرثد بذلك هجر عمرًا وأعرض عنه ولم يعاقبه لموضعه من قلبه ، فقال عمرو يعتذر إلى عمه :

خليليَّ لاتَستعْجِلا أن تَزَوَّدا ... وأنْ تجمعا شملى وتَنتظرا غدا
فما لَبَثِى يوما بسائقِ مَغْنَمٍ[١] ... ولا سُرعتى يوما بسابقةِ الرَّدى
وإن تَنْظِرانى اليومَ أقضِ لبانةً ... وتَستوجبا منًّا علىَّ وتُحْمَدا
لعمرُكَ ما نفسٌ بِجِدٍّ رشَيدةٍ ... تُؤامرنى سُوءًا لأصرِمَ مرْثدا
وإن ظهرتْ منى قوارِص جمَّةٌ ... وأفْرَعَ من لَومى مِرارا وأصْعدا[٢]
على غير جُرْمٍ أنْ أكون جنيته ... سوى قَوْلِ باغٍ كادنى فتجهَّدا
لَعَمرى لنعم المرءُ تدعو بخيله ... إذا ما المنادى فى المَقامةِ نَدَّدا[٣]
عظيمُ رَمادِ القدْرِ لامُتَعبِّسٌ ... ولا مُؤْيِسٌ منها إذا هو أوقدا
وإن صرَّحتْ كَحْلٌ وهبَّتْ عريَّةٌ ... من الريح لم تترك من المال مِرفدا[٤]
صَبرْتُ على وَطْءِ الموالى وَحطمهم ... إذا ضَنَّ ذو القربى عليهم وأخمدا[٥]

يعنى أخمد نارَهُ بُخلا ، وروى أجمد : المجْمِد : البخيل :

ولم يحمِ فرْجَ الحىِّ إلا محافظٌ ... كريم المُحيّا ماجدٌ غيرُ أجردا

الأجرد : الجعد اليد البخيل[٦] .

---

(١) فى مخطوط : فما كنت يوما .
(٢) أفرع : انحدر .
(٣) المقامة : المجلس . وفى المطبوع : بخيله .
(٤) كحل : السنة الشديدة الجدبة ، والعرية : الباردة . والمرفد : ما يرفد به الضيف : أى يعطى .
(٥) فى الديوان ص ١٢ : الموالى وحطمهم . وفى المطبوع : وخطبهم .
(٦) روى فى الديوان : غير أحردا . والأحرد : الذى تثقل عليه الدرع فلا يستطيع الانبساط فى المشى وهو ما يناسب المعنى أيضا ، ولعل الأجرد الذى فسر فى الأصل مأخوذ من المكان الأجرد الذى لانبات فيه ، أو من جرد القوم يجردهم : سألهم فنعوه أو أعطوه كارهين .

أخبرنى محمد بن العباس اليزيدى قال : حدثنى عمى الفضل بن إسحاق [١] عن الهيثم بن عدىّ قال :

سأل رجلٌ حماداً الراوية بالبصرة وهو عند بلال بن أبى بُردة : من أشعر الناس ؟ قال : الذى يقول :

رَمَتْنِى بناتُ الدَّهرِ من حيث لا أرى ... فما بال من يُرمى وليس برامى [٢]

قال : والشعر لعمرو بن قميئة ، قال علىّ بن الصباح فى خبره عن ابن الكلبى : وعُمِّر ابنُ قميئة تسعين سنة فقال لما بلغها :

كأنى وقد جاوزتُ تسعين حِجَّةً ... خلعت بها عنى عِنان لجامِ
عَلَى الراحتَيْنِ مرَّةً وعلى العصا ... أنُوءُ ثلاثا بعدهن قِيامى
رمتنى بناتُ الدهرِ من حيثُ لا أرَى ... فما بال من يُرْمَى وليس بِرامى
فلو أنَّ ما أُرْمى بنبلٍ رَمَيْتُها ... ولكنَّما أُرمى بغير سهامِ
إذا ما رآنى الناسُ قالوا ألم يكن ... حديثا حديدَ البزِّ غيرَ كهامِ [٣]
وأَفْنَى وما أُفْنِى من الدهر ليلةً ... ولم يُغْنِ ما أفنيتُ سِلْكَ نظامِ
وأهلكنى تَأْمِيلُ يومٍ وليلة ... وتأميلُ عامٍ بعد ذاك وعامِ

أخبرنى الحسين بن يحيى قال : قال حماد بن إسحاق : قرأت على أبى : حدثنا الهيثم ابن عدى ، عن مجالد .

عن الشَّعبى [وأخبرنى به أبو الحسن الأسدى قال : حدثنا محمد بن صالح ابن النطاح بن إبراهيم بن الربيع عن الهيثم رجلٍ كوفى عن الشعبى [٤]] قال : دخلت على عبد الملك بن مروان وهو فى عِلَّته التى مات فيها فقلت : كيف تجدك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : أصبحت كما قال [أخو بنى قيس بن ثعلبة] عمرو بن قميئة :

(١) فى مخطوط : عمى الفضل عن إسحاق .

(٢) فى الديوان ص ٢٣ : فكيف بمن يرى . وستأتى هذه الرواية . وفى كتاب المعمرين ص ٨٩ كالرواية المثبتة .

(٣) البز : السلاح . والكهام : الكليل .

(٤) انظر المجلد ١٥ ترجمة لبيد ففيه القصة . وكتاب المعمرين ص ٦١ — ٦٢ .

كأني وقد جاوزت تسعين حِجة ... خلعتُ بها عني عِنان لِجامِ
رَمتني بناتُ الدهرِ من حيثُ لا أرَى ... فكيفَ بمَن يُرْمى وليس بِرامِ
فلو أنها نَبْلٌ إذًا لاتَّقيتُها ... ولكنما أُرمى بغير سهامِ
وأهلكني تأميلُ يومٍ وليلةٍ ... وتأميلُ عامٍ بعد ذاك وعامِ

فقلتُ : لستَ كذلك يا أمير المؤمنين ولكنك كما قال لبيد :

قامتْ تشكَّى إلىَّ الموتَ مُجْهِشةً ... وقد حملْتُك سبْعا بعد سبعينا
فإن تزادى ثلاثا تبلُغى أملاً ... وفى الثلاث وفاءٌ للثمانينا

فعاش والله حتى بلغ التسعين فقال :

كأني وقد جاوزْتُ تِسعين حِجة ... خلعتُ بهاعن منكبىَّ رِدائيا

[فعاش حتى بلغ عشرا ومائة سنة فقال :

أليس فى مائة قد عاشها رجل ... وفى تكامل عَشْرٍ بعدها عُمُرُ]

فعاش والله حتى بلغ مائة وعشرين فقال :

وغَنيتُ سَبْتا قبل مجرى داحسٍ[1] ... لو كان للنفس اللَّجوج خُلُودُ

ويروى : دهرا قبل مجرى داحس . فعاش حتى بلغ مائة وأربعين سنة فقال :

ولقد سئمتُ من الحياة وطُولها ... وسؤالِ هذا الناسِ كيفَ لبيدُ

فتبسم عبد الملك وقال : لقد قوَّيتَ من نفسى بقولك ياعامر ، وإنى لأجدُ خِفًّا ، وما بى من بأس ، وأمر لى بصلة ، وقال لى : اجلْس يا شَعْبِىُّ فحدثنى ما بينك وبين الليل ، فجلست فحدثته حتى أمسيت وخرجت من عنده ، فما أصبحت حتى سمعت الوَاعِيَة [2] فى داره .

أخبرنى عمى قال : حدثنى عبد الله بن أبى سعد قال : حدثنى محمد بن عبد الله ابن طهمان السُّلمى ، عن إسحاق بن مِرار الشيبانى قال :

نزل امرؤ القيس بن حُجْر ببكر بن وائل وضرب قبته ، وجلس إليه وجوه

(١) السبت : الدهر . وفى مخطوط : وصلت سنينا بعد مجرى داحس .
(٢) الواعية : الصراخ على الميت .

بكر بن وائل ، فقال لهم: هل فيكم أحد يقول الشعر ؟ فقالوا : ما فينا شاعر إلاّ شيخ قد خلا من عمره وكبر ، قال : فأْتونى به، فأتوه بعمرو بن قميئة وهو شيخ ، فأنشده فأعجب به ، فخرج به معه إلى قيصر، وإياه عنَى امرُؤ القيس بقوله :

بكى صاحبى لما رأى الدَّرْبَ دونه وأيقن أنَّا لاحقان بقَيْصَرا
فقلتُ له لا تَبْكِ عَيْنُكَ إنما نُحاول مُلْكا أو نموتَ فَنُعْذرا

وقال مؤرِّج فى هذا الخبر : إن امرأ القيس قال لعمرو بن قميئة فى سفره : ألا تَرْكبُ بنا إلى الصيد ؟ فقال عمرو :

شَكَوْتُ إليه أننى ذو جلالةٍ وأنى كبيرٌ ذو عِيالٍ مُجَنَّبُ[1]
فقال لنا أهلا وسهلا ومرحبا إذا سرَّكم لحمٌ من الوَحْش فاركبوا

صوت

يا آحِ من حَرِّ الهوى إنما يعرف حَرَّ الحُبِّ من جَرَّبا
أصبحتُ للحبِّ أسيرًا فقد صعَّدنى الحُبُّ وقد صَوَّبا
لا شكَّ أنى ميِّتٌ حسرةً إنْ لم أزُرْ قبلَ غد زَيْنَبا
تِلْكَ التى إنْ نِلتها لم أُبَلْ مَنْ شَرَّقَ الدهر أَوْ غَرَّبا

الشعر للمؤمل بن جَميل بن يحيى بن أبى حفصة بن عمرو بن مروان بن أبى حفصة والغناء لابن جامع رمل بالوسطى عن إبراهيم والهشامى .

(١) المجنب : من جنب القوم : انقطعت ألبانهم . وفى الديوان ٥٤ ذو خلالة ، وهى من الخلة : أى الحاجة والفقر . وهو أحسن فى المراد هنا . وضبط مجنب فى مخطوط بالنون المشدودة المفتوحة .

أخبار المؤمل بن جميل[1]

قد مضى نسب أبي حفصة في أخبار مروان ، وكان يحيى بن أبي حفصة يكنى أبا جميل والمؤمل بن جميل يكنى أبا جميل ، وأم جميل أميرة بنت زياد بن هوذة ابن شماس بن لأى من بنى أنف الناقة الذين مدحهم الحطيئة [2] وأم المؤمل شريفة بنت المذلق بن الوليد بن طُلبة بن قيس بن عاصم المنقرى ، وكان جميل يلقب قتيل الهوى ، لقب بذلك لقوله :

قلن من ذا فقلت هذا اليما ... مِىُّ قتيلُ الهوى أبو الخطابِ
قلن بالله أنت ذاك يقينا ... لا تقل قول مازحٍ لَعَّابِ
إن تكن أنت هُو فأنت مُنانا ... خاليا كنت أو مع الأصحاب

أخبرنى بذلك كله يحيى بن علىّ إجازة ، عن محمد بن إدريس بن سليمان عن أبيه ، وحكى أبو أحمد رحمه الله عن محمد بهذا الإسناد .

أن أبا جميل اشترى غلاما مَدِينيا مُغنيا مجلوبا [3] من مولَّدى السَّند على البراءة من كل عيب يقال له المطرز ، فدعا أصحابا له ذات يوم ، ودعا شيخين من أهل اليمامة مُغنيين يقال لأحدهما السائب وللآخر شعبة ، فلما أخذ القوم مجلسهم ومعهم المطرز اندفع الشيخان فغنيا ، فقال المطرز لأبى جميل مولاه ، ويلك يا أبا جميل يا ابن الزانية

(١) المؤمل بن جميل بن يحيى بن أبي حفصة وهو ابن عم مروان بن أبي حفصة «تاريخ بغداد ج ١٣ ص ١٨٠ ومعجم الشعراء ٣٨٥» .

(٢) قال فيهم الحطيئة :

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ... ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا

انظر ديوانه ص ٦ .

(٣) ق مخطوط : مجلودا .

أتدرى ما فعلت ومن عندك ؟ فقال له : ويلك أجُننت ما لَك ؟ قال : أمّا أنا فأشهد أنك تأمن مكر الله حين أدخلت منزلك هذين .

قال : وبعثه يوما يدعو أصدقاء له ، فوجدهم عندرجل من أهل اليمامة يقال له بهلول ، وهو فى بستان له ، فقال لهم : إن مولاى أبا جميل قد أرسلنى أدعوكم وقد بلّغتكم رسالته ، وإن شاورتمونى أشرت عليكم ، فقالوا : أشِرْ علينا ، قال : فإنى أرى أن لا تذهبوا إليه ، فجلسكم والله أنزَه من مجلسه وأحسن ، فقالوا له : قد أطعناك ، قال : وأخرى ، قالوا : وما هى ؟ قال : تحلفون على أن لا أبرَح ، ففعلوا ، فأقام عندهم .

وغضب عليه أبو جميل يوما فبطحه يَضْربه وهو يقول : ويلك أبا جميل اتق الله فىّ ، اللهَ اللهَ فى أمرى ، أما علمت ويلك خبرى قبل أن تشترينى .

قال : وكان يبعثه إلى بئر لهم عذبة فى بستان له يستقى منها لهم ماء ، فكان يستقيه ثم يصبّه لجيران لهم فى حَيِّهم ، ثم يستقى من بئر لهم غليظة ، فإذا أنكر مولاه قال له : سل الغلمان إذا أتيت البستان : هل استقيت منه ، فيسألهم فيجده صادقا .

حدثنا يحيى بن محمد بن إدريس عن أبيه .

أن يحيى بن أبى حفصة زوّج ابنه جميلا شريفة بنت المذلق بن الوليد بن طلبة ابن قيس بن عاصم ، فولدت له المؤمل بن جميل ، وكان شاعرا ظريفا غزلا ، وكان منقطعا إلى جعفر بن سليمان بالمدينة ، ثم قدم العراق فكان مع عبد الله بن مالك ، وذكره للمَهْدِىّ فحظِىَ عنده ، وهو الذى يقول فى شكاة اشتكاها عبدُ الله بن مالك :

ظلّتْ علىّ الأرضُ مُظلمةً ‏ ‏ إذ قيل عبدُ الله قد وعكا

يا ليت ما بك بى وإنْ تلِفتْ   نفسى لذاك وقلَّ ذاك لكا

وهو الذى يقول :

يا آح من حَرِّ الهـــوى إنما   يعرف حَرَّ الُحبِّ من جرّبا

وذكر الأبيات التى تقدم ذكرها والغناء فيها .

صوت

إنى وهبتُ لظالمى ظُلمى   وغفرت ذاك له على علمِ

مازال يَظلمنى وأرحمه   حتى رثيتُ له من الظُّلمِ

الشعر لمساور الورّاق ، والغناء لإبراهيم بن أبى العبيس ثانى ثقيل بالوسطى. أخبرنى بذلك ذكاء وغيره :

أخبار مساور الوراق ونسبه

هو مساور بن سوّار بن عبد الحميد ، من آل قيس بن عيلان بن مضر
ويقال : إنه مولى لخُويلد من عدنان ، كوفى قليل الشعر من أصحاب الحديث ورُواته
وقد روَى عن صدر من التابعين [1] ، وروى عنه وجوه أصحاب الحديث .

أخبرنى علىّ بن طيفور بن غالب النسّائى قال : حدثنا يعقوب بن حميد بن
كاسب ، قال : حدثنا حماد بن أُسامة .

عن مساور الوراق قال : حدثنى جعفر بن عمرو بن حريث عن أبيه قال :
كأنى أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته يخطب وعليه عمامةٌ سوداءُ
قد أرخاها بين كتفيه .

أخبرنى محمد بن الحسن بن دريد قال : أخبرنا الأُشنانداني عن الأصمعىّ
قال :

كان قوم يجلسون إلى ابن أبى ليلى ، فكتب قوما منهم لعيسى بن موسى
وأشار عليه أن يُشغلهم ويَصِلهم ، فأتى مساورٌ الورّاق فكلمه أن يجعله فيهم
فلم يفعل ، فأنشأ يقول :

أراك تُشير بأهل الصلاح فهل لك فى الشاعر المُسلمِ
كثيرِ العيالِ قليل السؤا لِ عفّ مَطاعِمه مُعْدِمِ [2]

(١) فى تهذيب التهذيب : روى عن سيار أبى الحكم وجعفر بن عمرو وأبى حصين الأسدى وشعيب ابن يسار مولى ابن عباس . وروى عنه ابن أبى زائدة وابن عيينة وعبيدالله الأشجعى ووكيع وأبو أسامة .

(٢) لعلها أيضا : عف مطامعه .

يُقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ... وقد حلَق العامَ فى المَوْسِمِ[١]
وأصبح واللهِ فى قومهِ ... وأمسى وليس بذى دِرْهَمِ

قال : فقال ابن أبى ليلى : لا حاجة لنافيه،فقال فيه مساور أبياتا ، قال أبو بكر ابن دريد : كرهنا ذِكرها صيانة لابن أبى ليلى .

أخبرنى محمد قال : حدثنى التَّوَّزِىُّ قال : [٢]

كان مساور الوراق وحماد عجرد وحفص بن أبى بردة مجتمعِين ،فجعل حفص يَعيب شعر المرقِّش الأكبر ، فأقبل عليه مساور فقال :

لقد كان فى عينيك ياحفص شاغل ... وأنفٌ كثِيل العَوْد عما تتبَّعُ[٣]
تَتَبَّعتَ لحنا فى كلامِ مُرَقِّشٍ ... ووجهك مبنىٌّ على اللحنِ أجمعُ[٤]

فقام حفص من المجلس خجلا وهاجره مدة .

نسخت من كتاب عبيد الله اليزيدى بخطه : حدثنا سليمان بن أبى شيخ قال : كان مساور الوراق مِن جَديلةِ قيس ، ثم من عَدوان ، مولى لهم ، فقال لابنه يوصيه :

شَمِّرْ ثيابك واستعدَّ لقائلٍ ... واحكك جبينك للعُهود بثُومِ
إنَّ العهودَ صَفَتْ لكلِّ مشمِّرٍ ... دَبِرِ الجبين مُصَفَّرٍ موسومِ
أحْسِن وصاحبْ كلَّ قارٍ ناسكٍ ... حسَنِ التعهُّدِ للصلاة صَئُومِ
من ضَرْبِ حَمّادٍ هُناك ومِسْعر ... وسِماك العَتَكىِّ وابنِ حكيمِ[٤]

---

(١) يريد أنه حج . (٢) فى مخطوط : حدثنا الاشناندانى قال ابن أبى ليلى قال

(٣) الثيل : وعاء القضيب والعود : المسن من الإبل . وفى مخطوط كثل العود .

(٤) أجمع هنا توكيد لقوله ووجهك .

(٥) حماد من رجال الحديث : كثيرون . منهم ، حماد بن زيد ، أو حماد بن أسامة ، سلمة ، أو حماد بن أبى سليمان . انظر تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٢ – ١٣ . ومسعر أوردهما تهذيب التهذيب شخصين : مسعر بن حبيب ،روى عنه حماد بن زيد. ومسعر بن كدام ج ١٠ ص ١١٢ ، ١١٣ . وسماك العتكى : لعله سماك بن حرب ، أو سماك بن الفضل ،أو سماك بن الوليد.وفى مخطوط : ومصعب وسماك البصى .

وعليك بالغَنَوِىِّ فاجلس عنده حتى تُصيب وَديعةً ليتيم
تُغنيك عن طلب البيوع نسيئةً وتكفَّ عنك لسان كلِّ غريم
وإذا دخلتَ على الربيع مسلِّما فاخْصُصْ شَبابَةَ منك بالتسليم[1]

قال : ففعل ما أوصاه به أبوه ، فلم يلبث مساور أن ولاه عيسى بن موسى عملا ودفع إليه عَهْده ، فانكسر عليه الخراج فدُفِع إلى بَطِينٍ صاحبِ عذابِ عيسى يستَأْدِيه ، فقال مساور :

وجدت دَواهِرَ البقّال أهْنى من الفُرْنِىِّ والجَدْىِ السَّمينِ[2]
وخيرا فى العواقب حين تُبْلى إذا كان المَرَدُّ إلى بطِينِ
فكُنْ يا ذا المُطيفُ بقاضِيَيْنا غداً من عِلْمِ ذاك على يقينِ
وقُلْ لهما إذا عرَضا بعهدٍ بَرِئتُ إلى عُرَيْنَةَ من عرِينِ[3]
فإنك طالما بَهْرَجْتَ فيهـــا بمثل الخُنْفُساء على الجَبِينِ

أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنا محمد بن موسى بن حماد قال :

مر مساور الوراق بمقبرة حُميد الطوسى وكان له صديقا ، فوقف عليها مستعبرا وأنشأ يقول :

أبا غانم أمّا ذَرَاك فواسع[4] وقبرك معمورُ الجوانبِ مُحكَمُ
وما ينفع المقبورَ عمرانُ قبره إذا كان فيه جسمهُ يَتهدّمُ

أخبرنى إسماعيل بن يونس الشيعى قال : حدثنا الرياشى قال : حدثنا محمد بن

(١) شبابة بن سوار الفزارى مولاهم ، تهذيب التهذيب ج ٤ ص ٣٠٠ . والربيع : جماعة من أهل الحديث ، انظر تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٢٣٨ — ٢٥٣ .

(٢) الفرنى : نوع من الخبز يعجن بالسمن والسكر . والدواهر : لعلها شىء من المأكولات ، ولاتوجد فى اللسان دواهر إلا بمعنى : ركايا معروفة : أى آبار معروفة ، وفى مخطوط : نوافض البقال .

(٣) عرينة : هى من اليمن ، وعرين : حى من تميم ، وعنى بذلك قول جرير :

عرين من عرينة ليس منا برئت إلى عرينة من عرين

انظر اللسان مادة عرن . وفى مخطوط : إذا اعترضا

(٤) الذرى : فناء الدار ونواحيها . ويقال : هو فى ذرا فلان : أى فى كنفه وستره .

الصباح ، عن سفيان بن عيينة . ونسخت هذا الخبر أيضا من بعض الكتب .

أن حامد بن يحي البَلْخى [1] حدث عن سفيان بن عيينة ، وهذه الرواية أتم ، قال : لما سمع مساور الوراق لغط أصحاب أبى حنيفة وصياحهم أنشأ يقول :

كُنَّا من الدين قبل اليوم فى سعةٍ   حتى بُلينا بأصحاب المقاييسِ
قومٌ إذا اجتمعوا ضجوا كأنهمُ   ثعالبٌ ضَبحتْ بين النواويس[2]

فبلغ ذلك أبا حنيفة وأصحابه فشق عليهم وتوعَّدوه ، فقال أبياتا ترضيهم وهى :

إذا ما الناسُ يوما قايَسونا   بآبِدَةٍ من الفُتْيا طَرِيفَهْ
أتيناهم بمقياسٍ طَرِيفٍ   مصيب من قياس أبى حَنِيفَهْ[3]
إذا سَمِعَ الفقيهُ بها وَعاها   وأثبتها بِحِبرٍ فى صَحِيفَهْ

فبلغت أبا حنيفة فرضى ،قال مساور : ثم دُعينا إلى وليمة بالكوفة فى يوم شديد الحر ، فدخلت فلم أجد لرِجلى موضعا من الزحام ، وإذا أبو حنيفة فى صدر البيت،فلما رآنى قال : إلىَّ يا مساور،إلىَّ يا مساور ،فجئت فإذا مكان واسع بارد وقال لى : اجلس ، فجلست ، فقلت فى نفسى : نفعتنى أبياتى اليومَ ، قال : وكان إذا رآنى بعد ذلك يقول لى: هاهنا هاهنا ، ويوسع لى إلى جنبه ويقول: إن هذا من أهل الأدب والفهم .

أخبرنى محمد بن الحسن بن دريد قال : حدثنا أبو معمر عبد الأول بن مزيد أحد بنى أنف الناقة [4] قال :

كان مساور الوراق لايُضيعُ حقا لجارٍ له ، فماتت بنته فلم يشهدها من جيرانه إلا نفر يسير ، فقال مساور فى ذلك :

---

(١) فى المطبوع بن أبى يحيى . وهو خطأ ، انظر تهذيب التهذيب ج ٢ ص ١٦٩ حامد بن يحيى ابن هانىء البلخى أبو عبد الله روى عن ابن عبيدة . والتصويب أيضا من مخطوط

(٢) ضبحت الثعالب : صوتت . والنواويس : القبور .

(٣) فى عيون الأخبار ج ٢ ص ١٤٠ . . . مقياس صحيح ، تلاد من طراز أبى حنيفة .

(٤) فى مخطوط : قال : حدثنى أنف الناقة .

تَغيَّبَ عنِّى كل جافٍ صَرورة[1] ... وكل طُفيليّ من القوم عاجزِ
سريعٍ إذا يُدعى ليومٍ وليمةٍ ... بطيءٍ إذا ماكان حَمْلُ الجنائزِ

أخبرنى محمد بن الحسن قال : حدثنا عبد الأول بن مزيد قال :

قدم جارٌ لمساورٍ الوراق من سفر له، فجاءه يسلِّم عليه ، فقال : يا جارية هاتى لأبى القاسم غداء ، فجاءت برغيف فوضعته على الخُوان ، فمد يده يأكل مع مساور وقال له : يا أبا القاسم كُلْ من هذا الخبز ، فما أكلت قط أطيبَ منه، فقال مساور فى ذلك :

ماكنتُ أحسب أن الخبز فاكهةٌ ... حتى رأيتك يا وَجْه الطَّبَرْزِينِ[2]
كأنَّ لحيته فى وجهه ذَنَبٌ ... أو شِعْرَةٌ فوق بَظْرٍ غير مختون

أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنا أحمد بن الحارث ، عن المدائنى قال : دخل مساور الوراق على أبى العيص الجرمى يعوده وكان صديقه ، فكلمه فلم يجبه ، فبكى مساور جزعا عليه وأدنى رأسه منه يكلمه ، فقال أبو العيص :

أفى كلّ عامٍ مرْضةٌ بعد نَقْهَةٍ ... وتَنْعَى ولاتُنْعَى متى ذا إلى متى
سيوشك يوم أن يجىء وليلةٌ ... يسوقان حتْفا راح نحوك أوْ غدا[3]
فتُمسى صريعا لا تجيبُ لدعوةٍ ... ولاتَسمع الداعى وإنْ جدَّ فى الدُّعا

ثم لم يلبث أن مات : رحمه الله .

صوت

تَنامين عن لَيلى وأسهره وحدى ... وأَنهى جفُونى أن تَبثُّك ماعندى
فإن كنت لا تدرين ما قد فعلتِهِ ... بنا فانظرى ماذا على قاتل العَمْدِ

الشعر لسعيد بن حميد الكاتب ، والغناء لعريب خفيف ثقيل مطلق[4] بالسبابة فى مجرى الوسطى .

(١) الصرورة : من لم يتزوج أولم يحج .
(٢) الطبرزين : آلة من السلاح تشبه الفأس ، أوهى الفأس .
(٣) فى هامش مخطوط : البيت الثانى مضمن قول عمران بن حطان ، وقد سبق ذكره فى هذا المجلد .
(٤) فى مخطوط : خفيف رمل مطلق .

أخبار سعيد بن حميد ونسبه

سعيدُ بن حُميد بن سعيد بن حميد بن بحر[1] يكنى أبا عثمان ، من أولاد الدهاقين وأصله من النهروان الأوسط ، وكان هو يقول : إنه مولى بنى سامَة بن لُؤَىّ ، من أهل بغداد ، بها ولد ونشأ ، ثم كان يتنقل فى السكنى بينها وبين سُرَّ مَنْ رأى ، كاتب شاعر ، مترسل حسن الكلام فصيح ، وكان أبوه وجها من وجوه المعتزلة ، فخالف أحمدَ بن أبى دُواد فى بعض مذهبه ، فأغرى به المعتصم وقال إنه شُعُوبىّ[2] زنديق ، فحبسه مدة طويلة ، ثم بانت براءته له أو للواثق بعده فخلى سبيله ، وكان شاعرا أيضا ، فقال يهجو أحمد بن أبى دواد ، وأنشد نيها جماعة من أصحابنا قال :

لقدْ أصبحْتَ تُنسب فى إيادِ ... بأنْ يُكْنَى أبوك أبا دُوَادِ
فلو كان اسمه عَمْرَو بن مَعْدِى ... دُعيت إلى زُبَيد أو مُرَادِ
لئن أفسدْتَ بالتخويف عَيْشى ... لما أصْلَحت أصْلَك فى إياد
وإن تك قد أصبت طَرِيف مال ... فبُخْلُك باليسير من التِّلادِ

[رجع إلى أخبار سعيد بن حميد]

فذكر محمد بن موسى أن أبا يوسف بن الدقاق[3] اللغوى أخبره أن حميد بن سعيد بن حميد دفع إليه ابنه سعيدا وهو صبىّ فقال له : امضِ به معك إلى مجلس

(١) فى مخطوط . سعيد بن حميد بن يحيى يكنى أبا عثمان .
(٢) الشعوبى : الذى يحتقر أمر العرب . وأصله أن كلمة الشعوب غلبت على جيل العجم حتى قيل لمحتقر أمر العرب : شعوبى . أضافوا إلى الجمع لغلبته على الجيل الواحد ، كقولهم أنصارى ، ويقال للجمع : الشعوبية ، كانوا لا يفضلون العرب على العجم ، ولايرون لهم فضلا على غيرهم .
(٣) فى مخطوط : أن أبا يوسف الدقاق .

ابنِ الأعرابي . قال : فحضرناه ذات يوم فأنشدَنا أرجوزة لبعض العرب فاستحسنّاها ، ولم تكن معنا مِحْبَرَة نكتبها منها ، فلما انصرفنا قلت له : فاتتنا هذه الأرجوزة ، فقال : لم تفتك ، أتحب أن أنشدكها ؟ قلت : نعم فأنشدنيها وهى نَيِّفٌ وعشرون بيتا قد حفظها عنه ، وإنما سمعها مرة واحدة ، فلقيت أباه من غد فقال لى : كيف رأيت سعيدا ؟ فقلت له : إنك أوصيتنى به ، وأنا أسألك الآن أن توصيه بى . فضحك وسألنى عن السبب فأخبرته فسرّ به .

أخبرنى على بن العباس بن أبى طلحة قال : حدثنى ابن أبى المدوَّر قال :

دخل سعيد بن حميد يوما على أبى العباس بن ثوابة ، وكان أبو العباس يعاتبه على الشّغف بالغلمان المُرد ، فرأى على رأسه غلاما أمرد حسن الوجه ، عليه منطقة وثياب حسان فقال له : يا أبا العباس :

أزعمتَ أنك لاتلوط فقلْ لنا ‏ ‏ ‏ هذا المُقَرْطق قائما ما يَصْنَعُ[1]

شهدتْ مَلاحتُه عليك بريبة ‏ ‏ ‏ وعلى المُرِيب شواهدٌ لا تُدْفَعُ

فضحك أبو العباس وقال : خذه لابورك لك فيه حتى نستريح من عتبك .

أخبرنى عمى رحمه الله قال : قال لى أبو الحسن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات الكاتب .

كان سعيد بن حيد يهوى غلاما من أولاد الموالى ، فغاب عنه مدة ثم جاءه مسلّما ، فقال له : غبت عنى هذه المدة ثم تجيئنى فلا تقيم عندى ؛ فقال له : قد أمسينا ، فقال : تبيت ، قال : لا والله لا أقدر ، فلم يزل به حتى اتفقا على أنه إذا سمع أذان العتمة انصرف ، فقال له : قد رضيت ؛ ووضع النبيذ ، فجعل سعيد يحث السقى بالأرطال فلما قرب وقت العتمة أخذ رقعة فكتب فيها إلى إمام المسجد وهو مؤذنه قوله :

قلْ لداعى الفراق أخِّرْ قليلا ‏ ‏ ‏ قد قَضَيْنا حقّ الصلاةِ طَوِيلا

أخِّر الوقتَ فى الأذان وقدِّم ‏ ‏ ‏ بعدها الوقت بُكرة وأصيلا

(١) المقرطق : من يلبس القرطق وهو قباء .

فتُراعي حقَّ الفتُوة فينـــا[١] وتُعافَى من أن تكون ثقيلا

فلما قرأ المؤذن الرقعة ضحك وكتب إليه يحلف أنه لايؤذن ليلته تلك العتَمة . وجعل الفتى ينتظر الأذان حتى أمسى وسمع صوت الحارس ، فعلم أنها حيلة وقعت عليه وبات فى موضعه ، وقال سعيد فى ذلك :

عرَّضْتُ بالحبِّ له وعرَّضا حتى طوى قلبي على جمْر الغَضَى
وأظهرتْ نفسي عن الدهر الرِّضَا ثم جفاني وتولَّى معْرِضا
لم ينقض الحب بلى صبري انقضى فِدَاك من ذاق الكرى أوغمَّضا
حتى طرقتَ فنسيتُ ما مضى سألتُه حُوَيجة فأعرضا
وقال : لا ، قول مجيب برِضَا فكان ما كان وكابرنا القضا

فى هذه الأبيات هزج لأحمد بن صدقة ، أخبرنى بذلك ذكا وجه الرزة .

وجدت فى بعض الكتب : حدثنى أحمد بن سليمان بن وهب أنه كان فى مجلس فيه سعيد بن حميد ، فلما سكروا قام سعيد قومة [٢] بعد العصر ، فلم نشعر به إلا وقد أخذ ثيابه فلبسها ، وأخذ بعضادَتَي الباب وأنشأ يقول :

سلام عليكمْ حالت الراح بيننا وألْوَت بنا عن كل مرأًى ومسمع [٣]
ولم يبقَ إلاَّ أن يميلَ بنا الكرَى ويجمع نومٌ بين جنبٍ ومضْجعِ [٤]

فقام له أهل المجلس وقالوا: ياسيدنا اذهبْ فى حفظ الله وفى ستره . فانصرف وودعهم .

حدثنى محمد بن الطلاس أبو الطيب قال : حدثنى عبد الله بن طالب الكاتب قال :

---

(١) فى مخطوط : حق المودة فينا .
(٢) فى مخطوط : فلما سكرنا نام سعيد نومة .
(٣) ألوى به : ذهب . وفى مخطوط : حالت الكاس بيننا ومالت بنا .
(٤) فى مخطوط : ويجمع سكر بين جنب ومضجع .

قرأت رقعة بخط سعيد بن حُميد إلى فَضْل الشاعرة يعتذر إليها من تغيُّر ظنته به وفى آخرها :

صوت

تَظُنُون أنى قد تبدَّلت بعدكمْ　　بَدِيلا وبعض الظَّنِّ إثم ومنكرُ
إذا كان قلبى فى يديك رَهينةً　　فكيف بلا قلبٍ أُصافى وأهْجرُ

فى هذين البيتين لابن القصار الطنبورى رمل ، وفيهما لجحد قريض خفيف رمل .

أخبرنى على بن العباس بن أبى طلحة الكاتب قال :

حدثنى أبو علىّ المادرائى أنه كان فى مجلس فيه كَعْب جارية أبى عكل المُقَيِّن [١] ، وكان بعض أهل المجلس يهواها ، قال : فدخل إلينا سعيد بن حميد فقام إليه أهل المجلس جميعا سوى الجارية والفتى ، فأخذ سعيد الدواة فكتب رقعة وألقاها فى حِجْرِها ، فإذا فيها قوله :

ما على أحْسنِ خَلْقِ اللـ　　ـه أنْ يَحسُنَ فِعلُهْ
بأبى أنـــت وأمى　　من مَليك قلَّ عَدْلُهْ
وبخيل بالهـــوى لو　　كان يُسْلَى عنه بُخلُه
أكثرَ العاذِلُ فى حبِّـ　　ـك لو ينفع عَذْلُه
فهو مشغول بِعَذْلِى　　وفؤادى بك شُغْلُهْ
أُكْثِر الشكوى فأستَعْـ　　ـدى على من قلَّ بَذْلُه

فوثبت الجارية فقبلت رأسه وجلست إلى جنبه ، فقال الرجل الذى كان يهواها : هذا والله كلام الشياطين ورُقْية الزّنا ، وبهذا يتم الأمر ، أما أنا فإنى أشهدكم لا قرأت اليوم فى صلاتى غير هذه الأبيات لعلها تنفعنى ، فضحك سعيد وقال لها : بحياتى قومى فارجعى إليه حتى تكون الأبيات قد نفعته قبل أن يقرأها فى صلاته وسُرّينى بذلك ، فقامت فرجعت إلى موضعها .

قال على بن العباس :

(١) فى مخطوط أبو على المدارى أنه كان فى مجلس فيه لعب جارية بن علل المقين .

وحدثنى أبو على المادرائى : أنه كان عنده يوما ، فدخلت إليه جارية — كان يهواها — غفلةً على غير مَوْعد ، فسُرَّ بذلك وقال لها : قد كنتُ على عِتابك ، فأما الآن فلا ، فقالت : أما العتاب فلا طاقة لى به ، ووالله ما جئتك إلاّ عند غفلة البَوّاب ، فقال سعيد بن حميد فى ذلك :

زارك زَوْرٌ على ارتقابِ مُغتنِما غَفْلَةَ الحِجابِ
مستترا بالنقاب يبدو ضياءُ خدَّيْه فى النقاب
كالشمس تبدو وقد طوَاها دونك سِتْرٌ من السَّحابِ
قد كان فى النفس منك عتبٌ يدعو إلى شدة اجْتنابِ
فلْتُ بالعتب عن حَبِيب يَضْعُف عن مَوْقف العتابِ
والذنبُ منه وأنت تخشى من هَجْرِه صَوْلَةَ العِقابِ

أخبرنى عمى قال : حدثنى ابن أبى سعد قال : حدثنى محمد بن عبد الله بن داود قال :

كان أبى يستحسن قول سعيد بن حميد :

تظنون أنى قد تبدَّلت بعدكمْ بَديلاً وبعضُ الظن إثم ومنكرُ
إذا كان قلبى فى يديك رهينةً فكيف بلا قلب أصافى وأهجرُ

ويقول : لئن عاش هذا الغلام ليكونن له فى الشعرشأن .

فى هذين البيتين غناء من خفيف الرمل ، وذكر قريص أنه له .

أخبرنى ابن أبى طلحة قال :

حدثنى إسحاق بن مسافر أنه كان عند سعيد بن حميد يوما إذ دخلت عليه فضل الشاعرة على غفلة ، فوثب إليها وسلم عليها ، وسألها أن تقيم عنده ، فقالت : قد جاءنى وحياتِك رسولٌ من القصر ، فليس يُمكننى الجلوسُ ، وكرهتُ أن أمرَّ ببابك ولا أراك ، فقال سعيد من وقته على البديهة :

قرُبتِ ولانرجو اللقاءَ ولانَرى[1] لناحيلةً يُدنيكِ مِنّا احتيالها
فأصبحتِ كالشمسِ المنيرةِ ضَوْؤها قريبٌ ولكنْ أين منا منَالُها
كظاعنةٍ ضنَّتْ بها غرْبةُ النَّوَى علينا ولكنْ قد يُلِمّ خيالُها
تُقَرِّبها الآمال ثم تعُوقها مماطَلَةُ الدُّنيا بها واعتلالُها
ولكنها أُمْنِيَــــةٌ فلَعلَّها يجود بها صَرْفُ النَّوى وانتقالُها

أخبرنى عمى قال : حدثنا عبد الله بن أبى سعد قال : حدثنى محمد بن عبد الله بن يعقوب بن داود قال :

تغاضب سعيد بن حميد وفضل الشاعرة أياما ثم كتب إليها :

تَعالىْ نُجَدّدُ عهد الرِّضا ونَصفحُ فى الُحبِّ عما مَضَى
ويَبذُلُ هذا لهــذا هواه ويصبر فى حُبِّه للقضا
ونَجرِى على سُنَّة العاشقين ونضمن عنى وعنكِ الرِّضا
ونخضع ذُلاً خُضوعَ العبيدِ[2] لموْلًى عزيز إذا أعرَضا
فإنىَ مُدْلَجٌ هذا العِتابُ كأنى أبْطنْتُ جمْرَ الغضى
[فإن فرق الدهر ما بيننا فمن ذا يقوم لصرْفِ القضا]

فصارت إليه وصالحته .

فى هذه الأبيات لهاشم بن سليمان ثقيل أول بالوسطى ، وفيها لابن القصار خفيف رمل .

أخبرنى ابن أبى طلحة قال : حدثنا أبو العباس بن أبى المدوّر قال :

بات سعيد بن حميد عند أبى الفضل أحمد بن إسرائيل ، واصطبحا على غناءٍ

(١) فى مخطوط : قربت ولم نرج اللقاء ولم نجد .

(٢) فى مخطوط : ونجمع ذلا خضوع العبيد .

حسن كان عندهما ، فجاءه رسول الحسن بن مخلد وقد أُمِرَ أن لا يفارقه لأمرٍ مُهِمّ ، فقام فلبس ثيابه وأنشأ يقول :

يا ليلةً بات النحوس بعيدةً عنها على رَغم الرقيب الراصدِ
تَدَعُ العواذلَ لا يقُمْنَ لحاجة وتقوم بهجتُها بعُذْرِ الحاسدِ
ضَنَّ الزمان بها فلما نِلْتُها وَرَدَ الفراقُ فكان أقبحَ واردِ
والدمعُ ينطق للضمير مُصدّقا قولَ المُقِرِّ مُكذّبا للجاحدِ

أخبرنى ابن أبى طلحة قال : حدثنى أبو العباس بن أبى المدوّر قال :

كان سعيد بن حميد صديقا لأبى العباس بن ثوابة ، فدعاه يوما ، وجاءه رسول فضل الشاعرة يسأله المصير إليها ، فمضى معه وتأخر عن أبى العباس ، فكتب إليه رقعة يعاتبه فيها معاتبة فيها بعضُ الغِلْظة ، فكتب إليه سعيد :

أقلِلْ عتابك فالبقاءُ قليلُ والدهرُ يَعْدِلُ تارة ويَميلُ[١]
لم أبْكِ من زمنٍ ذممتُ صُروفه إلا بكيت عليه حين يزولُ
ولكلِّ نائبة ألَمّت مُدّةٌ ولكل حال أقبلت تحويلُ
والمنتمون إلى الإخاء جماعةٌ إن حصّلوا أفناهم التحصيلُ
ولعل أحداث الليالى والرَّدَى يوما ستَصْدَعُ بيْننا وتَحول
فلئن سبقتُ لتَبْكِيَنَّ بحسرة ولَيَكْثُرَنَّ علَيَّ منك عَويلُ
ولتُفْجِعنَّ بمخلص لك وامقٍ حَبْلُ الوفاءِ بحبله موصولُ
[وليذهبنَّ جمال كلِّ مروءة وليعفُوَنَّ فِناؤها المأهولُ
ولئن سبقْتَ ولا سبقتَ ليمضِيَنْ من لا يشاكله لدَيَّ عَدِيل
وأراك تكلف بالعتاب وودُّنا باق عليه من الوفاء دليل
وُدٌّ بدَا لذوى الإخاءِ جميله وبدتْ عليه بهجة وقبُول
ولعل أيام الحياة قصيرةٌ فعلام يكثُر عتبنا ويطولُ

أخبرنى الطلحى قال : حدثنى أبو على بن أبى الرعد .

(١) فى مخطوط : يعدل مرة .

أن سعيد بن حميد كان يهوى مظلومة جارية الدقيق ، فبلغه أنها تُواصل بعضَ أعدائه ، فهجرها مدة فكتبت إليه تعاتبه وتتشوّقه ، فكتب إليها :

أمرى وأمرُكِ شىءٌ غير متفقِ ... الهجر أفضل من وَصْلٍ على مَلَقِ
لا أكذب اللهَ ما نفسى بِساليةٍ ... ولا خليقةُ أهلِ الغدْرِ من خُلُقى
فإن وثقْتَ بوُدٍ كنت أبذله ... فعاودِى سوءَ ظنٍّ بِى ولا تثقى]

وذكر اليوسفى الكاتب أنه حضر سعيدًا فى منزل بعض إخوانه [١] وعندهم هبة [٢] المغنية ، وكان سعيد يتعشقها ويهيم بها ، فغضبت عليه يوما لبعض الكلام على النبيذ ، ودخلت بعد ذلك وهو فى القوم فسلمت عليهم سواه ، فقالوا لها : أتهجرين أبا عثمان ؟ فقالت : أحب أن تسألوه أن لا يكلمنى ، فقال سعيد :

اليوم أيقنتُ أن الهجرَ متلفةٌ ... وأنّ صاحبه منه على خطَرِ
كيفَ الحياة لمن أمسى على شرَفٍ [٣] ... من المَنيَّة بين الخوف والحَذرِ
يلومُ عَينيه أحيانا لذَنْبهما [٤] ... ويَحملُ الذنبَ أحيانا على القَدر
تنأَوْنَ عنه وينأى قلبُه معكم ... فقلبه أبدا منه على سفَرِ

فوثبت إليه وقبلَت رأسه وقالت : لا أهجرك والله أبدا ما حييت .

أخبرنى جحظة قال : حدثنى ميمون بن هارون قال :

غضبت فضل الشاعرة على سعيد بن حميد فكتب إليها :

يا أيها الظالم مالى ولَكْ ... أهكذا تهجر من واصلَكْ
لا تصرفِ الرحمةَ عن أهلها ... قد يَعْطِف المَوْلَى على من مَلَكْ
ظلمْتَ نفسا فيك علّقتُها ... فدارَ بالظُّلم علَىّ الفلَكْ [٥]

(١) فى مخطوط : فى بعض دعوات إخوانه .
(٢) هذه الكلمة غير واضحة فى مخطوط . وفى المطبوع : هذه المغنية .
(٣) فى المطبوع : كرب الحياة .
(٤) فى المطبوع . لذنبهما .
(٥) فى المخطوط : عليها الفلك .

تبارك اللهُ فما أعلم ا للهَ بما ألقى وما أغفلكْ

تراجعت وصله وصارت إليه فى جواب الرقعة .

فى هذه الأبيات لعريب ثانى ثقيل وهزج ، عن ابن المعتز ، وأخبرنى ذُكا وجه الرزة أن الثقيل الثانى لأحمد بن أبى العلاء .

أخبرنى الطوسى الطلحى قال : حدثنا محمد بن السرى :

أن سعيد بن حميد كان فى مجلس الحسن بن مخلد، إذ جاءه الغلام برقعة فضل الشاعرة تشكو فيها شدّة شوقها ، فقرأها وضحك ، فقال له الحسن بن مخلد : بحياتى عليك أقْرِئنيها ، فدفعها إليه فقرأها وضحك ،وقال له: قد وحياتى مَلَّحتْ ما جِبْ ، فكتب إليها :

يا واصفَ الشوق عندى من شواهده قلبٌ يَهيمُ وعَيْنٌ دَمْعُها يَكِفُ
والنَّفسُ شاهدةٌ بالـــوُدّ عارفةٌ وأنْفُسُ الناسِ بالأهواء تأتلفُ
فكُنْ على ثِقَةٍ منى وبَيِّنةٍ إنى على ثِقَةٍ من كلّ ماتَصِفُ

وحدثنى جحظة قال :حدثنى ميمون بن هارون قال :

لما عشقت فضل الشاعرة بنان بن عمرون المُغنى وعدلت عن سعيد بن حميد إليه أسف عليها وأظهر تجلُّدا ، ثم قال فيها :

قالوا تَعزَّ وقد بانُوا فقلتُ لهم بانَ العزاءُ عَلى آثارِ من بَانا
وكيف يَمْلِكُ سُلْوانا لحبِّهِمُ من لم يُطِقْ للهوى ستْرًا وكِتمانا
كانتْ عزائمُ صبرى أستعين بها صارتْ علىَّ بحمد الله أعوانا
لا خير فى الحبّ إذ تبدو شَواكِلُه ولا ترى منه فى العينين عنْوانا

قال أبو الحسن جحظة : وغنى فيه بعض المحدثين لحنا حسنا ، وأظنه عنَى نفسه .

أخبرنى الطلحى قال : حدثنى أبو عيسى الكاتب .

أن أبا هِفَّان بلغه عن سعيد بن حميد كلام فيه جفاء وطعن على شعره ،

فتوعّده بالهجاء ، وكان الحاكى عنه كاذبا ، فبلغ سعيداً ما جرى ، فكتب إلى
نى هِفّان :

أمسى يُخوّفنى العَبْدِىُّ صَوْلتَه[1] … وكيف آمن بأْس الضيغم الهَصِرِ
من ليس يُحْرِزنى مَن سيفه أجلى … وليس يَمنعنى من كيده حذَرِى
ولا أُبارزه بالأمر يكْرَهه … ولو أُعِنت بأنصار من الغِيَرِ
له سِهامٌ بلا رِيش ولا عَقَبٍ … وقَوْسُه أبَداً عُطْلٌ من الوَتَرِ
وكيف آمنُ مَن نحرِى له غرَضٌ … وَسهمه صائبٌ يَخفى عن البَصرِ

أخبرنى الطَّلْحِىُّ قال :

حدثنى محمد بن السرىّ أنه صار إلى سعيد بن حميد وهو فى دار الحسن بن
مخلد فى حاجة له ، قال : فإنى لَعِنْده إذ جاءته رقعةُ فضْل الشاعرة ، وفيها
هذان البيتان :

صوت

الصبر يَنْقُصُ والسَّقامُ يزَيدُ … والدّارُ دانيةٌ وأنتَ بعيدُ
أشكوك أم أشكو إليك فإنه … لا يستطيع سِواهما المجهودُ

أنا يا أبا عثمان فى حالِ التَّلَف ولم تَعُدْنى ، ولا سألتَ عن خبرى . فأخذ بيدى
فمضينا إليها ، فسأل عن خبرها فقالت : هُوَذا أموت وتستريح منى ، فأنشأ يقول :

لا متُّ قبْلِى َبل أحيا وأنتِ معًا … ولا أعيش إلى يوم تَمُوتينا
لكنْ نَعيش كما نَهوى ونأمُلُه … ويُرْغِمُ اللهُ فينا أنْفَ واشينا[2]
حتى إذا قدَّر الرحمنُ ميتتنا … وحان من أمرنا ما ليس يَعْدُونا

(١) العبدى : نسبة إلى عبد القيس الذين ينتمى إليهم أبو هفان ، وهو يصفه فى هذا الشعر بنتن الرائحة
نظر كتاب الكنايات ص ٤٠ .
(٢) فى مخطوط : شانينا .

مِتْنا جميعا كغُصْنَىْ بانةٍ ذَبُلا من بعد ما نَضُرا واستوسقا حِينا
ثمّ السَّلام علينا فى مَضاجِعِنا حتى نعود إلى ميزان مُنْشِينا

أخبرنى إبراهيم بن القاسم بن زرزر قال : قالى أبى :

كانت فضل الشاعرة تتعشّق سعيد بن حميد مدة طويلة ، ثم تعشقت بنانا وعدلت عنه ، فقال فيها قصيدته الدالية التى يقول فيها :

تنامين عن ليلى وأسهره وحدى وأنهى دموعى أن تبثك ما عندى

فلم تتعطّف عليه ، وبلغها بعد ذلك أنه قد عشق جارية من جوارى القيان ، فكتبت إليه :

يا عالِىَ السِّنِّ سيِّئَ الأدبِ شِبْتَ وأنت الغُلام فى الطَّرَبِ[١]
وَيحكَ إنّ القيان كالشَّرَك الـ منصوب بين الغُرور والعطَبِ
لا يَتَصَدَّيْنَ للفقــير ولا يَطْلُبْنَ إلاَّ معادِنَ الذَّهَبِ
بينا تَشَكّى هواك إذ عَدَلَتْ عن زفراتِ الشكوى إلى الطَّلَبِ
تَلْحَظ هذا وذا وذاك وذا لحظ محبٍّ وفعلَ مُكْتسِبِ

أخبرنى إبراهيم قال : وحدثنى أبى قال : افتصد سعيدُ بن حميد ، فسألتنى فضلُ الشاعرة وسألت عَرِيب أن نمضى إليه ، ففعلنا ، وأهدتْ إليه هدايا ، فكان منها ألفُ جَدْيٍ وحَمل وألف دجاجة فائقة ، وألف طبق ريحان وفاكهة . ومع ذلك طِيبٌ كثير وشراب وتُحَف حسان ، فكتب إليها سعيد : إن سرورى لايتم إلا بحضورك ، فجاءته فى آخر النهار ، وجلسنا نشرب ، فاستأذن غلامه لبنان ، فأذن له فدخل إلينا وهو يومئذ شابٌّ طَرِيرٌ[٢] ، حسن الوجه ، حسن الغناء ،

---

(١) فى طبقات الشعراء لابن المعتز تحقيقنا ص ٤٢٦ .

يا حسن الوجه سيء الأدب شبت وأنت الغلام فى الأدب

هذا ، وانظر اختلاف رواية بقية الأبيات فيه . . وانظر المراجع فيه فى ص ٥٠٨ .

(٢) غلام طرير : قد طلع شاربه .

نظيف الثياب، شَكِلٌ [١] فذَهب بها كل مذهب، وأقبلت عليه بحديثها ونظرِها، فتشمّزَ سعيد واستُطِير غضبا، وتبين بنان القصة فانصرف، وأقبل عليها سعيد يَعْذِلها ويؤنبها ساعة، ثم أمسك، فكتبت إليه:

يا من أطلتُ تفرّسى في وجهه وتنفُّسِي
أفديك من مُتَدَلِّلٍ يُزْهَى بقَتْلِ الأنفُسِ
هَبْنِى أساتُ وما أسأ تُ بلَى أُقِرُّ أنا المُسِي
أحْلَفْتَنِى ألاَّ أُسا رِقَ نَظرةً فى مجلسى
فنظرتُ نظرةَ مخطِىء أتْبَعْتُها بِتَفَرُّسِ
ونَسيتُ أنى قد حلَفـ تُ فما عُقُوبةُ مَنْ نَسِي

فقام سعيد فقبل رأسها وقال: لا عقوبة عليه بل نحتمل هفوته، ونتجاوز عن إساءته، وغنت عَريبُ فى هذا الشعر [رملا وغنت فيه] هزَجا فشربنا عليه بقيةَ يومنا ثم افترقنا، وأثّر بنان فى قلبها وعَلِقَت به، فلم تزل حتى واصلته وقطعت سعيدا.

ووجدتُ فى بعض الكتب عن عبد الله بن المعتز قال: قال إبراهيم بن المدبر [٢]: كانت فضل الشاعرة من أحسن خلق الله خطًّا وأفصحهم كلاما وأبلغهم فى مخاطبة وأثبتهم فى محاورة، فقلت يوما لسعيد بن حميد: أظنك يا أبا عثمان تكتب لفضل رِقاعها وتُفِيدُها وتُخرِّجها، فقدأخذتْ نَحْوَك فى الكلام وسلكَت سبيلك، فقال لى وهو يضحك: ما أحسن [٣] ظنك، ليتها تسلم منى ولآخذ كلامها ورسائلها، والله يا أخى لو أخذ أفاضل الكتاب وأماثلهم عنها لما استغنوا عن ذلك:

(١) شكل: فيه دلال وغزل.
(٢) فى المطبوع: المهدى.
(٣) فى المطبوع: ما أخيب.

صوت

كلُّ حيّ لاقِى الحِمامِ فودِى   مالِحَىٍّ مُؤَمَّلٍ من خلُودِ
لا تهابُ المَنُونُ شيئا ولا تُبْ   قِى على والدٍ ولا مَوْلُودِ

الشعر لابن مُناذِر، والغناء لُبنان ثقيل أول بالسبابة فى مجرى الوسطى من كتابه الذى جمع فيه صَنْعَته ، وفيه لِساجِى [1] جارية عبيدالله بن طاهر ثقيل أول أيضا على مذهب النَّوْح ابتداؤه نشيد .

(١) فى المطبوع: لشاج . وأثبتنا ما فى مخطوط متفقا مع نهاية الأرب ج ٥ ص ٦٦ .

أخبار ابن مناذر ونسبه

هو محمد بن مُناذر مولى بنى صُبَيْر [١] بن يَرْبوع ، ويكنى أبا جعفر ، وقيل : إنه كان يكنى أبا عبد الله ، ووجدت فى بعض الكتب رواية عن ابن حبيب : وكان يُكنى أبا ذَرِيح ، وقد كان له ابن يسمى ذَرِيحا فمات وهو صغير ، وإياه يعنى بقوله :

كأنَّكَ للمنـــايا يا ذَرِيحُ اللهُ صَوَّرَكا
فنَاطَ بوجهك الشِّعْرَى وبالإكليل قَلَّدَكا

ولعله اكتنى به قبل وفاته .

قال الجاحظ : كان محمد بن مناذر مولَى سليمان القهرمان ، وكان سليمان مولى عُبيد الله بن أبى بكرة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو بكرة عَبْدًا لِثقيف ، ثم ادَّعى عبيدُ الله بن أبى بكرة أنه ثَقَفى ، وادعى سليمان القهرمان أنه تميمى ، وادعى ابنُ مناذر أنه صلِيبيةٌ من بنى صُبَير بن يربوع ، فابن مُناذر مَوْلَى مَوْلَى مَوْلًى ، وهو دَعِىٌّ مولى دعىٍّ ، وهذا مما لم يجتمع فى غيره قط ممنْ عرفناه وبلغنا خبره .

ومحمد بن مناذر شاعر فصيح مُتَقَدِّم فى العلم باللغة ، وإمام فيها ، قد أخذ عنه أكابر أهلها ، وكان فى أول أمره يتألَّه ، ثم عدل عن ذلك فهجا الناس وتهتك وخلَع ، وقذف أعراض أهل البصرة حتى نُفِىَ عنها إلى الحجاز فمات هناك .

وهذه الأبيات يرثى بها ابنُ مناذرٍ عَبْدَ المجيد بن عبد الوهاب الثقفى ، وكان

(١) فى جمهرة أنساب العرب ص ٢١٤ : صبير بن يربوع . فى تاج العروس مادة صبر : وفى تميم صبيرة بن يربوع .

عبدُ الوهاب [١] مُحدّثا جليلا قد روَى عنهُ وجوهُ المحدّثين وكبراء الرواة ، وكان ابنُ مُناذر يهوى عبد المجيد هذا ، فكان فى أيام حياته مستورا. متألها جميلَ الأمر فلما مات عبد المجيد حالَ عن جميع ما كان عليه . وأخبارهما تذكر فى مواضعها .

أخبرنى على بن سليمان الأخفش قال : حدثنا محمد بن يزيد النحوى قال :

كان ابن مناذر مولَى صبير بن يربوع ، وكان إماما فى علم اللغة وكلام العرب ، وكان فى أول أمره ناسكا ملازما للمسجد ، كثير النوافل جميل الأمر ، إلى أن فُتن بعبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفى فتهتك بعد ستره ، وفتك بعد نُسكه ، ثم ترامى به الأمرُ بعد موت عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفى إلى أن شتم الأعراض ، وأظهر البذاء ، وقذف المُحصَنات ، ووجبت عليه حُدودٌ ، فهرب إلى مكة وبقى بها حتى مات ، وكان يجالسُ سفيان بن عُيينة فيسأله سفيان عن معانى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره بها ، ويقول له : كذا وكذا مأخوذ من كذا وكذا ، فيقول سفيان : كلام العرب بعضه يأخذ بِرقاب بعض .

قال : وأدرك المهدِىَّ ومدحه ، ومات فى أيام المأمون .

أخبرنى على بن سليمان قال : حدثنى محمد بن يزيد وغيره .

أن محمد بن مُناذر كان إذا قيل له ابن مَناذِر — بفتح الميم — يغضب ثم يقول أمَناذِرُ الصغرى أمْ مَناذر الكبرى ، وهما كُورتان من كُوَر الأهواز إنما هو مُناذر على وزن مُفاعلٍ من ناذر فهو مُناذر مثل ضارب فهو مُضارب وقاتل فهو مقاتل .

قال محمد بن يزيد : ولما عدل محمد بن مناذر عما كان عليه من النسك والتأله وعظتْه المُعتزلة فلم يتعظ ، وأوعدته بالمكروه فلم يزدجر ، ومنعوه دخول المسجد

---

(١) فى مخطوط : وكان عبد المجيد محدثا .

فنابذهم وطعن عليهم وهجاهم وكان يأخذ المِدَاد بالليل فيطرحه فى مَطاهرهم ، فإذا توضئوا به سَوَّد وجوهَهم وثيابهم . وقال فى تَوَعُّد المعتزلة إياه :

أبلِغْ لديك بنى تَميمٍ مألُكًا ... عنى وعَرِّج فى بنى يَرْبُوعِ [١]
أنى أخٌ لكمُ بدارِ مَضِيعةٍ ... يوما وغِربانٌ علىَّ وُقوعُ [٢]
يا لَلقبائِل من تميم مالكمْ ... رَوْبى ولحمُ أخيكمُ بِمَضيعِ [٣]
هُبُّوا له فلقد أُراه بنصركمْ ... يَأْوِى إلى جَبَلٍ أشَمَّ منيعِ
وإذا تحزَّبت القبائلُ كُنْتُمُ ... ثِقَتِى لكلَّ مُلِمَّةٍ وفظيعِ [٤]
إن أنتم لم تثأروا لأخيكمُ [٥] ... حتى يُبَاء بِوِتْرِهِ المتْبُوعِ
فخذوا المغازل بالأكُفَّ وأيقنوا ... ما عشتمُ بِمَذَلَّةٍ وخُضوعِ
إن كنتمُ حُدُبًا على أحسابكمْ ... سُمُعًا فقد أسمعْتُ كلَّ سميعِ
أين الصُّبَيْرِيُّون لم أرَ مثلهم ... للنَّائبات وأين رَهْطُ وكيعِ

قال : ثم استحيا من قوله أين الصبيريون ، لقلة عددهم ، فقال : أين الرِّياحِيُّون .

أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال : حدثنى الحسن بن على قال :

حدثنى مسعود بن بشر قال : قال لى ابن مناذر : ولع بى قومٌ من المعتزلة فَفَرِقْتُ منهم ، قال : وكان مولًى صُبَيْرِبن يربوع ، فقلت : بنو صُبير نفسان ونِصفٌ ، فمن أدعو منهم ؟ فقلت : ليس إلا إخوتهم بنو رِياح ، فقلت أبياتا حرضتهم فيها وحضضت بنى رياح فقلت :

(١) مألكا : رسالة .
(٢) فى البيت إقواء .
(٣) روبى : جمع روبان ، وهو الحيران الفاتر النفس من شبع أو نعاس ، أو السكران .
(٤) فى المطبوع : صلتم ٥ بفتى لكل ملمة وقطيع .
(٥) فى المطبوع : لم توتروا لأخيكم .

أين الرِّياحيُّون لم أر مثلهم في النائبات وأين رَهطُ وكيع

قال : فجاء خمسون من شيوخ بنى رياح فطردوهم عنى .

أخبرنى على بن سليمان قال : حدثنى محمد بن يزيد، قال : حدثنى الجاحظ عن مسعود بن بشر ، عن أبى عبيدة قال :

ما زادت بنو صبير بن يربوع قط على سبعة نفرٍ، كلما وُلد منهم مولود مات منهم ميت .

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدثنى يعقوب بن نعيم قال : حدثنى إسحاق بن محمد النخعى قال : حدثنى أبو عثمان المازنى قال :

كان ابن مناذر من أهل عَدَن ، وإنما صار إلى البصرة فى طلب الأدب لتوافر العلماء فيها ، فأقام فيها مدة ، ثم شُغل بعبد المجيد بن عبد الوهاب الثَّقفى فتطاول أمره إلى أن خرج عنها ، وكان مقيما بمكة ، فلما مات عبد المجيد نسك ، وقوم يقولون : إنه كان دَهْرِيًّا [١] .

وذكر أبو دعامة عن عطاء الملطّ قال :

كان ابن مناذر يَؤم بالناس فى المسجد الذى فى قبيلته ، فلما أظهر ما أظهره من الخلاعة والمجون كرهوا أن يُصلى بهم وأن يأتَمُّوا به، فقالوا شعرا ذكروا ذلك فيه وهجوه ، وألقوا الرقعة فى المِحْراب ، فلما قضى صلاته قرأها ثم قلبها وكتب فيها يقول :

نُبِّئْتُ قافيةً قيلتْ تَناشَدَها قومٌ سأترك فى أعراضهم نَدَبا

ناك الذين رووها أمَّ قائلها وناك قائلها أمَّ الذى كَتَبا

ثم رمى بها إليهم ولم يعد إلى الصلاة بهم .

أخبرنى محمد بن عمران الصيرفى قال : حدثنا الحسن بن عليل العنزى قال :

---

(١) الدهرى : من ينسب الأفعال فى الكون إلى الدهر وهو إلحاد .

حدثنا أبو الفضل بن عبدان بن أبي حرب الصّفار قال : حدثني الفضل بن موسى مولى بني هاشم قال :

دخل ابن مناذر المسجد الجامع بالبصرة ، فوقعت عينُه على غُلام مُستند ، فخرج والتمس غُلاما ورُقعة ودواةً ، فكتب إليه أبياتا مدحه بها ، وسأل الغلامَ الذى التمسه أن يُوصل الرقعةَ إلى الفتى المستند إلى السَّارِية ، فذهب بها إلى الغلام ، فلما قرأها قلبها وكتب على ظهرها يقول :

مِثْلُ امتداحِك لى بلا وَرِقٍ[1] مِثْلُ الجدار بُنِى على خُصٍّ
وألذُّ عنــدى من مديحك لى سُود النعال ولَــيِّن القُمْصِ
فإذا عزَمْتَ فَهِىَ لى وَرِقا فإذا فعلْتَ فلستُ أستعصى

فلما قرأها ابنُ مناذر قام إليه له وقال له : ويلك أأنت أبو نواس ؟ قال : نعم : فسلم عليه وتعانقا ، وكان ذلك أوّل المودة بينهما .

أخبرنى محمد بن الحسن دريد قال : حدثنى أبو حاتم قال :

اجتمع أبو العتاهية ومحمد بن مناذر ، فقال له أبو العتاهية ؛ : يا أبا عبد الله كيف أنت فى الشعر ؟ قال : أقول فى الليلة إذا سنح القولُ لى واتسعت القوافى عشرةَ أبيات إلى خمسة عشر ، فقال له أبو العتاهية : لكنى لو شئت أن أقول فى الليلة ألف بيت لقلت ، فقال ابن مناذر : أجل والله لو أردتُ أن أقول مثل قولك :

ألا يا عُتْبَــــة الساعَهْ أموت الساعَةَ الساعَهْ

لقلتُ ، ولكنى لا أُعَوّد نفسى مثل هذا الكلام الساقط ، ولا أسمح لها به . فخجل أبو العتاهية وقام يجرّ رجله .

أخبرنى به الحسن بن على قال : حدثنا ابن مهروية قال : حدثنى سهل بن محمد أبو حاتم وأحمد بن يعقوب بن المنير بن أخت أبى بكر الأصم ، قال ابنُ مهرويه : وحدثنى به يحيى بن الحسين الربيعى ، عن غسان بن المفضل[2] قال :

---

(١) الورق : الدراهم المضروبة . (٢) فى المطبوع : بن الفضل .

اجتمع أبو العتاهية وابن مناذر واجتمع الناس إليهما وقالوا : هذان شيخا الشعراءِ [١] ، فقال أبو العتاهية لابن مناذر : يا أبا عبد الله، كم تقول فى اليوم من الشعر ؟ وذكر باقى الخبر مثل المتقدم سواء .

أخبرنى أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعى قال : حدثنا العباس بن ميمون طائع قال :

سمعت الأصمعى يقول : حضرْنا مأدُبة ومعنا أبو مُحرز خلَفٌ الأحمر ، وحضرها ابنُ مناذر ، فقال لخلف الأحمر ، يا أبا مُحرز إن يكن النابغةُ وامرؤ القيس وزُهير قد ماتوا [٢] فهذه أشعارهم باقية مخلَّدة فقِسْ شعرى إلى شعرهم واحكم فيها بالحق ، فغضب خلَفٌ ثم أخذ صحْفة مملوءة مرَقا فرمى بها عليه فملأه ، فقام ابن مناذر مغضبا ، وأظنه هجاه بعد ذلك .

أخبرنى حبيب بن نصر المهلبى قال : حدثنا عمر بن شبة قال :

حدثنى خلاد الأرقط [٣] قال : لقينى ابنُ مناذر بمكة فأنشدنى قصيدته :

كلُّ حىٍّ لاقى الحمام فمُودى

ثم قال لى : أقرِئْ أبا عبيدة السلام وقل له : يقول لك ابن مناذر : اتّق الله و احكم بين شعرى وشعر عدىٍّ بن زيد ولاتقل ذلك جاهلى وهذا إسلامى ، وذاك قديم وهذا مُحدَث ، فتحكم بين العصرين ، ولكن احكم بين الشعرين ودع العَصَبية ، قال : وكان ابنُ مناذر يَنْحُو نحْو عدىّ بن زيد فى شعره ، ويميل إليه ويقدِّمه .

أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنا ابن مهرويه قال : حدثنا محمد بن عثمان الكزبرى قال : أخبرنى محمد بن الحجاج الجرادانى قال :

قلت لابن مناذر : من أشعر الناس ؟ قال : مَنْ كنْتُ فى شعْره . فقلت

---

(١) فى مخطوط : شيخا الشعر .
(٢) فى مخطوط : هلكوا .
(٣) فى المطبوع : حماد الأرقط .

له : ومن ذاك ؟ فقال : عدى بن زيد . وكان ينحو نحوه فى شعره ويقدمه ويتخذه إماما .

والأبيات التى فيها الغناء أول قصيدة لمحمد بن مناذر رثى بها عبد المجيد بن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفى ، وكان يهواه . وكان عبد المجيد هذا فيما يُقال من أحسن الناس وجها وأدبا ولباسا وأكملهم فى كل حال ، وكان على غاية المحبة لابن مناذر والمساعدة له، والشغف به . وكان يَبلُغ أباه خبرُه على جلالته وسنه وموضعه من العلم ، فلا ينكر ذلك، لأنه لم تكن تبلغه ريبة عنه ، وكان ابن مناذر حينئذ حَميد الأمر [١] حسن المروءة عفيفا .

فحدثنى الحسن بن على قال : حدثنا أحمد بن محمد حُدَّان قال : حدثنى قدامة ابن نوح قال :

قيل : لعبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفى : إن ابن مناذر قد أفسد ابنك وذكره فى شعره وشبَّب به ، فقال عبد الوهاب : أوَلا يَرْضى ابنى أن يَصحبه مثلُ ابنِ مناذر ويذكره فى شعره ؟

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدثنى على بن محمد بن سليمان النوفلى قال :

أمّ عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفى الذى كان يشبب به ابن مناذر بانةُ بنتُ أبى العاصى ، وهى مولاة جنان التى يُشبب بها أبو نواس ، قال : فحدثنى من رأى محمد بن مناذر يوم ثالثِ بانةَ هذهِ وقد خرج جواريها إلى قبرها ، فخرج معهنّ نحو الجبانة بالبصرة ، قال : فقلت له : يا أبا عبد اللهِ ، أين تريد ؟ فقال :

اليَومُ يوم الثُّلاثا ويومُ ثالثِ بانَهْ
اليوم تكثُر فيه الظِّبا ءُ فى الجَبَّانَهْ

(١) فى مخطوط : جميل الأمر .

قال أبو الحسن : ولدتْ بانةُ من عبد الوهاب بن عبد المجيد أولادَه : عبدَ المجيد وأبا العاصى وزِيادا . وزيادٌ الذى عناه أبو نواس فى قوله يشبب بجنان :

جَفْنُ عينى قد كاد يسـ قط من طول ما اختلَجْ
وفُؤادِى مِـنْ حَرِّ حُبْـ بِكِ قد كـاد أو نضج
خَبِّرينى ١ فدتْكِ نفسـ ى وأهلى متى الفَرَجْ
كان ميعادُنا خـرو جَ زيادٍ فقد خَرَجْ

قال ابن عمار : قال لى النوفلى : فى هذه الأبيات غناء حُلْو مليح ، لو سمعته لشربت عليه أربعة أرطال .

قال النوفلى : وكان لعبد الوهاب ابن يقال له محمد كانأسنَّ وَلَده ، ويقال : إنه كان يتعشق بانةَ ابنةَ أبى العاصى هذه امرأةَ أبيه ، وإن زياد بن عبد الوهاب منه ، وكان أشبه الناس به .

حدثنى ابن عمار قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنى أبى قال :

خرج ابن مناذر يوما من صلاة التراويح وهو فى المسجد بالبصرة ، وخرج عبد المجيد بن عبد الوهاب خلفه ، فلم يزل يحدثه إلى الصبح وهما قائمان ، إذا انصرف عبد المجيد شيَّعه ابنُ مناذر إلى منزله ، فإذا بلغه وانصرف ابن مناذر شيَّعه عبد المجيد ، لا يطيب أحدهما نفسا بفراق صاحبه حتى أصبحا .

فقيل لعبد الوهاب بن عبد المجيد : ابن مناذر قد أفسد ابنك ، فقال: أو ما يرضى ابنى أن يرضى بما يرضى به ابنُ مناذر ٢ :

وفى عبد المجيد يقول ابن مناذر يمدحه ، وهو من مختار ما قاله فيه ، أنشدنيها على بن سليمان الأخفش عن محمد بن يزيد من قصيدة أولها :

شيَّبَ رَيْبُ الزَّمانِ رأسى لهْفِى على ريب ذا الزمانِ

(١) فى مخطوط : حدثينى .
(٢) فى مخطوط : أوما يرضى ابنى أن يرضى ابن مناذر به .

يَقدح فى الصمِّ من شرَوْرَى ... ويُحْدِر الصمَّ من أبانِ[1]

يقول فيها يمدح عبد المجيد :

مِنّى إلى الماجد المُرَجَّى ... عبدِ المجيد الفتى الهِجانِ

خيرِ ثقيف أبا ونَفْسا ... إذا التقت حلْقتا البِطانِ

نفسى فداءٌ له وأهلى ... وكلُّ ما تملك اليدانِ

كأن شمس الضحى وبدر الدُّ ... جى عليه معلَّقانِ

نِيطا معا فوق حاجبيه ... والبدرُ والشمسُ يَضحكان[2]

مُشمِّرٌ همُّه المعالى ... ليس بِرَثٍّ ولا بِوانى

بنى له عِزَّةً ومجدًا ... فى أوّلِ الدهر بانيانِ

بانٍ تلقّاه من ثقيفٍ ... ومن ذُرا الأزد خير بانى

فناسأله مِمَّا حوت يداهُ ... يهتزُّ كالصَّارِمِ اليمانى

أخبرنى عمى قال : حدثنى عبد الله بن أبى سعد قال : حدثنى أبو توبة صالح بن محمد قال :

مرض عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفى مرضا شديدا بالبصرة ، وكان ابنُ مناذر ملازما له يُمرِّضه ويخدمه ويتولى أمره بنفسه، لا يكِله إلى أحد . فحدثنى بعض أهلهم قال : حضرتُ يوما[3] عنده وقد أُسخن له ماءٌ حارٌّ ليشربه ، واشتد به الأمر ، فجعل يقول : آه ، بصوت ضعيف ، فغمس ابنُ مناذر يده فى الماء الحارّ وجعل يتأوه مع عبد المجيد ويده تحترق حتى كادت يده تسقط ، فجذبناها وأخرجناها من الماء وقلنا له : أمجنون أنت ؟ أىّ شىء هذا ؟ أينتفع به ذاك ؟ قال : أساعده ، وهذا جَهْدٌ من مُقِلٍّ ، ثم استقلّ من علته تلك وعوفى مدة طويلة ، ثم تردّى من سطح فمات، فجزع عليه جزعا شديدا حتى كاد يَفْضُل

(١) شرورى وأبان : جبلان .

(٢) نيطا : علقا .

(٣) فى مخطوط . فحدثنى بعضهم قال حضرته عندهم يوما .

أهلَه وإخوتَه فى البكاء والعَوِيل ، وظهر منه من الجزع ما عَجِبَ الناس له ، ورثاه بعد ذلك بقصيدته المشهورة ، فرواها أهل البصرة ونِيح بها على عبد المجيد، وكن الناس يعجبون بها ويستحسنونها .

أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنا محمد بن القاسم[1] النوشجانى قال : سمعت أبى يقول :

حضرت سفيان بن عيينة يقول لابن مناذر : أنشدنى ما قلتَ فى عبد المجيد ، فأنشده قصيدته الطويلة الدالية . فقال له سفيان : بارك الله فيك ، فلقد تفرّدت بمراثى أهل العراق .

فأخبرنى عمى قال : حدثنى أبو هِفَّان قال : قال الجَمّاز .

تزوج عبد المجيد امرأة من أهله ، فأولم عليها شهرا يجتمع عنده فى كل يوم وجوهُ أهل البصرة وأُدباؤها وشعراؤها ، فصعِد ذات يوم إلى السطح فرأى طُنُبًا من أطناب الستارة قد انْحَلّ ، فأكبّ عليه ليشدّه ، فتردّى على رأسه ومات من سقطته ، فما رأيتُ مصيبةً قطُّ كانت أعظم منها ولا أنكأ للقلوب .

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدثنى الحسن بن عليل العنزى قال : حدثنى العباس بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان قال :

حدثنى محمد بن عمر الخرّاز[2] قال : قال لى ابن مناذر : ويحك لستُ[3] أرى نساء ثقيف يَنُحْنَ على عبد المجيد نِياحةً على استواء ، قلت : فما تحب ؟ قال : تخرج معى حتى أطارحك ، فطارحنى القصيدة التى يقول فيها :

إنّ عبد المجيد يوم توَلّى هدّ رُكْنًا ما كان بالمهدودِ
هدّ عبدُ المجيد ركنى وقد كنـ ـتُ بِرُكْنٍ أَبُوءُ منه شديد

(١) فى مخطوط : محمد بن محمد بن القاسم النوشجانى .
(٢) فى مخطوط : عن جعفر بن سليمان قال : حدثنى محمد بن عمرو الجان .
(٣) فى مخطوط : ألست ترى نساء ثقيف . . . على غير استواء .

قال: فما زلت حتى حفظتها ووعيتها، ووضعنا فيها لحنا ، فلما كان فى الليلة التى يناح فيها على عبد المجيد فيها ، صلينا العشاء الآخرة فى المسجد الجامع ، ثم خرجنا إلى دارهم ، وقد صعد النساء على السطح ينحن عليه ، فسكتن سكتة لهن ، فاندفعنا أنا وهو ننوح عليه ، فلما سمعننا أقبلن يلطمن ويصحن حتى كدن ينقلبن من السطح إلى أسفل ، من شدة تشرفهن علينا [1] وإعجابهن بما سمعنه منا ، وأصبح أهل المسجد ليس لهم حديث غيرنا ، وشاع الخبر بالبصرة وتحدث به الناس حتى نقل من مجلس إلى مجلس .

وأخبرنى الحسن بن على قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال : حدثنى موسى بن حماد بن [2] عبد الله القرشى قال : حدثنى محمد بن النعمان بن جبلة الباهلى قال :

لما قال ابن مناذر :

لأقيمن مأتما كنجوم الليـ ل زهرا يلطمن حر الخدود
موجعات يبكين للكبد الحـ رى عليه وللفؤاد العميد

قالت أم عبد المجيد : والله لأبرن قسمه ، فأقامت عليه مأتما وقامت مع أخوات عبد المجيد وجواريه ، وقامت تصيح عليه ، واى ، ويه ، واى ، ويه ، فيقال : إنها أول من فعل ذلك وقاله فى الإسلام .

وأخبرنى ابن عمار بهذا الخبر عن على بن محمد النوفلى عن عمه .

أخبرنى على بن سليمان الأخفش قال : حدثنا محمد بن يزيد ، عن محمد بن عامر النخعى [3] قال :

أنشدنى محمد بن مناذر لنفسه يرثى عبد المجيد بن عبد الوهاب يقول :

---

(١) تشرفهن : تطلعهن .
(٢) فى مخطوط : يونس بن حماد .
(٣) فى مخطوط : الحنفى .

يا عَينُ حُقَّ لك البكا ءُ لحادث الرُّزْءِ الجليلِ
فابْكي على عبد المجيد وأعْوِلي كلَّ العَوِيلِ
لايُبْعِدِ اللهُ الفتى الـ فيَّاضَ ذا الباعِ الطويلِ
عَجِلَ الحمام به فودَّ عنا وآذَنَ بالرَّحيلِ
لهفى على الشَّعَر المُعفَّرِ منـ ـك والخَدِّ الأسيلِ
كَسَفَتْ لفقدك شَمْسُنا والبَدْرُ آذن بالأُفولِ

حدثنى عمى قال : حدثنا الكرانى قال : حدثنى النضر بن عمرو ، عن المازنى قال : حدثنا حيان .

أن ابن مناذر دفع قصيدته الدالية إليه وقال : اعرضها على أبى عبيدة ، قال : فأتيته وهو على باب أبى عمرو بن العلاء فقرأت عليه منها خمسة أبيات فلم تعجبه وقال : دعنى من هذا فإنى قد تشاغلت بحفظ القرآن عنه وعن مثله ، قال : وكان أبو عبيدة يبغضه ويُعاديه لأنه هجاه .

أخبرنى محمد بن مزيد بن أبى الأزهر قال : حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال :

قال ابن مناذر : قلت :

يَقْدَحُ الدهرُ فى شماريخِ رضوى

ثم مكثتُ حولا لاأدرى بمَ أتممه ، فسمعت قائلا يقول : هَبُّود ، قلت : وما هَبُّود ؟ فقال لى : جُبيل [١] فى بلادنا ، فقلت :

ويحُطّ الصخورَ من هَبُّودِ

قال إسحاق وسمع أعرابى هذا البيت فقال : ما أجهل قائله بهَبُّود ، والله إنها لأُكَيْمة ما تُوَارِى الخارئ ، فكيف يَحُطُّ منها الصخور .

(١) فى مخطوط : جبل » بدون تصغير » .

حدثنى عمى قال : حدثنا الكرانى قال : حدثنى أبو حاتم قال :

سمعت أبا مالك عمرو بن كركرة يقول : أنشدنى ابن مناذر قصيدته الدالية التى يرثى بها عبد المجيد ، فلما بلغ إلى قوله :

يقدح الدهر فى شماريخ رَضْوَى   وَيَحُطُّ الصخورَ من هَبُّودِ

قلت له : هَبُّود أى شىء هو ؟ فقال : جبل ، فقلت: سَخُنَتْ عينُك ، هبود والله بئر باليمامة ماؤها مِلْح لايَشْرب منه شىءٌ خلقه الله ، وقد والله خريت فيها مرَّات ، فلما كان بعد مدة وقفت عليه فى مسجد البصرة وهو ينشدها ، فلما بلغ البيت أنشدها :

ويحط الصخور من عَبُّود

فقلت له : عبود أى شىء هو ذا ؟ فقال : جبل بالشام فلعلك يا ابن الزانية خريت عليه أيضا ، فضحكت ثم قلت : لا ، ما خريت عليه ولا رأيته ، وانصرفت عنه وأنا أضحك .

أخبرنى عمى قال : حدثنى الكرانى ، عن العمرى ، عن الهيثم بن عدى قال : كان يحيى بن زياد يُرْمى بالزندقة ، وكان من أظرف الناس وأنظفهم ، فكان يقال : أظرف من الزنديق ، وكان الحارثى واسمه محمد بن زياد يُظهر الزندقة تظارفا ، فقال فيه ابن مناذر :

يا ابن زيادٍ يا أبا جعفرٍ   أظهرْتَ دِينا غير ما تُخفِى

مُزَنْدَقَ الظاهرِ باللفظ فى[1]   باطنِ إسلامٍ فتى عَفِّ

لستَ بزنديق ولكنما   أردْتَ أن تُوسَمَ بالظَّرْفِ

وقال فيه أيضا :

(١) فى مخطوط : مزندق الظاهر باللطف .

يا أبا جعفر كأنك قد صر ت على أَجْرَدٍ طَوِيل الجِرانِ[١]
من مطايا ضوامرٍ ليس يَصْلُحْ ن إذا ما رُكِبنَ يَوْمَ رِهانِ
لم يُذَلَّلْنَ بالسُّروجِ ولا أَق رحَ أشْداقَهُنَّ جَذْبُ العِنان
قائماتٍ مُسَوَّماتٍ لدى الجسـ ر لأمثالكم من الفِتْيانِ

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعى قال : حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة ، عن ابن عائشة قال :

كان عُتْبة النحوى من أصحاب سيبويه، وكان صاحبَ نحوٍ فهما بما يشرحه ويفسره على مذاهب أصحابه ، وكان ابنُ مناذر يتعاطى ذلك ويجلس إليه قوم يأخذونه عنه ، فجلس عتبة قريبا من حَلْقته ، فتقوَّض الناس إليه وتركوا ابنَ مناذر ، فلما كان فى يوم الجمعة الأخرى قام ابن مناذر من حلقته فوقف على عتبة ثم أنشأ يقول :

قوموا بنا جميعـــا لِحلْقَةِ العَـذَارِى
يجمعن للشـــقاء مع عُتْبَةِ الخَسارِ[٢]
مالى وما لعــتبـ ـة إذ يبتغى ضرارى

قال : فقام عتبة إليه فناشده أن لايزيد ، ومنع من كان يجلس إلى ابن مناذر من حضور حلقته ، وجلس هو بعيدا من ابن مناذر بعد ذلك .

حدثنى عمى قال : حدثنا الكرانى قال : حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال :
كان لابن مناذر جارٌ يقال له ابنُ عُمير[٣] من المعتزلة ، فكان يسعى بابن مناذر إليهم ويسبه ، ويذكره بالفسق ويغريهم به ، فقال يهجوه :

---

(١) الجران من البعير : مقدم عنقه من مذبحه إلى منحره .
(٢) فى مخطوط : تجمعن للشقاء إلى عتبة الخسار .
(٣) فى مخطوط : أبو عمير .

بَنُو عُمَيرٍ مجدُهم دارُهُمْ وكل قوم فلَهم مَجْدُ
كأنَّهم فَقْعٌ بِدَوِّيَّـــةٍ وليس لهم قَبْلٌ ولابَعْدُ
بَثَّ عُميرٌ لُؤْمَهُ فيهمُ فكلُّهم من لؤْمه جُعْدُ

وأخبرنى بهذا الخبر الحسن بن على ، عن ابن مهروية عن النوفلى بمثله ، وزاد فيه : وعبد الله بن عُمير - أبو هؤلاء الذين هجاهم - أخو عبد الله بن عامر لأمه ، أمهما دجاجة بنت إسماعيل بن الصلت السلمى .

أخبرنا هاشم بن محمد قال : حدثنا الخليل بن أسد قال :

كان ابن مناذر من أحْضَرِ الناس جوابا ، قال له رجل ذات يوم: ما شانَك [1] [بفتح النون] قال : عِظَم فى أنفى .

قال : وسأله رجل يوما : ما الجرباء ؛ فأومأ بيده إلى الأرض وقال: هذه يهزأ به ، وإنما الجرباء السماء [2] .

أخبرنى أحمد بن العباس العسكرى المؤدب قال : حدثنا الحسن بن عليل العنزى قال: حدثنى جعفر بن محمد عن دماذ قال :

دار بين الخليل بن أحمد وبين ابن مناذر كلام ، فقال له الخليل : إنما أنتم معشر الشعراء تَبَعٌ لى ، وأنا سُكَّانُ السفينة ، إن قرَّظتكم ورضيتُ قولكم نَفَقتم وإلا كَسَدْتم ، فقال ابن مناذر . والله لأقولن فى الخليفة قصيدة أمتدحه بها ولا أحتاج فيها إليك عنده ولا إلى غيرك ، فقال فى الرشيد قصيدته التى أولها :

ماهيَّجَ الشَّوقَ من مُطَوَّقةٍ أوفتْ على بانةٍ تُغَنِّينا

يقول فيها :

ولو سألْنا بحسن وجهك يا هارون صَوْبَ الغمام أُسْقِينا

(١) «راد أن يسأله عن شأنه فسهل وفتح النون فرد عليه ابن مناذر متهكما وحملها على معنى الذى يشين .
(٢) الجرباء أيضا : الأرض المحلة .

قال : وأراد أن يُنْفِذ بها إلى الرشيد ، فلم يلبث أن قدم الرشيد البصرة حاجاً ليأخذ على طريق النِّباج ، وهو كان الطريق قديما ، فدخلها وعدَّل به إبراهيم الحَرَّاني ، فتحمَّل عليه ابن مناذر بعثمان بن الحكم الثقفي وأبي بكر السُّلمي حتى أوصلاه إلى الرشيد ، فأنشده إياها ، فلما بلغ إلى آخرها كان فيها بيت يفتخر فيه وهو قوله :

قَوْمي تميمٌ عند السِّماك لهمْ   مَجْدٌ وعِزٌّ فما يُنالُونا[1]

فلما أنشده هذا البيتَ تعصَّب عليه قوم من الجُلساء ، فقال له بعضهم : يا جاهل أتفخر في قصيدة مدحتَ بها أمير المؤمنين ؟ وقال آخر : هذه حماقة بَصْرِية ، فكفَّهم عنه الرشيد ووهب له عشرين ألف درهم .

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال : حدثنا محمد بن يزيد قال : حدثنا سهيل السلمي .

أن الرشيد استَسْقَى في سنة قَحْطٍ فَسُقِيَ الناسُ بذلك ، فَسُرَّ بذلك وقال : لله درّ ابنِ مناذر حيث يقول :

ولو سألْنا بحُسن وجهك يا   هارون صَوْبَ الغمام أُسقينا

وسأل عن خبره فأُخبر أنه بالحجاز ، فبعث إليه بجائزته .

وأخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال . وحدثنا الحسن بن علي قال : حدثنا نصر بن علي الجهضميّ قال : حدثني محمد ابن عباد المهلبي [2] قال :

شهد بكر بن بكّار عند عبيد الله بن الحسن بن الحصين بن الحُرّ العنزي

---

(١) في مخطوط : ينالونا .

(٢) في مخطوط : أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي عن محمد بن عمران الصير في قال : حدثنا العنزي ، قال : حدثنا نصر بن علي الجهضمي قال : حدثني محمد بن عباد المهلبي .

بشهادة ، فتبسم ثم قال له : يا بكر ، مالك ولا بن مناذر حيث يقول فيك :

أعوذ بالله من النـــارِ ومنك يا بَكْرُ بنَ بَكّار

فقال : أصلح الله القاضي ، ذاك رجل ماجن [1] خليع لايبالى ما قال : فقال له : صدقت وزاد تبسُّمه ، وقَبِل شهادته ، وقام بكر وقد تَشَوَّر [2] وخجل ، قال العنزى : فحدثنى أبو غسان دماذ قال : أنشدنى ابن مناذر هذا الشعر الذى قاله فى بَكْر بن بَكّار وهو :

أعوذ بالله من النـــارِ ومنك يا بكرُ بنَ بكّارِ
يارَجُلاً ما كان فيما مضى لِآل حِمْرَان بـــزوّارِ
ما مَنْزِلٌ أحدثْتَه رابِعا مُنْتَزِحا [3] عن عَرْصَةِ الدارِ
ما تبرحُ الدّهرَ على سوْأةٍ تطرَحُ حبّاً لِلْخشنْشار
يا معشَرَ الأحداث يا ويحكم تَعَوّذُوا بالخالق البارِى
من حرْبةٍ نِيطت على حقْوِهِ يسعى بها كالبطل الشارِى
يومَ تمنّى أنّ فى كفه أيْرَ أبَى الخضْرِ بدينارِ

قال ابن مهروية فى خبره : والخشنشار هو معاوية الزّيادى المحدث ، ويكنى أبا الخضر ، وكان جميل الوجه .

وقال العنزى فى حديثه : حدثنى إسحاق بن عبد الله الحمرانى — وقد سألته عن معنى هذا الشعر — فقال : الخشنشار غلام أمرد جميل الوجه كان فى محلّتنا ، وهذا لقبه ، وكان بكر بن بكار يتعشّقه ، فكان يجىء إلى أبى فيذاكره الحديث ويجالسه وينظر إلى الخشنشار .

قال العنزى : وحدثنى عمر بن شبة قال :

(١) فى مخطوط : شاعر خليع .
(٢) تشور : بمعنى خجل .
(٣) فى مخطوط : معتز لا عن عرصة الدار .

بلغني أن عبيد الله بن الحسن لقى ابن مناذر فقال له : ويحك ماأردت إلى بكر ابن بكار ففضحته وقلت فيه قولا لعلك لم تحققه ؟ فبدأ ابن مناذر يحلف له بيمين ما سمعت قط أغلظ منها أن الذى قاله فى بكر شىء يقوله معه كلّ من يعرف بكرا ويعرف الخشنشار ، ويُجمِع عليه ولا يخالفه فيه ، فانصرف عبيد الله مغموما بذلك قد بان فيه ، فلما بعد عنا قلت لابن مناذر : بَرِئَ اللهُ منك ، ويلك ما أكذبك ، كل من يعرف بكر بن بكار يقول فيه مثل قولك حتى حلفت بهذه اليمين ، فقال : سخنت عينُك ، فإذا كنت أعمى القلب أىّ شىء أصنع ؟ أفترانى كنت أكذّب نفسى عند القاضى ، إنما مَوَّهْت عليه وحلفت له أن كل من يعرفهما يقول مثل قولى ، وعَنَيْتُ ما ابتدأتُ به من الشعر وهو قولى :

أعوذ بالله من النارِ

أفتعرف أنت أحدا يعرفهما أو يجهلهما إلاّ يقول كما قلت : أعوذ بالله من النار ، إنما مَوَّهت على القاضى وأردت تحقيق قولى عنده .

قال مؤلف هذا الكتاب [١] : وبكر بن بكار رجل مُحدِّث قد روى عن ورقاء عن ابن أبى نُجيح تفسيرَ مجاهد ، وروى حديثا صالحا .

أخبرنى حبيب بن نصر المهلبى قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا بكر بن بكار عن عبد الله بن المحرز ، عن قتادة ، عن أنس . أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : زينوا القرآن بأصواتكم .

أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنا ابن مهروية قال : حدثنى الأحوص ابن الفضل البصرى قال : حدثنا محمد بن معاوية الزيادى ، وأبوه الخشنشار الذى يقول فيه ابن مناذر :

تطرح حبّا للخشنشار

قال :

---

(١) فى مخطوط « قال مؤلف هذا الكتاب : أبو الفرج الأصفهانى رحمه الله : وبكر . . . » .

حدثنى من لقى ابن مناذر بمكة فقال : ألا تشتاق إلى البصرة ؟ فقال له : أخبرْنى عن شمس الوزّانين أعلى حالها ؟ قال : نعم ، قال : الوثيق بن يوسف الثقفى حىّ ؟ قال : نعم ؟ قال : فغسان بن المفضل [1] الغلابى حىّ ؟ قال : نعم ، قال : لا والله لادَخَلْتُها أبداً ما بقى فيها واحد من الثلاثة .

قال : وشمس الوزانين فى طرف المِرْبد بحضرة مسجد الأنصار فى موضعٍ حيطانُه قِصارٌ لاتكاد الشمس تفارقه .

أخبرنى حبيب بن نصر المهلبى قال : حدثنا عمر بن شبة قال :

كان محمد بن عبد الوهاب الثقفى أخو عبد المجيد يعادى محمد بن مناذر بسبب ميله إلى أخيه عبد المجيد ، وكان ابن مناذر يهجوه ويسبه ويقطعه ، وكُلُّ واحد منهما يطلب لصاحبه المكروه ويسعى عليه ، فلقى محمدُ بنُ عبد الوهاب ابنَ مناذر فى مسجد البصرة ، ومعه دفتر فيه كتاب العَروض بدوائره ، ولم يكن محمدُ ابن عبد الوهاب يعرف العَروض ، فجعل يلحظ الكتاب ويقرؤه فلا يفهمه ، وابنُ مناذر متغافل عن فعله ، ثم قال له : ما فى كتابك هذا ؟ فخبأه فى كمه وقال : وأىّ شىء عليك مما فيه ؟ فتعلق به ولبَّبه . فقال له ابن مناذر : يا أبا الصَّلت اللهَ اللهَ فى دمى ، فطمع فيه وصاح : يازنديق ، فى كُمِّك الزندقة ، فاجتمع عليه الناس فأخرج الدفتر من كمه وَأراهم إياه ، فعرفوا براءته مما قذفه به ، ووثبوا على محمد ابن عبد الوهاب واستخفُّوا به ، وانصرف بخزى [2] ، وقال ابن مناذر يهجوه :

إذا أنت تعلَّقْتَ بحبل من أبى الصَّلْتِ
تعلَّقت بحبل وا هِنِ القُوّةِ مُنْبَتّ
إذا ما بلغ المجْدَ ذوو الأحساب بالمتّ ...

(١) فى المطبوع : الفضل .
(٢) فى المطبوع : فانصرفوا ووثب بخرى .

تقاصَرْتَ عن المجـد بأمرٍ رائب شَخْتِ[١]
فلا تسمو إلى المجـــد فما أصلك بالثَّبْت[٢]
ولا فرْعُك في العيدا ن عُودٌ ناضر النَّبْت[٣]
وما يُبْق لكم يا قـــو م من أَثْلتِكُم نَحْتِ
فها فاسمع قريضا من رقيقٍ حَسَنِ النَّعْتِ
يقول الحقَّ إن قال ولا يرميك بالبَهْتِ
وفى نعتٍ لِوَجْعاءٍ قد استرخت من الفتّ
فعنـدى لك يا مأبو ن مثل الجمل البُخْتى[٤]
عتُلٌّ يُعْمِلُ الكُومَ من السبت إلى السبتِ
له فَيْشلَةٌ إن أُدْ خِلَتْ واسعة الخَرْت[٥]
وإلا فاطْلِ وجعـاء ك بالخَضْخاض والزِّفْتِ[٦]
ألم يبلغْك تَسْـآلى لدى العلَّامة المَرْتِ[٧]
فقال الشـيخ سَرْجُويَـ ـهُ داء المرء من تَحْتِ[٨]
فَخُذْ من ورق الدِّفلى وخُذْ من ورق القَتِّ
وخذ من جَعْرِ كَيْسانٍ ومن أظفار نِسَّخْتِ[٩]

(١) الشخت : الدقيق الضامر ، والغبار الساطع ، والدنى . والرائب : الفاتر ، أو هو من الريبة .

(٢) فى المطبوع : فما أمرك .

(٣) فى المطبوع : النكت . ولعلها يراد بها مخها الداخل فى عيدانها .

(٤) فى المطبوع : الفالج البحت .

(٥) الخرت : ثقب الإبرة والفأس ، ويريد بذلك ثقب الذكر أو ثقب الدبر .

(٦) الخضخاض : نفط أسود رقيق تطلى به الإبل الجربى .

(٧) المرت : من لا شعر بحاجبه .

(٨) فى مخطوط : فقال الشيخ ما سرجويه .

(٩) الجعر : مايبس من العذرة فى الدبر . وكلمة نسخت كتبت فى أصول : سنخت ، وكذلك فى الشرح .

فَغَرْغِرْه به واسْعَطْ بذا فى دائـــه أُفْتى

وقال: ونِسَخْتٌ لقب أبى عبيدة ، وهو اسم من أسماء اليهود ، لُقِّب به تعريضًا بأن جده كان يهوديا ، وكان أبوعبيدة وَسِخا طويل الأظفار أبدا والشَّعَر ،وكان يغضب من هذا اللقب ،فأخبرنى الحسن بن على ،عن ابن مهروية ،عن على بن محمد النوفلى قال : لما قال ابن مناذر هذه الأبيات :

إذا أنت تعـــلقت بحبْلٍ من أبى الصَّلْتِ
تعلَّقت بحـــبل وا هن القُوَّة مُنْبَتِّ
وقال الشـــيخ سرجويـ ـهُ داءُ المرءِ من تحتِ[1]

فبلغ ذلك سَرجويه ، فجاء إلى محمد بن عبد الوهاب ، فوقف عليه فى مجلسه وعنده جماعة من أهله وإخوانه وجيرانه فسلم عليه ، وكان أعجميا لايُفصح ، ثُم قال له : بركستمن نَكفتم أن بسر مناذر كفت : داء المرء من تحت [2] ، فكاد القوم أن يفتضحوا من الضحك ، وصاح به محمد : اعزُب قبَّحك الله.فظنَّ أنه لم يقبل عُذره ، فأقبل يحلف له مجتهدا ماقال ذلك ، ومحمد يصيح به: ويلك آعزب عنى وهو فى الموت منه ، وكلما زاده من الصياح إليه زاده فى العذر واجتهد فى الأيمان ، وضحك الناس حتى غُلبوا ، وقام محمد خجلا فدخل منزله وتفرقوا.

قال أبوالحسن النوفلى : ثم مضى لذلك زمانٌ،وهجا أبو نَعامة أبا عبد الله هَريسة الكاتبَ فقال فيه :

ورَوى شـــيخُ تَميمٍ خالدٌ أنَّ هَريسَهْ
يُدْخِلُ الأصلع ذا الخُرْ جَيْنِ فى جوْف الكَنيسه

فلقى خالدُ بنُ الصباح هذا هريسةَ ، وكان يُعاديه،وأراد أن يخجله ، فحلف له

(١) فى مخطوط : وقال الشيخ ماسرجويه .

(٢) يعنى بهذا التعبير الفارسى أن القول الذى قاله ابن مناذر من أن داء المرء من تحت ونسبه إليه هو قول غير صحيح .

مجتهدا أنه لم يقل فيه ما قاله أبو نعامة ، فقال هريسة : يا بارد لم ترد أن تعتذر ، إنما أردت أن تتشبه بابن مناذر ومحمد بن عبد الوهاب ، وبأبي الشمقمق وأحمد بن المعذّل ولست من هؤلاء في شيء .

قرأت في بعض الكتب عن ابن أبي سعد قال : حدثني أبو الخطاب الحسن بن محمد .

عن محمد بن إسحاق البلْخي قال : دخلت على ابن مناذر يوما وعنده رجل ضرير جالس عن يمينه ، ورجل بصير جالس عن شماله ساكت لاينطق ، قال : فقلت له ، ما خبرك ؟ فقال :

بين أعمى وأخرس أخرس اللـــــه لسانَ الأعمى وأعمى البصيرا

قال : فوثبا فخرجا من عنده وهما يشتمانه .

ونسخت من كتاب ابن أبي الدنيا : حدثني أبو محمد التميمي قال : حدثني إبراهيم بن عبد الله .

عن الحسن بن علي قال : كنا عند باب سفيان بن عُيَيْنة وقد هرب منا ، وعنده الحسن بن عليّ التختاخ ، ورجل من الحجبَة ، ورجل من أصحاب الرشيد ، فدخل بهم وليس يأذن لنا ، فجاء ابن مناذر فقرب من الباب ثم رفع صوته فقال :

بعمرٍو وبالزُّهريّ والسلف الأولى بهمْ ثبتت رِجلاك عند المَقاوِمِ
جعلتَ طوال الدهر يوما لصالحٍ ويوما لصبَّاحٍ ويوما لحاتمِ
وللحسن التختاخ [1] يوما ودونهم خصصتَ حُسينا دون أهل المواسم
نظرتُ وطال الفكر فيك فلم أجد رحاك جرتْ إلاَّ لأخذ الدراهم

فخرج سفيان وفي يده عصا وصاح : خذوا الفاسق ، فهرب ابنُ مناذر منه ، وأذن لنا فدخلنا .

---

(١) في مخطوط : المحتاج .

أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال : حدثنى أبوبكر المؤدِّب قال :

حدثنى محمد بن قدامة قال : سمعت سفيان بن عيينة يقول لابن مناذر : يا أبا عبد الله ، ما بقى أحد أخافه غيرك،وكأنى بك قد متُّ فرثيتنى ، فلما مات سفيانُ بن عيينة قال ابن مناذر يرثيه :

راحوا بسفيانَ على نعشِهِ　　والعلمُ مكسُوَّيْنِ أكفانا
إن الذى غُودِرَ بالمُنحنى　　هدىً من الإسلام أركانا
لايُبعِدَنْكَ اللهُ من ميِّتٍ　　ورَّثْتنا عِلْما وأحزَانا

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدثنى أحمد بن سليمان بن أبى شيخ قال :

حدثنى شيخ من أهل الكوفة يقال له عوَّام قال : سمعت سفيان بن عيينة وقد تكلّم بكلام استُحسن ، فسأله محمد بن مناذر أن يمليه عليه ، فتبسم سفيان وقال له : هذا كلام سمعتك تتكلم به فاستحسنته فكتبته عنك،قال : وعلى ذلك أحب أن تمليه علىَّ ، فإنى إن روَيتُه عنك كان أنفقَ له من أن أنسبه إلى نفسى .

— قال عوام : وأنشدنى ابن عائشة لابن مناذر يرثى سفيان بن عيينة بقوله :

يجنى من الحكمة نوَّارها　　ما تشتهى الأنفسُ ألوانا
يا واحد الأُمَّةِ فى علمه　　لقيتَ من ذى العرش غُفرانا
راحوا بسفيان على نعشه　　والعلم مكسُوَّيْن أكفانا

أخبرنى على بن سليمان قال : حدثنا محمد بن يزيد ، عن محمد بن عامر الحنفى قال :

لما مات عبد المجيد بن عبد الوهاب خرج ابن مناذر إلى مكة ، وترك النسك وعاد للمجون والخلع ، وقال فى هذا المعنى شعرا كثيرا ، حتى كان إذا مدح أو فخر لم يجعل افتتاح شعره ومباديه إلاَّ المجون ، وحتى قال فى مدحه للرشيد

هل عندكم رخصة عن الحسن ال بصريّ فى العشق وابن سيرينا[1]
إنّ سفاها بذى الجلالة والشيـ بة أن لايزال مفتونا

وقال أيضا فى هذا المعنى :

ألا ياقمر المسـجـد هل عندك تنويلُ
شفانى منك إن نوّلْـ تنى شمّ وتقبيلُ
سلا كُلٌ فؤاد و فؤادى بك مشغول
لقد حُمّلت من حبِّـ يك ما لا يحمل الفيل

أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنى ابن مهروية قال : حدثنا العباس بن الفضل الربعى قال : حدثنى التوّزى قال :

قال ابن مناذر ليونس النحوى يُعَرّض به : أخبرنى عن جُبُّل أتنصرف أم لا ؟ وكان يونس من أهلها ، فقال له : قد عرفتُ ما أردتَ يا ابن الزانية . فانصرف ابنُ مناذر فأعدّ شهوداً يشهدون عليه بذلك ، وصار إليه وسأله : هل تنصرف جبُبّل ؟ وعلم يونس ما أراد فقال له : الجواب ما سمعتَه أمس .

أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنا يعقوب بن إسرائيل قال : حدثنى إسحاق ابن محمد النخعى قال : حدثنى إسحاق بن عمرو السعدى [2] قال : حدثنى الحجاج الصّواف ، وأخبرنى الحسن بن علىّ أيضا قال : حدثنى ابن مهروية قال : حدثنى إسحاق بن محمد قال : حدثنى أُمية بن أبى مروان قال :

حدثنى حجاج الصواف [3] الأعور قال : خرجت إلى مكة فكان هِجِّيراى[4]

---

(١) فى طبقات المعتز تحقيقنا ص ١٢١ :

هل عندكم رخصة عن الحسن ال بصرى تروى أو ابن سيرينا

وانظر بيتين آخرين فيه ، منهما بيت سبق .

(٢) فى ابن المعتز : العدوى .

(٣) انظر القصة فى طبقات ابن المعتز ١١٩ .

(٤) هجيراه : دأبه وشأنه .

فى الطريق ابنَ مناذر ، وكان لى إلفا وخِدْنا وصديقا ، فدخلت مكة فسألت عنه فقالوا : لايبرح المسجد ، فدخلت المسجد فالتمسته فوجدته بفناء زمزم ، وعنده أصحاب الأخبار والشعريكتبون عنه ، فسلمت وأنا أُقدّر أن يكون عنده من الشوق إلىّ مثل ماعندى ، فرفع رأسه فرد السلام ردّا ضعيفا ، ثم رجع إلى القوم يُحدّثهم ولم يَحفِل بى ، فقلت فى نفسى : أتُراه ذهبت عنه معرفتى ؟ فبينا أنا أفكر إذ طلع أبو الصلت بن عبد الوهاب الثقفى من باب بنى شيبة داخلا المسجد ، فرفع رأسه فنظر إليه ثم أقبل علىّ فقال : أتعرف هذا ؟ فقلت : نعم هذا الذى يقول فيه من قطع الله لسانه :

إذا أنت تعلقت[1] بحبل من أبى الصلت
تعلقت بحبل وا هن القُوّةِ مُنْبَتّ

قال: فتغافل عنى وأقبل عليهم ساعة ، ثم أقبل علىّ فقال : من أىّ البلاد أنت ؟ قلت : من أهل البصرة ، قال : وأين تنزل منهم ؟ قلت : بحضرة بنى عائش الصوّافين ، قال : أتعرف هناك ابنَ زانية يقال له حَجّاج الصوّاف ؟ قلت : نعم ، تركته فى عافية ينيك أم ابن زانية يقال له ابن مناذر . فضحك وقام إلىّ فعانقنى .

قال مولف هذا الكتاب — رحمه الله [2] — ولابن مناذر هجاء فى حجاج الصوّاف هذا على سبيل العبث وهو قوله :

إن ادّعاء الحجّاج فى العربِ عند ثقيف من أعجب العَجبِ
وهوابن زانٍ لألف زانيةٍ وألف عِلْجٍ مُعَلْهَجِ النَّسبِ[3]
ولو دعاه داعٍ فقال له يا ألأم الناس كلِّهمْ أَجِبِ
إذًا لقال الحجّاج لَبّيْكَ مِنْ داعٍ دعانى بالحقّ لا الكذبِ

(١) فى مخطوط : « تمسكت » وكذلك فى أول البيت الثانى .
(٢) جملة « رحمه الله » لاتوجد فى مخطوط .
(٣) معلهج النسب : المجين غير الأصيل وفى المطبوع الحسب .

ولو دعاه داع فقال له ... مَنِ المُعَلَّى فى اللؤم قال أبى
أبوه زانٍ والأُمُّ زانيةٌ ... بنتُ زُناةٍ مهتوكةُ الحُجُبِ
تقول عَجِّلْ أدْخِلْ لنائكها ... أيرَكَ فى استى إن شئتَ أوْ رَكَبى [1]
من ناكنى فيهما فأوْسَعَنى ... رَهْزًا دِراكا أعطيته سَلَبى
هَمُّ حِرِى النَّيكُ فابتغوا لِحرِى ... أيرَ حِمار أقضى به أرَبى
أُحِبّ أيرَ الحمار وابأبى ... فيشةُ أير الحمار وابأبى
إذا رأته قالت فديتك يا ... قُرَّةَ عينى ومُنْتَهى طلبى
إذا سمعتُ النَّهيق هاج حِرِى ... شَوْقا إليه وهاج لى طربى
يأخذُنى فى أسافلى وحِرِى ... مثلُ اضطرام الحريق فى الحطبِ
شكَتْ إلى نسوة فقلن لها ... وهى تنادى بالويْل والحَرَب
كُفِّى قليلا قالت وكيف وبى ... فى جوف صَدْعى كَحِكَّةِ الجربِ
أرى أيور الرجال من عَصَبٍ ... ليت أيور الرجال من خَشَبِ

خبرنى الحسن بن علىّ قال: حدثنى أحمد بن محمد الرازى أبو عبد الله قال: حدثنى أبو يحيى [2] قال: كان ابن مناذر يجلس إلى إسكاف بالبصرة، فلا يزال يهجوه بالأبيات، فيصيح من ذلك ويقول له: أنا صديقك، فاتّقِ الله وأبقِ على الصداقة، وابن مناذر يُلِحّ، فقال الإسكاف: فإنى أستعين الله عليك وأتعاطى الشعر، فلما أصبح غدا عليه ابنُ مناذر كما كان يفعل، فأخذ يعبث به ويهجوه، فقال الإسكاف:

كَثُرتْ أُبوّته وقلّ عديدُه ... ورمى القضاءُ به فراشَ مُناذِرِ
عبْدَ الصُّبَيرِ بيِّن لم تك شاعرًا ... كيف ادّعيتَ اليوم نِسبةَ شاعرِ

(١) الركب: الفرج الواسع.
(٢) فى المطبوع: أبو بحر.

فشاع هذان البيتان بالبصرة ، ورواهما أعداؤه، وجعلوا يتناشدونهما إذا رأوه، فخرج من البصرة إلى مكة وجاور بها ، فكان هذا سبب هربه من البصرة .

أخبرنى عمى قال : حدثنا الكرانى ، عن أبى حاتم قال :

قال ابن مناذر : ما مرّ بى شىء قطّ أشدّ علىّ ممامرّ بى من قول أبى العسعاس[1] فىّ :

كثُرَت أبوّتُه وقلّ عديده ورمى القضاءُ به فراشَ مُناذر

انظروا بكم صنْفٍ قد هجانى فى هذا البيت ، قبحه الله ، ثم منعنى من مكافأته أنى لم أجد له نباهة فأغُضَّها ، ولا شرفا فأهدِمَه ولا قدرا فأضَعَه .

أخبرنى عمى قال : حدثنى الكرانى قال :

حدثنى بشر بن دِحية الزّيادى أبو معاوية قال : سمعت ابن مناذر يقول : إن الشعر لَيَسْهُل علىّ حتى لو شئتُ أن لا أتكلم إلا بشعر لفعلت .

أخبرنى هاشم بن محمد الخزاعى قال : حدثنا العباس بن ميمون طائعُ قال :

حدثنى بعض أصحابنا قال : رأيت ابن مناذر بمكة وهو يتوكأ على رجل يمشى معه وينشد :

إذا ماكدت أشكوها إلى قلبى لها شَفَعا
ففرّق بيننا دهرٌ يفرّق بين ما اجتمَعا

فقلت : إن هذا لايُشبه شعرك ، فقال : إن شعرى بُدّل بعْدَك[2] .

أخبرنى عيسى بن الحسين الوراق قال : حدثنا أبو أيوب المدينى قال :

حدثنا بعض أصحابنا أن محمد بن عبدالوهاب الثقفى تزوج امرأة من ثقيف يقال لها عَمَّارة ، وكان ابن مناذر يعاديه ، فقال فى ذلك :

لما رأيت القَصْفَ والشارَهْ والبزَّ قد ضاقت به الحارَهْ

(١) فى مخطوط : من قول ابن العباس .
(٢) فى المطبوع : برد بعدك .

والآس و الريحانَ يُرمى بِهِ من فوق ذى الدّارَةِ والدارَهْ
قلتُ لمن ذا قيل أعجوبةٌ محمد زوّج عمّارَهْ
لا عمّرَ اللهُ بها رَبْعَه فإن عمّارَةَ بَدْكارَهْ[١]
ويحك فِرّى واعْصُبِى فاكِ لى[٢] فهذه أختك فرّارَهْ

قال فوالله ما لبثتْ عنده إلا مُدَيدة حتى هربت ، وكانت لها أخت قبلها متزوجة إلى بعض أهل البصرة ففركَتْه[٣] وهربت منه ، فكانوا يعجبون من موافقة فعلها قولَ ابن مناذر :

قال أبو أيوب : وحدّثت أن أبا أمية واسمه خالد — وهو الذى يقول فيه أبو نواس :

أيها المُقْبِلان من حكَمانٍ كيف خلّفتما أبا عثمانِ
وأبا أميّة المهذّب والما جد والمرتجى لريب الزمانِ

— كان خطب امرأة من ثقيف ثم من ولد عثمان بن أبى العاصى ، فرُدّ عنها وتصدّى للقاضى أن يُضمنَه مالاً من أموال اليتامى ، فلم يجبه إلى ذلك ، ولم يثق به ، فقال فيه ابن مناذر :

أبا أُميّة لا تغضب على فما جزاءُ ما كان فيما بيننا الغَضَبُ
إن كان ردّك قوم عن فتاتِهِمُ ففى كثير من الخُطّاب قد رَغبوا
قالوا عليك دُيُونٌ ما تقومُ لها فى كلّ عام بها تُستَحدَثُ الكتبُ
وقد تقحّم من خمسين غايتَها معْ أنه ذو عيال بعدما انشعبوا
وفى التى فعل القاضى فلا تجدَنْ فليس فى تلك لى ذنبٌ ولا ذنب

(١) بدكارة ، بنت زنا أو مساحقة : كلمة فارسية ، ويلاحظ أن ابن مناذر يدخل ألفاظا فارسية فى شعره . وفى مخطوط : مذكاره ، ويراد بها : من تتذكر أحبابها كثيرا .

(٢) فى مخطوط : واعصبى داك بى .

(٣) فركته : كرهته .

أردت أموال أيتام تضمّنَها وما يُضمن إلا من له نَشَبُ

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال : حدثني أحمد بن زهير قال : سمعت إبراهيم ابن المنذر الحزامي يقول :

بلغ ابنَ مناذر عن ابن دأب قولٌ قبيح ، قال : فدعاني وقال اكتب :

فمن يَبْغِ الوَصاةَ فإن عندي وَصاةً للكهول وللشباب
خذوا عن مالك وعن ابن عون ولا تَرْوُوا أحاديث ابنِ دَابِ
ترى الغاوين يتّبعون منها ملاهِيَ من أحاديثٍ كِذابِ
إذا التُمِسَتْ منافعها اضمحلّتْ كما يَرْفَضُّ رَقراقُ السحابِ

قال فرويت وافتضح بها ابن دأب. قال الحزامي : فلما قدمت العراق وجدتهم قد جعلوها : خذوا عن يونس وعن ابن عون

أخبرني عمي قال حدثنا الكراني قال : حدثنا أبو حاتم قال :

كان الرشيد قد وصل ابنَ مناذر مراتٍ بصلات سنيّة فلما مات الرشيد رثاه ابن مناذر فقال :

من كان يبكي للعلا مَلِكا وللهمم الشريفَهْ
فليبكِ هارونَ الخليف ة للخليفة والخليفهْ

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال : حدثنا أحمد بن أبي خيثمة ، عن محمد بن سلام قال :

كان محمد بن طَلَيق وسائر بني طَلَيق أصدقاء لابن مناذر ، فلما ولي المهدي الخلافةَ استقضى خالدَ بن طَلِيق وعزل عبيد الله بن الحسن بن الحسن فقال ابن مناذر يهجو خالدا مجونا وخبثا منه [1] :

أصبح الحاكم بالنّ اس من آل طليقِ

---

(١) في طبقات ابن المعتز تحقيقي ص ١٢٢ : أن خالد بن طليق كان كثير الخطأ . انظر الشعر واختلاف روايته فيه .

يدع القصد ويَهْوِى   فى بُنيَّات الطريق[1]
جالسا يحكم فى النا   س بحكم الجاثليق
يا أبا الهيثم ما كن   ت لهذا بخليق
لا ولا كنت لما حُمِّ   تَ منه بمُطيق
حَبْلُه حَبْلُ غرور   عنده غير وثيق

قال ابن سلام : فقلت لابن مناذر : ويحك إذا بلغ إخوانكَ وأصدقاءَك من آل طليق أنك هجوتهم ، ما يقولون لك ؟ وبأى شىء تعتذر إليهم ؟ فقال : لايصدقون إذا بلغهم أنى هجوتهم بذلك ، لأنهم يثقون بى .

أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدثنى الحسن بن عليل .

عن مسعود بن بشر قال : حدثنا محمد بن مناذر قال : كنت بمكة ، فاشتكيت فلم يعدنى من قريش إلاَّ بنو مخزوم وحدهم ، فقلت أمدحهم :

جاءت قريشٌ تعودنى زُمَرًا   فقد وَعَى أجرَها لها الحفَظَهْ
ولم تعدنى تَيْمٌ وإخوتُها   وزارنى الغرُّ من بنى يَقَظَهْ
لن يَبْرَحَ العزُّ منهمُ أبدا   حتى تزول الجبال من قَرَظَهْ[2]

أخبرنى الحسن عن ابن مهرويه .

عن إسحاق بن محمد النخعى قال : كنا عند ابن عائشة ، فقال لعبد الرحمن ابنه : أنشدنى مرثية ابن مناذر عبدَ المجيد ، فجعل يُنشدها فكلما أتى على بيت استحسنه ، حتى أتى على هذا البيت :

لأُقيمنَّ مأتما كنجوم الليل زُهْـ   ـرًا يخمشن حرَّ الخدود[3]

(١) بنيات الطريق : يكنى بها عن الترهات .
(٢) قرظة : لاشك موضع .
(٣) فى مخطوط : يلطمن حر الخدود :

فقال ابن عائشة : هذا كلام لـيِّين كأنه من كلام المخنثين ، فلما أتى على هذا البيت :

كنتَ لى عِصْمة وكنتَ سماءً بك تحيا أرضى ويخضرّ عودى

فقال : هذا بيتها ، ثم أنشد :

إن عبد المجيـــد يوم تولى هدَّ ركنا ما كان بالمهدودِ
ما دَرَى نعشُه ولا حاملوه ماعلى النعش من عَفاف وجُود
وأرانا كالزرع يحصدنا الده ر فمن بين قائم وحَصِيدِ

فقال ابن عائشة : أجعله زرعا يحصدنا الله ؟ فليس هذا من كلام المسلمين ألا ترى إلى قوله إنه يقول [1] :

يحكم الله ما يشاء فيمضى ليس حُكْمُ الإله بالمـــردودِ

أخبرنى محمد بن يحيى الصولى قال : حدثنى محمد بن موسى ، ولم يتجاوزه بالإسناد ، ونسخت هذا الخبر من كتاب ابن أبى مريم الحاسب . حدثنى ابن القدَّاح وعبد الله بن إبراهيم ابن قدامة الجمحى قالا :

حدثنا ابن مناذر قال : حج الرشيد بعد إيقاعه بالبرامكة ، وحج معه الفضل ابن الربيع وكنت مُضِقا مُمِلقا ، فهيأت فيه قولا أجدْتُ تنميقَه وتنوّقت [2] فيه فدخلت إليه فى يوم التّرْوِيةِ ، وإذا هو يسأل عنى ويطلبنى ، فبدرنى الفضل ابن الربيع قبل أن أتكلم فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا شاعر البرامكة ومادحهم ، وقد كان البشر ظهر لى فى وجهه لما دخلت ، فتنكّر وعبس فى وجهِى ، فقال الفضل : مرْه يا أمير المؤمنين أن ينشدك قوله فيهم :

أتانا بنو الأملاك من آل برمك

فقال لى أنشد : فأبيت فتوعدنى وأكرهنى ، فأنشدته [3] :

---

(١) كذا النص ولعله : أجعلنا زرعا يحصدنا الدهر ؟ ليس هذا من كلام المسلمين ، فقال ألا ترى إلى قوله إنه يقول :

(٢) تنوق فيه : تأنق .

(٣) انظر طبقات ابن المعتز ص ١٢٥ واختلاف الرواية ، والمراجع فيه ص ٤٧٩ .

أتانا بنو الأملاك من آل برمكٍ فياطيبَ أخبار ويا حُسنَ منظرِ
إذا وردوا بطحاءَ مكة أشرقتْ بيحيي وبالفضل بن يحيي وجعفرِ
فتظلم بغدادٌ ويجلو لنا الدُّجَى بمكة ما حجُّوا ثلاثةُ أقمرِ
فما صلحتْ إلاَّ لجود أكفُّهُمْ وأرجلُهم إلاَّ لأعواد مِنْبرِ
إذا راض يحيي الأمر ذلّت صعابه وحسبك من راعٍ له ومُدبِّرِ
ترى الناس إجلالاً له وكأنهمْ غَرانيقُ ماءٍ تحت باز مُصَرْصِرِ[1]

ثم أتبعت ذلك بأن قلت: كانوا أولياءك يا أمير المؤمنين أيام مَدَحتهم وفى طاعتك لم يلحقهم سخطك ولم تحلل بهم نقمتك ، ولم أكن فى ذلك مبتدعا ولاخَلاَ أحدٌ من نُظرائى من مدحهم ، وكانوا قوما قد أظلنى فضلهم ، وأغنانى رِفدهم ، فأثنيت بما أَوْلَوْا . فقال : يا غلام الْطُمْ وجهه ، فلُطِمْتُ والله حتى سدرت[2] وأظلم ما كان بينى وبين أهل المجلس ثم قال : اسحبوه على وجهه ، ثم قال : والله لأحرمنك ولا تركت أحدا يعطيك شيئا فى هذا العامِ . فسحبت حتى أخرجت ، وانصرفت وأنا أسوأ الناس حالا فى نفسى وحالى وما جرى علىّ ، ولا والله ماعندى مايقيم يومئذ قُوت عيالى لعيدهم ، فإذابشاب قد وقف علىّ ثم قال : أعززْ علىّ والله ياكبيرنا بما جرى عليك ، ودفع إلىّ صُرَّة . وقال : تبلّغْ بما فى هذه ، فظننتها دراهم ، فإذا هى مائة دينار . قال الصولى فى خبره : فإذا هى ثلاثمائة دينار ، فقلت له : من أنت جعلنى الله فداءك ؟ قال : أنا أخوك أبو نواس ، فاستعِن بهذه الدنانير واعذِرنى . فقبلتها وقلت : وصلك الله يا أخى وأحسن جزاءك .

أخبرنى الحسن بن على قال حدثنا ابن مهرويه قال: حدثنا يحيي بن الحسن الربيعى قال : حدثنا أبو معاوية الغلابى قال :

(١) الغرانيق : طيور مائية . ومصرصر : مصوت .

(٢) سدرت : تحيرت .

قال سفيان بن عيينة : كلمنى ابن مناذر فى أن أكلم له جعفر بن يحيى ، فكلمته له ، وقد كان ابن مناذر ترك الشعر ، فقال : إن أحبّ أن يعود إلى الشعر أعطيته خمسين ألفا ، وإن أحب أن أعطيه على القراءة أعطيته عشرة آلاف ، فذكرت ذلك له فقال لى : خذ على القراءة فإنى لا آخذ على الشعر وقد تركته .

أخبرنى عمى عن الكرانى عن الرياشى قال :

قال العُتْبى : جاءت قصيدة لايدرى من قائلها ، فقال ابن مناذر :

هذه الدهماء تجرى فيكمُ أُرْسِلَتْ عمدًا تجرّ الرَّسَنا

قال الكرانى : وحدثنى الرياشى قال :

سمعت خلف بن خليفة يقول : قال لى ابن مناذر : قال لى جعفر بن يحيى : قل فىّ وفى الرشيد شعرا تصف فيه الأُلفة بيننا فقلت :

قديُقطَعُ الرَّحِمُ القريبُ وتُكفرالـ ـنُّعمى ولاكتقاربِ القَلْبينِ

يُدْنى الهوى هذا ويدنى ذا الهوى فإذا هما نفس ترى نفْسَين

قال مؤلف هذا الكتاب : هذا أخذه من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم نقلا ، فإن ابن عيينة روى عن إبراهيم بن ميسرة عن طاوس عن ابن عباس ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إن الرحم تقطع وإن النعم تُكْفر ولن ترى مثل تقارب القلوب » .

أخبرنى هاشم بن محمد قال : حدثنا العباس بن ميمون قال :

حدثنا سليمان الشاذكونى قال : كنا عند سفيان بن عيينة فحدّث عن ابن أبى نُجيح عن مجاهد فى قوله عز وجل «قالوا سلاما » [1] قالوا سَدَادًا ، قال فقال ابن مناذر وهو يجنى : التنزيل أبين من التفسير .

(١) سورة هود الآية ٦٩ .

أخبرنى عمى قال : حدثنا الكرانى عن أبى حاتم عن العتبى .

عن أبى معاوية [١] قال : مرّ بنا أبو حيّة النميرى ونحن عند ابن مناذر ، فقال لنا : علام اجتمعتم ؟ فقلنا : هذا شاعر المِصْر، فقال له : أنشدنى ، فأنشده ابن مناذر ، فلما فرغ قال له أبو حية : ألم أقل لك أنشدنى ؟ فقالوا : فأنشدنا أنت يا أبا حية ، فأنشدهم قوله :

ألا حىّ من أجل الحبيب المغانيا لبِسْن البِلا مما لبسن اللياليا
إذا ما تقاضى المرء يوم وليلة تقاضاه شىء لا يملّ التقاضيا

فلما فرغ قال له ابن مناذر : ما أرى فى شعرك شيئا يُستحسن ، فقال له : ما فى شعرى شىء يعاب إلا استماعك إياه . فكادا يتواثبان ثم افترقا .

أخبرنى عمى قال : حدثنى الكرانى عن ابن عائشة قال :

ولى خالدُ بن طليق القضاءَ بالبصرة وعيسى بن سُليمان الإمارةَ بها ، فقال محمد بن مناذر يهجوهما بقوله :

الحمد لله على ما أرى فخالدٌ قاضٍ وعيسى أمير [٢]
لكنّ عيسى لَوْكُه ساعةٌ وَنَوْكُ هذا مَنْجنونٌ يَدُور [٣]

وقال فى شيرويه الزيادى — وشيرويه لقب واسمه أحمد — وسأله حاجة فأبى أن يقضيها إلا على أن يمدحه :

يا سمىّ النبى بالعـــربيّه وسمىّ الليوث بالفارِسيّهْ
إن غَضِبنا فأنت عبدُ ثقيفٍ أو رضينا فأنت عبدُ أُمَيّهْ

فغضب شيرويه وجعل يشتمه ، وشاع الشعر بالبصرة ، فكان بعد ذلك إذا قيل لشيرويه : ابن مناذر عليك غضبان أو عنك راض ، يشتم من يقول له ذلك .

أخبرنى الحسن بن القاسم الكوكبى قال : حدثنا ابن أبى الدنيا قال : سمعت

---

(١) فى المطبوع : عن أبى معبد . (٢) فى الأصل : خالد القاضى .
(٣) النوك : الحمق . والمنجنون : الساقية .

محمد بن قُدامة الجوهرى يقول :

سمعت سفيان بن عيينة يقول لمحمد بن مناذر. كأنك بى قد مِتُّ فرثيتَنى ، فلما مات قال ابن مناذر يرثيه :

إن الذى غودر بالمنحـــنى ... هدَّ من الإسلام أركانا
راحوا بسفيان على نعشه ... والعلم مكسُوَّين أكفانا
لا يُبعدنْكَ اللهُ من هالك ... ورَّثتنا علما وأحزانا

أخبرنا عمّى : حدثنا عبد الله بن أبى سعد قال : حدثنا عبد الله بن مروان بن معاوية الفزارى قال :

حدثنا سُفيان قال : سمعت أعرابية تقول : من يشترى منى الخزاة ؟ فقلت لها : وما الخزاة ؟ قالت : تشتريها النساء للطشَّة والخافية والإقلات ، قال عبد الله : ابن مروان ، فسألت ابن مناذر عن تفسير ذلك فقال : الطشة : وجع يصيب الصبيان فى رءوسهم كالزكام . والخافية : ما خفى من العلل المنسوبة إلى أذى الجن ، والإقلات : قلة الولدِ ، وأنشدنى ابن مناذر بعقب ذلك :

بُغاث الطير أكثرها فِراخا ... وأمُّ الصقر مقْلاتٌ نزورُ

أى قليلة الفراخ .

أخبرنى محمد بن الحسن بن دريد قال :

حدثنى أبو حاتم قال : سمعت محمد بن مناذر يقول : العذراء البتولُ وَالبتُورُ والبتَيل واحد ، وهى المنقطعة إلى ربها .

قال : وسأله - يعنى ابن مناذر - أبو هريرة الصيرفى بحضرتى فقال : كيف تقول : أمّا لا أو إمَّا لا ، فقال له مستهزئا به : أمَّا لا[1] ، ثم التفت إلىَّ فقال : أسمعت أعجب من هذه المسألة .

(١) إما لا : هى اختصار ، تقول : افعل هذا إما لا : أى إن كنت لا تفعل غيره . ولا يقال فيها بفتح الهمزة .

أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنى ابن مهرويه قال : حدثنى العباس بن الفضل الربعى قال :

حدثنا التَّوَّزى قال : سألت أبا عبيدة عن اليوم الثانى من النحر ما كانت العرب تُسميه ، قال : ليس عندى من ذلك علم ، فلقيت ابن مناذر بمكة فأخبرته بذلك ، فعجب وقال : أيسقط هذا عن مثل أبى عبيدة ، هى أربعة أيام متواليات كلُّها على الراء ، أولها يوم النحر والثانى يوم القَرّ ، والثالث يوم النَّفْر ، والرابع يوم الصَّدَر ، فحدثته يعنى أبا عبيدة . فكتبه عن ابن مناذر .

وقد روى ابن مناذر الحديث المسند ونقله عنه المحدّثون .

أخبرنى عمى قال : حدثنا الكرانى قال : حدثنا الخليل بن أسد ، عن محمد بن مسعدة الدارع أبى الجهجاه قال :

حدثنى محمد بن مناذر الشاعر قال : حدثنى سفيان الثورى ، عن الأغرّ ، عن وهب بن مُنَبِّه قال : كان يقال : الحياء من الإيمان والمِذَا — مكسور الميم مقصورا[1] — من النفاق ، فقلت : إن الناس يقولون المذاء ، فقال : هو كما أخبرتُك ، فقلت له : وما المِذَا ؟ قال : اللينُ فى أمر النساء ، ومنه دِرْعٌ ماذِىٌ وعَسَلٌ ماذِىٌّ .

أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنا ابن مهرويه قال . وحدثنى إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد قال : حدثنى حامد بن يحيى البلخى قال :

حدثنى محمد بن مناذر الشاعر قال : حدثنى يحيى بن عبد الله بن مجالد عن الشعبى ، عن مسروق بن عبد الله قال : لما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر إلى القتلى وهم مُصرَّعون قال لأبى بكر : « لو أن أبا طالب حىّ لعلِم أن أسيافنا قد أخذت بالأماثل » يعنى قول أبى طالب :

كذبتم وبيت الله إنْ جدّ ما أرى لتلتبِسَنْ أسيافُنا بالأماثِل

أخبرنى محمد بن خلف قال : حدثنى إسحاق بن محمد النخعى قال :

---

(١) فى اللسان : المذاء « بالمد » ورواه : الغيرة من الإيمان والمذاء من النفاق .

حدثنا ابن مناذر قال : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي خازم قال : قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام : ما قام لي من النساء إلا الحارِقة أسماءُ[1] . قال ابن مناذر : الحارقة : التي تجامع على جَنْب .

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزي ، عن العباس بن عبد الواحد ، عن محمد بن عمرو .

عن محمد بن مناذر عن سفيان بن عُيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن طاووس ، عن أبي هريرة قال : جاء الشيطان إلى عيسى فقال : ألستَ تزعم أنك صادق ؟ قال : بلى ، قال : فأوْفِ على هذه الشاهقة فألقِ نفسك منها . فقال : ويلك ، ألم يقل الله : يا ابن آدم لاتَبتَلني بهلاكك فإني أفعل ما أشاء .

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق ، عن حماد بن إسحاق ، عن أبيه قال :

نظر محمد بن مناذر إلى غلام حسن الوجه في مسجد البصرة ، فكتب إليه بهذه الأبيات .

وجدت في الآثار في بعض ما ... حدّثنا الأشياخُ في المسْنَد
مما روى الأعمش عن جابرٍ ... وعامرِ الشَّعْبيِّ والأسْوَدِ
وما روى شُعْبة عن عاصم ... وقاله حمّادُ عن فرْقَدِ
وصيّةٌ جاءت إلى كلّ ذي ... خدٍّ خلا من شَعَرٍ أسودِ
أن يَقْبَلوا الراغبَ في وصلهم ... فاقبلْ فإني فيك لم أزْهَدِ
نولْ فكم من جمرة ضمّها ... قلبيَ من حُبِّيك لم تَبْرُدِ

فلما قرأها الفتى ضحك . وقلب الرقعة وكتب في ظهرها : لست شاعرا فأجيبك ، ولا فاتكا فأساعدك ، وأنا أعوذ بالله من شرّك .

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال : حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال : حدثنا محمد بن عبد الله العبدي قال : حدثنا عليُّ بن المبارك الأحمر . قال :

لقي أبو العتاهية ابنَ مناذر بمكة ، فجعل يمازحه ، ثم دخل على الرشيد فقال :

(١) في اللسان مادة « حرق » ما صبر على الحارقة إلا أسماء بنت عميس .

يا أمير المؤمنين ، هذا ابن مناذر شاعر البصرة يقول قصيدة فى سنة ، وأنا أقول فى سنة مائتى قصيدة ، فقال الرشيد : أدخله إلىّ ، فأدخله إليه وقدّر أنه يضعه عنده ، فدخل فسلّم ودعا ، فقال : ما هذا الذى يحكيه عنك أبو العتاهية ؟ فقال ابن مناذر : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال : زعم أنك تقول قصيدة فى سنة ، وأنه يقول كذا وكذا قصيدة فى السنة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لو كنت أقول كما يقول :

ألا يا عتبــة الساعهْ أموت الساعةَ الساعَهْ

لقلت منه كثيرا ، ولكنى الذى أقول :

إن عبد المجيــد يوم توّلى هدّ رُكنا ما كان بالمهدودِ
ما درى نعشُه ولا حاملوه ماعلى النّعش من عَفافٍ وجودِ

فقال له الرشيد : هاتِها فأنْشِدْنيها ، فأنشده ، فقال الرشيد : ما كان ينبغى أن تكون هذه القصيدة إلاّ فى خليفة أو ولىّ عهد ، مالها عيبٌ إلاّ أنك قلتَها فى سُوقة . وأمر له بعشرة آلاف درهم ، فكاد أبو العتاهية يموت غما وأسفا .

أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنا ابن مهرويه قال :

حدثنا إبراهيم بن الجنيد قال : سألت يحيي بن معين عن محمد بن مناذر الشاعر فقال : لم يكن بثقة ولا مأمونٍ. رجل سَوْءٍ نُفِى من البصرة . ووصفه بالمجون والخلاعة ، فقلت : إنما تكتب شعره وحكاياته عن الخليل بن أحمد ، فقال : هذا نعم ، وأما الحديث فلستُ أراه موضعا له .

وأخبرنى الحسن قال : حدثنى ابن مهرويه قال :

حدثنى على بن محمد النوفلى قال : رأيت ابن مناذر فى الحج سنة ثمان وتسعين ومائة وهو قد كُفّ بصره ، تقوده جُوَيرِية حرة ، وهو واقف يشترى ماء قِربة ، فرأيته وسخ الثوب والبدن ، فلما صرنا إلى البصرة أتتنا وفاته فى تلك الأيام .

أخبرنى عيسى بن الحسين الوراق قال :

حدثنا خلاد الأرقط قال : تذاكرنا ابنَ مناذر فى حَلْقة يونس ، فقدح فيه أكثرُ أهل الحَلْقة حتى نسبوه إلى الزندقة ، فلما صرت فى السقيفة التى فى مقدم المسجد سمعت قراءة قريبة من حائط القبلة ، فدنوت ، فإذا ابن مناذر قائم يصلى ، فرجعت إلى الحلقة فقلت لأهلها : قلتم فى الرجل ما قلتم ، وها هو ذا قائم يصلى حيث لايراه إلا الله عز وجل .

أخبرنى محمد بن جعفر الصيدلانى النحوى قال : حدثنا أحمد بن القاسم البرقى قال : حدثنا أحمد بن يعقوب قال : حدثنى أحمد بن يحيى الهذلى التمّار .

عن عبد الله بن عبد الصمد الضّبّى قال : كنا يوما جلوسا فى حلقة هبيرة بن جرير[1] الضبى إذ أقبل محمد بن مناذر فى بُرْد قد كسته إياه بانةُ بنت أبى العاصى فسلم علىّ وحدى ولم يعرف منهم أحدا ، ثم قام فجلس إلى أبى خيرة فخاطبه مخاطبة خفيّة وقام[2] مغضبا ، فقال هُبيرة : من هذا ؟ فقلت : محمد بن مناذر ، فقال : إنا لله قوموا بنا ، فقام إلى أبى خيرة فقال له : ماذا قال لك ابنُ مناذر ؟ قال : سألنى عن شىء وكنت مشغولا عنه ، فقال : آه يا أبا خيرة إن العشائر تغبطنا لعلمك وما جعل الله عندك ، فنشدناك الله أن تكون لنا كما كان عرادة لبنى نُمير فإنه تعرّض لجرير فهجاه فعمهم فقال :

عَرادَةُ من بقيةِ قوم لوطٍ ألا تبًّا لما فعلوا تَبابا

أتدرى من كان عندك آنفا ؟ قال : لا ، قال : ابن مناذر ، وما تعرّض لأعراض قوم قطّ إلاّ هتكها وهتكهم ، فإذا جاءك يسألك عن شىء فأجبه ولاتَعتلّ عليه بالبول ولاتطلب منه شيئا ، وكلّ ما أردت من جهته ففى مالى ، قال : أفعل . قال : وكان أبو خيرة إذا سأله إنسان عن شىء ولم يُعطه شيئا يعتلّ بالبول ، فما شعرنا من غد إلاّ بابن مناذر وقد أقبل ، فعلمنا أنه قصد أبا خيرة ، فأتيناه ، فلما رأى جمعنا

(١) فى مخطوط : حديد .

(٢) فى المطبوع : خفيفة .

استحيا منا وسلم علينا وتبسم ، ثم قال : يا أبا خيرة ، قد قلت شعرا ، وقبيح بمثلى أن يُسأل عنه فلا يدرى ما فيه ، وإنى ذكرت فيه إنسانا فشبهته بالأنثار ، فأىّ شىء هو ؟ فاحمر وجه أبى خيرة واضطرب ، وقال : هو التيس الوثاب الذى ينزو وقضيبه رخو فلا يصل ، فقال : جزيت خيرا ، ووثب وهو يضحك ، فقمنا إليه وقلنا : قد علمنا أنك عنيت هذا الشيخ ، فإن رأيت أن تهبه لنا فافعل ، فإنه شيخنا ، قال : والله ما عنيت غيره ، وقد وهبته لكم وكرامةً ، واللهِ لايسمع منى أحد ما قلت فيه ، ولا أذكره إلاّ بخير أبدا ، وإن كان قد أساء العشرة أمس .

صوت

لازلتَ تنشرُ أعيادًا وتَطويها تمضى بها لك أيامٌ وتُمضيها[١]

ولا تقضَّت بك الدنيا ولا برِحَتْ تَطوِى لك الدهرَ أياما وتُفنيها[٢]

الشعر لأشجع السُّلمى ، والغناء لإبراهيم الموصلى ثانى ثقيل مطلق فى مجرى البنصر ، وفيه لمحمد قريص لحن من الثقيل الأول ، وهو من مشهور غنائه ومختاره .

(١) فى المطبوع : « تقضى بها لك أيام وتمضيها »
وانظر الشعر والشعراء ص ٨٦٠ ، وكتاب الأوراق أخبار الشعراء ص ٨٠ .

(٢) فى الشعر والشعراء : « موصولة لك لاتفنى وتفنيها » .

أخبار أشجع ونسبه

أخبرنى بنسبه محمد بن عمران الصيرفى والحسن بن على قالا : حدثنا الحسن بن عليل العنزى قال : حدثنى على بن المفضّل السُّلمىّ قال :

كان[١] أشجع بن عمرو السُّلمى يكنى أبا الوليد، من ولد الشَّريد بن مَطْرود السُّلمى ، تزوج أبوه امرأة من أهل اليمامة ، فشخص معها إلى بلدها، فولدت له هناك أشجع ، ونشأ باليمامة ، ثم مات أبوه ، فقدمت به أمه البصرة تطلب ميراث أبيه ، وكان له هناك مال فاتت بها ، ورُبّى أشجع ونشأ بالبصرة ، فكان من لا يعرفه يدفع نسبه ، ثم كبر وقال الشعر وأجاد وعُدّ فى الفحول ، وكان الشعر يومئذ فى ربيعة واليمن ، ولم يكن لقيس شعر معدود ، فلما نَجَم[٢] أشجعُ وقال الشعر افتخرت به قيس وأثبتت نسبه، وكان له أخوان : أحمد وحُرَيث ابنا عمرو ، وكان أحمد شاعرا ولم يكن يقارب أشجع ، ولم يكن لحريث شعر ، ثم خرج أشجع إلى الرَّقَّة والرشيدُ بها ، فنزل على بنى سُلَيم فقبلوه وأكرموه ، ومدح البرامكة ، وانقطع إلى جعفر خاصة ، وأصفاه مدحه ، فأعجب به ووصله إلى الرشيد ، ومدحه فأعجب به أيضا ، فأثرى وحسنت حاله فى أيامه وتقدم عنده .

أخبرنى محمد بن عمران قال : حدثنى العنزى قال : حدثنى صخر بن أسد السُّلمى قال : حدثنى أبى أسدُ بن جَديلة قال :

حدثنى أشجع السلمى قال : شخصت من البصرة إلى الرقة . فوجدت الرشيد

(١) النص بتمامه تقريبا فى كتاب الأوراق للصولى ، قسم أخبار الشعراء ص ٧٤ .
(٢) نجم : ظهر وطلع .

[غازيا، ونالتني خلَّة [١] فخرجت حتى لقيته منصرفا من الغزو ، وكنت قد اتصلت ببعض أهل داره ، فصاح صائح ببابه : من كان هاهنا من الشعراء فليحضر يوم الخميس ، فحضرنا سبعة وأنا ثامنهم ، وأُمِرْنا بالبكور فى يوم الجمعة فبكَّرنا ، وأُدخلنا وقُدِّم واحد واحد منا ينشد على الأسنان ، وكنت أحدث القوم سِنًّا ، وأرَثّهم حالا ، فما بلغ إلىّ حتى كادت الصلاة أن تجب ، فقُدِّمْتُ والرشيد على كرسىّ ، وأصحاب الأعمدة بين يديه سِماطان [٢] فقال لى : أنشدنى ، فخفت أن أبتدئ من أول قصيدتى بالتشبيب فتجب الصلاة ويفوتنى ما أردت ، فتركت التشبيب وأنشدته من موضع المديح فى قصيدتى التى أولها :

تذكَّر عهدَ البيضِ وهْو لها تِرْبُ ... وأيام يُصْبِى الغانياتِ ولا يَصْبُو

فابتدأت قولى فى المديح :

إلى ملكٍ يستغرق المالَ جودُه ... مكارِمُه نَثْرٌ ومعروفُه سَكْبُ
وما زالَ هارونُ الرِّضا بنُ محمد ... له من مياه النصر مَشرَبُها العذبُ
متى تبلُغِ العِيسُ المَراسِيلُ بابَه ... بنا فهناك الرُّحْبُ والمنزلُ الرَّحبُ
لقد جُمعت فيك الظنون ولم يكن ... بغيرك ظنٌّ يستريح له القلبُ
جمعت ذوى الأهواء حتى كأنهم ... على منهج بعد افتراقِهمُ رَكبُ
بَثَثْتَ على الأعداء أبناء دُرْبَةٍ [٣] ... فلم يَقهمْ منهم حُصون ولا دَرْبُ
وما زلت ترميهم بهم مُتَفَرِّدًا ... أنيساك حَزْمُ الرأىِ والصارمُ العَضْبُ
جهِدت فلم أبلغ علاك بمدحة ... وليس على من كان مجتهدا عتبُ

فضحك الرشيد وقال لى : خفت أن يحضر [٤] وقت الصلاة فينقطع المديح عليك فبدأت به وتركت التشبيب . وأمرنى بأن أنشده التشبيب ، فأنشدته إياه ، فأمر لكل واحد من الشعراء بعشرة آلاف درهم ، وأمر لى بضعفها .

(١) الخلة : الفاقة ، وفى مخطوط : ولحقتنى خلة .
(٢) سماطان : صفان .
(٣) الدربة : الجرأة فى الحرب .
(٤) فى المطبوع : أن يفوت وقت الصلاة .

أخبرنى حبيب بن نصر المهلبى قال : حدثنا عمر بن شبة قال :

حدثنى أحمد بن سيار الجرجانى [١] — وكان راوية شاعرا مدّاحا ليزيد بن مَزْيد قال : دخلت أنا وأشجع وأبو محمد التيمى وابن رزين الخزاعى على الرشيد فى قصر له بالرَّقّة ، وكان قد ضرب أعناق قوم فى تلك الساعة ، فجعلنا نتخلل الدماء حتى وصلنا إليه ، فأنشده أبو محمد التيمى قصيدة له يذكر فيها نقفور ووقعته ببلاد الروم ، فنثر عليه مثل الدرّ من جودة شعره ، وأنشده أشجع قوله :

قصر عليه تحيّةٌ وسـلامُ ... ألقت عليه جمالها الأيامُ
قَصْرٌ [٢] سقوفُ المزْن دون سقوفه ... فيه لأعلام الهُدى أعلامُ

• • •

تثنى على أيامك الأيـّـامُ ... والشاهدانِ الحلُّ والإحرامُ
وعلى عدوّك يا ابن عمّ محمد ... رصدانِ ضوءُ الصُّبحِ والإظلامُ
فإذا تنبّه رُعته وإذا غفـا ... سَلّتْ عليه سُيوفَكَ الأحلامُ

وأنشدته أنا قولى :

• زمن بأعلى الرَّقمتين قصيرُ •

حتى انتهيت إلى قولى :

لا تبعَدِ الأيامُ إذْ وَرَقُ الصِّبَا ... خَضِلٌ وإذ غَضٌّ الشباب نَضِيرُ [٣]

فاستحسن هذا البيت ، ومضيت فى القصيدة حتى أتممتها ، فوجّه إلىّ الفضلُ بن الربيع : أنفِذْ إلىّ قصيدتك فإنى أريد أن أنشدها الجوارى . من استحسانه إياها .

قال : وركب الرشيد يوما قُبَّةً وسعيدُ بن سالم [٤] معه فى القبة ، فقال : أين

---

(١) النص تقريبا فى كتاب الأوراق ص ٧٦ . (٢) فى الأصل : قصرت .

(٣) فى كتاب الأوراق :

. . . . لم يثنه للحادثات غرير
لا تبعد الأيام إذ زمن الصبا ... غض وإذ غصن الشباب نضير

هذا ، والخضل : الندى المبتل .

(٤) فى مخطوط : سلم ، وكذلك فيما يأتى . أما فى المطبوع : فهو سالم ، وأثبتنا ما اتفق مع كتاب الأوراق ص ٢١٠ ، ٢٢٥ ، ٢٣٥ .

محمد البيذق ؟ وكان رجلا حسن الصوتِ ينشد الشعر فيُطرب بحسن صوته أشد من إطراب الغناء ، فحضر، فقال : أنشدنى قصيدة الجرجانى ، فأنشده ، فقال : الشعر فى ربيعة سائر اليوم ، فقال له سعيد بن سالم : يا أمير المؤمنين استنشده قصيدة أشجع بن عمرو، فأبى ، فلم يزل به حتى أجاب إلى استماعها ، فلما أنشده هذين البيتين :

وعلى عدوك يا ابن عم محمد رصدان ضَوء الصبح والإظلامُ

والذى بعده ، قال له سعيد بن سالم : والله يا أمير المومنين لوخرس بعد هذين لكان أشعر الناس .

أخبرنى الحسن بن على الخفاف قال : حدثنى محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثنى أبى قال :

بلغنى أن أشجع لما أنشد الرشيد هذين البيتين :

• وعلى عدوكَ يا ابن عم محمد •

والذى بعده[٢] طرب الرشيد، وكان متكئا فاستوى جالسا وقال : أحسن والله ، هكذا تمدح الملوك .

أخبرنى أحمد بن العباس [١] العسكرى والحسن بن على قالا :

[حدثنا العنزى قال : حدثنى] أحمد بن سعيد بن سالم الباهلى [٢] عن أبيه قال :

كنت عند الرشيد فدخل إليه أشجع ومنصور النَّمرىّ ، فأنشده أشجع قوله :

[قصر عليه تحية وسلام

فجعلت أتعصب له بالقيسية وأرفع منه حتى انتهى إلى قوله] :

وعلى عدوك يا ابن عم محمد رصدانِ ضوء الصُّبح والإظلام

فإذا تنبه رُعته وإذا غفــا سلَّت عليه سيوفَك الأحلام

(١) فى المطبوع : احمد بن إسحاق العسكرى .

(٢) انظر كتاب الأوراق ص ٧٦ .

فاستحسن ذلك الرشيد ، وأومأت إلى أشجع أن يقطع الشعر ، وعلمت أنه لايأتى بمثلهما ، فلم يفعل ، ولما أنشده ما بعدهما فتر الرشيد ، وضرب بمخصرة كانت بيده الأرض ، واستنشد منصوراً النمرى فأنشده قوله :

ما تنقضى حسرة منى ولا جَزَعُ إذا ذكرتُ شبابا ليس يُرتجعُ

فمرّ والله فى قصيدة قلّ ماتقول العرب مثلها ، فجعل الرشيد يضرب بمخصرته الأرض ويقول : الشعر فى ربيعة سائر اليوم ، فلما خرجنا قلت لأشجع . غمزتك أن تقطع فلم تفعل ويلك ، ولم تأت بشىء ، فهلاّ مِتَّ بعد البيتين أو خرستَ فكنت تكون أشعر الناس ؟

أخبرنى حبيب بن نصر المهلبى قال : حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال : حدثنى موسى بن عيسى قال :

اشترى جعفر بن يحيى المِرْغاب [1] من آل الرشيد [2] بعشرين ألف ألف درهم وردّه على أصحابه ، فقال أشجع السلمى يمدحه بذلك ويقول :

ردَّ السِّباخَ نَدَى يديه وأهلُها منها بمنزلة السِّماكِ الأعزلِ [3]
قد أيقنوا بذهابها وهلاكِهمْ والدهرُ يُوعدهم بيوم أعْصَل [4]
فافتكَّها لهمُ وهم من دهرهم بين الجِرانِ وبين حدّ الكَلْكَل
ماكان يُرجَى غيرُه لفكاكها برجى الكريمُ لكل خطبٍ معضِل

أخبرنى الحسن بن على الخفاف قال : حدثنى أحمد بن محمد حدان [5] عن قدامة ابن نوح قال :

(١) المرغاب : ضيعة .
(٢) فى مخطوط : من الرشيد .
(٣) السماك الأعزل : نجم .
(٤) الأعصل : الشديد .
(٥) فى المطبوع : حران .

جلس جعفر بن يحيى بالصالحية يشرب على مستشرف له ، فجاءه أعرابى من بنى هلال ، فاشتكى واستماح بلفظ لطيف فصيح وكلام مثله [١] يعطف المسئول ، فقال له جعفر بن يحيى : أتقول الشعر ياهلالى ؟ فقال : قد كنت أقوله وأنا حدث أتملح به ، ثم تركته لما صرت شيخا ، قال فأنشدنا لشاعركم حميد بن ثور ، فأنشده قوله :

لمن الديارُ بجانب الحُمْسِ [٢] كمحطّ ذى الحاجاتِ بالنفْسِ

حتى أتى على آخرها ، فاندفع أشجع فأنشده مديحا له فيه قاله لوقته على وزنها وقافيتها فقال :

ذهبت مكارم جعفر وفعاله فى الناس مثل مذاهب الشمْسِ
ملك تسوس له المعالىَ نفسُه والعقلُ خيرُ سياسةِ النفْسِ
فإذا تراءته الملوكُ تراجعوا جهْرَ الكلام بمنطقٍ همسِ
ساد البرامكَ جعفرٌ وهمُ الألى بعد الخلائف سادةُ الإنْسِ
ما ضرَّ من قصد ابنَ يحيى راغبا بالسعد حلَّ به أو النَّحْسِ

فقال له جعفر : صف موضعنا هذا ، فقال :

قصورُ الصالحيَّة كالعذارَى لبسن ثيابهن ليوم عُرْسِ
مُطِلاّتٌ على بَطْنٍ كَسَتْه أيادى الماء وشْيا نَسْجَ غَرْسِ [٣]
إذا ما الطل أثّر فى ثراه تنفَّس نَوْرُه من غير نَفْسِ
فتغبقُه السماءُ بصِبْغ وَرْسٍ وتصبحه بكاسٍ عَيْنُ شمْسِ [٤]

فقال جعفر للأعرابى : كيف ترى صاحبنا ياهلالى ؟ فقال : أرى خاطره طوع

(١) فى المطبوع : واستماح بكلام فصيح ولفظ مثله . هذا ، وانظر كتاب الأوراق ص ٧٧ .
(٢) الحمس : الأماكن الصلبة .
(٣) فى كتاب الأوراق : نسجا وشى غرس .
(٤) فى كتاب الأوراق : « وتصبحه كئوس غير شمس » . وفى المطبوع : بأكؤس عين شمس .

لسانه ، وبيانَ الناس تحت بيانه ، وقد جعلتُ له ما تصلني به ، قال : بل نُقرُك يا أعرابي ونرضيه . وأمر للأعرابي بمائة دينار ، ولأشجع بمائتين .

أخبرني عمى قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدثني أبو د عامة قال : حدثني أشجع السلمى قال : كنت ذات يوم فى مجلس بعض إخوانى أتحدث وأنشد : إذ دخل عليهم أنس بن أبي شيخ النصرى[1] صاحب جعفر بن يحيى ، فقام له جميع القوم غيرى ، ولم أعرفه فأقوم له ، فنظر إلىَّ وقال : من هذا الرجل ؟ قالوا : أشجع السلمى الشاعر . قال : أنشدنى بعض قولك ، فأنشدته فقال : إنك لشاعر ٭فما يمنعك من جعفر بن يحيى ؟ [فقلت : ومن لى بجعفر بن يحيى ؟] فقال : أنا، فقل أبياتا ولا تطل فإنه يملُّ الإطالة . فقلت : لستُ بصاحب إطالة ، فقلت أبياتا على نحو ما رسم لى ، وصرت إلى أنس فقال : تقدَّمْنى إلى الباب ، فتقدمت فلم يلبث أن جاء فدخل، وخرج أبو رُمح[2] الهمذانى حاجب جعفر بن يحيى ، فقال : أشجع ، فقمت فقال : ادخل ، فدخلت فاستنشدنى فأنشدته أقول :

وترى الملوك إذا رأيتَهم[3] كلٌّ بعيدُ الصَّوْتِ والجَرْسِ
فإذا بدا لهم ابن يحيى جعفرٌ رجعوا الكلام بمنطق هَمْسِ
ذهبت مكارم جعفر وفعاله فى الناس مثل مذاهب الشمسِ

قال : فأمر لى بعشرة آلاف درهم . قال: وكان أشجع يحب الثياب ، وكان يكترى الخلعة كل يوم بدرهمين فيلبسها أياما ، ثم يكترى غيرها فيفعل بها مثل ذلك ، قال : فابتعت أثوابا كثيرة بباب الكَرْخ فكسوت عيالى وعيال إخوتى حتى أنفقتها ثم لقيت المُبارك مؤدّب الفضل بن يحيى بعد أيام ، فقال لى : أنشدنى ما قلته فى جعفر ، فأنشدته فقال : ما يمنعك من الفضل ؟ فقلت : ومن لى بالفضل ؟ فقال : أنا لك به ، فأدخلنى عليه فأنشدته :

(١) فى مخطوط : البصرى .
(٢) فى المطبوع : أبو زنج الهمذانى صاحب جعفر .
(٣) كذا ، وبدون تصريع .

وما قدَّم الفضلَ بنَ يحيي مكانُه   على غيره بل قدمته المكارِمُ
لقد أرهب الأعداءَ حتى كأنما   على كلِّ ثغر بالمنية قائم

فقال لى : كم أعطاك جعفر؟ فقلت : عشرة آلاف درهم، فقال: أعطوه عشرين ألفا.

أخبرنى على بن صالح قال : حدثنى أحمد بن أبى فنن قال : حدثنى داود ابن مهلهل قال :

لما خرج جعفر بن يحيي ليصلح أمر الشام نزل فى مضربه ، وأمر بإطعام الناس ، فقام أشجع فأنشده قوله :

فئتان باغيــة وطاغيةٌ   جلَّتْ أمورهما عن الخَطْبِ
قد جاءكم بالخيل شازِبةً   ينقلن نحوكمُ رَحَى الحَرْبِ[1]
لم يبقَ إلاَّ أن تدور بكم   قد قام هاديها على القُطْبِ[2]

قال : فأمر له بصلة ليست بالسنية وقال له : دائم القليلِ خيرٌ من مُنقطع الكثير، فقال له : ونزر الوزير أكثر من جزيل غيره ، فأمر له بمثلها .

قال : وكان جعفر بن يحيي يجرى عليه فى كلِّ جمعة مائة دينار مدة مقامه ببابه .

أخبرنى محمد بن جعفر النحوى صهر المبرِّد قال : حدثنى الفضل بن محمد اليزيدى قال :

حدثنا إسحاق الموصلى قال : دخلت إلى الرشيد يوما وهو يخاطب جعفر بن يحيي بشىء لم أسمع ابتداءه وقد علا صوته ، فلما رآنى مقبلا قال لجعفر بن يحيي : أترضى بإسحاق ؟ قال جعفر: والله ما فى علمه مطعن إن أنصف، فقال لى: أى شىء تروى للشعراء المحدَثين فى الخمر ، أنشدنى من أفضل ما عندك وأشدِّه

---

(١) شازبة : ضامرة .
(٢) الهادى هنا معناه : العصا التى تدور فى قطب الرحى .

تقدُّما، فعلمت أنهما كانا يتماريان فى تقديم أبى نواس فعدلت عنه إلى غيره لئلا أخالف أحدهما فقلت : لقد أحسن أشجع فى قوله [١] :

ولقد طعنتُ الليلَ فى أعجازه بالكاس بين غطارفٍ كالأنجمِ
يتمايلون على النعيم كأنهم قُضُبٌ من الهندىِّ لم تتثلَّمِ
وسعى بها الظبى الغرير يزيدها طيبا ويَغْشِمها إذا لم تغْشِمِ [٢]
والليلُ مُنتقِبٌ بفضل ردائه قد كاد يحسرعن أغرَّ أرثمِ [٣]
فإذا أدارتها الأكفُّ رأيتها تَثْنِى الفصيحَ إلى لسان الأعجم
وعلى بنانِ مُديرِها عِقْيانُه من سَكْبها وعلى فضُول المعصمِ
تَغْلِى إذا ماالشِّعْرَيانِ تلظَّيا صيفا وتَسْكن فى طلوع المِرْزَمِ [٤]
ولقد فضضناها بخاتم ربها بِكْرا وليس البِكرمثلَ الأيِّمِ
ولها سكون فى الإناء وخلفها شَغَبٌ يُطوِّح بالكمِىِّ المُعْلِمِ [٥]
تُعْطى على الظلم الفتى بقيادها قَسْرًا وتظلمه إذا لم يَظْلِمِ

فقال لى الرشيد : قد علمتُ تعصبك على أبى نواس ، وإنك غفلت [٦] عنه متعمدًا ولقد أحسن أشجع ولكنه لايقول أبدا مثل قول أبى نواس :

يا شقيقَ النفس من حكم نمتَ عنْ ليلِى ولم أنمِ

فقلت له : ما علمتُ ماكنتَ فيه يا أمير المؤمنين ، وإنما أنشدت ما حضرنى ، فقال : حسبُك قد سمعتَ الجواب .

قال الفضل : وكان فى إسحاق تعصّب على أبى نواس لشىء جرى بينهما .

---

(١) انظر كتاب الأوراق ص ٨٤ .
(٢) يغشمها : يظلمها .
(٣) الأرثم : الذى فى طرف أنفه بياض .
(٤) الشعريان والمرزم : نجوم .
(٥) الكمى المعلم : الشجاع الذى وسم نفسه بسيما الحرب .
(٦) فى المطبوع : قد عرفت تعصبك على أبى نواس ، وإنك عدلت .

أخبرنى محمد بن مزيد قال : حدثنى حماد بن إسحاق عن أبيه :

اصطبح الواثق فى يوم مطير واتصل شربه وشربنا معه حتّى سقطنا لجنوبنا صرعى ، وهو معنا على حالنا ، فما حُرِّكَ[1] أحدٌ منا عن مضجعه وخدمُ الخاصَّة يطوفون علينا ويتفقدوننا ، وبذلك أمرهم وقال : لا تحركوا أحدا عن موضعه ، فكان هو أول من أفاق منا ، فقام وأمر بإنباهنا فأُنبهنا ، فقمنا فتوضّأنا وأصلحنا من شأننا وجئت إليه وهو جالس وفى يده كأس ، وهو يروم شربها والخُمار يمنعه ، فقال لى : يا إسحاق أنشدنى فى هذا المعنى شيئا ، فأنشدته قول أشجع السلمى :

ولقد طعنت الليل فى أعجازه بالكأس بين غطارف كالأنجم
يتمايلون على النعيم كأنهم قُضُبٌ من الهندى لم تتثلَّمِ
وسعى بها الظبى الغَرِير يزيدها طيبا ويَغْشِمها إذا لم تَغْشِمِ
والليل مُنْتَقِبٌ بفضل ردائه قد كاد يحسر عن أغرَّ أرْثَمِ
وإذا أدارتْها الأكفُّ رأيتها تثنى الفصيح إلى لسان الأعجمِ
وعلى بنان مُديرها عِقْيانُه من لونها وعلى فُضول المِعْصمِ
تَغلى إذا ماالشِّعرَيان تَلَظّيا صيفا وتسكن فى طلوع المِرْزَمِ
ولقد فضضناها بخاتم ربِّها بِكْرًا وليس البكرُ مثل الأيِّمِ
ولها سكونٌ فى الإناء وخلفها شَغَبٌ يُطَوِّح بالكمىِّ المُعْلَمِ
تعْطِى على الظُّلْمِ الفتى بقيادها قَسْرًا وتظلمه إذا لم يَظْلِمِ

فطرب وقال : أحسن والله أشجع وأحسنت يا أبا محمد ، أعدْ بحياتى ، فأعدتها وشرب كأسه ، وأمر لى بألف دينار .

أخبرنى جعفر بن قدامة قال : حدثنا أبو هفان قال :

ذكر أبو دعامة أن أشجع دخل على الفضل بن الربيع وقد توفى ابنه العباس :

(١) فى مخطوط : فما حول .

والناس يُعزونه ، فعزاه فأحسن ، ثم استأذنه فى إنشاد مرثية قالها فيه فأذن له فأنشده :

لا تبكينّ بعين غيرِ جائدةٍ وكلُّ ذى حزَنٍ يبكى كما يجدُ
أىّ امرئٍ كان عباسٌ لنائبة إذا تقنّع دون الوالد الولَدُ
لم يُدنِه طمعٌ من دارِ مُخزيَةٍ ولم يَعزّ له من نِعمَة بلَدُ
قد كنتُ ذا جلد فى كلّ نائبة فبان منى عليك الصبر والجلَدُ
لما تسامت بك الآمال وابتهجتْ بك المروءة واعتدّت بك العُدَدُ
ولم يكن لفتى فى نفسه أملٌ إلاّ إليك به من أرضه يَفِدُ
وحين جئت أمام السابقين ولم يبلل عِذارَك ميْدانٌ ولا أمَدُ
وافاك يوم على تكْراء مشتملٌ لم ينجُ من مثله عادٌ ولا لُبَدُ
فما تكشّف إلا عن مولولةٍ حرّى ومكتئب أحشاؤه تَقِدُ

قال : فبكى الفضل وبكى الناس معه ، وما انصرفوا يومئذ يتذاكرون غير أبيات أشجع .

أخبرنى الحرمى بن أبى العلاء قال : حدثنا الحسن بن محمد بن طالب الديناري قال : حدثنى على بن الجهم قال :

دخل أشجع على الرشيد وقد مات ابن له والناس يعزونه ، فأنشده قوله :

نَقْصٌ مِن الّدين ومن أهله نقصُ المنايا من بنى هاشمِ
قدّمتَه — فاصبر على فقده — إلى أبيه وأبى القاسمِ

فقال الرشيد : ما عزّانى اليوم أحدٌ أحسن من تعزية أشجع ، وأمر له بصلة .

أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنا العنزى قال : حدثنى عبدالرحمن بن النعمان السلمى قال :

كنا بباب جعفر بن يحيي وهو عليل ، فقال لنا الحاجب : إنه لا إذن عليه ، فكتب إليه أشجع :

لما اشتكى جعفرُ بن يحيي فارقنى النومُ والقَرارُ
ومرَّ عيشى علىَّ حتى كأنما طعمه المُرارُ
خوفا على جعفر بن يحيي لاحُقِّقَ الخوْفُ والحِذارُ
إنْ يُعْفِهِ الله لا أُحاذِرْ ما أحدث الليلُ والنهارُ

قال : فأوصل الحاجب رقعته ، ثم خرج فأمره بالوصول وحده ، وانصرف سائر الناس .

أخبرنى الحسن قال : حدثنا العنزىُّ قال : حدثنى محمد بن الحسن ، عن عمر ابن على :

أن أشجع السلمى كتب إلى الرشيد وقد أبطأ عنه شىءٌ أمر له به :

أبلغْ أميرالمؤمنين رسالة لها عَنَقٌ بين الرُّواة فَسيحُ[1]
بأنّ لسان الشعريُنْطِقه الندى ويُخرسه الإبطاء وهو فَصيحُ

فضحك الرشيد وقال له : لن يَخْرَس لسانُ شعرك . وأمر بتعجيل صلته .

أخبرنى الحسن ومحمد بن يحيي الصولى قالا : حدثنا العنزى قال :

حدثنا أحمد بن محمد بن منصور بن زياد — وكان يُقال لأبيه فتى العسكر — قال :أقبل أشجع إلى باب أبى فرأى ازدحام الناس عليه فقال :

على باب ابن منصورِ علاماتٌ من البَذْلِ
جماعات وحسب البا ب نُبْلاً كثْرةُ الأهلِ[2]

فبلغ أبى بيتاه هذان ، فقال : هما والله أحب مدائحه إلىّ .

أخبرنى عمى والحسن بن على قالا : حدثنا الفضل بن محمد اليزيدى قال : حدثنا إسحاق بن إبراهيم الموصلى[3] قال :

---

(١) العنق : السير السريع .

(٢) فى مخطوط . وحسب الدار نبلا .

(٣) انظر كتاب الأوراق للصولى ص ٨٢ ، ص ١٠٢ .

لما ولى الرشيدُ جعفرَ بنَ يحيي خراسانَ جلس للناس ، فدخلوا عليه يهنئونه ، ثم دخل الشعراء فأنشدوه ، فقام أشجع آخرَهم فاستأذن فى الإنشاد فأذن له ، فأنشده قوله :

أتصبِرُ للبين أم تجزَعُ ... فإن الديار غداً بلَلْقَعْ
غدا يتفرّق أهلُ الهوى ... ويكثر باكٍ ومُسترجِعُ

حتى انتهى إلى قوله :

ودَوِّيّةٍ بين أقطارها ... مقاطيع أرضين لاتُقْطَعُ
تجاوزتها فوق عَيْرانةٍ ... من الريح فى سيرها أسرع[1]
إلى جعفر نزعت رغبةٌ ... وأى فتى نحوه تنزِعُ
فما دونه لامرئ مطمع ... ولا لامرئ غيره مَقْنَعُ
ولايرفع الناسُ من حطَّه ... ولايضعون الذى يرفعُ
يريد الملوكُ مدى جعفرٍ ... ولا يصنعون كما يصنعُ
وليس بأوسعهمْ فى الغنى ... ولكنّ معروفه أوسَعُ
تلوذ الملوك بأبوابه ... إذا نالها الحدَث الأفظعُ
بديهته مثلُ تدْبيره ... متى رمْته فهو مُسْتَجْمِعُ
فكم قائل إذ رأى ثروتى ... وما فى فضول الغنى أصنعُ
غداً فى ظلال ندَى جعفر ... يَجُرُّ ثياب الغنى أشجعُ
فقل لخراسان تحيا فقد ... أتاها ابن يحيى الفتى الأروع

فأقبل عليه جعفر بن يحيي ضاحكا ، واستحسن شعره ، وجعل يخاطبه مخاطبة الأخ أخاه ، ثم أمر له بألف دينار ، قال : ثم بدا للرشيد فى ذلك التدبير فعزل جعفرا

(١) العيرانة : الناقة النشيطة ، ويصفها بأنها أسرع من الريح فى سيرها .

عن خراسان بعد أن أعطاه العهد والكتب وعقد له العقد ، وأمر ونهى ، فوجم لذلك ، فدخل عليه أشجع فأنشده يقول :

أمست خراسانُ تُعَزَّى بما　　　أخطأها من جعفرِ المُرْتجَى
كان الرشيدُ المُعْتَلى أمرُه　　　ولّى عليه المُشْرِقَ الأبلَجا
ثم أراه رأيُه أنـــــه　　　أمسى إليه منهمُ أحْوجا
فكم به الرحمنُ من كُرْبة　　　فى مُدَّةٍ تقصُر قد فرَّجا

فضحك جعفر ثم قال : لقد هوّنت علىّ العزل ، وقمت لأمير المومنين بالعذر ، فسَلْنى ما شئت ، فقال : قد كفانى جودك ذلة السؤال ، فأمر له بألف دينار آخر .

أخبرنى عمى قال : حدثنا عبد الله بن أبى سعد ، عن أبى دعامة .

عن أشجع قال : دخلت على محمد الأمين حين أُجلس مجلس الأدب للتعليم ، وهو ابن أربع سنين ، وكان يجلس فيه ساعة ثم يقوم فأنشدته :

ملك أبوه وأُمُّه من نَبْعَةٍ　　　منها سراجُ الأُمَّةِ الوهّاجُ
شربت بمكة فى رُبا بطحائها　　　ماءَ النّبوّةِ ليس فيه مِزاجُ

يعنى النبعةَ. قال : فأمرت له زبيدة بمائة ألف درهم . قال : ولم يملك الخلافة أحد أبوه وأمه من بنى هاشم إلا أمير المومنين علىّ بن أبى طالب صلوات الله عليه ومحمد ابن زبيدة .

أخبرنى الحسن بن على ومحمد بن يحيى الصولى قالا : حدثنا الحسن بن عليل العنزى ، قال : حدثنا المهزّمى قال :

لما ولى إبراهيم بن عثمان بن نُهيك الشّرطة دخل عليه أشجع فأنشده قوله فيه :

لمن المنازلُ مثلُ ظهر الأرقم　　　قَدمتْ وعهد أنيسها لم يَقدُمِ

فتكت بها سنتان تَعْتَوِرَانها بالمُعْصِفات وكلّ أسحم مُرْزِمِ [١]
دِمَنٌ إذا استثبتَّ عينكَ عهدَها كرَّت إليك بنظرةِ المتوهِّمِ
ولقد طعنت الليل فى أعجازه بالكأس بين غطارف كالأنجمِ
يتمايلون على النعيم كأنهم قُضُبٌ من الهِنْدِيِّ لم تتثلَّمِ
والليل مشتملٌ بفضل رِدائه قد كاد يحسر عن أغرَّ أرْثَمِ
لبنى نُهَيك طاعةٌ لو أنها زُحِمَت بِهَضْبِ مُتالع لم تُكْلَمِ
قوم إذا غمزوا قناةَ عدوّهمْ حَطَموا جوانبها بِبأْسٍ مُحْطِمِ
فى سيف إبراهيم خوفٌ واقعٌ لذوِى النِّفاق وفيه أمْنُ المُسلِمِ
ويَبيت يكلأ والعيون هَواجعٌ مالَ المُضِيع ومُهجة المستسلِمِ [٢]
ليـــل يواصله بضوء نهاره يقظان لَيسَ يذوق نَوْمَ النُّوَّمِ
شد الحِطام بأنف كلِّ مُخالِفٍ حتى استقام له الذى لم يُخْطَمِ
لايُصْلِحُ السُّلطانَ إلاّ شدّةٌ تَغْشى البرىء بفضل ذنب المجرِمِ
منعت مهابتُك النفوس حدَيثها بالشىء تكرهه وإن لم تَعْلَمِ
ونهجْتَ فى سُبُلِ السياسة مسلكا ففهمت مذهَبَها الذى لم يُفْهَمِ

فوصله وحمله وخلع عليه .

أخبرنى محمد بن يحيى الصولى قال : حدثنا الغلابى قال : حدثنا مهدى بن سابق قال :

أعطى جعفر بن يحيى مروان بن أبى حفصة — وقد مدحه — ثلاثين ألف درهم ، وأعطى أبا البَصِيرِ عشرين ألفا ، وأعطى أشجع وقد أنشد معهم ثلاثة آلاف درهم . وكان ذلك فى أوّل اتصاله به ، فكتب إليه أشجع يقول :

(١) أرزم الرعد : اشتد صوته . هذا وفى الأوراق ٨٤ : بالعاصفات .

(٢) المضيع : من كثرت وفشت ضياعه .

أعطيت مروان الثلا ثين التى دلّت رِعاثَه[١]
وأبا البصير وإنمـــا أعطيتنى منهم ثلاثه
ما خاننى حَوْكُ القريـ ـض[٢] وما اتهمت سوى الحداثه

فأمر له بعشرين ألف درهم أخرى .

حدثنى على بن صالح بن الهيثم الأنبارى قال : حدثنى أبو هفان قال : حدثنى سعيد بن هريم وأبو دعامة قالا :

كان انقطاع أشجع إلى العباس بن محمد بن على بن عبدالله بن العباس ، فقال الرشيد للعباس يوما : يا عمّ ، إنّ الشعراء قد أكثروا فى مدح محمد بسببى وبسبب أم جعفر ، ولم يقل أحد منهم فى المأمون شيئا ، وأنا أحب أن أقع على شاعر فطن ذكىّ يقول فيه . فذكر العباس ذلك لأشجع وأمره أن يقول فيه فقال :

بيعة المأمون آخذة بعِنان الحقّ فى أُفُقِه
أحكمت مُرّاَنها عُقَدًا تمنع المُختال فى نَفَقِه
لن يفكّ المرء رِبقتها أو يفكّ الدّين من عُنُقه
وله من وجه والدِه صورة تمّت ومن خُلُقِه

قال : فأتى بها العباسُ الرشيدَ وأنشده إياها ، فاستحسنها وسأله : لمن هى ؟ فقال : هى لى ، فقال : قد سررتنى مرّتين : بإصابتك ما فى نفسى ، وبأنها لك ، وما كان لك فهو لى ، وأمر له بثلاثين ألف دينار ، فدفع إلى أشجع منها خمسة آلاف درهم ، وأخذ باقيها لنفسه .

أخبرنى عمى قال : حدثنا عبد الله بن أبى سعد قال : حدثنا محمد بن عبد الله ابن مالك الخزاعى قال :

وعد يحيى بن خالد أشجع السلمى وعدًا ، فأخّره عنه ، فقال له :

رأيتك لا تستلذّ المِطال وتُوفى إذا غدر الخائنُ

---

(١) الرعاث : جمع رعثة ، وتطلق على عثنون الديك . ويريد بتدلى رعاثه : أنه انتفش وزها .
(٢) فى مخطوط حور القريض .

فماذا تُؤخر من حاجتى وأنت لتعجيلها ضامِن
ألم تر أن احتباس النّوالِ لمعروف صاحبه شائِنُ

فلم يتعجل ما أراد ، فكتب إليه :

رُويدَك إنّ عزّ الفقر أدنى إلىّ من الثراء مع الهوَانِ
وماذا تبلغ الأيامُ منِى برَيْب صروفها ومعى لسانى

فبلغ قولُه جعفرا فقال له : ويلك يا أشجع هذا تهدُّد فلا تَعُدْ لمثله ، ثم كلم أباه فقضى حاجته فقال :

كفانى صروف الدهرِ يحيى بن خالد فأصبحت لا أرتاع للحدَثانِ
كفانى كفاه اللهُ كلَّ مُلِمَّة طِلابَ فلان مرّةً وفلانِ
فأصبحت فى رَغْد من العيش واسع أقلِّب فيه ناظرى ولسانى

أخبرنى محمد بن عمران الصيرفى قال : حدثنا العنزى عن ابن النطاح قال :
ولى جعفرُ بن يحيى أشجَع عملا، فرَفع إليه أهلُه رَفائع كثيرة ، وتظلموا منه وشكوه ، فصرفه جعفر عنهم ، فلما رجع إليه من عمله مثَل بين يديه ثم أنشأ يقول :

أمفسدةٌ سعادُ علىّ دِينى ولائمتى على طول الحنينِ
وما تدرى سعاد إذا تخلّت من الأشجان كيف أخو الشجون
تنام ولا أنام لطول حُزنى وأين أخو السرور من الحزين
لقد راعتك عند قَطين سعدى رواحلُ غاديات بالقَطينِ[1]
كأنّ دموع عينى يوم بانوا غياثٌ سَحَّ مُطَّرِدٍ مَعينِ[2]
لقد هزّت سنانَ القول منى رجالٌ رفيعةٍ لم يَعرفونى
همُ جازُوا حجابك يا ابن يحيى فقالوا بالذى يَهْوَوْن دونى

(١) القطين : الخدم والأتباع والحشم .
(٢) فى المطبوع : عيانا سح وفى الأوراق ٨٩ جداول من ذرى وشل معين .

أطافوا بى لديكَ وغبتُ عنهم ... ولو أدنيتنى لتجنَّبونى
وقد شهدت عيونُهُم فمالت ... علىَّ وغُيِّبَتْ عنهم عُيونى
ولما أن كتبتُ بما أرادوا ... تدرَّع كلُّ ذى غَمْز دفينِ
كففتُ عن المقاتل باديات ... وقدهيَّأْتُ صخرة مَنْجنونِ [١]
ولو أرسلتُها دمغتْ رجالا ... وصالت فى الأخيشةِ والشُّئون [٢]
وكنت إذا هززت حُسام قولٍ ... قطعت بحُجَّتى عِرقَ الوتينِ
لعلَّ الدهر يُطلق من لسانى ... لهم يوما ويَبسط من يمينى
فأقضى دينَهم بوفاء قولٍ ... وأثقلهم لصدق بالديون
وقد علموا جميعا أن قولى ... قريب حين أدعوه يَجيِنى
وكنت إذا هجوتُ رئيس قوم ... وَسَمْتُ على الذؤابة والجبينِ
بخطٍّ مثل حَرْقِ النَّارِ باقٍ ... يلوح على الحواجب والعُيونِ
أماثلةٌ بِوُدِّك يا ابن يحيى ... رجالاتٌ ذوو ضغن كمِينِ
يَشيمُون السيوف إذا رأونى ... فإن ولَّيْت سُلَّت من جفونِ [٣]
ولو كُشفتْ سرائرنا جميعا ... علمتَ مَن البرىءُ من الظَّنينِ [٤]
علام وأنت تعلمُ نُصح جنبى ... وأخْذِى منك بالسبب المتين
وعَسْفى كلَّ مهمهة خلاءٍ ... إليك بكل يَعْملة أمُونِ [٥]
وإحيائى الدُّجَى لك بالقوافى ... أقيم صدورهنَّ على المُتونِ
تُقَرِّبُ منك أعدائى وأُنأى ... ويجلس مجلسى من لا يلينى

(١) المنجنون : الدولاب التى يستقى عليها .

(٢) الخشاش وجمعه أخشة : عود يجعل فى عظم أنف البعير . ويريد بذلك الأنوف. والشئون عروق الدموع .

(٣) شام السيف : أدخله فى غمده .

(٤) الظنين : المتهم .

(٥) اليعملة : الناقة .

ولو عاتبت نفسك من فؤادى[1] إذاً لنزلتَ عندك باليمين
ولكنَّ الشُّكوكَ نأينَ عنِّى بودِّك والمصيرُ إلى اليقينِ
فإن أنصفتنى أحرقت منهمْ بنضج الكَىَ أثْباج البطونِ[2]

أخبرنى محمد بن يحيى الصولى والحسن بن علىّ قالا : حدثنا العنزى قال : حدثنا علىُّ بن الفضل السلمىُّ قال :

أول ما نجم به أشجع أنه اتصل بجعفر بن المنصور وهو حدَث ، وصله به أحمد بن يزيد السلمى وابنه عوف ، فقال أشجع فى جعفر بن المنصور :

اذكروا حرمة العواتك منَّا يا بنى هاشم بنِ عبد مناف
قد ولَدناكمُ ثلاثَ ولادا تٍ خلَطْنَ الأشراف بالأشرافِ
مهَّدَت هاشماً نجومُ قُصَىَّ وبنو فالجٍ حجورُ عفافِ
إنَّ أرماح بُهْثَةَ بن سُلَيْمٍ لعِجافِ الأطراف غيرُ عِجاف
ولأسيافهم فِرًى غيرُ لَذَّ راجعٌ من مراجع الأكتاف
معشرٌ يُطْعِمون مِنْ ذِرْوَةِ الشَّوْ لِ ويسقون خَمْرةَ الأقحاف[3]
يضرِبون الجبَّار فى أخْدَعيْه ويُسَقُّونه نقيع الذُّعاف[4]

فشاع شعره وبلغ البصرة ، ولم يزل أمره يترقى إلى أن وصلته زبيدة بعد وفاة أبيها بزوجها هارون الرشيد ، فأسنى جوائزه وألحقه بالطبقة العليا من الشعراء .

أخبرنى عمى ، قال : حدثنى أحمد بن المرزبان قال : حدثنى شيبة بن أحمد بن هشام قال : حدثنى أحمد بن العباس الربيعى :

أن الذى أوصل أشجع السلمى إلى الرَّشيد جده الفضل بن الربيع ، وأنه أوصله له وقال له : هو أشعر شعراء أهل هذا الزمان ، وقد اقتطعتْه عنك البرامكة ، فأمره بإحضاره وإيصاله مع الشعراء ، ففعل ، فلما وصل إليه أنشده قوله :

(١) فى المطبوع : نفسك فى مكانى .
(٢) أثباج : جمع ثبج ، وهو الوسط من كل شىء .
(٣) الشول : الناقة . والاقحاف جمع قحف ، ومن معانيه : القدح . وفى المطبوع : الإنحاف
(٤) الأخدعان : عرقان فى العنق . والذعاف : السم الذى يقتل من ساعته .

قصرٌ عليه تحيةٌ وسلام ... نثرت عليه جمالها الأيامُ
فيه اجتلى الدنيا الخليفةُ والتقتْ ... للملك فيه سلامةٌ وسلامُ
قصرٌ سقوفُ المزْنِ دون سموفه ... فيه لأعلام الهدى أعلامُ
نشرت عليه الأرض كسوتَها التى ... نسجَ الربيعُ وزخرفَ الإرْهامُ [١]
أدنتْك من ظلّ النبىّ وصيّةٌ ... وقرابةٌ وُشِجتْ بها الأرحامُ
برقت سماؤك فى العدوّ وأمطرت ... هامًا لها ظل السيوف غمامُ
وإذا سيوفك صافحت هامَ العدا ... طارت لهن عن الرءوس الهامُ
أثنى على أيامك الأيامُ ... والشاهدان الحِلُّ والإحرامُ
وعلى عدوّك يا ابن عمّ محمد ... رصدان ضوء الصبح والإظلامُ
فإذا تنبّه رُعته وإذا غفا ... سلّت عليه سيوفك الأحلامُ

قال : فاستحسنها الرشيد وأمر له بعشرين ألف درهم ، فمدح الفضل بن الربيع وشكر له إيصاله إياه إلى الرشيد ، فقال فيه قصيدته التى أولها :

غلب الرُّقادُ على جفون المُسْهَدِ ... وغرقتُ فى سهر وليل سَرْمَدِ
قد جدّ بى سهرٌ فلم أرقُدْ له ... والنوم يُلعب فى جفون الرُّقّدِ
ولطالما سهِرتْ بحِبى أعينٌ ... أهدى السُّهاد لها ولمّا أسْهَدِ
أيامَ أرعى فى رياضِ بطالةٍ ... وِرْدَ الصبا منها الذى لم يُورَدِ
لَهْوٌ يساعده الشبابُ ولم أجِدْ ... بعد الشَّبيبة فى الهوَى من مُسْعِدِ [٢]
وخفيفةِ الأحشاءِ غير خفيفةٍ ... مَجْدولةٍ جَدْلَ العِنان الأجْرَدِ
غَضِبتْ على أعطافِها أردافُها ... فالحرب بين إزارها والمِجْسَدِ [٣]
خالفت فيها عاذلا لى ناصحا ... فرشَدْتُ حين عصَيتُ قولَ المُرشدِ

---

(١) أرهمت السماء إرهاما : أتت بالمطر .
(٢) مسعد : معين .
(٣) المجسد : ثوب يلى الجسد .

أأقيم محتملا لضيم حوادث ... مع همة موصولة بالفرقد
وأرى مخايل ليس يخلف نوءها[١] ... للفضل إن رعدت وإن لم ترعد
للفضل أموال أطاف بها الندى ... حتى جهدن وجوده لم يجهد
يا ابن الربيع حسرت شكرى بالتى ... أوليتنى فى عود أمرك والبدى
أوصلتنى ورفدتنى وكلاهما ... شرف فقأت به عيون الحسد
ووصفتنى عند الخليفة غائبا ... وأذنت لى فشهدت أفخر مشهد
وكفيتنى منن الرجال بنائل ... أغنى يدى عن أن تمد إلى يد

أخبرنى محمد بن عمران الصيرفى قال : حدثنا العنزى قال :

حدثنى صخر بن أحمد السلمى ، عن أبيه قال : كنت أنا وأشجع بالرقة جلوسا فمر بنا غلام أمرد رومى جميل الوجه ، فكلمه أشجع وسأله هل يبيعه مالكه ؟ فقال : نعم ، فقال أشجع يمدح جعفر بن يحيى وسأله ابتياعه له فقال :

ومضطرب الوشاح لمقلتيه ... علائق ما لوصلتها انقطاع
تعرض لى بنظرة ذى دلال ... يروع بمقلتيه ولا يراع
لحاظ ليس تحجب عن قلوب ... وأمر فى الذى يهوى مطاع
ووسعى ضيق عنه ومالى ... وضيق الأمر يتبعه اتساع
وتعويلى على مال ابن يحيى ... إليه حن شوق والنزاع
وثقت بجعفر فى كل خطب ... فلا هلك يخاف ولا ضياع

فأمر له بخمسة آلاف درهم وقال : اشتره بها ، فإن لم تكفك فازدد .

أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنا أحمد بن الحارث قال :

كانت لأشجع جارية يقال لها : ريم ، وكان يجد بها وجدا شديدا ، فكانت

---

(١) النوء : المطر .

تحلف له أنها إن بقيت لم تـَعـَرَّضْ لغيره ، وكان يذكرها فى شعره ، فمن ذلك قوله قصيدته التى يرثى بها الرشيد[١] :

وليس لأحزان النِّساء تطاوُلٌ ... ولكنَّ أحـزان الرِّجالِ تطولُ
فلا تبخلى بالدمع عنى فإن من ... يَضِنُّ بدمع عن هوًى لبخيـلُ
فلا كنتُ ممَّن يُتْبِعُ الريحَ طرفَه ... دَبورًا إذا هبَّتْ له وقبُـولُ[٢]
إذا دار فَىْءٌ أتبع الفَىْءَ طَرْفَه ... يميـلُ مع الأيام حيث تميـلُ

قال : وقال فيها أيضا :

إذا غمَّضَتْ فوق جفُونُ حفيرةٍ ... من الأرض فابكينى بما كنتُ أصنعُ
تُعزِّكِ عنى عنـد ذلك سلْوَةٌ ... وأن ليس فيمن وارت الأرضُ مطمع
إذا لم ترَىْ شخصى وتغنِك ثروتى ... ولم تسمعى منى ولا منـك أسمعُ
فحينئذ تسلين عنى وإن يكن ... بكاء فأقصى ما تُبكِّين أربعُ
قليلٌ وربِّ البيت يا ريم ما أرى ... فتاة بمن ولَّى به المـوت تَقْنَعُ
بمن تدفعيـن الحادثات إذا رَمى ... عليك بها عامٌ من الجـدب يَطْلُعُ
فيومئـذ تدرين من قد رُزِيتـه ... إذا جعلت أركان بيتك تُـنزَعُ

قال : فشكته ريم إلى أخيه أحمد بن عمرو، فأجابه عنها بشعر نسبه إليها ومدح فيه الفضل أيضا ، فاختير شعره على شعر أخيه وهو :

ذكرت فراقا والفراقُ يُصَـدِّعُ ... وأىُّ حياة بعـد موتك تَنْفَعُ
إذا الزَّمن الغـرَّار فرَّق بيننا ... فمالىَ فى طيب من العَيْش مطْمَعُ
ولا كان يوم يابن عمرٍو وليلةٌ ... يُبـدِّدُ فيها شملُنا ويُصَـدِّعُ

(١) انظر كتاب الأوراق ص ١٣٠ وص ١٤١ - ١٤٣ النص بطوله ، وكذلك معاهد التنصيص ج ٤ ص ٧٢ مطبعة السعادة ١٩٤٧ .

(٢) كذا والأحسن « دبور إذا هبت له وقبول » برفع دبور أما فى الأصول ومعاهد التنصيص وكتاب الأوراق . فكلها بالنصب .

ولا كان يوم فيه تَثْوِى رَهينةً فتَرْوَى بجسمى الحادثات وتشْبَعُ
وألطم وجها كنت فيك أصونه وأخشع مما لم أكن منه أخشـعُ
ولو أننى غُيِّبت فى اللحد لم تُبَلْ[١] ولم تزل الراءون لى تتوجَّـعُ
وهل رجـل أبصرته متوجِّعا على امرأة أو عينُه الدهرَ تَدْمعُ
ولكن إذا ولَّت يقول لها اذهبى فثلك أخرى سوف أهوى وأتبعُ
ولو أبصرت عيناك ما بى لأبصرت صَبابة حزن[٢] غيمها ليس يُقْشَعُ
إلى الفضل فارحل بالمديح فإنه مَنيع الِحمى معروفه ليس يُمْنَعُ
وزُرْه تزُرْ حلما وعلما وسُودَدًا وبأسا به أنفُ الحوادث يُجْدَعُ
وأبْدعْ إذاماقلت فى الفضل مدحةً كما الفضل فى بذل المواهب يُبْدعُ
إذا ما حياضُ المجد قلَّت مياهها فحوض أبى العباس بالجود مُترَعُ
وإن سَنة ضنَّت بخصْبٍ على الورَى ففى جوده مرعى خصيبٌ ومَشْرَعُ
وما بعدت أرضٌ بها الفضل نازل ولا خاب من فى نائل الفضل يطمعُ
فنعم المنادَى الفَضْلُ عند مُلمَّة[٣] لدفع خطوب مثلها ليس يُدفع
إليك أبا العبَّاس سارت نجائبٌ لها هِمَمٌ تسمو إليك وتَنْزِعُ
بذكرك نحْدُوها إذا ما تأخَّرت فتمضى على هَول المُضِيِّ وتُسرع
وما للسانِ المَدْحِ دونك مَشْرَعٌ ولا للمطايا دون بابك مفْزَعُ
إليك أبا العباس أعمل مدْحَةً مَطيَّتَها ـ حتى توافيك ـ أشجعُ
فزعت إلى جـدواك فيها وإنما إلى مفزع الأملاك يُلجا ويُفزعُ

قال : فأنشدها أشجع الفضل وحدَّثه بالقصة ، فوصل أخاه وجاريته ووصله .

وقال أحمد بن الحارث : فقيل لأحمد بن عمرو أخى أشجع : مالك لا تمدح

(١) فى مخطوط : « فى الترب لم تبل » ، ويتفق مع معاهد التنصيص . ولم تبل : لم تبال .

(٢) فى المطبوع . صبابة قلب .

(٣) فى مخطوط : فنعم المنادى عند كل ملمة .

الملوك كما يمدحهم أخوك ، فقال : إن أخى بلاءعلىّ وإن كان فخراً ، لأنى لاأمدح أحدا ممن يرضيه دون شعرى ويُثيب عليه[1] بالكثير من النوال إلا قال : أين هذا من شعر أشجع [2] فقد امتنعت من مدح أحد لذلك .

قال أحمد بن الحارث : وقال أحمدبن عمرو يهجو أخاه ـ وقد كان أحمد مدح محمد بن جميل[3] بشعر قاله فيه ، فسأل أخاه أشجع إيصاله ، ودفع القصيدة إليه فتوانى عن ذلك ، فقال يهجوه ـ أخبرنى بذلك أحمد بن محمد بن جميل :

وسائلةٍ لىَ ما أشـجَعُ ... فقلت يضرُّ ولا ينفـَعُ
قـريب من الشّر وَاعٍ له ... أصَمُّ عن الخـير ما يَسْمَعُ
بَطىءٌ عن الأمْر أحظَى به ... إلى كلّ ما ساءنى مُسْرِعُ
شرودُ الودادِ على قُرْبهِ ... يُفَرِّق منـه الذى أجمَعُ
أُسَبُّ بأنى شـقيقٌ له ... فأنْفِى به أبداً أجْـدَعُ

أخبرنى جعفر بن قدامة قال :

حدثنا حمادبن إسحاق عن أبيه قال : دخلت على الفضل بن يحيى وقد بلغ الرشيدَ إطلاقُه يحيى بن عبدالله بن حسن ، وقد كان أمره بقتله. فلم يُظْهر له أنه بلغه [إطلاقه] فسأله عن خبره هل قتلته ، فقال : لا ، فقال له : فأين هو؟ قال : أطلقته ، قال : ولِمَ ؟ قال : لأنه سألنى بحقّ الله وبحق رسوله وقرابته منه ومنك، وحلف لى أنه لا يُحدث حدَثا ، وأنه يُجيبنى متى طلبتُه . فأطرق ساعة ثم قال : امض بنفسك فى طلبه حتى تجيئنى به واخرج الساعة . فخرج . قال : فدخلت عليه مهنئا بالسلامة فقلت له : ما رأيت أثبت من جنانك ولا أصحَّ من رأيك فيما جرى وأنت والله كما قال أشجع[4] :

---

(١) لعلها : ولا يثيب عليه .
(٢) فى المطبوع : من الثواب إلا قال أين هذا من قول أشجع .
(٣) انظر الأوراق للصولى ص ١٤٠ قسم الشعراء .
(٤) فى كتاب الورقة لابن الجراح تحقيق منسوب هذا الشعر لعنان .

بديهته وفكرته سواءٌ إذا ما نابه الخَطْبُ الكبيرُ
وأحزمُ ما يكون الدهرَ رأيا إذا عَيَّ المُشاوِرُ والمُشيرُ
وصدرٌ فيه للهَمِّ اتِّساعٌ إذا ضاقت بما تَحوى الصدور

فقال الفضل : انظروا كم أخذ أشجع على هذه القصيدة فاحملوا إلى أبى محمد مثله . قال فوجده قد أخذ ثلاثين ألف درهم ، فحُملت إلىّ .

أخبرنى الحسين بن القاسم الكوكبي إجازة قال : حدثنى محمد بن عجلان قال : حدثنا ابن خلاد ، عن حسين الجعفى قال :

كان أشجع إذا قدم بغداد ينزل على صديق له من أهلها ، فقدمها مرّة فوجده قدمات ، والنوح والبكاء فى داره ، فجزع لذلك وبكى وأنشأ يقول :

ويحها هل دَرَتْ على من تنوحُ أسقيم فؤادها أم صحيحُ
قمر أطبقوا عليه ببغدا د ضريحا ماذا أجَنَّ الضَّريحُ
رحمَ الله صاحبي ونديمى رحمةً تغتدى وأخرى تَرُوحُ

وهذه القصيدة التى فيها الأبيات المذكورة والغناء فيها، من قصيدة يمدح بها أشجعُ الرشيدَ ويهنئه بفتح هِرَقْلَة ، وقد مدحه بذلك وهنأه جماعة من الشعراء ، وغُنِّى فى جميعها ، فذكرت خبر فتح هرقلة لذكر ذلك .

فتح هرقلة :

أخبرنى [1] بخبره علىّ بن سليمان الأخفش قال : حدثنا محمد بن يزيد قال :

كان من خبر غزاة الرشيد هِرَقْلة أن الروم قد ملَّكَت امرأةً ، لأنه لم يكن بقى فى أهل زمانها من أهل بيتها بيتِ المملكة غيرها ، وكانت تكتب إلى المهدى والهادى والرشيد أوّل خلافته بالتعظيم والتبجيل ، وتدرّ عليه الهدايا حتى بلغ ابنٌ لها فحازَ المُلْك دونها ، وعاث وأفسد وفاسَدَ الرشيدَ ، فخافت على مُلْك الروم أن يذهب ، وعلى بلادهم أن تعطب ، لعلمها بالرشيد وخوفها من سطوته ، فاحتالت

(١) انظر ابن الأثير حوادث سنة ١٨٧

لابنها فسَمَلَت عينيه [١] ، فبطل منه المُلْكَ وعاد إليها ، فاستنكر ذلك أهل المملكة وأبغضوها من أجله ، فخرج إليها نقفور وكان كاتبها ، فأعانوه وعضدوه وقام بأمر الملك، وضبط أمر الروم ، فلما قوى على أمره وتمكن من ملكه كتب إلى الرشيد :

من نقفور ملك الروم إلى الرشيد ملك العرب ، أما بعد : فإن هذه المرأة كانت وضعتك وأباك وأخاك موضع الملوك ، ووضعت نفسها موضع السوقة [٢] وإنى واضعك بغير ذلك الموضع ، وعامل على تطرّق بلادك والهجوم على أمصارك أو تؤدّى إلىّ ما كانت المرأة تُؤدّى إليك ، والسلام .

فلما ورد كتابه على الرشيد كتب إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم ، أما بعد : فقد فهمت كتابك ، وجوابك عندى ما تراه عيانا لا ما تسمعه [٣] .

ثم شخص من شهره ذلك يؤمّ بلاد الروم فى جمع لم يُسمع بمثله ، وقوّاد لا يُجارَوْن نجْدة ورأيا ، فلما بلغ ذلك نقفور ضاقت عليه الأرض بما رحبت، وشاور فى أمره . وجدّ الرشيد يتوغّل فى بلاد الروم فيقتل ويغنم ويسبى ويُخرب الحصون ويُعَفّى الآثار ،حتى صار إلى طُرُق متضايقة دون قسطنطينية ، فلما بلغها وجدها وقد أمر نقفور بالشجر فقُطع ورمى به فى تلك الطرق وألقيت فيه النار ، فكان أوّل من لبس ثياب النفّاطين محمد بن يزيد بن مَزْيد فخاضها ، ثم اتبعه الناس ، فبعث إليه نقفور بالهدايا وخضع له أشدّ الخضوع ، وأدى إليه الجزية عن رأسه فضلا عن أصحابه . فقال فى ذلك أبو العتاهية :

---

(١) سملت عينيه : فقأتهما بحديدة محماة وقلعتهما .

(٢) فى الأصل : السوق . (٣) فى الأصل : لامالا تسمعه .

إمام الهدى أصبحت بالدين معنيًا ... وأصبحت تسقى كلَّ مستمطر ريًّا
لك اسمان شقّا من رشادٍ ومن هدًى ... فأنت الذى تدعى رشيدا ومهديًّا
إذا ما سخطت الشىء كان مسخّطا ... وإن ترض شيئًا كان فى الناس مرضيًّا
بسطت لنا شرقا وغربا يد العلا ... فأوسعت شرقيًّا وأوسعت غربيًّا
ووشّيت وجه الأرض بالجود والندى ... فأصبح وجه الأرض بالجود موشيًّا
وأنت أمير المؤمنين فتى التقى ... نشرت من الإحسان ما كان مطويًّا
قضى الله أن يبقى لهارون ملكه ... وكان قضاء الله فى الخلق مقضيًّا
تجلّلت الدنيا لهارون ذى الرضا ... وأصبح نقفورٌ لهارون ذميًّا

فرجع الرشيد لما أعطاه نقفور ما أعطاه إلى الرقة ، فلما سقط الثلج وأمن نقفور أن يغزى اغترَّ بالمهلة ونقض ما بينه وبين الرشيد ، ورجع إلى حالته الأولى ، فلم يجترئ يحيى بن خالد فضلا عن غيره على إخبار الرشيد بغدر نقفور ، فبذل هو وبنوه الأموال للشعراء على أن يقولوا أشعارا فى إعلام الرشيد بذلك ، فكلهم كعّ [1] وأشفق إلا شاعرا من أهل جُدّة كان يكنى أبا محمد [2] ، وكان مجيدًا قوىّ النفس قوىّ الشعر ، وكان ذو اليمينين اختصه فى أيام المأمون ورفع قدره جدا فإنه أخذ من يحيى وبنيه مائة ألف درهم ، ودخل على الرشيد فأنشده :

نقض الذى أعطاكه نقفورُ ... فعليه دائرة البوار تدورُ
أبشر أمير المؤمنين فإنه ... فتحٌ أتاك به الإله كبيرُ
فلقد تباشرت الرعيّة أن أتى ... بالنقض عنه وافد وبشيرُ
ورجت بيمنك أن تعجّل غزوةً ... تشفى النفوس نكالها مذكورُ
أعطاك جزيته وطأطأ خدّه ... حذر الصوارم والردى محذورُ
فأجرته من وقعها وكأنها ... بأكفّنا شعل الضرام تطيرُ
وصرفت من طول العساكر قافلا ... عنه وجارك آمنٌ مسرورُ

(١) كع : جبن وضعف .
(٢) فى ابن الأثير أبو محمد عبد الله بن يوسف وقيل هو الحجاج بن يوسف التيمى .

نَقفور إنك حين تغدر أنْ نأى ... عنك الإمامُ لجاهِلٌ مَغْرُورُ
أظننت حين غدرت أنك مُفلت ... هَبلَتْكَ أمُّك ما ظننتَ غُرورُ
ألقاك حَيْنُكَ فى زواخيرِ بحره ... فطمَتْ عليك من الإمام بحُورُ
إن الإمام على اقتسارِك قادرٌ[١] ... قَرُبَت ديارُك أونأتْ بك دُورُ
ليس الإمام وإن غفلْنا غافلا ... عما يَسوس بحزمه ويُديرُ
ملكٌ تجرَّد للجهاد بنفسه ... فعدُوه أبدًا به مقهورُ
يا من يُريد رِضا الإله بسعيه ... واللهُ لايخفى عليه ضميرُ
لانُصْحَ ينفع مَن يغشُّ إمامه ... والنُّصْحُ من نصحائه مَشكورُ
نُصْحُ الإمام على الأنام فريضةٌ ... ولأهله كفَّارةٌ وطَهُورُ

قال : فلما أنشده قال الرشيد : أوقد فعل ؟ وعلم أن الوزراء احتالوا فى إعلامه ذلك ، فغزاه فى بقيَّة من الثلج ، فافتتح هرقلة فى ذلك الوقت ، فقال أبو العتاهية فى فتحه إياها :

ألا نادَتْ هرَقْلَةُ بالخَرَاب ... من الملك المُوفَّق للصَّواب
غدا هارون يُرعِد بالمنايا ... ويُبرقُ بالمذكَّرَةِ القِضَاب
ورايات يَحُلُّ النَّصرُ فيها ... تمرُّ كأنها قِطَعُ السَّحاب
أميرَ المؤمنين ظفرت فاسْلَمْ ... وأبشِر بالغنيمة والإياب

قال محمد : وجعل الرشيد قبل وصوله إلى هرقلة يفتح المدن والحصون ويخرِّبها ، حتى أناخ على هرِقْلة ، وهى من أوثق حصن وأعزّه جانبا وأمنعه ركنا ، فتحصّن أهلها ، وكان بابها يطلّ على وادٍ ، ولها خندق يطيف بها ، فحدثنى شيخ من مشايخ المُطَّوِّعة وملازمى الثغور يقال له علىّ بن عبد الله قال : حدثنى

---

(١) اقتسارك : قهرك وإكراهك .

جماعة أن الرشيد لما حصر أهل هِرَقلة وغمهم[١] وألحّ بالمجانيق والسهام والعرّادات[٢] فُتح الباب [فاستشرف[٣] المسلمون لذلك] فإذا برجل من أهلها كأكمل[٤] الرجال قد خرج فى أكمل السلاح ، فنادى : قد طالت مواقعتكم إيانا ، فليبرز إلىّ منكم رجلان ، ثم لم يزل يزيد حتى بلغ عشرين رجلا ، فلم يجبه أحد ، فدخل وأغلق باب الحصن ، وكان الرشيد نائما فلم يعلم بخبره إلا بعد انصرافه ، فغضب ولام خدمه وغلمانه على تركهم إنباهه ، وتأسف لفوته ، فقيل له : إن امتناع الناس منه سيغويه ويطغيه وأحْرِ به أن يخرج فى غد فيطلب مثل ما طلب ، فطالت على الرشيد ليلته وأصبح كالمنتظر له ، ثم إذا هو بالباب قد فتح وخرج طالبا للمبارزة وذلك فى يوم شديد الحرّ ، وجعل يدعو بأنه يثبت لعشرين منهم ، فقال الرشيد: من له ؛ فابتدره جلّةُ القوّاد كهرثمة ويزيد بن مَزْيد وعبد الله بن مالك وخُزيمة ابن حازم ، وأخيه عبد الله ، وداود بن يزيد وأخيه ، فعزم على إخراج بعضهم ، فضجّت المُطَّوّعة حتى سمع ضجيجهم ، فأذن لعشرين منهم فاستأذنوه فى المشورة ، فأذن لهم ، فقال قائلهم : يا أمير المؤمنين ، قوّادك مشهورون بالبأس والنجدة وعلوّ الصوت ، ومدارسة الحروب ، ومتى خرج واحد منهم فقتل هذا العلج لم يكْبُر ذلك ، وإن قتله العلجُ كانت وصمة على العسكر قبيحة وثلمة لاتسدّ ، ونحن عامة لم يرتفع لأحد منا صوت إلا كما يصلح للعامة ، فان رأى أمير المؤمنين أن يخلينا نختار رجلا فنخرجه إليه ، فإن ظفر علم أهل الحصن أن أمير المؤمنين قد ظفر بأعزّهم على يد رجل من العامة ، ومن أفناء الناس ليس ممن

---

(١) فى مخطوط : وعتهم . هذا ولعلها من قولهم : عته : ردد الكلام عليه مرة بعد مرة ، وهو هنا ردد عليهم الضرب مرة بعد مرة .

(٢) العرادات : جمع عرادة ، وهى من آلات الحرب كالمنجنيق أصغر منه ترمى بالحجارة المرمى البعيد .

(٣) استشرفوا : تطلعوا .

(٤) فى مخطوط : كأجمل .

يُوهن قتله ولايؤثر ، وإن قُتل الرجلُ فإنما استُشْهد رجلٌ ولم يؤثر ذهابه فى العسكر ولم يثلمه ، وخرج إليه رجل بعده مثله حتى يقضى الله ما شاء . قال الرشيد : قد استصوبت رأيكم هذا . فاختاروا رجلا منهم يُعرف بابن الجزرى ، وكان معروفا فى الثغر بالبأس والنجدة ، فقال الرشيد : أتخرج ؟ قال : نعم وأستعين الله ، فقال : أعطوه فرسا ورمحا وسيفا وترسا ، فقال : يا أمير المؤمنين أنا بفرسى أوثق ورمحى بيدى أسَدّ [١] ، ولكنى قد قَبِلت السيف والترس . فلبس سلاحه واستدناه الرشيد فودّعه وأتبعه الدعاء ، فخرج معه عشرون رجلا من المطَّوِّعة ، فلما انقضّ فى الوادى قال لهم العلج وهو يعدهم واحدا واحدا: إنما كان الشرط عشرين ،وقد زدتم رجلا ، ولكن لابأس ، فنادوه : ليس يخرج إليك منا إلا رجل واحد ، فلما فصل منهم الجزرى تأمله الرومى ، وقد أشرف أكثر الروم من الحصن يتأملون صاحبهم والقِرْنَ حتى ظنوا أنه لم يبق فى الحصن أحد إلا أشرف ، فقال الرومى : أتصدقنى عما أستخبرك ؟ قال : نعم ، فقال : أنت بالله ابن الجزرى ؟ قال : اللهم نعم ، فكفَّرَ له [٢] ثم أخذا فى شأنهما فاطّعنا حتى طال الأمر بينهما ، وكاد الفرسان يقومان وليس يخدش واحد منهما صاحبه ، ثم تحاجزا [٣] بشىء ، فزجّ كل واحد منهما برمحه وأصلت سيفه ، فتجالدا مليًّا واشتدّ الحرّ عليهما ، وتبلّد الفرسان وجعل ابنُ الجزرىّ يضرب الرومىَ الضربة التى يرى أنه قد بلغ فيها فيتقيها الرومى ، وكان ترسه حديدا فيُسمع لذلك صوت منكر ، ويضربه الرومى ضرب مُعَذِّر [٤] لأن ترس ابن الجزرى كان دَرَقةً ، فكان العلج يخاف أن يعضّ بالسيف فيعطب ، فلما يئس من وصول كل واحد

(١) أسد : أقوم . وفى المطبوع : أشد .

(٢) كفر له : وضع يده على صدره وطأطأ رأسه وتطا من تعظيما له .

(٣) فى مخطوط : تحاور ا بشىء .

(٤) المعذر : المبالغ فى العذر .

منهما إلى صاحبه انهزم ابن الجزرى ، فدخلت المسلمين كآبةٌ لم يكتئبوا مثلها قط وعَطْعَطَ[١] المشركون اختيالا وتطاولا . وإنما كانت هزيمته حيلة منه ، فأتبعه العلج ، وتمكن منه ابن الجزرى فرماه بوهق[٢] فى عنقه وما أخطأه ، وركض فاستله عن فرسه ، ثم عطف عليه فما وصل إلى الأرض حيا حتى فارقه رأسه ، فكبَّر المسلمون أعلى تكبير ، وانخذل المشركون وبادروا الباب يغلقونه ، واتصل الخبر بالرشيد فصاح بالقوّاد : اجعلوا النار فى المجانيق وارموها فليس عند القوم دَفْعٌ ، ففعلوا وجعلوا الكتان والنِّفط على الحجارة ، وأضرموا فيها نارا ورموا بها السور ، فكانت النار تلصق به وتأخذه الحجارة ، وقد تصدَّع فتهافتت ، فلما أحاطت بها النيران فتحوا الباب مستأمنين ومستقيلين ، فقال الشاعر المكىّ الذى كان ينزل جُدَّة :

صوت

هَوَتْ هرَقلةُ لما أن رأت عجبًا … حوائما ترتمى بالنِّفط والنّارِ[٣]

كأن نيراننا فى جنب قلعتهم … مُصَبَّغات على أرسان قصَّارِ

فى هذين البيتين لابن جامع لحن من الثقيل الأوّل بالبنصر ، قال محمد بن يزيد ، وهذا كلام ضعيف لين ولكن قدره عظيم فى ذلك الموضع والوقت ، وغنى فيه المغنون بعد ذلك .

وأعظم الرشيد الجائزة للجُدّىّ الشاعر وصُبَّت الأموال على ابن الجزرىّ وقُوِّد ، فلم يقبل التقويد إلا بغير رزق ولا عوض ، وسأل أن يُعفى وينزل بمكانه من الثغر فلم يزل به طول عمره .

---

(١) العطعطة : تتابع الأصوات واختلاطها فى الحرب وغيرها ، وقيل : حكاية صوت المجان إذا قالوا عيط عيط إذا غلبوا قوما .

(٢) الوهق : الحبل فى طرفه أنشوطة يطرح فى عنق الدابة والإنسان حتى يؤخذ ، ويقال : صاده بالوهق .

(٣) فى معجم الشعراء نسب الشعر لعيسى بن جعفر فى أيام المعتصم انظر ص ٩٩ — ١٠٠ تحقيقى .

أخبرنى محمد بن خلف وكيع قال : حدثنا عبد الله بن أبى سعد قال : حدثنا أحمد بن علىّ بن أبى نعيم المروزى قال :

خرج الرشيدغازيا بلاد الروم فنزل بهرقلة ، فدخل عليه ابن جامع فغناه :

هوت هرَقْلة لما أن رأت عجبا حوائما ترتمى بالنِّفط والنّار

فنظر الرشيد إلى ماشية قد جىء بها ، فظنّ أن الطاغية قد أتاه ، فخرج يركض على فرس له وفى يده الرمح وتبعه الناس ، فلما تبين له أنها ماشية رجعوا ، فغناه ابن جامع :

صوت

رأى فى السما رَهْجا فيمّم نحوه يجرّ رُدَيْنِياً وللرَّهْج يستَقْرِى
تناولت أطرافَ البلادِ بقُدْرَةٍ كأنك فيها تقتفى أثر الخِضْر

الغناء لابن جامع ثان ثقيل عن بذل وابن المكى .

أخبرنى هاشم بن محمد أبو دلف الخزاعى قال : حدثنى الفضل بن محمد اليزيدى عن إسحاق الموصلى قال :

لما انصرف الرشيد من غزاة هِرَقلة قَدِم الرقّة فى آخر شهر رمضان ، فلما عيَّد جلس للشعراء ، فدخلوا عليه وفيهم أشجع ،فبدرهم وأنشأ يقول :

لازلت تنشر أعيادا وتطويها تَمْضى بها لك أيّام وتثنيها
مستقبلا زينة الدنيا وبهجتها [أيامها لك نظم فى لياليها]
[العيد والعيد والأيام بينهما] موصولة لك لا تفنى وتفنيها
ولا تقضّت بك الدنيا ولا برحَت تطوى لك الدهر أياما وتطويها
وليهنك الفتحُ والأيام مقبلةٌ إليك بالنصر معقودًا نواصيها
أمست هِرَقلةُ تهوى من جوانبها وناصر الله والإسلام يرميها

مَلَكْتَها وقتلت الناكثين بها ... بنَصْرِ من يملك الدنيا وما فيها
ما رُوعِيَ الدينُ والدنيا على قَدَمٍ ... بمثل هارون رَاعِيهِ وراعيها

قال: فأمر له بألف دينار وقال: لاينشدنى أحد بعده، فقال أشجع: والله لأمره بأن لاينشده أحد بعدى أحبّ إلىّ من صلته.

حدثنى أحمد بن وصيف ومحمد بن يحيى الصولى قالا: حدثنا محمد بن موسى ابن حماد قال: حدثنى عبد الله بن عمرو الورّاق قال: حدثنى أحمد بن محمد بن منصور بن زياد عن أبيه قال:

دخل أشجع على الرشيد ثانى يوم الفطر فأنشده:

صوت

استقبل العيد بعُمْرٍ جديد ... مدّت لك الأيام حبل الخلود
مُصَعِّدًا فى درجات العلا ... نجمك مقرون بسعد السعود
واطْوِ رداء الشَّمس ما أطلعَتْ ... نورًا جديدا كل يوم جديد
تمضى لك الأيام ذا غبْطَةٍ ... إذا أتى عيدٌ طوى عُمْرَ عيد

فوصله بعشرة آلاف درهم، وأمر أن يغنى فى هذه الأبيات.

أخبرنى محمدبن جعفر النحوى قال: حدثنا محمد بن موسى بن حماد قال: حدثنى أبو عبيد الله النخعىّ قال:

دخل أشجع على الرشيد فأنشده قوله:

أبَتْ طَبَرِسْتانُ غير الذى ... صَدَعْتَ به بين أعضائها
ضَمَمْتَ مناكبها ضَمَّةً ... رمتْك بما بين أحشائها
سموتَ إليها بمثل السَّماءِ ... تدلى الصَّواعِقُ فى مائها
فلما نظرتَ إلى جرحها ... وضعت الدواء على دائها
فرشْتَ الجِهاد ظهورَ الجيادِ ... بأبنائه وبأبنائها

بنفسك ترميهم والخيول كرمى العقاب بأفلائها[١]
نظرت برأيك لما همم ت دون الرجال وآرائها

قال : فأمر له بألف دينار .

أخبرنى محمد بن جعفر قال : حدثنا محمد بن موسى قال : حدثنى أبو عمرو الباهلى البصرىّ قال :

دخل أشجع بن عمرو السلمىّ على هارون الرشيد حين قدم من الحجّ ، وقد مُطر الناس يوم قدومه ، فأنشده يقول :

إن يُمْن الإمام لمّا أتانا جلب الغيثَ من متون الغمامِ
فابتسام النّبات فى أثر الغيـ ـثِ بنُوّاره كسُرْجِ الظّلامِ
ملك من مخافة الله مُغضٍ وهو مغْضًى له من الإعظام
ألِف الحجّ والجهاد فما ينْـ ـفكّ من سفْرتَين فى كل عام
سفر للجهاد نحو عدوّ والمطايا لسفرةِ الإحرام
طلب الله فهو يسعى إليه بالمطايا وبالجياد السّوامى[٢]
فيداهُ يدٌ بمكّة تدعو هُ وأخرى فى غزوة الإسلام[٣]

أخبرنى محمد بن جعفر قال : حدثنى محمد بن موسى بن حماد قال : أخبرنى أبو عبد الله النخمى قال :

أمر الرشيد بحفر نهر لبعض أهل السّوَاد ، وقد كان خرب وبطل ما عليه ، فقال أشجع السلمى يمدحه :

أجْرَى الإمام الرشيدُ نهْرًا عاش بعُمْـرا نه المَوَاتُ

(١) الأفلاء : جمع فلاة ، وجمع فلو والمراد جمع فلاة . والثانى محتمل . وفى مخطوط : بأقنائها
(٢) السوامى : الرافعة رءوسها .
(٣) فى المطبوع : فى دعوة الإسلام .

جاد عليه بِريق فيــهِ وسِرّ مكنُونه الفُــرَاتُ
ألْقَمَــهُ درّة لقــوحا يَرْضع أخــلافها النَّباتُ[١]

أخبرنى جحظة قال : حدثنى ميمون بن هارون قال :

رأى الرشيد فيما يرى النائم كأنّ امرأة وقفت عليه وأخذت كفّ تراب ثم قالت له : هذه تربتك عن قليل ، فأصبح فزعا وقصّ رؤياه ، فقال له أصحابه : وما هذا ؟ قد يرى الناس أكثر مما رأيت وأغلظ ثم لايضرّ ، فركب وقال : والله إنى لأرى [الأمر] قد قرُب ، فبينا هو يسير إذ نظر إلى امرأة واقفة من وراء شُبَّاك حديد تنظر إليه ، فقال : هذه والله المرأة التى رأيتها ، ولو رأيتها بين ألف امرأة ما خفيت علىّ . ثم أمرها أن تأخذ كفّ تراب فتدفعه إليه ، فضربت بيدها إلى الأرض التى كانت عليها فأعطته منها كف تراب ، فبكى ثم قال : هذه والله التربة التى أريتها ، وهذه المرأة بعينها ، ثم مات بعد مدة فدفن فى ذلك الموضع بعينه ، اشْتُرِى له ودُفن فيه ، وأتى نَعْيُه بغداد ، فقال أشجع يرثيه[٢] :

غربت بالمشرق الشَّـ ـس فقل للعين تَدْمَعْ
ما رأينا قطُّ شـمسا غربت من حيث تَطْلُعْ

أخبرنى عمى قال : حدثنا محمد بن موسى بن حماد قال : حدثنا عبد الله بن أبى سعد قال : حدثنى محمد بن عبد الله بن مالك قال :

كان حرب بن عمرو الثقفى نخاسا ، وكانت له جارية مغنية ، وكان الشعراء والكتاب وأهل الأدب ببغداد يختلفون إليها يسمعونها ، وينفقون فى منزله من النفقات الواسعة ، ويبرّونه ويهدون إليه ، فقال أشجع :

جارية تهــتزّ أردافُها مُشْــبعة الخلخال والقُلْب
أشكو الذى لاقيت من حُبِّها وبُغْض مولاها إلى الرّبّ

(١) الدر : اللبن وكثرته وسيلانه : والأخلاف : جمع خلف ،وهو حلمة ضرع الناقة .
(٢) انظر طبقات ابن المعتز ، تحقيقى ص ٨٠ ترجمة أبى الشيص .

من بُغض مولاها ومن حُبِّها سَقمتُ بين البُغض والحُبِّ
فاختلجا فى الصدر حتى استوى أمرُهما فاقتسما قلبى
تَعَجَّل الله شفائى بها وعجَّل السقم إلى حَرْبِ

قال مؤلف هذا الكتاب [١] : فأخذ هذا المعنى بعضُ المحدثين من أهل عصرنا فقال فى مغنية تُعرف بالشاة :

بِحُبِّ الشاةِ ذُبْتُ ضَنًى وطال لزوجها مَقْتى
فلو أنى ملَكْتُهُما لأُسْعِدَ فى الهوَى بختى
فأُدخل فى استها أَيْرى ولحية زوجها فى استى

أخبرنى أبو الحسن الأسدى قال : حدثنا سليمان بن أبى شيخ قال : حدثنى صالح بن سليمان قال :

اعتلّ يحيى بن خالد ثم عوفى ، فدخل الناس يهنئونه بالسلامة، ودخل أشجع فأنشده :

لقد قرَعَتْ شكاةُ أبى علىّ قلوبَ معاشرٍ كانوا صحاحا
فإن يَدْفع لنا الرّحمنُ عنه صروفَ الدهرِ والأجلَ المُتاحا
فقد أمسى صلاحُ أبى علىّ لأهلِ الدين والدنيا صَلاحا
إذا ما الموت أخطأه فلسنا نُبالى الموتَ حيث غدا وراحا

قال : فما أذِنَ يومئذ لأحد سواه فى الإنشاد ، لاختصاص البرامكة إياه :

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدثنا محمد بن عمران الضبى قال : سمعت محمد بن أبى مالك الغنوى يقول :

دخل أشجع السلمىّ على علىّ بن شبرمة يعوده فأنشأ يقول :

إذا مرض القاضى مَرِضْنا بأسرنا وإن صحّ لم يُسْمَع لنا بمريضِ

(١) هذا النص ساقط من مخطوط .

فأصبحتُ لما اعتلَّ يوما كطائرٍ سَمَا بجَناحٍ للنهوضِ مَهِيضِ

قال : فشكره ابن شُبرُمَة ، وحمله على بغلةٍ كانت له .

أخبرنى الحسن قال : حدثنا ابن مهرويه قال : حدثنى محمد بن عمران قال : سمعت محمد بن أبى مالك يقول :

جاء أشجع ليدخل على أبان بن الوليد البَجَلى ، فمنعه حاجبه ، وانتهره غلمانُه ، فقال فيه :

ألا أيها المُشْلى[1] علىَّ كلابَه ولى ـ غير أنْ لم أشْلِهنَّ ـ كلابُ
رُويدكَ لاتعجَلْ علىَّ فقد جرى بخزيك ظبى أعضبٌ وغراب[2]
علام تسدُّ البابَ والسرُّ قد فشا وقد كنتَ محجوبا ومالك بابُ
فلو كنتُ ممن يشرب الخمرسادرا إذن لم يكن دونى عليكَ حجابُ
ولكنه يمضى لىَ الحوْلُ كاملا ومالىَ إلا الأبيضين شَرابُ
من الماء أوْمن شَخْبِ دهماءثَرَّةٍ لها حالبٌ لايشتكى وحِلابُ

أخبرنى أحمد بن جعفر جحظة قال : حدثنى ميمون بن هارون قال : حدثنا علىّ بن الجهم قال :

حدثنى ابن أشجع السلمىّ قال : لما مرَّ أبى وعمَّاىَ أحمد ويزيد ـ وقد شربوا حتى انتشوا ـ بقبر الوليد بن عقبة ، وإلى جانبه قبر أبى زَبيدٍ الطائىّ ـ وكان نصرانيا ـ والقبران مختلفان ، كل واحد منهما مُتوجِّه إلى قِبلْة ملَّته ـ وكان أبو زَبيد أوصى لما احتضر أن يدفن إلى جنب الوليد بالبَليخ ـ قال : فوقفوا على القبرين وجعلوا يتحدثون بأخبارهما ، ويتذاكرون أحاديثهما فأنشأ أبى يقول :

مررت على عظام أبى زَبيدِ وقد لاحت ببلقعة صَلُودِ
وكان له الوليدُ نديمَ صِدْقٍ فنادم قبرُه قبرَ الوليدِ

---

(١) أشلى الكلاب : أغراها .

(٢) أعضب : مقطوع القرن . وفى المطبوع بجريك . . هذا ، و يريد من جرى الظبى الأعضب والغراب : أنه عرف منهما هذا الخبر كما يعرفه من يزجرون ، وهما مما يتطير بهما .

أنيسا أُلْفَةٍ ذهبا فأمست عظامهما تآنس بالصّعيدِ

وما أدرى بمن تبدا المنايا بأحمد أو بأشجع أو يزيدِ

قال : فماتوا والله كما رتّبهم فى الشعر ، أولهم أحمد ثم أشجع ثم يزيد .

صوت

حىّ ذا الزَّوْرَ وانههه أن يعودا إن بالباب حارسينَ قُعودا

من أساويرَ ما يَنُون[1] قياما وخلاخيل تُذْهِل المولودا

لا ذَعَرْتُ السَّوَامَ فى فلَق الصُّبْحِ مُغيرا ولا دُعيت يزيدا

يوم أعطى مخافةَ الموت ضَيْما والمنايا يرصدننى أن أحيدا

الشعر ليزيد بن ربيعة بن مفرّغ الحميرى ، والغناء لسياط خفيف رمل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر أحمد بن المكىّ أنه لأبيه يحيى ، وذكر الهشامى أنه لفليح ، قال : ومن هذا الصوت سُرِقَ لحن :

تلك عِرْسِى تلومنى فى التّصابى

(١) ما ينون : ما يقصرون . وفى المطبوع : ما كنات قياما .

أخبار ابن مفرغ ونسبه

هو يَزِيد بن ربيعة بن مُفَرِّغ ، ولُقِّبَ جَدّه مفرّغا لأنه راهن على سقاء لبن أن يشربه كله، فشربه كله حتى فرّغه، فلُقِّبَ مفرّغا ، ويكنى أبا عثمان ، وهو من حِمْيَر فيما يزعم أهله . وذكر ابن الكلبي وأبو عبيدة أن مُفرِّغا كان شَعّابا بتَبَالة [١] فادعى أنه من حِمير ، وقال عليّ بن محمد النوفلى : ليس أحد بالبصرة من حمير إلا آل الحجّاج بن ناب الحِميرىّ وبيتا آخر ذكره ، ودفع بيت ابن مفرّغ [٢] .

أخبرنى محمد بن خلف بن المرزبان قال : أخبرنى أحمد بن الهيثم القرشى [٣] قال : أخبرنى العمرى ، عن لقيط بن بكر المحاربى قال :

هو يزيد بن ربيعة بن مفرّغ الحميرى حليف قريش، ثم حليف آل خالد بن أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس .

قال العمرى: وقال ابن الكلبى [٤] :

كان مفرّغ عبداً للضحّاك بن عبد عوف الهلالى فأنعم عليه .

قال محمد بن خلف : أخبرنى محمد بن عبد الرحمن الأسدى ، عن محمد بن رزين قال : قال الأخفش :

---

(١) الشعاب : الذى يصلح الصدوع . وفى الخزانة ج ٢ ص ٢١٢ كان حدادا . وتبالة ببلاد اليمن .
(٢) فى مخطوط : بيت مفرغ .
(٣) فى المطبوع : القرظى .
(٤) فى المطبوع : كان ابن المسكى يقول .

كان ربيعة بن مفرّغ شعّابا بالمدينة ، وكان يُنسب إلى حِمير ، وإنما سمى مفرّغا [لأنه خاطر على عُسّ فشربه فسمى مفرّغا] لتفريغه العُسّ [1] ، وكان شاعرا غزلا محسنا ، والسيّد [2] من ولده .

أخبرنى محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثنى أبو العيناء قال : سُئل الأصمعىّ عن شعر تُبّع وقصته ومن وضعهما ، فقال : ابن مُفرغ . وذلك أن يزيد بن معاوية لما سيَّره إلى الشام وتخلّصه من عباد بن زياد أنزله الجزيرة ، وكان مقيما برأس عين ، وزعم أنه من حِمير ، ووضع سيرة تُبّع وأشعاره ، وكانت النمر بن قاسط تدّعى أنه منهم .

وقال الهيثم بن عدىّ : هو يزيد بن زياد بن ربيعة بن مفرّغ اليَحْصبى من حِمير ، يحصب بن مالك بن زيد بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدىّ بن مالك ابن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبدشمس بن وائل ابن الغوث بن الهميسع بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

وأخبرنى بخبره جماعة من مشايخنا منهم أحمد بن عبد العزيز الجوهرى ، عن عمر بن شبة ؛ ومحمد بن خلف بن المرزبان عن جماعة من أصحابه ، وأحمد بن عبد العزيز الجوهرى [3] عن علىّ بن محمد النوفلى عن أبيه ، فما اتفقت رواياتهم من خبره جمعتها فى ذكره ، وما اختلف أفردت كل منفرد منهم بروايته .

أخبرنى محمد بن الحسن بن دريد قال : حدثنا أبوحاتم ، عن أبى عبيدة ، عن مسلمة بن محارب . وأخبرنى الجوهرىّ قال : حدثنا عمر بن شبة ، وأخبرنى محمد بن العباس اليزيدىّ قال : قرأت على محمد بن الحسن الأحول ، عن ابن الأعرابى ، وأخبرنى محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثنا أحمد بن الهيثم قال : حدثنا العمرى ، عن لقيط بن بكر ، قالوا جميعا :

(١) العس : سقاء اللبن . (٢) يريد به السيد الحميرى الشاعر .
(٣) لعله أحمد بن عبد الله بن عمار ، إذ تكرر .

لما ولى سعيد بن عثمان بن عفان خراسان استصحب يزيد بن ربيعة بن مفرغ واجتهد به أن يصحبه ، فأبى عليه وصحب عبّاد بن زياد ، فقال له سعيد بن عثمان أما إذا أبيت أن تصحبنى وآثرت عبّادا فاحفظ ماأوصيك به ، إن عبادا رجل لئيم فإياك والدالة عليه ، وإن دعاك إليها من نفسه فإنها خدعة منه لك عن نفسك وأقلل زيارته فإنه طَرِف[1] ملول ، ولا تفاخره وإن فاخرك فإنه لايحتمل لك ماكنت أحتمله . ثم دعا سعيد بمال فدفعه إلى ابن مفرغ وقال: استعن بهذا على سفرك ، فإن صح لك[2] مكانك من عباد وإلا فكانك عندى مُمَهَّد فائتنى . ثم سار سعيد إلى خراسان ، وتخلف ابنُ مفرّغ عنه وخرج مع عباد .

قال ابنُ دريد فى خبره ، عن مسلمة بن محارب :

فلما بلغ عبيدَ الله بن زياد صحبةُ ابنِ مفرّغٍ أخاه عبّاداً شقّ عليه ، فلما سار أخوه عبادٌ شيّعه وشيّع الناسُ معه ، وجعلوا يودعونه ويودّع الخارجين مع عبادٍ عبيدُ الله بن زياد ، فلما أراد عبيد الله أن يودّع أخاه دعا ابنَ مفرغ فقال له : إنكَ سألت عباداً أن تصحبه ، وأجابك إلى ذلك ، وقد شق علىّ ، فقال له ابن مفرّغ : ولم أصلحك الله ؟ قال : لأن الشاعر لايُقنعه من الناس ما يُقنع بعضَهم من بعض ، لأنه يظن فيجعل الظن يقينا ، ولا يَعذِر فى موضع العُذر ، وإن عبّادا يَقْدَم على أرضِ حرب فيشتغل بحروبه وخراجه عنك ، فلا تعذره أنت وتُكسبنا شرّا وعارا . فقال له : لستُ كما ظن الأمير ، وإن لمعروفه عندى لشكرا كثيرا ، وإن عندى إن أغفل أمرى عذرا مُمهّدا ، قال : لا ولكن تضمن لى إن أبطأ عنك ما تُحبه منه أن لا تَعْجَل عليه حتى تكتب إلىّ قال : نعم ، قال : امض إذاً على الطائر الميمون ، قال : فقدم عباد خراسان ، واشتغل بحربه وخراجه ، فاستبطأه ابنُ مفرغ ولم يكتب إلى عبيد الله بن زياد

(١) الطرف : من لايثبت على صاحب .

(٢) فى الخزانة : ج ٢ ص ٢١٣ « فإن صلح » وهو ينقل عن الأغانى .

يشكوه كما ضمن له ، ولكنه بسط لسانه فذمّه وهجاه ، وكان عبّادٌ عظيم اللّحية كأنها جُوالَق ، فسار يزيد بن مفرغ يوما مع عبّاد ، فدخلت الرّيحُ فنفشتها ، فضحك ابنُ مفرّغ وقال لرجل من لخم كان إلى جنبه قوله :

ألا ليتَ اللّحى كانت حشيشا فنَعْلِفَها خيُولَ المسلمينا[١]

فسعى به اللخمى إلى عباد ، فغضب من ذلك غضبا شديدا وقال : لا يجملُ بي عقوبتُه فى هذه الساعة مع صحبته لى ، وما أؤخرها إلاّ لأشفىَ نفسى منه ، لأنه كان يقوم فيشتم أبى فى عدة مواطن ، وبلغ الخبرُ ابنَ مفرغ فقال : إنى لأجد ريحَ الموت من عباد ، ثم دخل عليه فقال له : أيها الأمير إنى كنت مع سعيد بن عثمان ، وقد بلغك رأيُه فىّ ، ورأيت جميلَ أثره علىّ ، وإنى اخترتك عليه فلم أحْلَ منك بطائل[٢] وإنى أريد أن تأذن لى فى الرجوع ، فلا حاجة لى فى صحبتك ، فقال له : أما اختيارك إياى فإنى اخترتك كما اخترتنى واستصحبتك حين سألتنى ، وقد أعجلتنى عن بلوغ محبتى فيك . وقد طلبت الإذن لترجع إلى قومك فتفضحنى فيهم وأنت على الإذن قادر بعد أن أقضىَ حقك . فأقام ، وبلغ عباداً أنه يسبه ويذكره وينال من عرضه . وأجرى عباد الخيل فجاء سابقا ، فقال ابنُ مفرّغ :

سبق عبادٌ وصلّتْ لحيَتُه

فطَلَب عليه العِلَل ، ودسّ إلى قوم كان لهم عليه دَين فأمرهم أن يقدموه إليه ففعلوا ، فحبسه وأضرّ به ، ثم بعث إليه أنْ يَبِعْنِى الأرَاكَةَ وبُرْدًا ، وكانت الأرَاكَة قينة لابن مفرغ ، وبُرْدٌ غلامهُ ، ربّاهما وكان شديد الضنّ بهما ، فبعث إليه ابنُ مفرغ مع الرّسُول : أيبيع المرءُ نفسَهُ أو ولده ؟ فأضرّ به عباد حتى أخذهما منه .

(١) فى مخطوط : دواب المسلمينا .

(٢) حلى منه بطائل : أصاب منه معروفا وخيرا . وفى مخطوط : فلم أحظ : .

هذه رواية مسلمة :

وأما لقيط وعمر بن شبة فإنهما ذكرا أنه باعهما عليه ، فاشتراهما رجل من أهل خراسان ، قال لقيط : فلما دخلا منزله قال له بُرد وكان داهية أريبا : أتدرى ما اشتريت ؟ قال : نعم اشتريتُك وهذه الجارية . قال : لا والله مااشتريت إلا العارَ والدمارَ والفضيحةَ أبدا ما حييت ، فجزع الرجل وقال له : كيف ذلك ويلك ؟ قال : نحن ليزيد بن ربيعة بن مفرغ ، والله ما أصاره إلى هذه الحال إلا لسانه وشَرّه أفتراه يهجو ابن زياد — وهو أمير خراسان وأخوهُ أميرُ العراقين وعمه الخليفةُ — فى أن استبطأه . ويمسك عنك ، وقد ابتعتنى وابتعت هذه الجارية وهى نفسه التى بين جنبيه ؟ والله ما أرى أحداً أدخل بيته أشأمَ على نفسه وأهله مما أدخلتَه منزلك . قال : فاشهد أنك وإياها له ، فإن شئتما أن تمضيا إليه فامضيا ، على أنى أخاف على نفسى إن بلغ ذلك ابن زياد ، وإن شئتما أن تكونا عندى له فافعلا ، قال : فاكتب إليه بذلك ، فكتب الرجل إلى ابن مفرغ فى الحبس بما فعله . فكتب إليه يشكر فعلَه ، وسأله أن يكونا عنده حتى يفرّج الله عنه .

قال : وقال عباد لحاجبه : ما أرى هذا — يعنى ابن مفرغ — يبالى بالمُقام فى الحبس ، فبعْ فرسه وسلاحه وأثاثه واقسِم ثمنها بين غرمائه ، ففعل ذلك وقسم الثمن بينهم ، وبقيت عليه بقيّةٌ حبَسه بها ، فقال ابن مفرغ يذكر غلامه بردا وجاريته الأراكة وبيعهما :

شَريتَ بُرْدا ولو مُلّكت صَفقتَه … لما تطلّبت فى بيعى له رَشَدا
لولا الدعىُّ ولولا ما تعرَّض لى … من الحوادث ما فارقتُه أبدا
يا بُرْد ما مسَّنا دَهْرٌ أضرَّ بنا … من قبلِ هذا ولا بِعنْا لنا وَلَدا
أمَّا الأراكُ فكانت من محارمنا … عيشا لذيذا وكانت جَنّةً رغَدا
كانت لنا جَنَّةً كنا نعيش بها … نَغْنَى بها إن خشينا الإزْلَ والكَنَدا(١)

(١) الإزل : الداهية . والكند : كفر النعمة . وفى مخطوط : والنكدا .

يا ليتنى قبل ما ناب الزمانُ به أهلى لقيت على عُدْوانِه الأسَدا[1]
قد خانَنا زمن لم نخش عثرتهُ من يأْمَن اليوم أم من ذا يعيش غدا
لامتَنِىَ النفسُ فى بُرْدٍ فقلت لها لاتهلِكى إثرَ بُرْدٍ هكذا كمَدَا
كم من نعيمٍ أصبنا من لذاذَتهِ قلنا له إذْ تولّى ليته خلَدَا

قالوا : وعلم ابنُ مفرغ أنه إن أقام على ذمّ عباد وهجائه وهو فى محبسه زاد نفسَه شرّا ، فكان يقولُ للنّاس إذا سألوه عن حبسه ما سببه : رجل أدّبه أميرُه ليُقوّم من أوَدهِ أو يكُفَّ من غَرْبه [2] وهذا لعمرى خيرٌ من جرّ الأمير ذيلَه على مداهنة لصاحبهِ . فلما بلغ عباداً قولُه رقّ له وأخرجه من السجنِ ، فهرب حتى أتى البصرة ، ثم خرج منها إلى الشام وجعل ينتقل فى مدنها هاربا ويهجو زيادا وولده .

وقال المدائنى فى خبره :

لما بلغ عبادَ بنَ زياد أنّ ابن المفرغ قال :

• سبق عباد وصلّت لحيته[3] •

دعا ابنَه والمجلسُ حافل فقال له : أنشدنى هجاء أبيك الذى هُجِىَ بهِ ، فقال : أيها الأمير ماكُلِّف أحدٌ قط مثل ماكلّفتنى . فأمر غلاما له أعجميا وقال له : قم على رأسه ، فإن أنشد ما أمرتُه به وإلاّ فصُبَّ السوط على رأسه أبدا أو ينشدَ ، فأنشده أبياتا هُجِى بها أبوه أولها :

قَبحَ الإلهُ ولايُقَبِّحُ غيرَه وَجْهَ الحمارِ ربيعةَ بنَ مُفرّغِ

وجعل عباد يتضاحك به ، فخرج ابنُ ابنِ مفرّغ من عنده وهو يقول : والله لايذهب شتم شَيخى باطلا . وقال يهجوه بقوله :

(١) فى مخطوط : لقيت أهلى على عدوانه الأسدا .
(٢) غربه : حدته .
(٣) صلت : جاءت تالية .

أصرمْتَ حبلَكَ من أُمامه … من بعد أيامٍ بِرَامَهْ[1]
فالريحُ تبكى شَجْوَها … والبرقُ يضحك فى الغمامه
لهفى على الأمر الذى … كانت عواقبُه ندامَهْ
تركى سعيدا ذا الندى … والبيتِ ترفعهُ الدِّعامَهْ
فُتِحَتْ سَمَرْقَنْدٌ له … وَبَنَى بِعَرْصَتِها خِيامَهْ
وتبعْتُ عبد بنى علا … ج تلك أشراط القيامَهْ[2]
جاءت به حبشيَّةٌ … سكَّاء تحسبها نَعامَهْ[3]
وشَرَيْتَ بُرداً ليتنى … من بعد بُرْد كنتُ هامَهْ
أو بُومة تدعو صدًى … بين المُشَقَّر واليمامَهْ[4]
فالهولُ يركبُهُ الفتى … حَذَرَ المخازى[5] والسآمَهْ
والعبْدُ يُقْرَعُ بالعَصَا … والحرّ تكفيهِ الملامَهْ

قالوا : ثم لج فى هجاء بنى زياد حتى تغنى أهل البصرة فى أشعاره ، فطلبه عبيد الله طلبا شديدا حتى كاد يؤخذ فلحق بالشام .

واختلفت الرواة فيمن ردّه إلى ابن زياد ، فقال بعضهم . معاوية ، وقال بعضهم : يزيد . والصحيح أنه يزيد ، لأن عبادَ بن زياد إنما ولى سجستان فى أيام يزيد ، وقال بعضهم بل الذى ولاّه معاوية ، وهو ولى سعيدَ بن عثمان خراسانَ ؛

أخبرنى محمد بن العباس اليزيدى وعبيد الله بن محمد الرازى[6] قالا : حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائنى قال :

دخل سعيد بن عثمان على معاوية بن أبى سفيان فقال : علام جعلت يزيدَ ولىّ عهدك دونى ، فوالله لأبى خيرٌ من أبيه ، وأمى خيرٌ من أمه ، وأنا خيرٌ منه . وقد

(١) رامه : موضع . (٢) علاج : بطن من ثقيف .
(٣) السكاء : القصيرة الأذن الصغيرتها ، وأيضا الصماء .
(٤) الصدى : نوع من البوم . والمشقر واليمامة : موضعان . وفى مخطوط : هى هامه تدعو صدى.
(٥) فى مخطوط : خوف المخازى .
(٦) فى مخطوط . وعبد الله بن أحمد .

ولّيناك فما عزلناك ، وبنا نِلْتَ مانلت . فقال له معاوية : أما قولك إن أباك خير من أبيه فقد صدقت لعمر الله،إن عثمان لخير منى ،وأما قولك إن أمك خير من أمه ،فحسب المرأة أن تكون فى بيت قومها وأن يرضاها بعلها ويَنْجُب ولدها وأما قولك إنك خير من يزيد، فوالله يا بُنَيّ ما يسرنى أن بيزيد ملء الغُوطَة[1] مثلك ، وأما قولك : إنكم وليتمونى فما عزلتمونى ، فما وليتمونى ، وإنما ولانى من هو خير منكم عُمَرَ ، فأقررتمونى وما كنت بِئس الوالى لكم ، لقد قمت بثأركم وقتلت قتلة أبيكم ، وجعلت الأمر فيكم ،وأغنيت فقيركم ، ورفعت الوضيع منكم . فكلمه يزيدُ فى أمره فولاه خراسان .

رجع الحديث إلى سياقة أخبار ابن مفرغ

قالوا : فلم يزل ينتقل فى قُرى الشام ونواحيها ، ويهجو بنى زياد ، وأشعاره فيهم تَرِدُ البصرة وتُنْشَر وتبلغهم . فكتب عبيد الله بن زياد إلى معاوية . وقال الآخرون : إنه كتب إلى يزيد وهو الصحيح ، يقول له: إن ابن مفرّغ هجا زيادا وبنى زياد بما هتكه فى قبره ، وفضح بنيه طول الدهر ، وتعدّى ذلك إلى أبى سفيان ،فقذفه بالزنا وسبّ ولده ،فهرب من خراسان إلى البصرة ،وطلبته حتى لفظتْه الأرض ، فلجأ إلى الشام يتمضغ لحومنا بها ، ويهتك أعراضنا ، وقد بعثتُ إليك بما هجانا به لتنتصف لنا منه، ثم بعث بجميع ماقاله ابنُ مفرغ فيهم ، فأمر يزيدُ بطلبه ، فجعل ينتقل من بلد إلى بلد ، فإذا شاع خبره انتقل حتى لفظته الشام فأتى البصرة ونزل على الأحنف بن قيس ، فالتجأ به واستجار ،فقال له الأحنف: إنى لا أجير على ابن سُمَيَّة[2] فأعْزِل ، وإنما يُجير الرجلُ على عشيرته فأما على سلطانه فلا ، فإن شئت أجرتك من بنى سعد وشعرائهم ، فلا يَريبك منهم رَيْب : فقال له ابنُ مفرغ بأستاه بنى سعد [3] ،وما عساهم أن يقولوا فىّ؟ هذا مالاحاجة

(١) الغوطة : موضع .
(٢) سمية : هى أم زياد بن أبى سفيان . وبها كان يكنى هو وبنوه . وفى مخطوط : على بنى سمية .
(٣) فى المطبوع : يا أستاذ بنوسعد . وفى مخطوط : فلا يريبك أحد منهم فقال . . .

لى فيه . ثم أتى خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد فاستجاره فأبى أن يُجيره ، فأتى عُمر بن عبيد الله بن مَعمر فوعده ، وأتى طلحة الطلحات فوعده ، وأتى المنذر ابن الجارود العبدىّ فأجاره ، وكانت بَحْرِيَّة بنت المنذر تحت عُبيد الله ، وكان المنذر من أكرم الناس عليه ، فاغترّ بذلك وأدلّ بموضعه منه ، وطلبه عبيدُ الله وقد بلغه ورودُه البصرةَ . فقيل له : أجاره المنذر بن الجارود ، فبعث عبيد الله إلى المنذر فأتاه ، فلما دخل عليه بعث عبيد الله بالشُّرط فكبسوا داره وأتوه بابن مفرغ ، فلم يشعر المنذر إلاّ بابن مفرغ قد أقيم على رأسه ، فقام المنذر إلى عبيد الله فكلّمه فيه فقال : أذكرك اللهَ أيها الأمير أن تخفر جوارى . فإنى قد أجرته . فقال عبيد الله : يا منذر ليمدحنّ أباك وليمدحنّك ، ولقد هجانى وهجا أبى ، ثم تجيره علىّ ، لاها الله [1] لا يكون ذلك أبدا . ولا أغفرها له ، فغضب المنذر فقال له : لعلك تُدِلّ بكريمتك عندى ، إن شئت والله لأبِينَنُّها بتطليق البتَّة فخرج المنذر من عنده ، وأقبل عبيد الله على ابن مفرغ فقال له : بئسما صحِبتَ به عبادًا . قال : بئسما صحِبنى به عباد ، اخترتُه على سعيد ، وأنفقت على صحبته كلَّ ما أفدتُه ، وكلَّ ما أملكه وظننت أنه لا يخلو من عقل زياد وحلم معاوية وسماحة قريش ، فعدل عن ظنى كله ثم عاملنى بكلّ قبيح ، وتناولنى بكلّ مكروه ، من حبس وغُرْم وشتم وضَرْب ، فكنتُ كمَن شام برقا خُلَّبا فى سحاب جَهام [2] فأراق ماءه طمعا فيه فمات عطشا ، وماهربت من أخيك إلاّ لما خفتُ من أن يَجْرِىَ فىَّ إلى ما يندم عليه ، وقد صرتُ الآن فى يدك ، فشأنَك فاصنع بى ما أحببت ، فأمر بحبسه ، وكتب إلى يزيد بن معاوية . يسأله أن يأذن له فى قتله ، فكتب إليه : إياك وقتلَه ، ولكن عاقبه بما يُنكّله ويشدّ سلطانك ، ولا تَبْلُغْ نَفْسَه ، فإن له عشيرةً هى جُندى وبطانتى ، ولا ترضى بقتاه منى ، ولا تقنع إلاّ بالقَوَدِ

(١) لاها الله : لا والله .

(٢) شام : تطلع نحوه ببصره . والجهام : السحاب لا ماء فيه .

منك ، فاحذر ذلك واعلم أنَّه الجِدُّ منهم ومنى ، وأنك مرتهن بنفسه ، ولك فى دون تلفها مَندوحةٌ تَشفى من الغيظ . فورد الكتاب على عبيد الله بن زياد ، فأمر ابن مفرغ فسُقِىَ نبيذا حلوا قد خلط معه الشبرم[1] فأسهل بطنَه وطِيف به على تلك الحال ، وقُرِن بِهِرَّةٍ وخنزير ، فجعل يَسْلَحُ والصبيان يتبعونه ويقولون له بالفارسية : أين جيست . فيقول .

ابَسْتْ نبيذاسْتْ ◦ عُصاراتُ زَبيبسْتْ ◦ سُميَّة رو سفيدَسْتْ[2]

وجعل كلما جرَّ الخنزيرةَ ضجَّت فجعل يقول :

ضجَّت سُمَيَّة لما لزَّها قَرَنى[3] لا تجزعى إن شر الشِّيمة الجزع

فجعل يُطاف به فى أسواق البصرة والصبيان خلفه يصيحون به، وألحَّ عليه ما يخرج منه حتى أضعفه . فسقط ، فعرف ابن زياد ذلك فقيل : إنه لَمَا به[4] لا نأمن أن يموت فأمر به أن يُغْسل ، ففعلوا ذلك به فلما اغتسل قال :

يغسل الماءُ ما فعلتَ وقولى راسخٌ منك فى العظام البوالى

فردَّه عبيدالله إلى الحبس وأمر بأن يُسْلَم مِحْجَما ، وقدَّموا له علوجا ، وأُمر بأن يَحْجِمَهم ، فكان يأخذ المشارط فيقطع بها رقابهم ، فيهربون[5] منه ، فتركهُ وردَّه إلى محبسه ، وقامت الشرط على رأسه ، تَصُبّ عليه السياط ويقولون له . احجمهم ، فقال :

وماكنت حجاما ولكنْ أحلنى بمنزلةِ الحجَّام نأيى عن الأهلِ

وقال عمر بن شبة فى خبره : جمع عباد بن زياد كلَّ شىء هجاه به ابنُ مفرغ ،

(١) الشبرم : لعله عقار مسهل . وفى الشعر والشعراء ٣٢٠ : وسقاه التربذ فى النبيذ .
(٢) هذه أبيات بالفارسية وجاءت فى الطبرى ٦/١٧٧ والبيان والتبين ١/١٣٢ . وفى مخطوط : فيقول : آبيا است وزبيت است وعصارات زبيت است وسميه روى بست
(٣) لز الشىء بالشىء : شده وألصقه به
(٤) لمابه : أى فى حالة الموت .
(٥) فى المطبوع : فيتوارون .

وكتب به إلى أخيه عبيد الله وهو يومئذ وافدٌ على معاوية، فكان فيما كتب إليه قوله :

إذا أوْدَى معاويةُ بن حربٍ فبشِّرْ شَعْبَ قَعْبِك بانصداعِ [١]
فأشهدُ أن أُمَّك لم تباشرْ أبا سفيان واضعةَ القناعِ
ولكن كان أمرًا فيه لَبْسٌ على وَجَلٍ شديد وارتياعِ [٢]

وقوله :

ألا أبْلغ معاوية بنَ حَرْبٍ مُغَلْغَلَةً من الرجل اليماني
أتغضب أن يقال أبوك عَفٌّ وتَرضى أن يقال أبوك زاني
فأشهد أن رِحْمك من زِياد كرِحمِ الفيلِ من وَلَد الأتانِ
وأشهد أنها ولدَتْ زيادا وصخْرٌ من سُمَيَّة غيرُ داني

فدخل عبيد الله بن زياد على معاوية فأنشده هذه الأشعار، واستأذنه فى قتله، فلم يأذن له وقال : أدِّبه أدبا وَجيعا مُنكِّلا ولا تتجاوز ذلك إلى القتل .

وذكر باقى الحديث كما ذكره من تقدَّم .

قالوا جميعا : وقال ابن مفرغ يذكر جِوارَ المنذر بن الجارود إياه وأمانه :

تركتُ قُريشا أن أُجاورَ فيهمُ وجاورتُ عبدَ القيس أهلَ المشقَّرِ
أُناسٌ أجارونا فكان جوارُهم أعاصيرَ من قَسْوِ العراق المُشذَّرِ [٣]
فأصبح جارى من خُزيمة قائما ولا يمنع الجيرانَ غيرُ المُشمِّرِ

وقال أيضا فى ذلك :

أصبحتُ لا من بنى قيسٍ فتنصرنى قيسُ العراق ولم تغضب لنا مُضَرُ

---

(١) الشعب هنا معناه : الالتئام وفى المطبوع : شعب قلبك .

(٢) فى المطبوع : وامتناع .

(٣) القسو : الغلظ والصلابة .

ولم تكلّم قريشٌ فى حليفهمُ ... إذ غاب ناصرُه بالشام واحتضروا[1]
والله يعلم ما تُخفى النفوس وما ... سرّى أميّةَ أو ما قال لى عُمرُ[2]
وقال لى خالد قولا قنعتُ به ... لو كنت أعلم أنّى يطلع القمرُ
لو أننى شهدتنى حِميرٌ غضبتْ ... دونى فكان لهم فيما رأوا عِبَرُ
أو كنت جارَ بنى هندٍ[3] تداركنى ... عوفُ بنُ نُعمان أو عِمرانُ أو مَطرُ

وقال أيضا يذكر ذلك وما فعل به ابنُ زياد :

دار سلمى بالخبت ذى الأطلال ... كيف نومُ الأسير فى الأغلالِ
أين منى السلامُ من بعد نأْىٍ ... فارجعى لى تحيّتى وسؤالى
أين منى نجائبى وجيادى ... وغزالى سقى الإلهُ غزالى
أينَ لا أينَ جُنّتى وسلاحى ... ومطايا يسّرتها لارتحالى
هدَم الدهرُ عرْشنا فتداعَى ... فبَلينا إذ كلُّ شىء بالى
إذ دعانا زوالُه فأجبْنا ... كلُّ دُنيا ونعمةٍ لزوالِ
أم قضينا حاجاتِنا فإلى المو ... ت مصيرُ الملوك والأقيالِ
لا وصوْمى لربنا وزكاتى ... وصلاتى أدعو بها وابتهالى
ماأتيت الغداةَ أمرًا دنيًّا ... ولدَى الله كابرُ الأعمالِ
أيها المالك المُرهِّبُ بالقـ ... ـتل بلغْتَ النكالَ كلَّ النكالِ
فاخش نارًا تشوِى الوجوه ويوما ... يَقذِفُ الناسَ بالدواهى الثّقالِ
قد تعدّيت فى القِصاص وأدرك ... تَ ذُحُولا لمعشرٍ أقتالِ[4]

(١) احتضروا : حضروا ولم يغيبوا .

(٢) سرى : كشف الهم . وفى مخطوط : تبدى أمية .

(٣) فى الأصل : « جار بنى نهد » هذا وفى الأشتقاق ٢٥ : بنو هند : بطن عظيم من بكر بن وائل. وجاء البيت فى الأشتقاق ص ٢١٦ : جار بنى هند . ومطر : هو مطر بن شريك .

(٤) الذحول : جمع ذحل ، وهو الثأر . وأقتال : جمع قتل « بكسر القاف » ، ومن معانيه : الصديق والشجاع والمقاتل والنظير. لعلها أيضا : أقيال .

وكسرت السِّنَّ الصحيحةَ منّى لا تَذِلَّنْ فَمُنْكَرٌ إذلالى
وقرنتم مع الخنازير هِرًّا ويمينى مغلولة وشمالى
وكِلابا تَنْهشُنى من ورائى عجِبَ الناسُ مالهنَّ ومالى
وأطلتم مع العقوبة سَجْنى فكم السِّجْنُ أو متى إرسالى
يغسل الماءُ ما صنعتَ وقولى راسخٌ منك فى العظام البوالى
لو قبلتَ الفِداءَ أو رُمتَ مالى قلتُ خذه فدًى لنفسِىَ مالى[1]
لو بغيرى من معشرى لعب الدهـ ـرُ لما ذمَّ نُصرتى واحتيالى
كم بكانى من صاحبٍ وخليلٍ حافظِ الغيب حامدٍ لخصالى
ليت أنى كنت الحليفَ لِلَخْمٍ وجُذام أو طيِّءِ الأجْبالِ
بدلاً من عصابة من قُرَيش أسلمونى للخصم عند النضالِ
البهاليلُ من بنى عبد شمس فَضَلُوا الناسَ بالعُلا والفعال
وبنو التَّيمِ تَيْمِ مُرَّةَ لمّا لمَعَ الموتُ فى ظِلال العوالى
منعوا البيتَ بيتَ مكة ذا الحِجْـ ـرِ إذ الطير عُكَّفٌ فى الظلال[2]
والبهاليل خالد وسعيد شمس دَجْنٍ وَوُضَّحٌ كالهلال
فى الأُرومات والذُّرا من بنى العيـ ـص قرومٍ إذا تُعَدُّ المعالى
كنت منهم، ماحرّموا فحرامٌ لم يُراموا وحِلُّهم من حلالى[3]
وذوو المجد من خزاعة كانوا أهلَ وُدّى فى الخصب والإمحال
خذلونى وهم لذاك دَعَوْنى ليس حامى الذّمارِ بالخذّالِ
لا تدعنّى فداك أهلى وما لى إنْ حَبْلَيْكَ من متانِ الحبال
حسْرَتا إذ أطعتُ فيك غُواتى[4] وعصيتَ النَّصيحَ ضَلَّ ضلالى

وقال يهجو عباد بن زياد ويذكر سعيد بن عثمان :

(١) فى المطبوع : فداء نفسى مالى .
(٢) فى مخطوط : عكف كالظلال .
(٣) فى مخطوط : وحلهم بحلالى .
(٤) فى المطبوع : أطعت أمر غواتى .

أيها الشاتم جهلاً سعيداً ... وسعيدٌ فى الحوادث نابُ
ما أبوكم مشْبِها لأبيه ... فاسألوا الناس بذاكم تُجابوا
ساد عبّادٌ ومُلّكَ جيشا ... سبّحت من ذاك صُمٌّ صِلابُ
إن عاما صرْتَ فيه أميرا ... تملك الناسَ لَعامٌ عُجابُ

قال : واتصل هجاؤه زيادا وولده وهو فى الحبس ، فرده عبيدالله إلى أخيه عباد بسجستان ، ووكّل به رجالا ووجههم معه ، وكان لما هرب من عباد يهجوه ويكتب كل ما هجاه به على حيطان الخانات ، وأمر عبيدُ الله الموكَّلين به أن يأخذوه بمحو ماكتبه على الحيطان بأظافيره ، وأمرهم أن لايتركوه يصلى إلا إلى قبلة النصارى إلى المشرق ، فكانوا إذا دخلوا بعض الخانات التى نزلها ، فرأوا فيها شيئا مما كتبه من الهجاء ، أخذوه بأن يمحوه بأظافيره ، فكان يفعل ذلك ويحكه حتى ذهبت أظافيره ، فكان يمحوه بعظام أصابعه ودمه ، حتى سلّموه إلى عباد ، فحبسه وضيق عليه . قال عمر بن شبة فى خبره : وقال ابن مفرغ :

سرَتْ تحت أقطاع من الليل زينبُ ... سلامٌ عليكمْ هل لما فاتَ مطلبُ

ويروى :

ألا طرقتنا آخرَ الليلِ زينبُ

أصاب عذابى اللونَ فاللونُ شاحبٌ ... كما الرأسُ من هول المنية أشيبُ
قُرِنْتُ بخنزير وهِرٌّ وكلبةٍ ... زماناوشانَ الجِلْدَضرْبٌ مشذَّبُ[1]
وجُرّعتها صهباءَ من غير لذّةٍ ... تُصَعّدُ فى الجُثمانِ ثُم تُصَوّبُ
وأُطعمتُ ما إن لا يَحِلُّ لآكل ... وصَلّيتُ شرقا بيتُ مكّة مَغربُ
من الطَّفّ مجلوبا إلى أرض كابُلٍ[2] ... فمَلّوا ومامَلّ الأسيرُ المُعذَّبُ
فلو أنّ لحمى إذْ هَوَى لعبتْ به ... كرامُ الملوك أوأسودٌ وأذْؤبُ

---

(١) مشذب بمعنى مقشر أو من معنى شذب المال : مزقه .

(٢) فى مخطوط : من الطف مجنوبا .

لهوّن وجدى أولزادت بصيرتى ... ولكنما أودتْ بلحمىَ أكلُبُ
أعبَّادُ مالِلؤْم عنــكُ مُحَوَّلٌ ... ولا لك أمٌّ فى قُريش ولا أبُ
سينصُرنى من ليس تَنفع عنده ... رُقاكَ وقرْمٌ من أمية مُصْعَبُ[1]
وقل لعبيد الله مالك والدٌ ... بِحَقٍّ ولايدرِى امرُؤٌ كيف تُنسبُ

فى أول هذا الشعر غناء نسبته .

صوت

ألا طرقتنا آخرَ الليل زينبُ ... سلامٌ عليكم هل لما فات مَطلبُ
فقالتْ تَجنَّبْنا ولا تقْرَبَنَّنا ... فكيف ـ وأنتم حاجتى ـ أتجنَّبُ

الغناء لسياط ثانى ثقيل بالوسطى عن الهشامى .

وقالوا جميعا : فلما طال مُقام ابن مفرغ فى السجن استأجر رسولا إلى دمشق وقال له : إذا كان يوم الجمعة فقفْ على دَرَج مسجد دمشق ، ثم أنْشد هذين البيتين بأرفع ما يمكنك من صوتك ، وكتبهما فى رقعة وهما :

أبلغْ لديك بنى قحطان قاطبةً ... عضَّت بأير أبيها سادةُ اليمنِ
أضحى دَعِىٌّ زيادٍ فقعَ قَرْقَرةٍ[2] ... ياللعجائب يلهو بابنِ ذى يزَنِ

ففعل الرسول ما أمره به فحميت اليمانية وغضبوا له ، ودخلوا إلى معاوية فسألوه فيه فدفعهم عنه ، فقاموا غضابا ، وعرف معاوية ذلك فى وجوهم ، فردّهم ووهب لهم ووجه رجلا من بنى أسد يقال له خمخام[3] ـ ويقال : جهنام ـ بريدا إلى عباد وكتب له عهدا ، وأمره أن يبدأ بالحبس فيُخرج ابنَ مفرغ منه ويُطلقه قبل أن يعلم عباد

---

(١) المصعب : الفحل

(٢) الفقع : الرخو من الكماة . والقرقرة الأرض المطمئنة اللينة ، ويضرب ذلك للذليل فيقال : أذل من فقع بقرقرة .

(٣) فى الشعر والشعراء : حمحام .

فيمَ قدِمَ فيغتاله ، ففعل ذلك به ، فلما خرج من الحبس قُرِّبت إليه بغلة من بغال البريد ، فركبها ، فلما استوى على ظهرها قال :

عَدَسْ مالعباد عليك إمارةٌ[1] ... نَجوْتِ وهذا تحملين طَليقُ
فإن الذى نجّى من الكرب بعدما ... تلاحَمَ فى دَرْبٍ عليك مضيقِ
أتاك بمحمخامٍ فنجاك فالحقْ ... بأهلك لا تُحْبَس عليك طَريقُ[2]
لعمرى لقد أنجاك من هُوَّة الردَى ... إمامٌ وحَبْلٌ للأنام وَثِيقُ
سأشكر ما أوليتَ من حُسن نعمة ... ومثلى بشكر المُنعمين خليق[3]

قال عمر بن شبة فى خبره ، ووافقه لقيط بن بكير : فلما أدخل على معاوية بكى وقال : ركب منى ما لم يركب من مسلم قط ، على غير حدث فى الإسلام ولا خلع يَدٍ من طاعة ولا جرم ، فقال : ألست القائل :

ألا أبلغْ معاويةَ بنَ حَرْبٍ ... مُغَلْغَلَةً من الرجال اليمانى
أتغضب أن يقال أبوك عَفٌّ ... وترضى أن يُقال أبوك زانى
فأشهد أن رَحْمك من زياد ... كرحْم الفيل من ولَد الأتانِ
وأشهد أنها ولدت زيادا ... وصخرٌ من سُمَيَّة غيرُ دانى

فقالَ : لا والذى عظَّم حقك يا أمير المؤمنين ما قلته ، ولقد بلغنى أن عبد الرحمن ابن الحكم قاله ونسبه إلىَّ ، قال : أفلم تقل :

شهدت بأنَّ أُمك لم تباشرْ ... أبا سفيان واضعة القناع
ولكن كان أمرٌ فيه لَبسٌ ... على وَجلٍ شديدٍ وارتياعِ

أولست القائل :

إن زيادا ونافعـا وأبا ... بَكرة عندى من أعجب العجبِ
إن رجالا ثلاثة خُلقُـوا ... فى رَحْم أنثى ما كُلُّهم لأبِ

(١) عدس : كلمة زجر للبغال ، هذا وانظر الشعر والشعراء ٣٢٤ واختلاف الرواية
(٢) فى المطبوع : فأنجاك فالحق بأرضك .
(٣) فى المطبوع : حقيق .

ذا قُرَشِيٌّ كما يقول وذا مَوْلًى وهذا بزعمه عربى

فى أشعار كثيرة قالها فى هجاء زياد وبنيه ، اذهبْ فقد عفوت عن جرمك ، ولو إيَّانا تعامل لم يكن شىء مما كان ، فاسكن أىَّ أرض أحببت. فاختار الموصل ، فنزلها ، ثم ارتاح إلى البصرة فقدمها، فدخل على عبيدالله بن زياد واعتذر إليه وسأله الصفح والأمان ، فأمنه، وأقام بها مدة ثم دخل عليه بعد أن أمنه فقال : أصلح الله الأمير ، إنى قد ظننت أن نفسك لاتطيب لى بخير أبدا ، ولى أعداء لاآمن سعيهم علىَّ بالباطل ، وقد رأيت أن أتباعد ، فقال له : إلى أين شئت : فقال : كَرْمَان ، فكتب له إلى شريك بن الأعور وهو عليها بجائزة وقطيعة وكسوة ، فشخص فأقام بها حتى هرب عبيد الله من البصرة ، فعاد إليها .

هذه رواية عمر بن شبة .

وقال محمد بن خلف فى روايته ، عن أحمد بن الهيثم عن المدائنى ، وعن العمرى عن لقيط :

أن ابن مفرغ لمَّا طال حبسه وبلاؤه ركب طلحةُ الطَّلحات إلى الحجاز ، ولقى قريشا ، وكان ابنُ مفرغ حليفا لبنى أمية ، فقال لهم طلحة: يا معشر قريش إن أخاكم وحليفكم ابنَ مفرغ قد ابتُلى بهذه الأعْبُد من بنى زياد، وهو عَديدكم وحليفكم ورجل منكم ، ووالله ما أُحب أن يُجرِيَ اللهُ عافيتَه على يدى دونكم ، ولا أفوز بالمكرمة فى أمره وتَخلُوا منها ، فانهضوا معى بجماعتكم إلى يزيد بن معاوية فإن أهل اليمن قد تحركوا بالشام . فركب خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وأمية بن عبد الله أخوه ، وعمر بن عبيد الله بن معمر ، فى وجوه خزاعة وكنانة ، وخرجوا إلى يزيد ، فبينماهم يسيرون ذات ليلة إذ سمعوا راكبا يتغنى فى سواد الليل بقول ابن مفرغ ويقول :

إن تركي ندى سعيدِ بنِ عثما نَ بن عفان ناصرى وعَديدى[1]

(١) فى الشعر والشعراء : « عثمان فتى الجود ناصرى وعديدى »

واتّباعى أخا الضَّرَاعة واللؤُ م لنقص وفوتُ شأوٍ بعيدِ
قلتُ والليلُ مُطبق بعُـــرَاه ليتنى متُّ قبلَ تركِ سعيدِ
ليتنى مت قبل تركى أخا النج دة والحزم والفَعال السَّديدِ
عَبْشميٌّ أبوهُ عبد مَنافٍ فازَ منها بتاجها المعقودِ
ثُمَّ جُودٌ لو قيل هل من مزيد قلت للسائلين ما من مَزيدِ
قلْ لقومى لدى الأباطح من آ ل لُؤَىَّ بن غالبٍ ذِى الجُودِ
سامَنِى بعدَكُمْ دَعِيُّ زيادٍ خُطَّةَ الغادر اللئيم الزَّهيدِ
كان ماكان فى الأراكة واجْ بَّ بَبْرْدٍ سنامَ عَيسى وَجيدِى[1]
أوغل العبد فى العقوبة والشتْ م وأودى بطارفى وتليدى
فارحلوا فى حليفكم وأخيكم نَحوَ غوث المُستصرِخينَ يزيدِ
فاطلبوا النَّصْفَ من دعيٍّ زيادٍ[2] وسلونى بما ادَّعَيْتُ شُهودى

قال : فدعا القوم بالراكب فقالوا له : ما هذا الذى سمعناه منك وماتغنى به ؟ فقال: هذا قول رجل والله إنَّ أمرهُ لعجب ، رجل ضائع بين قريش واليمن وهورجل الناس ، قالوا :ومن هو؟ قال : ابن مفرغ ، قالوا : والله مارحلنا إلا فيه ، وانتسبوا له ، فضحك وقال : أفلا أُسمعكم من قوله أيضا ؟ قالوا: بلى ،فأنشدهم قوله :

لعمرِيَ لوكانَالأسيرُ ابنَ مَعمرٍ وصاحِبَه أو شِكْله ابنَ أسيدِ
ولو أنهم نالوا أُميَّة أرقلَتْ[3] براكبها الوَجْناء نحو يَزيدِ
فأبلغتُ عذرًا فى لؤَىِّ بنِغالبٍ وأتلفتُ فيهم طارفى وتليدى
فإن لم يُغَيِّرها الإمامُ بِحَقِّها عدلْتُ إلى شُمٍّ شوامخَ صِيدِ

---

(١) الأراكة : جاريته وبرد غلامه ، ولعلها : سنام عيثى .

(٢) النصف : الانصاف « بضم النون وفتحها وكسرها » .

(٣) أرقلت : أسرعت أوسارت الإرقال ، وهوضرب من سير الإبل .

فناديتُ فيهم دعوةً يمنيَّةً كما كان آبائى دَعَوْا وجدودى
ودافعتُ حتى أبلغ الجهد عنهمُ دفاع امرئٍ فى الخير غير زهيد
فإن لم تكونوا عند ظنّى بنصركمْ فليس لها غيرُ الأغرّ سعيدِ
بنفسى وأهلى ذاك حيًّا وميتًا نُضارٌ وعودُ المرءِ أكرمُ عُود
فكم من مقام فى قريشٍ كفيته ويوم يُشيبُ الكاعباتِ شديدِ
وخصمٍ تحاماه لؤىُّ بن غالبٍ شَبَبْتُ له نارىَ فهابَ وقودى
وخيرٍ كثير قد أفأتُ عليكمُ وأنتمْ وقودٌ أو شبيهُ وَقُودِ

قال : فاسترجع القوم لقوله وقالوا : والله لانغسل رؤوسنا فى العرب إن لم نغسلها بفكّه ، فاغذّ القوم السير [1] حتى قدموا الشام، وبعث ابنُ مفرغ رجلا من بنى الحارث بن كعب ، فقام على سور حِمْص فنادى بأعلى صوته الُحصينَ بنَ نمير - وكان والى حمص - بهذه الأبيات ، وكان عظيم الجبهة :

أبلغْ لديك بنى قحطان قاطبة عضّت بأير أبيها سادةُ اليمنِ
أمسى دعىُّ زيادٍ فقْعَ قرقرة يالعجائب يلْهو بابن ذى يزن
والحميرىُّ طريحٌ وسطَ مزْبلةٍ هذا لعمرُكمُ غَبنٌ من الغَبَنِ
والأجْبَهُ ابنُ نُميرٍ فوق مفرشه يدنو إلى أحور العينين ذى غُنَنِ [2]
قوموا فقولوا أميرَ المؤمنين لنا حقٌ عليك ومَنٌّ ليس كالمَنِ
فاكْفُفْ دَعِىَّ زياد عن أكارمنا ما ذا يُريد على الأحقاد والإحنِ

فاجتمعت اليمانية إلى حُصَيْن فعيروه بما قاله ابن مفرغ ، فقال الحصين : ليس لى رأى دون يزيد بن أسد ومخرمة بن شرحبيل ، فأرسل إليهما فاجتمعوا فى منزل الحصين ، فقال لهما حصين : اسمعا ما أهدَى إلىّ شاعرُكُم وقاله لكم فى أخيكم

(١) أغذوا السير : أسرعوا .
(٢) الأجبه : العظيم الجبهة . والغنن : جمع غنة ، وهى صوت فيه ترخيم .

ـ يعنى نفسه ـ وأنشدهم ، فقال يزيد بن أسد ، قد جئتكم بأعظم من هذا وهو قوله :

وما كنتُ حجّاما ولكنْ أحلّنى بمنزلةِ الحجّام نَأيِى عن الأهلِ

فقال الحصين : والله لقد أساء إلينا أميرُ المؤمنين فى صاحبنا مرّتينِ : إحداهما أنه هرب إليه فلم يُجِرْهُ ، وأخرى أنه أمر بعذابه غير مُراقبٍ لنا فيه ، وقال يزيد ابن أسد : إنى لأظن أن طاعتنا ستَفْسُد ويمحوها ما صنع بابن مفرغ ، ولقد تطلّع من نفسى شىء ٌللموتُ أحبُّ إلىّ منه ، وقال مخرمة بن شرحبيل : أيها الرجلان اعقلا فإنه لامعاوية لكما [1] واعرفا أن صاحبكما لاتَقْدَح فيه الغِلظة ، فاقصدوا للتضرّع. فركب القومُ إلى دمشق ، وقدموا على يزيد بن معاوية ، وقد سبقهم الرجل فنادى بذلك الشعر يوم الجمعة على دَرَج مسجد دمشق ، فثارت اليمانية وتكلموا ، ومشى بعضهم إلى بعض ، وقدِم وفد القُرشيين فى أمره مع طلحة الطلحات ، فسبقوا القرشيين ودخلوا على يزيد بن معاوية ، فتكلم الحصين ابن نمير ، فذكر بلاءه وبلاء قومه وطاعتهم ، وقال : ياأمير المؤمنين إن الذى أتاه زياد إلى صاحبنا لاقرار عليه ، وقد سامنا عبيدُ الله وعبّادٌ خُطّةَ خَسْفٍ ، وقلدانا قلادة عار ، فأنصِف كريمنا من صاحبه، فوالله ِلئن قدرنا لنعفُوَنّ ، ولئن ظُلِمْنا لننتصرن . وقال يزيد بن أسد : يا أمير المؤمنين إنا لو رضِينا بِمثْلةِ ابن زياد بصاحبنا . وعظيم ما انتهك منه ، لم يرض الله عمن رضى بذلك [2] ، ولئن تقرّبنا إليك بما يُسخط اللهَ ليباعدنّنا اللهُ منك ، وإن يمانيّتك قد نفرتْ لصاحبها نفرةَ طار غُرابها ، وما أدرى متى يقع ، وكلٌّ نائرة [3] تَقْدَحُ فى الملك وإن صغرت لم يُؤمن أن تكبر ، وإطفاؤها خير من إضرامها ، لاسيما إذا كانت

(١) يريد أن معاوية قد مات ومعاوية حليم .

(٢) فى المطبوع : لم يرض الله عز ذكره بذلك .

(٣) النائرة : الفتنة والعداوة والهياج .

فى أنف لا يُجدع ، ويد لا تُقطع ، فأنصفنا من ابنى زياد . وقال مخرمة بن شرحبيل ، وكان مُتألِّها [١] عظيمَ الطاعة فى أهل اليمن : إنه لا يدَع تحاجُزك[٢] عن هواك دون الله ، ولو مَثَّلت بأخينا وتولَّيت ذلك منه بنفسك لم يقم فيه قائم ولم يعاتبك فيه معاتب ، ولكنَّ ابنى زياد استخفانا بما يثقل عليك من حقنا ، وتهاونا بما تُكرمه منا ، وأنت بيننا وبين الله ، ونحن بينك وبين الناس، فأنصفنا من صاحبيك ، ولينفعنا بلاؤُنا عندك ، فقال يزيد : إن صاحبكم أتى عظيما : نفى زيادا من أبى سفيان ، ونفى عبادا وعبيد الله من زياد ، وقلدهم طوق الحمامة ، وما شجَّعه على ذلك إلاَّ نسبه فيكم ، وحِلْفُه فى قريش ، فأمَّا إذ بلغ الأمر ما أرى ، وأشفى بكم على ما أشفى ، فهو لكم ، وعلىَّ رضاكم .

قال : وانتهى القرشيون إلى الحاجب فاستأذن لهم ، وقال لليمانيين قد أتتكم بُرَى الذهب[٣] من أهل العراق . فدخلوا وسلموا والغضب بَيِّن فى وجوههم ، فظن يزيد الظنون ، وقال لهم : مالكم؟ انفتق فتق أم حدث حدثٌ فيكم ؟ قالوا : لا ، فسكن ، فقال طلحة الطلحات . ياأمير المؤمنين ، أماكفى العربَ ما لقيتْ من زياد حتى استعملت عليها ولده ، يستكثرون لك أحقادها ، ويبغّضُونك إليها ، إن عبيد الله وأخاه أتيا إلى ابن مفرغ ما قد بلغك ، فأنصِفْنا منهما إنصافا تعلم العرب أن لنا منك خلفا من أبيك ، فو اللهِ لقد خبأ لك فعلهُما خَبْأً عند أهل اليمن لا نحمَدُهُ لك ، ولا نحمدُه لنفسك . وتكلم خالد ابن عبد الله بن خالد بن أسيد فقال : يا أمير المؤمنين إن زيادا رُبّى فى شرّ حِجْر ، ونشأ فى أخبث نشء فأثبتم نصابه فى قريش وحملتموه [٤] على رقاب الناس ، فوثب ابناه على أخينا وحليفنا وحليفك ، ففعلا به الأفاعيل التى بلغتك ، وقد غضبت له قريشُ

---

(١) المتأله : المتعبد المتنسك أو يراد هنا العظمة .

(٢) التحاجز : التزايل .

(٣) البرى : جمع برة ، وهى كل حلقة من سوار وقرط وخلخال .

(٤) فى المطبوع : فأثبتهم نصابه فى قريش وحملت .

الحجاز ويَمَنُ الشام. ممن لا أُحبُّ والله لكَ غضَبه، فأنصفنا من ابنى زياد. وتكلم أخوه أمية بنحو مما تكلم أخوه وقال: والله يا أمير المؤمنين لا أحُطُّ رحلى، ولا أخلع ثياب سفرى، أو تنصفنا من ابنى زياد، أو تعلمَ العربُ أنك قد قطعت أرحامنا، ووصلت ابنى زياد بقطعنا، وحكمت بغير الحق لهما علينا. وقال ابن مَعْمَرٍ: يا أمير المؤمنين، إن ابن مفرغ طالما ناضل عن عِرْضك وعِرْض أبيك وأعراض قومك، ورمى عن جمرة أهلك، وقد أتى بنو زياد فيه مالو كان معاوية حيا لم يرض به، وهذا رجل له شرف فى قومه، وقد نفروا له نفرة لها ما بعدها، فأعْتِبهم وأنصفِ الرجل[1]، ولا تُؤْثر مرضاةَ ابنىْ زياد على مرضاة الله عز وجل. فقال يزيد: مرحبا بكم وأهلا. واللهِ لو أصابه خالدٌ ابنى بما ذكرتم لأنصفته منه، ولو رحلتم فى جميع ما تحيط به العراق لو هبته لكم، وما عندى إلا إنصاف المظلوم، ولكن صاحبكم أسرف على القوم.

وكتب يزيد ببناء داره، وردِّ ماله، وتخلية سبيله، وأن لا إمرةَ لأحدٍ من بنى زياد عليه، وقال: لولا أن فى القَوَدِ[2] بعد ما جرى منه فسادا فى المُلك لأقدته من عبَّاد. وسرّح يزيدُ رجلا من حِمير يقال له خمخام، وكتب معه إلى عباد بن زياد: نفسَك نفسَك، وأنْ تَسْقُطَ من ابن مفرغ شعرةٌ فأُقيدك والله به، ولا سلطان لك ولا لأخيك ولا لأحد غيرى عليه، فجاء خمخام حتى انتزعه جِهارا من الحبس[3] بمحضر من الناس وأخرجه. قالوا: فلما دخل على يزيد قال له: يا أمير المؤمنين اختَرْ مِنّى خَصْلة من ثلاث خصال، فى كلها لى فرج، إما أن تُقيدنى من ابن زياد، وإما أن تخلى بينى وبينه، وإما أن تقدِّمنى فتضرب عنقى، فقال له يزيد: قبح الله مااخترته، وخير تنبيه أما القَوَد من ابن زياد فما

(١) أعتبهم: أزال ما يغضبهم. وفى مخطوط: وأنصفهم من الرجل.
(٢) القود: الأخذ بالثأر.
(٣) فى المطبوع: من المجلس.

كنت لأقيدك من عامل كان عليك ظلمتَه وشتمت عرضه وعرضى معه ، وأما التخلية بينك وبينه فلا ولا كرامة ، ما كنت لأخلى بينك وبين أهلى تقطع أعراضهم ، وأما ضرب عنقك فما كنت لأضرب عنق مسلم من غير أن يستحق ذلك ، ولكنى أفعل بك ما هو خير لك مما اخترته لنفسك ، أعطيك دِيتك ، فإنهم كانوا قد عرضوك للقتل ، واكفُفْ عن ولد زياد ، فلا يبلغنى أنك ذكرتهم ، وانزِل أىَّ البلاد شئت . وأمر له بعشرة آلاف درهم .

فخرج حتى أتى الموصل وأقام بها ماشاء الله ، ثم خرج ذات يوم يتصيَّد فلقى دِهْقانا على حمار له ، فقال : من أين أقبلت ؟ قال : من العراق ، قال : من أيِّها ؟ قال : من البصرة . ثم من الأهواز [1] ، قال : فما فعل السرقان ؟ قال : على حاله ، قال . أفتعرف أناهيد بنت أعتق ؟ قال : نعم ، قال : ما فعلت ؟ قال : أحسن ما عهدت . قال : فضرب برذونه وسار حتى أتى الأهواز ، ولم يعلم أهله ولا غيرهم بمسيره ، ثم أتى عبيد الله ابن زياد ، فدخل عليه واعتذر إليه ، وسأله الأمان ، فأمنه ، ثم سأله أن يكتب له إلى شريك بن الأعور ، فكتب له ووصله . وخرج فأقام بكرمان حتى غلب ابن الزبير على العراق وهرب ابن زُياد وكان أهل البصرة قد أجمعوا على قتله ، فخرج عن البصرة هاربا ، فعاد ابنُ مفرغ إلى البصرة ، وعاود هجاء بنى زياد ، فقال يذكر هرب عبيد الله وتركه أُمَّه بقوله :

أعبيد هلاَّ كنت أول فارس ... يوم الهِياج دعا بحتفك داعى
أسلَمْتَ أُمك والرماحُ تَنوشها ... يا ليتنى لك ليلة الإفزاعِ
إذ تستغيثُ وما لنفسك مانعٌ ... عبْدٌ تردَّده بدار ضياعِ
هلاَّ عجوزك إذ تُمَدُّ بثديها ... وتَصيح أن لاتنزِعُنَّ قِناعى
أنقذتَ من أيدى العلوج كأنها ... ربداءُ مُجْفلةٌ ببطن القاعِ [2]
فركبتَ رأسك ثم قلت أرى العِدا ... كثروا وأخلف مَوْعِدُ الأشياع

(١) فى المطبوع : من الإيوان .
(٢) الربداء : السوداء المنقطة بحمرة ، ويريد بذلك النعامة . وفى مخطوط : مخلفة .

فانجِي بنفسك وابتغي نفقا فما لى حيلة بكِ والسلامُ وَداعي[١]
ليس الكريم بمنْ يخلّفُ أُمَّهُ وفتاتَه فى المنزل الجَعْجاعِ[٢]
حَذَرَ المنيّةِ والرماحِ تنُوشُه لم يَرْمِ دون نسائه بكُراعِ[٣]
متأبّطا سيفا عليه يَلْمَقٌ مثل الحمار أثرته بيَفاعِ[٤]
لا خير فى هَذِرٍ يهُزُّ لسانَه بكلامه والقلبُ غيرُ شُجاعِ
لابْنِ الزبيرِ غداةَ يذْمُرُ مُنذِراً[٥] أوْلى بغايةِ كلِّ يوم وِقاعِ
وأحقُّ بالصبر الجميل من امرىء كزٍّ أناملُه قصيرِ الباعِ[٦]
جعْدِ اليدين على السماحة والندى وعن الضريبة فاحشٍ منّاعِ[٧]
كم يا عبيدَ الله[٨] عندك من دمٍ يَسعى ليُدركه بقتلك ساعي
ومعاشرٍ أُنُفٍ أبحْتَ حريمهمْ فرّقتهم من بعد طُول جِماعِ
اذكُر حُسينا وابنَ عُروة هانئا وابنَيْ عَقيل فارِس المِرْباعِ

وقال أيضا يذكر هربه :

أفرَّ عبيدٌ والسيوف عنِ امه[٩] دَعتْه فولاّها استْه وهو يهرُبُ
وقال: عليكِ الصبرَ كونى سَبيّةً كما كنتِ أو موتى فذلك أقربُ
وقد هتفتْ هندٌ بماذا أمرتنى أبِنْ لى وحدّثنى إلى أين أذهبُ

(١) فى المطبوع : لى طاقة .
(٢) الجعجاع : الضيق الخشن .
(٣) الكراع : من معانيها اسم يجمع الخيل ، يقال : احبس الكراع فى سبيل الله ، ويريد لم يشن الحرب بالخيل .
(٤) اليلمق : القباء .
(٥) يذمر : يزأر .
(٦) كز : يابس منقبض ، ويريد بذلك بخله .
(٧) جعد اليدين : ملتويهما منقبضهما . والضريبة : الطبيعة والسجية .
(٨) فى مخطوط : كم يا عدى الله .
(٩) فى مخطوط : أفر بعيّى أنه عق أمه .

فقال اقصدى للأزد فى عَرَصاتها ... وبَكْر فما إن عنهمُ مُتَجَنَّبُ
أخافُ تَميماً والمسالحُ دونها[١] ... ونيرانُ أعدائى علىّ تَلَهَّبُ
ووَلّى وماءُ العينِ يَغْسل وجهها[٢] ... كأنْ لم يكن والدهر بالناس قُلَّبُ
بما قدَّمَتْ كفَّاك لا لك مَهْرَبٌ ... إلى أىّ قوم والدماءُ تَصَبَّبُ
فكم من كريم قد جرَرْتَ جَرِيرَةً ... عليه فمقبورٌ وعانٍ يُعَذَّبُ
ومن حُرَّة زهراء قامت بسُحْرةٍ ... تُبَكِّى قتيلا أو صَدًى يَتأوّبُ[٣]
فصبرا عُبيدُ بنَ العَبيد فإنما ... يقاسى الأمورَ المستعدُّ المجرِّبُ
وذقْ كالذى قد ذاق منك معاشرٌ ... لعبْتَ بهم إذ أنت بالناس تلعبُ
فلو كنت حُرًّا أو حفظت وَصِيّةً ... عطفت على هندٍ وهندٌ تُسَحَّبُ
وقاتلت حتى لا تُرِى لك مَطْعما ... بسيفك فى القوم الذين تحزّبُوا
وأقلتَ لأمّ العَبدِ أمك إننى ... وإن كثُر الأعداءُ حامٍ مذَبِّبُ[٤]
ولكنْ أبى قلبٌ أُطيرتْ بناته ... وعِرْقٌ لكم فى آل مَيْسان يَضرِبُ

وقال فى ذلك أيضا :

ألا أبلغْ عُبيدَ الله عنى ... عُبَيدَ اللؤمِ عبدَ بنى عِلاجِ
علىّ لكم قلائدُ باقيــاتٌ ... يُثِرْنَ عليكُم نَقعَ العجاجِ[٥]
تدعَّيتَ الخَضارِمَ من قريش ... فما فى الدِّين بعدك من خِضَمِّ...

وقال فيه أيضا :

---

(١) المسالح : جمع مسلحة ، وهى موضع السلاح كالثغر . والجماعة ذوو السلاح .
(٢) فى مخطوط : جفنتها .
(٣) تأوبه : أتاه ليلا ، وتأوب : رجع . وفى المطبوع : أو فتى يتأوب .
(٤) مذبب : مدافع .
(٥) العجاج : الدخان . والنقع : الغبار .
(٦) الخضارم : جمع خضرم ، وهو السيد الحمول والجواد المعطاء . وفى مخطوط : بعدك من خلاج .
(٧) العجاج : رعاع الناس وغوغاؤهم وزندورد : بلد قرب واسط .

عبيدُ الله عبدُ بنى عِلاجٍ كذاك نسبتُه وكذاك كانا
أعبْدَ الحارث الكندىَّ ألاَّ جعلتَ لإست أُمِّك دَيْدَبانا
فتستر عورة كانت قديما وتمنع أمَّك النَّبَطَ البِطانا

وقال يهجو عبيد الله وعبَّادا ، أنشدناه جماعة ، منهم هاشم بن محمد الخزاعى ، عن دماذ عن أبى عبيدة ، وهذا من قصيدة له طويلة أولها :

جرتْ أمُّ الظِّباء ببَيْن ليلى وكلُّ وصال حبلٍ لانقطاع

يقول فيها :

وما لاقيتُ من أيام بُؤْس[1] ولا أمرٍ يضيق به ذراعى
ولم تَكُ شيمتى عجزًا ولُؤْما ولم أكُ بالمُضلَّل فى المساعى
سوى يوم الهجين ومن يصاحبُ لئام الناس يُغضِ على القِذاعِ[2]
حلفتُ بربِّ مكة لو سلاحى بكفى إذ تنازعنى متاعى
لباشرَ أمَّ رأسك مَشْرَفىٌّ كذاك دَوَاؤنا وجَعَ الصُّداعِ
أفى أحسابنا تُزرِى علينا وأنت هُبلْتَ زائدةُ الكُراعِ[3]
تبغَّيت الذنوب علىَّ جهلاً جُنونا ما جُنِنْتَ ابنَ اللّكاعِ[4]
فما أسَفِى على تركى سعيدا وإسحاقَ بنَ طلحةَ واتِّباعِى
ثنايا الوَبْرِ عبدَ بنى علاجٍ[5] عبيدةَ فقعَ قرقرةٍ بقاعِ
إذا ماراية رُفِعتْ لمجد وودَّع أهلُها خيرَ الوداعِ
فأيْرٌ فى استِ أُمك من أميرٍ كذاك يقال للحمِقِ اليَراعِ[6]

(١) فى مخطوط : من أيام شر .
(٢) القذاع : المفاحشة والمشاتمة .
(٣) الكراع : مستدق الساق أو ما دون الركبة من الانسان أو دون الكعب من الدواب .
(٤) اللكاع : اللئيمة .
(٥) الوبر : دويبة كالسنور أصغر منه لها ذنب قصير جدا .
(٦) اليراع : الجبان .

ولا بلّتْ سماؤك من أمير فبئس مُعَرَّسُ الرّكب الجياع [١]

ألم تر إذ تُحالف حِلْفَ حَرْبٍ عليك عُدِدتَ من سَقَط المتاع

وكدْتَ تموتُ أن صاح ابن آوَى ومثلك مات من صوت السِّباع

ويوم فتحت سيفك من بعيدٍ أُضعتَ وكلُّ أمرك للضَّياعِ

إذا أودى معاويةُ بنُ حرب فبشِّر شَعْبَ قَعْبك بانصداعِ [٢]

فأشهد أن أُمَّك لم تباشرْ أبا سفيان واضعةَ القناعِ

ولكنْ كانَ أمرًا فيه لَبْسٌ على عَجَلٍ شديدٍ وارتياعِ

قال : وكان عباد فى بعض حروبه ذات ليلة نائمًا فى عسكره ، فصاحت بناتُ آوى ، فثارت الكلاب إليها، ونفر بعض الدوابّ ، ففزع عباد وظنها كَبْسةً من العدوّ ، فركب فرسه ودُهش فقال: افتحوا سيفى . فعيره بذلك ابنُ مفرغ .

ومما قاله ابن مفرغ فى هجاء بنى زياد وغُنّى فيه قوله :

صوت

كم بالدروب وأرض الهند من قدَم [٣] ومن جماجم قتلى ما هُمُ قُبِرُوا

ومن سرابيلِ أبطالٍ مُضَــرَّجَةٍ ساروا إلى الموت ماخاموا ولا ذُعِروا [٤]

بِقُنْدُهارَ ومن تُختَمْ مَنيَّتُهُ بِقُنْدُهارَ يُرَجَّم دُونه الخبرُ [٥]

غنى فى هذه الأبيات ابنُ جامع :

أجَدَّ أهلُك ، لايأتيهمُ خبرٌ منا ولا منهمُ عينٌ ولا أثَرَ

(١) المعرس : موضع نزول المسافرين فى آخر الليل للاستراحة .

(٢) الشعب هنا : الالتئام . والقعب : القدح . ويريد به هنا قلبه .

(٣) فى المطبوع : وأرض الروم .

(٤) خاموا : جبنوا ونكصوا وروى البيت الأول :

كم بالجروم وأرض الهند من قدم ومن سرابيل قتلى ليتهم قبروا

(٥) قندهار مدينة من بلاد الهند أو السند ذكرها ياقوت .

ولمْ تكلّم قريشٌ فى حليفهمُ إذْ غاب أنْصاره بالشّام واحتضروا
لو أننى شهدَتْنى حِمْيرٌ غضبتْ إذاً فكان لها فيما جرَى غِيَرُ
رهطُ الأغرِّ شراحيلِ بن ذى كَلع ورهط ذى فائش ما فوقهمْ بشر
قُولا لطلحةَ ما أغنت صحيفتكم وهل لجارك إذ أوردْتَه صَدَرُ
فمن لنا بشقيقٍ أو بأُسرته ومن لنا ببنى ذُهْلٍ إذا خطرُوا
همُ الذين سَمَوْا والخيلُ عابسةٌ والناسُ عند زيادٍ كلهم حَذِرُ
لولاهمُ كان سَلاّمٌ بمنزلتى أوْلى لهم ثم أولى بعد ما ظَفرُوا

أخبرنى محمد بن خلف، عن أبى بكر العامرى، عن إسحاق بن محمد، عن القحذمى قال :

هجا سلامٌ الرافعىّ مُقاتلَ بن مسمع فقال فيه :

أَبى لكَ يا ذا المجد أن مُقاتلا زنى واستحلّ الفارسِىَّ المشعشعا[1]

فى أبيات هجاه بها ، فحبسه مقاتل بالعربة[2] ، فركب شقيق بن ثور فى جماعة من بنى ذهل إلى الحبس فأخرجه ، فضرب به ابن مفرغ المثل فى الشعر الماضى .

أخبرنى محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثنى أبو عبد الله اليمانى قال : حدثنا الأصمعى ، عن عبد الرحمن بن أبى الزّناد قال :

قال لى عبيد الله بن زياد : ما هُجيت بشىء أشدّ على من قول ابن يفرغ :

فكّرْ ففى ذاك إن فكّرتَ مُعْتَبَرٌ هل نلْتَ مكرمة إلاّ بتأميرِ
عاشتْ سُمَيّةُ ما تدرى وقد عَمرَتْ أن ابنها من قريش فى الجماهير

وقال اليزيدى فى روايته عن الأحول : قال أبو عبيدة .

كان زياد يزعم أن أمه سُمَيّة بنت الأعور من بنى عبد شمس بن زيد مناة ابن تميم ، فقال ابن مفرغ يرد ذلك عليه :

---

(١) الفارسى المشعشع : يريد به الخمر .
(٢) فى المطبوع : فحبسه مقاتل بالغرفة هذا والعربة موضع .

فأُقسم ما زياد من قُريشٍ ولا كانت سُمَيَّةُ من تميمِ
ولكنْ نَسْلُ عبدٍ مِن بَغِيٍّ عريق الأصل فى النَّسب اللئيمِ

أخبرنى هاشم بن محمد قال : حدثنا أبو غسان دماذا قال :
أنشدنى أبو عبيدة لابن مفرغ يهجو ابن زياد ويرميه بالأُبنة :

أبلغ قريشا قَضَّها وقَضِيضَها أهلَ السَّماحة والحلوم الراجحَهْ
أنى ابتُليت بِحيَّةٍ ساوَرْتُه بيدٍ لعمرى لم تكن لى رابحَهْ
صَفَقَ المُبخَّل صَفْقَةً ملعونةً جرَّت عليه من البلايا فادِحَهْ
شتانَ مَنْ بطحانُ مكةَ دارُه وبَنُو المُضاف إلى السِّباخِ المالحَهْ
جَعُدَتْ أنامله ولامَ نِجارُه[1] وبذاك تُخبرنا الظِّباءُ السَّانحَهْ
فإذا أُميَّةُ صَلْصَلَتْ أحسابُها فبنو زياد فى الكلاب النابحَهْ
قالُوا يُناك فقلت فى جوف استه وبذاك أخبرنى الصدوقُ الفاضحه
لم يبقَ أيرٌ أسودٌ أو أبيض إلاَّ لهاستُك فى الخلاء مُصافحَهْ

وأخبرنى إبراهيم بن السرى بن يحيى قال : حدثنى أبى ، عن شعيب ، عن سيف قال :

لما قُتِل عبيد الله بن زياد يوم الزَّاب ، قتله أصحاب المختار بن أبى عُبيد ، ويقال إن إبراهيم بن الأشتر حمل على كتيبة فانهزموا . ولَقِىَ عُبيدَ الله فضربه فقتله ، وجاء إلى أصحابه فقال : إنى ضربت رجلا فقدَدْتُه نصفين ، فشرَّقَتْ يداه وغرَّبت رجلاه وفاح منه المسك ، وأظنه ابنَ مَرْجانة ، وأومأ لهم إلى موضعه فجاءوا إليه وفتشوا عليه ، فوجدوه كما ذكَرَ ، وإذا هو ابنُ زياد ، فقال ابنُ مفرَّغ يهجوه :

إن الذى عاش ختَّارا بذِمته وعاش عَبْدًا قتيلُ الله بالزَّابِ

(١) نجاره : أصله .

العبدُ للعبدِ لا أصلٌ ولا طرَفٌ   ألْوَتْ به ذاتُ أظفارٍ وأنيابِ
إن المنايا إذا مارُزْن طاغيــة[١]   هتكْنَ عنه ستورا بين أبواب
هلاّ جموع نزار إذْ لقيتهــمُ   كنت أمرأ من نِزارٍ غير مُرتابِ
لا أنت زاحمت عن مُلْكٍ فتمنعه   ولا مددْت إلى قوم بأسبابِ[٢]
ماشُقَّ جيْبٌ ولاناحتْك نائحةٌ   ولا بكتْك جيادٌ عند أسلابِ
لايتركُ اللهُ أنْفاً تعْطسون بها   بنى العَبيدِ شُهُوداً غيرَ غُيَّابِ
أقول بُعْداً وسحْقا عند مَصْرعهِ   لابن الخبيثة وابن الكَوْدن الكابى[٣]

والقصيدة المذكورة [ويذكر ماغنى فيها فى أخبار ابن مفرغ فى هذا الكتاب مما هجا به ابن زياد وهى] :

حَىِّ ذا الزَّوْرَ وانهَهُ أن يَعُودا   إن بالباب حارِسينَ قُعودَا
من أساوير ماينون قياما   وخَلاخيل تذْهل المولودا[٤]
[وطماطيم من مشايخ جُونٍ[٥]   ألبسونى مع الصباح قيودا
أىَّ بلوى مَعيشة قد بَلَوْنا   فنَعِمْنا وما رجَوْنا خلودا
ودهورٍ لقينَنا مُوجِعاتٍ   وزمانٍ يُكسِّر الجلمودا
فصبرْنا على مواطنِ ضِيقٍ   وخطوبٍ تُصَيِّرالبيض سودا
ظلَّ منها النصيح يُرسل سِرًّا   لا تُهالَنَّ إن سمِعتَ الوَعيدا
أفإنْسٌ ما هكذا صبرُ إنسٍ   أم من الجنِّ أم خلقْتَ حديدا

---

(١) رازه يروزه جرب ما عنده وخبره وجربه . وفى مخطوط : زرن .

(٢) فى مخطوط . بأحساب .

(٣) الكودن : الفرس الهجين والبغل والبرذون ، والكابى : المكب على وجهه من كبازيكبو ركبا الفرس أيضا حنذ فلم يعرق .

(٤) أساور : جمع أسوار، وهوالجيد الرمى بالسهام والخلاليل : يريد بها هنا القيود فى رجليه].

(٥) فى الشعر والشعراء ٣٢٢ « من سبابيج غتم » هذا والسبابيج قوم من السند

لا ذعَرتُ السوَّامَ فى فلق الصب ... ح مُغيرًا ولا دُعيتُ يزيدا
يوم أُعطى مخافةَ الموت ضَيْما ... والمنايا يرْصدننى أن أحيدا]

قال : وهى قصيدة طويلة :

وتمثل الحسين بن على صلوات الله عليه بهذين البيتين لما خرج من المدينة إلى مكة عند بيعة يزيد :

لاذَعرتُ السوَّام فى فلق الصُّب ... ح مُغيرًا ولا دُعيت يزَيدا
يومُ أُعطِى مخافة الموت ضَيْما ... والمنايا يَرْصُدننى أنْ أحيدَا

حدثنى أحمد بن عيسى أبو موسى العِجلى العطار بالكوفة قال : حدثنا الحسين بن نصر بن مزاحم المِنقرى قال : حدثنى أبى قال : حدثنا عمر بن سعد عن أبى مِخنف قال : حدثنى عبد الملك بن نوفل بن مساحق .

عن أبى سعيد المَقْبُرىّ قال : والله ِلرأيت حسينا عليه السلام وهو يمشى بين رَجُلين ، يعتمد على هذا مرة ، وعلى هذا مرة ، حتى دخل المسجد وهو يقول :

لا ذَعَرْتُ السوام . . .

البيتين .قال : فقلت عند ذلك : إنه لا يلبث إلا قليلا حتى يخرج ، فما لبث أن خرج فلحق بمكة ، فلما خرج من المدينة قرأ « فَخَرَجَ مِنها خائفا يَترَقَّبُ قالَ رَبِّ نَجِّنى مِنَ القَوْمِ الظَّالمينَ [1] » ولما توجه نحومكة قرأ « ولمَّا توَجَّهَ تلْقاءَ مَدْيَنَ قالَ عَسَى رَبِّى أنْ يَهْدِيَنى سَوَاءَ السَّبيلِ » [2] .

أخبرنى جعفر بن قدامة قال : حدثنا عبد الله بن أبى سعد قال : حدثنى على ابن الصباح ، عن ابن الكلبى قال :

لما قدم ابنُ مفرِّغ إلى معاوية مع خمخام الذى وجهه إليه ، فانتزعه من عباد

(١) سورة القصص الآية ٢١ .
(٢) سورة القصص الآية ٢٢ .

ابن زياد، نزل على مروان بن الحكم وهو يومئذ عند معاوية ، فأعطاه وكساه ، وقام بأمره واسترفد له كلّ من قدر عليه من بنى أبى العاص بن أمية ، فقال ابن مفرغ يمدحه من قصيدته :

وأقمتم سُوقَ الثناءِ ولم تكُنْ[1] ... سوقُ الثناءِ تقام فى الأسواقِ
فكأنما جعل الإله إليكم ... قَبْضَ النفوس وقسمةَ الأرزاق

أخبرنى هاشم بن محمد الخزاعى قال : حدثنا أبو غسان دماذ ، عن أبى عبيدة قال :

كان ابن مفرغ يهوى أناهيدَ بنتَ الأعنق ، وكان الأعنق دِهقانا من الأهوازِ ، له مابين الأهواز وسُرَّقَ ومَناذر والسُّوس ، وكان لها أخوات يقال لهن أسماءُ والجُمانة ، وأخرى قد سقط اسمها عن دماذ ، فكان يذكرهن جميعا فى شعره ، فمن ذلك قوله فى صاحبته أناهيد من أبيات :

سيرى أناهيدُ بالعيرَيْنِ آمنةً ... قد سلَّم اللهُ من قوم لهم طَبَعُ[2]
[لابارك الله فيهم معشرا جُبُنا ... ولاسَقى دارهمْ قطرًا ولا رُبِعوا
السارقين إذا جاعوا نزيلَهمُ ... والأخبثين بُطونا كلَّما شبعوا
لا تأمنَنَّ حِزاميًّا نزلت بهِ ... قومٌ [لديهم] تناهى اللُّؤْمُ والضَّرَعُ
جاور بنى خلَفٍ تحمد جوارهمُ ... الأعظمَينِ دفاعا كلما دفعوا
والمطعمين إذا ما شَتْوةٌ أزمَتْ ... فالناس شتَّى إلى أبوابهم شرَعَ
هم خيرقومهمُ إن حدَّثوا صدَقوا ... أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا
المانعين من المخزاةِ جارَهُمُ ... والرافعين من الأدْنَينَ ما صنَعوا

---

(١) فى مخطوط :
وأقام سوقا للثناء ولم تكن ... سوق الثناء تعد فى الأسواق
(٢) الطبع : الدنس والشين والعيب .

انْزِلْ بطلحةَ يوما إنَّ منزله سهلُ المباءة بالعلياء مُرْتَفِـعُ]

وفى أسماء أختها يقول :

تعلَّق من أسماء ما قد تعلَّقا ومثل الذى لاقى من الحب أَرَّقا[1]
وحسبك من أسماء نأىٌ وأنها إذا ذُكرتْ هاجتْ فؤادا مُعلَّقا
سقى هَزِمِ الإرعادِ مُنْبَجِسِ العرا منازلها بالَمسرُقانِ فسُرَّقا
وتُسْتَر لازالت خصيبا جنابُها إلى مَدْفع السُّلاَّنِ من بطن دوْرَقا
إلى الكَوْثَج الأعلى إلى رامَهُرْمُزَ إلى قَرياتِ الشِّيح من فوق سفسَقا

[رامهرمز بلد من أعمال الأهواز معروف] :

بلادُ نباتِ الفارسـية إنها سقتنا على لَوْحٍ شرابا مُعتَّقا[2]

أخبرنى عمى قال : حدثنا الكرانى قال : حدثنا العمرى ، عن الهيثم بن عدى . وأخبرنا هاشم بن محمد قال : حدثنا أبو غسان دماذ عن أبى عبيدة ، قالا :

لما فصل بن مفرغ من عند معاوية نزل بالموصل على أخواله من آل ذى العشراء من حمير قال الهيثم فى روايته : فزوجوه امرأة منهم ، ولم يذكر ذلك أبو عبيدة ، فلما كان اليوم الذى يكون البناء فى ليلته ، خرج يتصيد ومعه غلامه برد ، فإذا هو بدهقان على حمار يبيع عطرا وأدهانا ، فقال له ابن مفرغ : من أين أقبلت ! قال: من الأهواز ، قال: ويحك كيف خلفت المسرقانَ وبَرْدَ مائه ؟ قالَ : على حاله ، قال : ما فعلت دهقانة يقال لها أناهيد بنت أعنق؟ قال : أصديقةُ ابنِ مفرغ ؟ قال : نعم ، قال : ما تجف جفونها من البكاء عليه ، فقال لغلامه : أىْ بُردُ ما تسمع ؟ قالَ : بلى ، قال: هو بالرحمن كافرٌ إن لم يكن هذا وجهى إليها ، فقال له برد : أكرمك القوم وقاموا دونك وزوّجوك كريمتهم

(١) فى مخطوط : من الشوق أرقا

(٢) اللوح : العطش . لاح الرجل : عطش ، وفى مخطوط : شرابا مروقا .

ثم تصنع هذا بهم وتُقْدِم على ابن زياد بعد خلاصك منه من غير أمره ولا عهد منه ولا عقد ؟ أبْقِ أيها الرجل على نفسك ، وأقم بموضعك ، وابنِ بأهلك ، وانظر فى أمرك ، فإن جدّ عُمْرُكَ كنت حينئذ وما تختاره ، قال : دع ذا عنك ، هو بالرحمن كافر إن عدل [١] عن الأهواز ولا عرّج على شىء غيرها . ومضى لوجهه من غير أن يُعلِمَ أهلَه ، وقال قصيدته :

سما برقُ الجمانة فاستطارا ... لعلّ البرق ذاك يَحُورُ نارا [٢]
قعدتُ له العِشاءَ فهاج شوقى ... وذكّرنى المنازل والدّيارا
ديارًا للجمانة مُقْفِراتٍ ... بلِينَ وهِجْنَ للقلب ادّكارا
فلم أملك دموع العين منى ... ولا النفسَ التى جاشتْ مِرارا
فسُرّقَ فالقُرَى من صَهرتاجٍ ... فدير الراهب الطلل القِفارا [٣]
فقلت لصاحبى عرّج قليلاً ... نُذاكرْ شَوْقَنا الدُّرسَ البوارا
بآيةِ ما غدٍ وهُمُ جميعٌ ... فكاد الصبُّ ينتحر انتحارا
فقال بكَوْا لفقدك منذُ حين ... زمانا ثم إنَّ الحى سارا
بدجلة فاستمرّ بهم سفينٌ ... تشقُّ صدورُها اللُّجج الغِمارا
كأنْ لم أغنَ فى العَرَصاتِ منها ... ولم أذْعَر بقاعها صُوارا [٤]
ولم أسمع غناءً من خليلٍ ... وصوتَ مُقرطَقٍ خلَعَ العِذارا [٥]

قال : فقدم البصرةَ ، فذُكر لعبيد الله بن زياد مَقدمُه ، فلم يَعْرِض له ، وأرسل إليه أن أقمْ آمنا ، فأقام بالبصرة أشهرا يختلف من البصرة إلى الأهواز ، فيزور أناهيد ويقيم عندها ؛ ثم أتى عبيدَ الله بن زياد فقال له : إنى امرؤ لى أعداء ،

(١) فى مخطوط : عاج عن الأهواز .
(٢) يحور : يرجع .
(٣) فى معجم البلدان « صهرتاج » : فسرق ، كما أثبتنا عن مخطوط وفى المطبوع . بسرق .
(٤) الصوار : قطيع البقر .
(٥) المقرطق . من لبس القرط وهو قباء ذو طاق واحد . وفى مخطوط : وصوت مقصب ،

ولست آمنُ بعضهم أن يقول شيئا على لسانى يُحفِظ الأمير علىّ ، وأحب أن يأذن لى أن أتنحّى عنه . قال له: حُلّ حيث شئت . فخرج حتى قدم على شريك ابن الأعور الحارثى ، وهو يومئذ عامل عبيد الله بن زياد على فارس وكرمان ، فأعطاه ثلاثين ألف درهم ، فقدم بها الأهواز فأعطاها أناهيد .

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدثنا سليمان بن أبى شيخ قال : حدثنى محمد بن الحكم ، عن عوانة :

أن عبيد الله بن أبى بكرة كتب إلى يزيد بن مفرغ : إنى قد توجهت إلى سجستان فالحقْ بى ، فلعلك إن قدمت علىّ أن لا تندم ولا يُذَمّ رأيك . فتجهزَ ابنُ مفرغ وخرج حتى قدم سجستان مُمسيا ، فدخل عليه فشغله بالحديث ، وأمر له سرًّا بمنزل وفرش وخدم ، وجعل يطاوله حتى علم أنه قد استتمّ له ما أمر له به ، ثم صرفه إلى المنزل الذى قد هيىء له ، ثم دعا به فى اليوم الثانى فقال له : يا ابن مفرغ ، إنك قد تجشمت إلىّ شُقَّة بعيدة ، واتسع لك الأمل ، فرحلت إلىّ لأقضى عنك دينك ولأغنيك عن الناس ، وقلت : أبو حاتم بسجستان فمن لى بالغنى بعده . فقال : والله ما أخطأت أيها الأمير ما كان فى نفسى ، فقال عبيد الله : أما والله لأفعلن ولأُقِلّنّ لُبثك عندى ولأُحسننّ صلتك . وأمر له بمائة ألف درهم ومائة وصيفة ومائة وصيف ومائة نجيبة ، وأمر له بما يُنفقه إلى أن يبلغ بلده سوى المائة الألف ، وبمن يكفيه الخدمة من غلمانه وأعوانه [١] ، وقال له : إنّ من خفَّة السفر أن لا تهتم بخُفّ ولا حافرٍ ، وكان مقامه عنده سبعة أيام ، ثم ارتحل وشيعه عبيد الله بن أبى بكرة إلى قرية على أربع فراسخ يقال لها زالِقُ ، ثم قال له : يا ابن مفرغ ، إنه ينبغى للمودّع أن ينصرف ، وللمتكلّم أن يسكت ، وأنا مَن قد عرفت ، فأبْقِ على الأمل وحُسْنِ ظنك بى ورجائك فىّ ، وإذا بدا لك أن

(١) فى مخطوط : غلمانه ومواليه .

تعود فعُدْ . والسلام . قال : وسار ابن مفرغ حتى أتى رامهرمز ، فنزل بقلعة أبجر ، فنزلت إليه بنت الأبجر فقالت : ياابن مفرغ ، لمن هذا المال؟ قال : لابنة أعنق دهقانة الأهواز ، ، وإذا رسولها فى القافلة بكتابها : إنك لو كنت على العهد الأول لتعجلت إلىَّ ولم تُسايرْ ثَقَلَك ، ولكن قد علمتُ أن المال الذى أعطاكه عبيد الله قد شغلك عنى . قال : فأعطى رسولها ما لاً على أن يقول فيه خيرا ، وقد قال لابنة أبجر فى جواب قولها له :

حبانى عبيد الله يا ابنة أبجرٍ ... بهذا وهذا للجمانة أجمعُ
يقرُّ بعينى أن أراها وأهلَها ... بأفضلِ حالٍ ذاك مَرْأًى ومسمع
وخُبِّرْتُها قالت لقد حال بعدنا ... فقد جعلت نفسى إليها تطلّعُ
وقلت لها لما أتانى رسولها ... وأىُّ رسولٍ لا يضرُّ وينفع
أُحبك ما دامت بنجد وَشيجةٌ(١) ... وما رُفعتْ يوما إلى الله أصبعُ
وإنى مَلِىءٌ يا جمانةُ بالهَوَى ... وصِدْقِ الهوى إن كان ذلك يُقنعُ

قال : فلما انتهت رُسل عبيد الله بن أبى بكرة معه إلى الأهواز قالوا له : قد بلغنا حيث أُمرنا . قال : أجل ، ثم أمر ابنة أعنق أن تفتح الباب وقال لها : كلُّ ما دَخل دارك فهو لك ، وأقام بالأهواز ، ودعا ندماءَ كانوا له من فتيان العرب فلم يبق ظريف ولا مُغَنَّ إلا أتاه ، واستماحه جماعة قصدوه من أهل البصرة والكوفة والشام فأعطاهم ، ولم يفارق أناهيد ومعه شىء من المال ، وجعل القومُ يسألونه عن عبيد الله بن أبى بكرة وكيف هو وأخلاقه وجوده فقال :

يُسائلنى أهلُ العراق عن النَّدَى ... فقلت عبيدُ اللهِ حِلْفُ المكارمِ
فتى حاتمىّ فى سِجِسْتانَ رَحْلُه ... وحسبُك جُودًا أن يكون كحاتمِ
سَمَا لينالَ المكرُماتِ فنالها ... بِشدَّةِ ضِرْغامٍ وبَذْلِ الدراهم

(١) الوشيجة : عرق الشجرة .

وحلمٍ إذا ماسَوْرَةُ الحقد أطلقت[1] حُبا القَوم عندالفادح المُتفاقم
وإن له في كلّ حي صنيعةً يُحدِّثها الركبانُ أهلَ المواسم
دعاني إليه جودُه ووفاؤه ومَن دُون مَسراه عُداةُ الأعاجم
فلم أبقَ إلاَّ جمعة في جواره ويومين حلاً من أليّةِ آثمِ[2]
إلى أن دعاني زانَهُ اللهُ بالعُلا فأنبتَ ريشي من صميم القوادمِ[3]
وقال إذا ما شئت يابنَ مفرّغٍ فعُدْ عودةً ليست كأضغاث حالم
فقلت له ـ لايُبعد الله داره ـ أعودُ إذا ما جئتكم غيرَ حاشمِ
وأحمدتُ وِرْدي إذ وردْتُ حياضَه وكلٌّ كريمٍ نُهزَةٌ للأكارمِ
فأصبح لايرجو العراقُ وأهلُه سواه لنفع أو لدفع العظائمِ
وإن عبيدالله هنّأ رِفْدَه سَراحا وأعطى رفدَه غير غانمِ[4]

وقال الهيثم في خبره : كان عمرو بن مفرغ ، عم يزيد بن ربيعة بن مفرغ ، رجلا له جاه وقدر عند السلطان ، وكان ذا مال وثروة ، وذا دين وفضل وصلاح ، فكان يُعنف ابنَ أخيه في أمر أناهيد عشيقتِه ، ويعذِله ويعيره بها ، فلما أكثر عليه أتاه يوما فقال له : يا عم جعلني الله فداك ، إن لي بالأهواز حاجة ، ولي على قوم بها نحوٌ من ثلاثين ألف درهم قد خِفتُ أن تَتْوَى[5] عليّ ، فإن رأيتَ أن تتجشّم العناء معي إليها حتى تطالب لي بحقي ، وتعاونني بجاهك على غرمائي . وكان عمرو بن مفرغ قد استخلفه ابنُ عباس عليها إذ كان عامل أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب – عليه السلام – على البصرة . وكان عاملَ الأهواز – حين سأل ابنُ مفرغ عمّه أن يخرج معه – ميمونُ بن عامر أخو بني قيس بن ثعلبة الذي

(١) السورة : الحدة . وفي مخطوط : سورة الجهل .
(٢) الألية : القسم واليمين . وفي مخطوط : فلم أثو إلا جمعة .
(٣) في مخطوط : فأنبت من ريشي مهيض القوادم .
(٤) صححها الشنقيطي . غير عاتم .
(٥) توى المال : هلك .

يقال لدراهمه اليوم الميمونية : فلم يزل ابن مفرغ بعمه حتى أجابه إلى الخروج ، فاستأجر سفينة وتوجه إلى الأهواز ، وكتب إلى أناهيد أن تهيئي وتزيني بأحسن زينتك ، واخرجي إلىّ مع جواريك، فإنى موافيك، ومنزلها يومئذ بين سُرَّق ورامهرمز ، فلما نزلوا منزلها خرجت إليهم ، وجلست معهم فى هيئتها وزيها وحليها وآلتها ، فلما رآها عمُّه قال له : قبحك الله ، أفهلا إذ فعلت ما فعلت كنتَ علِقْتَ مثل هذه ، [فقال : يا عم أو قد أعجبتك ؟ فقال : ومن لاتعجبه هذه ؟] قال أَلجِدٌ هذا منك ؟ قال : نعم والله ، قال : فإنها والله هذه بعينها . فقال : يا خبيث إنما أشخصتنى لهذا ، يا غلام ارحل بنا ، فانصرف عمه إلى البصرة وأقام هو معها ، ولم يزل يتردد كذلك حتى مات فى الطاعون فى أيام مصعب بن الزبير .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرى وحبيب بن نصر المهلبى قالا : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا القحذمى قال :

لزم يزيدَ بنَ مفرغ غرماؤُه بِدَين ، فقال : لهم انطلقوا نجلس على باب الأمير ، عسى أن يَخرج الأشرافُ من عنده فيرونى فيقضوا عنى . فانطلقوا به ، فكان أول من خرج إما عُمَرُ بن عبيد الله بن مَعْمَر وإما طلحةُ الطلحات ، فلما رآه قال : أبا عثمان ، ما أقعدك هاهنا ؟ قال : غرمائى هؤلاء لزمونى بدين لهم علىّ ، قال : وكم هو ؟ قال : سبعون ألفا ، قال : علىّ منها عشرةُ آلاف درهم ، ثم خرج الآخر على الأثر ، فسأله كما سأل صاحبه ، فقال : هل خرج أحد قبلى؟ قالوا : نعم ، فلان ، قال : فما صنع ؟ قالوا : ضمن عشرة آلاف درهم ، قال : فعلىّ مثلها . قال : ثم جعل الناس يخرجون ، فمنهم من يضمن الألف إلى أكثر من ذلك ، حتى ضمنوا أربعين ألف درهم ، وكان يأمُلُ عبيدَ الله بن أبى بكرة فلم يخرج حتى غربت الشمس ، فخرج مبادرا ، فلم يره حتى كاد يبلغ بيته ،

فقيل له : إنك مررت بابن مفرغ ملزوما ، وقد مرّ به الأشراف فضمنوا عنه ، فقال : واسوأتاه إنى لخائف أن يظن بى أنى تغافلت عنه ، فكر راجعا ، فوجده قاعدا ، فقال له : أبا عثمان ما يجلسك هاهنا؟ قال : غرمائى هؤلاء يلزموننى ، قال : كم عليك ؟ قال : سبعون ألفا ، قال : وكم ضُمن عنك ؟ قال : أربعون ألفا ، قال : فاستمتع بها وعلىّ دينك أجمع ، فقال فيه [يخاطب نفسه] :

لو شئتِ لم تَعْـنَىْ ولم تَنْصَبِى — عِشْتِ بأسباب أبى حاتم[1]
عشت بأسباب الجواد الذى — لا يختم الأموال بالخاتَم
من كفّ بُهلولٍ له غُرَّةٌ[2] — ما إن لمن عاداه من عاصم
المطعم ِ الناس إذا حاردت — نكباؤها فى الزمن العارمِ[3]
والفاصلِ الخطة يوم اللّجا — للأمر عند الكُرْبَةِ اللازمِ
جاورته حينا فأحمَـدْتُه — أُثنى وما الحامد كاللائم
كم من عدوّ شامت كاشحٍ — أخزيْته يوما ومن ظالمِ
أذقْته الموتَ على غِـرَّةٍ — بأبيضَ ذى رونق صارمِ

حدثنى عمى قال : حدثنا أبو أيوب المدينى قال : حدثنى حماد بن إسحاق ، عن أبيه قال :

قدم بُدَيْحٌ الكوفةَ فغنّى بها دهرا ، وأصاب مالا كثيرا ، ثم خرج إلى البصرة ، ثم أتى إلى الأهواز ، ثم عاد إلى البصرة ، فصحب ابن مفرغ الحميرى فى سفينة ، حتى إذا كان فى نهر مَعْقِلٍ تغنّى وهو لا يعرف ابنَ مفرغ بقوله :

سما برقُ الجُمانةِ فاستطارَا — لعلَّ البرقَ ذاك يحور نارا

---

(١) لم تعنى من العناء ولم تنصبى من النصب وهو التعب .

(٢) البهلول : السيد الجامع لكل خير . وفى مخطوط : له عدة .

(٣) حاردت السنة : قل مطرها . والناقة قل لبنها . والعارم : الشديد أومن عرم الصبى أمه . رضعها .

قال : فطرب ابن مفرغ وقال : ياملاَّح ، كُرَّ بنا إلى الأهواز ، فكرَّ وهو يغنيه ، ثم كرّ راجعا إلى البصرة ، وكرّوا معه ، وهو يغنيه بهذا الصوت . قال : ووصل ابن مفرغ بُدَيْحا وكساه .

صوت

رضيتُ الهوى إذ حلَّ بى متخيرا ... نديما وما غيرى له من ينادِمُهْ
أُعاطيه كأسَ الصبرِ بينى وبينه ... يقاسمنيها مَرَّةً وأُقاسمه

يقال : إن الشعر لبشار . والغناء للزبير بن دحمان هزج بالوسطى عن الهشامى وأحمد ابن المكى .

أخبار الزبير بن دحمان

قد مضت أخبار أبيه ونسبه وولائه فى متقدم الكتاب ، وكان الزبير أحد المحسنين المتقنين الرواة الضُّرَّاب ، المتقدّمين فى الصنعة ، وقدم على الرشيد من الحجاز ، وكان المغنون فى أيامه حِزْبين : أحدهما فى حزب إبراهيم الموصلى وابنه إسحاق ، والآخر فى حزب ابن جامع وابن المهدى ، وكان إبراهيم بن المهدى أوكد أسباب هذا التحزب والتعصب ، لما كان بينه وبين إسحاق [وكان الزبير بن دحمان فى حزب إسحاق ، وأخوه عبيد الله فى حزب إبراهيم بن المهدى] .

فأخبرنى محمد بن مزيد قال : حدثنى حماد بن إسحاق عن أبيه قال :

لما قدم الزبير بن دحمان على الرشيد من الحجاز قدم رجل ماشئت من رجل عقلا ونبلا ودِينا وأدبا وسكونا ووقارا ، وكان أبوه قبله كذلك ، وقدم معه أخوه عبيد الله[1] ، فلما وصلا إلى الرشيد وجلسا معنا ، تخيَّلت فى الزبير الفضل ، فقلت لأبى : ياأبت ، أخلِقْ بالزبير أن يكون أفضل من أخيه ، فقال : هذا لايجىء بالظن والتخيل ، والجواد إنما يُمتحن فى الميدان ، فقلت له : فالجواد عَيْنُه فِرَارُه[2] فضحك وقال : تنظر فى فِراستك . فلما غنّيا بان فضلُ الزبير وتقدُّمُه فاصطفاه أبى واصطفيته لأنفسنا ، وقرّظناه[3] ووصفناه ، وصار فى حيِّزنا ،

---

(١) فى المطبوع : عبد الله .

(٢) الجواد عينه فراره « بضم الفاء وفتحها وكسرها » أى يغنيك شخصه ومنظره عن أن تخبره وأن تفر أسنانه .

(٣) فى مخطوط : وقربناه .

وغنى الرشيدَ غناء كثيرا من غناء المتقدمين فأجاد وأحسن ، وسأله الرشيد أن يغنيه شيئا من صنعته ، فالتوى بعض الالتواء وقال : قد سمع أمير المؤمنين غناء الحُذّاق من المتقدمين وغناءَ من بحضرته من خَدَمه ومن وفد عليه من الحجازيين ، وما عسى أن يأتى من صنعتى؟ فأقسم عليه أن يغنيه شيئا من صنعته ، وجدّ به فى ذلك فكان أول صوت غناه منها :

صوت

ارْحَلا صاحِبَىّ حان الرحيلُ ... وابكيانى فليس تُبْكَى الطُّلُولُ
قد تولّى النهار وانقضّت الشمـ ... ـس يمينا وحان منها أُفولُ

لحن هذا الصوت خفيف ثقيل .

قال : فسمعت والله صنعةً حسنة متقنة لامطعن عليها ، فطرب الرشيد واستعاده هذا الصوت ثلاث مرات ، وأمر له بثلاثين ألف درهم ، ولأخيه بعشرين ألف درهم ، ثم لم يزل زبيرٌ معنا كواحد منا ، وانحاز عبيد الله إلى جنب إبراهيم بن المهدى ، فكان معه . قال حماد : فقلت لأبى : فكيف كانت صنعةُ عُبيد الله؟ فقال : أنا أُجمل لك القول ، لو كان زبير مملوكا لاشتريته بعشرين ألف دينار ، ولو كان عبيد الله مملوكا لما طابت نفسى على أن أشتريه بأكثر من عشرين دينارا . فقلت قد أجبتنى بما يكفينى .

حدثنى رضوان بن أحمد الصيد لانى قال : حدثنا يوسف بن إبراهيم قال : حدثنى أبو إسحاق إبراهيم بن المهدى ومحمد بن الحارث بن بسخُنّر :

أن الرشيد كتب فى إشخاص الزبير بن دحمان إلى مدينة السلام، فوافاها واتفق قدومُهُ فى وقت خروج الرشيد إلى الرّىّ لمحاربة بندار هرمز أصبهبد طبرستان ،

فأقام الزبير بمدينة السلام إلى أن دخل الرشيد ، فلما قدم دخل عليه بالخيزُرانية ، وهو الموضع الذى يعرف بالشماسية ، فغناه فى أول غنائه صوتا فى شعر قاله هو أيضا فى الرشيد مدحه به ، وذكر خروجه إلى طبرستان وهو :

صوت

ألا إن حزبَ الله ليس بمُعْجِزٍ وأنصارُه فى مَنْعَةِ المُتَحرّزِ
أبى الله أن يُعْصَى لهارونَ أمره وذلّتْ له طوعا يَدَا المُتعزّزِ[1]
إذا الراية السوداء راحتْ أو اغتدت إلى هارب منها فليس بمُعجِزِ
لَطاعَتْ لهارونَ العُداةُ لدى الوغا وكبّرَ للإسلام بندارُ هُرْمُزِ

لم أجدْ هذا الصوت منسوبا فى شىء من الكتب إلاّ فى كتاب بَذْل ، وهو فيه غير مُجنّس :

وذكر إبراهيم بن المهدى أن الشعر للزبير بن دحمان ، وهذا خطأ ، الشعر لأبى العتاهية ، وهو موجود فى شعره من قصيدة طويلة مدح بها الرشيد .

قال أبو إسحاق : فاستحسن الرشيد الشعر والغناء ، وأمر له بألف دينار فدفعت إليه ، ومكث ساعة ثم غنى صوتا ثانيا وهو :

صوت

وأحور كالغصن يشفى السقامَ ويحكى الغزال إذا ما رَنا
شربت المُدامَ على وجهه وعاطيته الكأس حتى انثنى

(١) طاع له يطوع ويطاع طوعا : انقاد له .

وقلت مديحاً أُرَجَّى به ... من الأجر حظاً ونيلَ الغِنى
و أعنى بذاك الإمامَ الذى ... به اللهُ أعطى العِباد المُنى

لحن هذا الصوت ثانى ثقيل مطلق .

قال : فما فرغ من الصوت حتى أمر له بألف دينار آخر ، فقبضه ، وخفّ على قلبه واستظرفه ، فأغناه فى مدة يسيرة من الأيام .

أخبرنى عيسى بن الحسين الوراق ، قال : حدثنا عبد الله بن أبى سعد قال : حدثنى أبو توبة ، عن القطرانى ، عن محمد بن حبيب قال :

كان الرشيد بعد قتله البرامكة شديد الأسف عليهم ، والتندم على ما فعله بهم ، ففطن لذلك الزبير بن دحمان ، فكان يغنيه فى هذا المعنى ويحركه ، فغناه يوما والشعر لامرأة من بنى أسد :

مَنْ للخصوم إذا جدَّ الخصام بهم ... يوم النِّزال ومن للضُّمَّرِ القُودِ[١]
وموقفٍ قد كفيتَ الناطقين به ... فى مجمع من نواصى الناس مشهُودِ[٢]
فرَّجته بلسان غير مُلْتَبِسٍ[٣] ... عند الحفاظ وقولٍ غير مردودِ

فقال له الرشيد : أعدْ ، فأعاد ، فقال له : ويحك ، كأن قائل هذا الشعر يصف به يحيى بن خالد وجعفر بن يحيى . وبكى حتى جرت دموعه ، ووصل الزبير صلة سنية .

أخبرنى الحسين بن يحيى :

عن حماد قال : كان أبى يقول : ما كان دحمان يساوى على الغناء أربعمائة درهم

(١) القود : جمع أقود وهو من الخيل : الذلول المنقاد . وفى مخطوط : يوم الجدال .
(٢) نواصى الناس : أشرافهم والمتقدمون منهم.
(٣) فى مخطوط : غير مشتبه .

وأشبه خلق الله به غناء ابنه عبيد الله ، وكان يفضّل الزبير بن دحمان على أبيه وأخيه تفضيلا بعيدا ، وفى الزبير يقول إسحاق ، وله فيه غناء وهو :

صوت

أسْعِدْ بدمعك يا أبا العوّامِ ... صَبًّا صريعَ هوًى ونِضْوَ سَقامِ
ذَكَرَ الأحبّةَ فاستُجِنَّ وهاجه ... للشوق نَوْحُ حمامةٍ وحَمامِ
لم يُبْدِ ما فى الصدر إلاَّ أنه ... حيًّا ِ العراقَ وأهلَه بسلامِ
ودعاه داعٍ للهوى فأجابه ... شوقا إليه وقاده بزمامَ

الشعر والغناء لإسحاق ثقيل أول بالوسطى عن عمرو ، وهذا الشعر قاله إسحاق وهو بالرقّة مع الرشيد يتشوق إلى العراق .

أخبرنى عمى قال : حدثنى على بن محمد بن نصر قال :

حدثنى جدى حمدون بن إسماعيل قال : قال لى إسحاق : كنا مع الرشيد بالرقة وخرج يوما إلى ظهرها يتصيد ، وكنت فى موكبه أُساير الزبير بن دحمان فذكَرْتُ بغدادَ وطيبها وأهلى وإخوانى وحُرَمى ، فتشوقت ذلك شوقا شديدا ، وعرض لى همٌّ وفكر حتى أبكانى ، فقال لى الزبير : مالك يا أبا محمد ؟ فشكوت إليه ما عرض لى وقلت :

أسْعِدْ بدمعكَ يا أبا العوّامِ ... صَبًّا صريعَ هوًى ونِضْوَ سَقامِ

وذكر باقى الأبيات ، وعلمت أن الخبر سَيَنْمِى إلى الرشيد ، فصنعت فى الأبيات لحنا ، فلما جلس الرشيد للشرب ابتدأت فغنيته إياه ، فقال لى : تشوّقْتَ والله يا إسحاق وشوّقْتَ وبلغت ما أردت ، وأمر لى بثلاثين ألف درهم وللزبير بعشرين ألفا ، ورحل إلى بغداد بعد أيام .

أخبرنى يحيى بن على بن يحيى المنجم قال : أخبرنى أبى قال : قال لى إسحاق . وأخبرنى به الحسن بن على قال : حدثنا عبد الله بن عمر بن أبى سعد قال : حدثنى محمد بن عبد الله بن مالك :

عن إسحاق قال : جاءنى الزبير بن دحمان ذات يوم مسلما ، فاحتبسته فقال : قد أمرنى الفضل بن الربيع بأن أصير إليه ، فقلت :

أقم يا أبا العوّامِ ويحَكَ نشرَبُ ... ونلهو مع اللاهين يوما ونَطرَبُ
إذا ما رأيت اليوم قد جاء خيرُه ... فخذه بشكرٍ واترك الفضل يغْضَبُ

قال : فأقام عندى فشربنا باقى يومنا ، ثم صار الزبير إلى الفضل ، فسأله عن سبب تأخره عنه ، فحدثه بالحديث ، وأنشده الشعر ، فغضب وحوّل وجهه عنى ، وأمر عونا حاجبه أن لا يدخلنى إليه ولا يستأذن لى عليه ولا يوصل لى رقعة إليه ، قال : فقلت :

حرامٌ على الكاس مادُمْتَ غَضبانا ... وما لمْ يعدْ عنى رضاك كما كانا
فأحسنْ فإنى قد أسأتُ ولم تزَلْ ... تُعَوّدنى عند الإساءة إحسانا

قال : وأنشدته إياهما ، فضحك ورضى عنى ، وعاد لى إلى ما كان عليه .

وأخبرنى الحسين بن يحيى ، عن حماد عن أبيه بهذا الخبر ، فذكر نحو ما ذكره الآخران وزاد فيه : وقلت فى عون حاجبه :

عونُ ياعونُ ليس مثلك عَوْنُ ... أنت لى عُدَّةٌ إذا كان كَوْنُ
لك عندى واللهِ إن رضِىَ الفض ... لُ غلامٌ يُرْضيك أو بِرْذَوْنُ

فأتى عونٌ إلى الفضلِ بالشعرَين جميعا ، فلما قرأهما ضحك وقال له : ويلك إنما عرّض لك بقوله غلامٌ يرضيك ، بالسَّوْأةِ فقال : قد وعدنى ما سمعتَ ، فإن شئت أن تحرِمنيه فأنت أعلم ، فأمره أن يُرسل إلىّ وأتانى رسوله ، فصرت إليه ورضى عنى .

أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنى عبدالله بن أبى سعد قال : حدثنى محمد ابن عبد الله بن مالك قال :

حدثنى إسحاق قال : كان عندى الزبير بن دحمان يوما ، فغنيت لحن أبى رحمه الله :

أشاقكَ من أرض العراقِ طُلولُ ... تحمَّل منها جيرَةٌ وحُمولُ

فقال لى الزبير : أنت الأستاذ وابن الأُستاذ السيد، وقد أخذت عن أبيك هذا الصوت وأنا أُغنيه أحسن ، فقلت له : والله إنى لأحب [1] أن يكون ذلك كذلك . فغضب وقال : فأنا والله أحسن غناء منك . وتلاحيْنا طويلا ، فقلت له : هَلُمَّ نخرج إلى صحراء الرقة ، فيكون أكلنا وشربنا هناك ، نرضى فى الحكم بأول من يطلع علينا ، قال : أفعل . فأخرجنا طعامنا وشرابنا وجلسنا نشرب على الفرات ، فأقبل حَبَشِيٌّ يحفر الأرض بالنَّاب [2] ، فقلت له: أترضى بهذا ؟ قال : نعم ، فدعونا ه فأطعمناه وسقيناه ، وبادرنى الزبير بالغناء فغنى الصوت ، فطرب الحبشى وحرّك رأسه حتى طمع الزبير فىّ ، ثم أخذت العود فغنّيته ، فتأملنى الحبشى ساعة ثم صاح : وأىّ شيطان هوه ، ومدّ بها صوته ، فما أذكر أنى ضحكت مثل ضحكى يومئذ ، وانخزل الزبير .

(١) فى مخطوط : إنى لا أحب .

(٢) فى مخطوط : بالبال . هذا ولعلها . بالفأس .

نسبة هذا الصوت

صوت

أشاقك من أرض العراق طُلُولُ تحمّل منها جيرَةٌ وحُمُولُ
وكيف ألذُّ العيش بعد معَاشرٍ بهم كنت عند النائبات أصولُ

الشعر لأبى العتاهية : والغناء لإبراهيم ثقيل أول بالسبابة فى مجرى البنصر عن أحمد ابن المكى ، وفيه للحسين بن محرز ثقيل أول بالوسطى :

وهذان البيتان من قصيدة مدح بها أبو العتاهية الفضل بن الربيع ، أنشدنيها عبد الله بن الربيع الرَّبيعى قال : أنشدنيها أبو سُوَيد عبد القوى بن [1] محمد بن أبى العتاهية لجده يمدح الفضل بن الربيع ، وإنما ذكرت ذلك هاهنا لأن من الناس من ينسبهما إلى غيره ، فذكرت الأبيات الأول ، وفيها يقول يمدح الفضل بن الربيع :

قبائل من أقصى وأدنى تجمّعَتْ فهنّ على آل الربيع حلولُ
تمرُّ ركابُ السَّفْر تُثْنى عليهمُ عليها من الخير الكثير حُمُولُ
إليك أبا العباس حنّت بأهلها مَغانٍ وحنَّت ألْسُنٌ وعقول
وأنت جَبينُ المُلكِ بل أنتَ سَمْعه وأنت لسان المُلك حين تقولُ
وللمُلك ميزانٌ يداك تَقيمه يزول مع الإحسان حيث يزُول

حدثنى الصولى قال : حدثنى المغيرة بن محمد المهلبى قال : حدثنا الزبير قال: حدثنى رجل من ثقيف قال :

غضب الرشيد على أم جعفر ، ثم ترضاها فأبت أن ترضى عنه ، فأرق ليلته

(١) فى مخطوط : عبد العزيز بن محمد .

ثم قال : افرشوا لى على دجْلة ، ففعلوا ، فقعد ينظر إلى الماء وقد زاد زيادة عجيبة فسمع غناء فى هذا الشعر

صوت

جرى السيلُ فاستبكانىَ السيل إذجرى ‏ وفاضت له من مُقْلَتَىَّ غُرُوبُ
وما ذاك إلا حين خُبِّرت أنَّهُ ‏ يمرُّ بوادٍ أنت منه قريبُ
يكونُ أُجاجا دونكم فإذا انتهى[1] ‏ إليكمْ تلَقَّى طِيبَكم فيطيبُ
فياساكِنِى شَرْقِىِّ دِجلة كلُّكم ‏ إلى القلب من أجل الحبيب حبيبُ

الشعر للعباس بن الأحنف ، والغناء للزبير بن دحمان خفيف رمل بالوسطى عن المشامى .

فسأل عن الناحية التى فيها الغناء فقيل : دار ابن المسيّب . فبعث إليه : أن ابعث بالمغنى . فبعث به ، فإذا هو الزبير بن دحمان ، فسأله عن الشعر فقال : هو للعباس بن الأحنف ، فأُحْضِرَ واستَنْشَدَهُ ، فأنشده إياه وجعل الزبير يُغنيه وعباس ينشده . وهو يستعيد هما ، حتى أصبح ، وقام فدخل إلى أم جعفر ، فسألت عن سبب دخوله فعرَّفَتْه ، فوجهت إلى العباس بألف دينار وإلى الزبير بألف دينار أخرى .

أخبرنى عمى قال : حدثنى علىّ بن محمد عن جده حمدون قال :

تشوق الرشيد بغداد وهو بالرقّة ، فانحدر إليها ، وأقام بها مدة ، وخلفَ هناك بعضَ جواريه ، وكانت حظيّة له فيهن خلّفها لمغاضبةٍ كانت بينه وبينها ، فتشوقها تشوُّقا شديدا وقال فيها :

(١) فى المطبوع : يكون أجاجا ماؤه .

صوت

سَلام على النازح المُغتَرِبْ تحيَّة صبٍّ به مُكتئِبْ
غزال مراتعه بالبَليخِ إلى دير زَكّى بقصر الخَشَبْ[١]
أيا من أعان على نفسِهِ بتخليفه طائعا مَنْ أحَبْ
سأستر والستر من شيمتى هَوَى مَن أُحبّ بمن لا أُحبّ

وجمع المغنين ، فحضر إبراهيم الموصلى وابن جامع وفليح وزبير بن دحمان ، والمُعَلَّى بن طريف ، وحسين بن محرز ، وسليم بن سلام، ويحيى المكى وابنه ، وإسحاق وأبو زكار الأعمى ، وأعطاهم الشعر وقال : ليعمل كل واحد منكم فيه لحنا ، قال : فلقد عملوا فيه عشرين لحنا، فما أُعجب منها إلا بلحن الزبير وحده . أعجب به إعجابا شديدا ، وأجازه خاصة دون الجماعة بجائزة سَنية .

غنى إبراهيم فى هذه الأبيات ولحنه ما خورى بالوسطى ، ولفُليح فيها ثانى ثقيل بالوسطى ، ولابن جامع رمل بالبنصر ، ولابن المكى ثقيل أول بالوسطى وللزبير بن دحمان ثقيل بالسبابة فى مجرى البنصر ،وللمُعَلى خفيف رمل بالوسطى ولإسحاق رمل بالوسطى ، وللحسين بن محرز هزج بالوسطى [٢] .

صوت

يا ناعش الجدِّ إذا الجَد عَثَرْ وجابرَ العظم إذا العظمانكسَرْ
أنت ربيعى والربيع يُنْتَظَرْ وخير أنواع الربيع ما بَكَرْ

الشعر للعُمانى الراجز ، والغناء لشارية خفيف رمل من كتاب ابن المعتز وروايته .

(١) فى مخطوط : بقصر الحزب . وفى معجم البلدان : فجسر الخشب
(٢) فى مخطوط : ولحنه ما خورى بالوسطى ولابن صغير العين خفيف ثقيل بالسبابة فى مجرى البنصر والمعلى . . .

نسب العمانى وأخباره

اسمه محمد بن ذُوَيب بن مِحْجن بن قُدامة بن مَلْهِيَّة ١ الحنظلى الدَّارِمىّ صَلِيبة ، وقيل له العُمانِىُّ وهو بصرىٌّ لأنه كان شديد صُفْرَة اللونِ ، وليس هو ولا أبوه من أهل عُمان ، وكان شاعرا راجزا متوسطا من شعراء الدولة العباسية ليس من نظراء الشعراء الذين شاهدهم فى عصره مثل أشجع وسَلْم ومروان ، ولكنه كان لطيفا داهيا مقبولا ، فأفاد بشعره٢ أموالا جليلة

أخبرنى ابن أبى الأزهر قال : حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن جبر بن رباط الأسدى :

أن عبد الملك بن صالح أدخل العمانى على الرشيد فأنشده :

يا ناعش الجدّ إذا الجدّ عثرْ　　وجابر العظم إذا العظم انكسر
أنت ربيعى والربيع يُنتظر　　وخير أنواع الربيع ما بَكَرْ

فقال له الرشيد : إذاً يَبكرُ عليك ربيعُنا ، يافضل أعطه خمسة آلاف دينار ، وخمسين ثوبا .

قال إسحاق : وقال جبر : لمّا دخل الرشيدُ الرقة استقبله العمانى ، فلما بصر به ناداه :

ها رون يا ابن الأكرمين مَنصبا　　لما ترحَّلْت فصرت كَثَبا٣
من أرض بغداد تؤم المغربا　　طابت لنا ريح الجنوب والصَّبا

(١) فى المطبوع : بن باسية .
(٢) فى المطبوع : فأفاد بفعله .
(٣) كثبا : قريبا .

ونزل الغيث لنا حتى رَبا ما كان من نَشْرٍ وما تَصَوَّبا

فمرحباً ومرحبا ومرحبا

فقال له الرشيد : وبك مرحبا ياعمانى وأهلا . وأجزل صلته .

أخبرنى محمد بن جعفر النحوى صهر المبرد المعروف بابن الصيدلانى قال: حدثنا محمد بن موسى عن حماد قال : قال العتبى[١] :

لما وجَّه الفضل بن يحيى الوفد من خراسان إلى الرشيد يحضونه على البيعة لابنه محمد قَعَدَ لهم الرشيد، وتكلم القوم على مراتبهم وأظهروا السرور بما دعاهم إليه من البيعة لابنه ، وكان فيمن حضر محمد بن ذُؤيب العمانى ، فقام بين صفوف القواد ثم أنشأ يقول :

لما أتانا خبرٌ مشهَّرُ أغرُّ لايخفى على من يُبصِرُ
جاء به الكوفُ والمُبَصِّرُ والراكب المُنجِد والمُغَوِّرُ
يخَبِّر الناس ولا يَستخبرُ قلت لأصحابى ووجهى مُسفرُ
وللرجال حسبكم لاتُكثِروا فاز بها محمد فأقصِرُوا
قد كان هذا قبل هذا يُذْكَرُ فى كتب العلم التى تَسَطَّرُ
فقل لمن كانَ قديما يَتَجَبَّرُ قد نُشِرَ العدْلُ فبيعوا واشتروا[٢]
وشرِّقوا وغرِّبوا وبَشِّروا[٣] فقد كفى الله الذى يُستَقْدَرُ
بمنِّه أفعال ما قد يُحذَرُ والسيفُ غَنِىٌّ مُغْمَدٌ مايُشهرُ
وقُلِّدَ الأمرَ الأغرُّ الأزهَرُ نَوْءُ السماكين الذى يُستمطَرُ
بوجهه إن كان عام أغبرُ سُرَّتْ به أسِرَّةٌ ومنبرُ
وابتهج الناس به واستبشروا وهلَّلوا لربهم وكَبَّرُوا
شكرا ومن حقهم أن يَشكُروا إذ ثبتت أوتاد ملك يعمرُ

(١) فى مخطوط : المعروف بالصيدلانى قال حدثنا محمد بن موسى عن حماد . قال : قال الفقيمى
(٢) فى مخطوط : قد يسر العدل .
(٣) فى مخطوط : وسيروا .

من هاشم فى حيث طاب العنصر   وطاح من كان عليها يزفِرُ
إن بنى العباس لم يُقَصِّرُوا   إذ نهضوا لملكهم فشمَّرُوا
وعقدوا ونزعوا وأمَّـــرُوا   ودبَّرُوا فأحكموا ما دَبَّرُوا
وأوردوا بالحزم ثم أصدرُوا   والحزم رأىٌ مثلهُ لايُنكَرُ
إذا الرجال فى الرجالِ خُيِّروا   يا أيها الخليفة المُطَهَّرُ
والمؤمن المبارك المُوَقَّرُ[١]   والطَّيِّبُ الأغصانِ والمظَفَّرُ
ما الناس إلا غنم تَنَتَشَّرُ   إن لم تَدَاركهم براعٍ يَخْطِرِ
عَلَى قوَاصِي طُرُقِها ويستر[٢]   ويمنع الذئب فلا يُنَفِّرُ
فامنن علينا بيد لاتكفرُ   مشهورة ما دام زيت يُعصَرُ
وانظر لنا وخلِّ من لاينظرُ   واجسرْ كما كان أبوك يَجسرُ
لاخير فى مُجَمْجَمٍ لايظهر[٣]   ولا كتابٍ بيعةٍ لايُنشَرُ
وقد تربَّصت فليس تُعْذَرُ[٤]   فليت شعرى ما الذى تنتظرُ
أنائمٌ أنتَ به أمْ تَسْهَرُ   مالكَ فى محمد لاتقدِرُ
وليت شعرى والحديث يُؤثر   أترقد الليل ونحن نَسهر
خوفا على أمورنا ونضجرُ   واللهِ واللهِ الذى يُستغفرُ
لأنْ يموت معشرٌ ومَعشرُ   خيرٌ لنا من فتنة تَسعَّرُ
يهلك فيها دينهم ويُوزَرُوا[٥]   وقد وَفى القوم الذين نُصَّرُوا
لصاحب الروم وذاك أصغر   منه وهذا البحر لايُكدَّرُ
وذاكم العِلْجُ وهذا الجوهرُ   ينمى به محمدٌ وجعفـــرُ

---

(١) فى مخطوط : المبارك المؤمر .

(٢) فى المطبوع : على قلوص.

(٣) مجمجم : المخفى فى الصدور .

(٤) فى المطبوع : وقد تربصت فلست تغدر

(٥) يوزروا : أيصابوا بالوزر وهو الذنب .

والخلفاء والنبيُّ الأكــبرُ ونبعةٌ من هاشم وعُنصرُ
واعلم وأنت المرء لايُبَصَّرُ [والله يبقيك لنا وَتجبرُ]
منا ذوى العُسْرَة حتى يُوسروا أنَّ الرجال إن وَلُوها آثرُوا

ذوى القرابات بها واستأثروا بها وضلَّ أمرهم واستكبروا
والمُلك لارِحم له فيأصِرُ[١] ذا رَحمٍ والناس قد تغيّروا
فأحكمِ الأمرَ وأنت تقدِرُ فمثلُ هذا الأمرِ لايُؤَخَّر

فلما فرغ من أرجوزته قال له الرشيد : بَشِّر ياعمانيّ بولاية محمد العهد .

فقال : إى والله يا أمير المؤمنين بُشرى الأرض المجدبة بالغيث ، والمرأة النزور بالولد ، والمريض المُدنف بالبرء ، قال : ولم ذاك ؟ قال : لأنه نسيج وحده ، وحامى مجده ، ومُورى زَنده ، قال : فمالك فى عبد الله ؟ قال : مرعى ولا كالسَّعدان ، فتبسم الرشيد وقال : قاتله الله من أعرابى ، ما أعرفه بمواضع الرغبة وأسرعه إلى أهل البذل والعائدة ، وأبعده من أهل الحزم والعزم والذين لايُستمنح ما لديهم بالثناء ، أما والله إنى لأعرف فى عبد الله حزمَ المنصور ونسك المهدى وعزّ نفس الهادى . ولو شاء أن أنسبه إلى الرابعة لنسبته إليها .

أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدثنا على بن الحسن الشيبانى . وأخبرنى به محمد بن جعفر ، عن محمد بن موسى ، عن حماد عن أبي محمد المطبخى ، عن على بن الحسن الشيبانى قال : أخبرنى أبو خالد ، عن يحيى بن صفية الطائى[١] قال :

أخبرنى الفضل قال : حضرت الرشيد يوما وجلس للشعراء ، فدخل عليه

---

(١) يأصر . يعطف .

(٢) فى المطبوع : المضهنجى . . . أبوخالد الطائى عن جبير بن ضبينة .

الفضل بن الربيع وخلفه العمانى ، فأدناه الرشيد واستنشده ، فأنشده أرجوزة له فيه حتى انتهى إلى هذا الموضع :

قل للإمام المقتدَى بأَمِّهِ[١] ما قاسم دون مدى ابنِ أُمِّه

وقدْ رَضيناهُ فقُمْ فسَمِّه

قال فتبسم الرشيد ثم قال : ويحك ، أما رضيت أن أوليه العهد وأنا جالس حتى أقوم على رجلى ؟ فقال له العمانى : ما أردت يا أمير المؤمنين قيامك على رجليك ، إنما أردت قيام العزم ، قال : فإنا قد وليناه العهد . وأمر بالقاسم أن يحضر ، ومرّ العمانى فى أرجوزته يهدر حتى أتى على آخرها ، وأقبل القاسم فأومأ إليه الرشيد ، فجلس مع أخويه ، فقال له : ياقاسم ، عليك جائزة هذا الشيخ ، فقد سألنا أن نوليك العهد وقد فعلنا ، فقال : حكمك يا أمير المؤمنين ، فقال : وما أنا وهذا ؟ بل حكمك ، وأمر له الرشيد بجائزة ، وأمر له القاسم بجائزة أخرى مفردة .

أخبرنى محمد بن مزيد قال : حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال :

دخل محمد بن ذؤيب العمانى على أبى الحُر التميمى بالبصرة ، فأطعمه وسقاه وجلله بكساء فقال فيه :

إن أبا الحُرّ لَعَيْنُ الحُرّ يدفع عنا سبرات القُرّ[٢]

باللحم والشحم وخبز البُرّ ونُطفة مكنونة فى الجَرّ[٣]

يشربها أشياخنا فى السِّرّ حتى نرى حديثنا كالدُّرّ

أخبرنى محمد بن مزيد قال : حدثنا حماد عن أبيه قال :

قصد العمانىُّ عبدَ الملك بن صالح الهاشمىَّ متوسلا به إلى الرشيد فى الوصول إليه مع الشعراء ، ومدح عبد الملك بقصيدته التى يقول فيها :

---

(١) أمه من أم يؤم صار إماما وتقدم القوم .

(٢) السبرات جمع سبرة وهى الغداة الباردة .

(٣) الجر جمع جرة : إناء من خزف . وفى المطبوع : فى الحر .

نمته العرانين من هاشم إلى النسب الأوضح الأصرحِ
إلى نبعــة فرعها فى السماء ومغرسها سُرَّةُ الأَبطحِ

فأدخله عبد الملك إلى الرشيد بالرقة فأنشده :

هارون يا ابن الأكرمين حسبا لما ترحَّلت فكنت كَثَبَا
من أرض بغداد تؤمُّ المغربا طابت لنا ريح الجنوب والصَّبا
ونزل الغيث لنا حتى رَبَا[1] ماكان من نشزٍ وما تصوَّبا[2]

فمرحبا ومرحبا ومرحبا

فأعطاه خمسة آلاف دينار وخمسين ثوبا .

أخبرنى عمى والحسين بن القاسم الكوكبى قالا : حدثنا عبدالله بن أبى سعد قال حدثنا إسحاق بن عبد الله الأزدى ، عن محمد بن عبد الله العامرى القرشى :

عن العمانى الشاعر أنه تغدى مع محمد بن سليمان بن على ، فكان أول ما تقدم إليهم فُرْنية [3] فى لبن عليها سُكَّر ثم تتابع الطعام ، فقال له : قل فيما أكلت شعرا تصفه . فقال :

جاءوا بفُرْنىَّ لهم مَلْبُــونِ بات يُسَقَّى خالص السُّمونِ
مُصَوْمَعٍ أكوم ذى غُضونِ[4] قد حُشيت بالسُّكَّر المطحونِ
ولوَّنوا ما شئت من تَلْوِينِ من بارد الطعام والسُّخينِ
ومن شراسيف ومن طُرْدِينِ ومن هُلامٍ ومَصُوصٍ جُونِ[5]
ومن إوَزٍّ فائق سمـــينِ ومن دَجاج قِيتَ بالعجينِ[6]

(١) فى مخطوط : حيث ربا .
(٢) النشز : المرتفع . وتصوب : تسفل ضد تصعد .
(٣) الفرنية : خبز مستدير .
(٤) المصومع : الذى يشبه الصومعة .
(٥) ما ذكره فى هذا البيت أنواع من الأطعمة ، فالهلام : طعام من لحم ، والمصوص : لحم يطبخ وينقع فى الخل . والطردين طعام للأكراد
(٦) قيت من قاته يقوته : أعطاه القوت .

فالشحم فى الظهور والبطونِ وأتبعوا ذلك بالجَوْزِينِ
وبالخبيصِ الرَّطب واللَّوْزِينِ وفكِّهُوا بعِنَبٍ وتينِ
والرُّطبِ الأَزَاذِ والهَيْرُونِ[1] محمد يا سيِّدَ البَنِينِ
وبكر بنت المصطفى الأمينِ[2] الصادقِ المباركِ الميمُونِ
وابن ولاةِ البيتِ والحَجُونِ اسمع لنعتٍ غير ذى تفنينِ
يخرج من فنٍّ إلى فنُونِ إن الحديث فيكَ ذُو شُجونِ

أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدثنا أحمد بن أبى كامل قال : حدثنى أبو هاشم القينى قال :

كان محمد بن ذؤيب العمانى الراجز من أهل البصرة ، ويكنى أبا عبد الله ، وإنما قيل له العُمانى ، لأنه أقبل يوما وقد خرج من عِلَّة ووجهه أصفر ، فقال له بعض أصحابنا[3] : يا أبا عبدالله قد خرجت من هذه العلة كأنك جَمل عُمانىّ . قال : وكانت جمال عمان تحمل الوَرْس من اليمن إلى عُمان فتصفرّ . قال : وهو من بنى تميم ثم من بنى فُقَيم ، قال : فقدم على عيسى بن موسى ، فلما وصل إليه أنشده مديحا وفد إليه به ، فاستحسنه ووصله واقتطعه إليه وخَصَّه ، وجعله فى جلسائه ، فقال العمانىُّ فيه :

ما كنت أدرى ما رخاءُ العيشِ ولا لبست الوَشْىَ بعد الخَيْشِ
حتى تمدَّحت فتى قُرَيشِ عيسى وعيسى عند وقت الهَيْشِ[4]
حين يَخفُّ غَيْرُه للطَّيشِ زين المقيمين وعزّ الجيشِ

(١) الأزاذ : نوع من التمر ، والهيرون : البرى من الرطب والتمر .

(٢) فى مخطوط : وابن عم المصطفى الأمين .

(٣) فى الشعر والشعراء ٧٣١ : أن دكينا الراجز نظر إليه وهو يسق الإبل ويرتجز فرآه غليما مصفر الوجه ضريرا مطحولا فقال : من هذا العمانى ؟ فلزمه الاسم ، وإنما نسبه إلى عمان لأن عمان وبية وأهلها مصفرة وجوههم مطحولون .

(٤) الهيش : الفساد والهياج .

راش جناحيَّ وفوقَ الرِّيش

أخبرنى حبيب بن نصر المهلبى قال : حدثنا عبد الله بن أبى سعد قال : حدثنى أحمد بن على بن أبى نعيم قال : حدثنا موسى بن صبيح المروزى قال :

خرج الرشيد غازيا بلاد الروم فنزل بِهِرَقْلة ، ونصب الحرب عليها ، فدخل عليه العُمانى وهو يذكر بغداد وطيبها وما فيه أهلها من النعمة ، فأنشده العمانى قصيدة له فى هذا المعنى ، يذكر فيها طيب العيش ببغداد ، وسعة النعم وكثرة اللذات ، يقول فيها :

ثم أتوهم بالدَّجاج الدُّجَّجِ ... بين قَدِيدٍ وشِواءٍ مُنْضَجِ
وَبِعبيط ليس بالمُلَهْوَجِ ... فدُقَّ دق الكودَنَى الدَّيرَجِ[1]
حتى ملا أعفاج بطنٍ نُفَّجِ[2] ... وقال للقَينة صُبِّى وامزُجى

قال : فوهب له على هذه القصيدة ثلاثين ألف درهم ، ثم دخل إليه ابن جامع وقد أمر الرشيد أن يوضع الكبريت والنفط الأبيض على الحجارة ، وتلفَّ بالمُشاقة[3] ، وتوقد فيها النار ، ثم توضع فى كفة المنجنيق ويرمى بها السور ، ففعلوا ذلك ، وكانت النار تثبت فى السور وتُصدِّعه حتى طلبوا الأمان حينئذ ، فغناه ابن جامع وقال :

هوَتْ هرقلةُ لمّا أن رأت عجبا ... حوَائما ترتمى بالنَّفط والنارِ
كأن نيراننا فى جنب قلعتهمْ ... مُصَبَّغاتٌ على أرسان قَصَّارِ

فأمر له بثلاثين ألف درهم أخرى .

أخبرنى جعفر بن قدامة قال : حدثنى أبو هفان قال : حدثنى أحمد بن سليمان قال :

---

(١) فى مخطوط : فدق دق الكودرين .
(٢) فى مخطوط : بطن تنتجى .
(٣) المشاقة من الكتان والقطن : ماخلص منه .

قال يزيد بن عقال [١] كنا وقوفا والمهدىُّ قد أجرى الخيل فسبقها فرس له ، يقال له الغضبان ، فطلبَ الشعراء فلم يحضر أحد منهم إلا أبو دلامة ، فقال له : قلّده يا زَنْدُ ، فلم يفهم ما أراده فقلده عمامته ، فقال له المهدى : يا ابن اللخناء أنا أكثر عمائم منك ، إنما أردت أن تقلده شعرا ثم قال : يا لهفاه على العُمانىّ ، فلم يتكلم بها حتّى أقبل العُمانىّ ، فقيل له : ها هو ذا قد أقبل الساعة يا أمير المؤمنين ، فقال : قدّموه ، فقدَّموه فقال : قلّد فرسى هذا ، فقال غير متوقف :

قدغضب الغضبان إذ جدّ الغضبْ وجاء يحمى حسَبا فوق الحسَبْ
من إرْث عباسِ بن عبد المطّلبْ وجاءت الخيلُ به تشكو التّعبْ
لهُ عليها ما لكُمْ على العرَب

فقال له المهدىُّ : أحسنتَ والله . وأمرَ له بعشرة آلاف درهم [٢]

صوت

لقد علمت وما الإشراف من خلقى [٣] أن الذى هو رزقى سوف يأتينى
أسعَى له فيعنّينى تَطلُّبُــــه ولو جلستُ أتانى لايُعنّينى

الشعر لعُروة بن أُذينة ، والغناء لمخارق ثقيل أول بالنصر عن عمرو :

---

(١) فى المطبوع : يزيد بن عفان .

(٢) من هنا يختلف ترتيب الأغانى عما سبق طبعه فى بولاق والساسى ، ولقد كانت الطبعتان السابقتان لاتعتمدان على نسخ وثيقة ، وحينما قامت دار الكتب مشكورة بإحضار صور لنسخ من الأغانى من بلاد مختلفة وكان للأستاذ الشيخ أمين الخولى فضل فى الإكثار منها أيضا ، وصورت الجامعة العربية قطعا من الأغانى لمخطوطات موثوقة ، كان كل هذا سببا فى إثبات ما ضاع من النسخ السابقة ، وتكملة ما سقط بين التراجم ، وتصحيح كثير من الخطأ ، وتقديم من ترجم لهم إلى أماكنهم التى هى فى النسخ الموثوقة مرتبة عليها .

وحينما أخرج أحد المستشرقين الجزء الحادى والعشرين من كتاب الأغانى بعد أن جمعه من عدة نسخ خطية ، تسرع أحد الناقدين ، فذكر أنه مدسوس على أبى الفرج لأنه يخالف أسلوبه ، ونسى أن رجال السند فى الكتاب متفقة مع الأجزاء الأخرى ، والطريقة واحدة والأسلوب واحد ، وبالرجوع إلى من نقلوا عن كتاب أبى الفرج نجد النص واحدا فيما نقلوه عنه . انظر مثلا نهاية الأرب ج ٤ ، ج ٥ عند ترجمته للمغنين والمغنيات . وانظر ما دون من ذلك فى الجزء الحادى والعشرين

(٣) الإشراف : الحرص والتهالك .

أخبار عروة بن أذينة ونسبه [١]

هو عروة بن أُذينة ، وأذنية لقبه. واسمه يحيى بن مالك بن الحارث بن عمرو بن عبد الله بن ذهل بن يعمر وهو الشدّاخ بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خُزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار ، وسمى يعمر بالشدّاخ لأنه تحمّل ديات قتلى كانت بين قريش وخُزاعة ، وقال : قد شدخت هذه الدماء تحت قدمىّ ، فسمّى الشداخ .

قال ابن الكلبى : الشُّدّاخ بضم الشين .

ويكنى عروةُ بنُ أذينة أبا عامر ، وهو شاعر غَزِل مقدّم ، من شعراء أهل المدينة ، وهو معدود فى الفُقهاء والمحدّثين ، روى عنه مالك بن أنس ، وعبيد الله ابن عمر العَدوى :

أخبرنى بذلك أحمد بن عبد العزيز الجوهرى ، عن عمر بن شبة ، وروى جده مالك بن الحارث عن على بن أبى طالب عليه السلام .

أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنا محمد بن موسى قال : حدثنا أحمد بن الحارث ، عن المدائنى ، عن ابن دأب ، عن عروة بن أذينة عن أبيه قال :

حدثنى أبى مالكُ بنُ الحارث قال : خرج مع علىّ بن أبى طالب عليه السلام رجلٌ من قومى كان مُصطلَما [٢] فخرجت فى أثره وخشيت انقراض أهل بيته ، فأردت أن أستأذن له من علىّ ، فأدركت عليًّا عليه السلام بالبصرة وقد هزم

---

(١) جاءت ترجمته فى الجزء الواحد والعشرين ، وموضعه هنا .

(٢) مصطلما : مقطوعا

النّاس ودخل البصرة ، فجئته فقال : مرحبا بك يا ابن الفُقَيْمَة ، أبدًا لك فينا بداء ؟ قلت : والله إن نصرتك لحقّ وإنى لَعلى ماعهِدْتَ أحِبُّ العزلة، ثم ذاكرته أمر ابن عمى ذلك ،فلم يبعد عنه ، فكنت آتيه أتحدث إليه ، فركب يوما يطوف وركبت معه ، فإنى لأسير إلى جانبه إذا مررنا بقبر طلحة ، فنظر إليه نظرا شديدا ثم أقبل علىّ فقال : أمسى والله أبو محمد بهذا المكان غريبا ، ثم تمثل

وما تدرى وإن أزمعتَ أمرًا بأىّ الأرض يُدركك المَقِيلُ

والله إنى لأكره أن تكون قريش قتلى تحت بطون الكواكب قال : فوقع العراقيون يشتمون طلحة وسكت علىّ وسكتُّ ، حتى إذا فرغوا أقبل علىّ عليه السلام علىّ فقالَ : إيه يا ابن الفُقَيْمةِ ، والله إنه وإن قالوا ما سمعت لكما قال أخو جُعْفىّ :

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه إذا ما هو استغنى ويُبعده الفَقْرُ

ثم أردت أن أكلّمه بشىء فقلت : يا أمير المؤمنين . فقال : وما منعك أن تقول يا أبا حسن ؟ فقلت : أنتَ[١] ، فقال : والله إنها لأحبهما إلىّ لولا الحمق ، ولوددت أنى خُنِقت بحبل حتى أموت قبل أن يفعَل عثمان ما فعل ، وما أعتذر من قيام بحقّ ، ولكن العافية مما ترى كانت خيرا .

حدّثنا محمد خلف وكيع والحسن بن على الخفاف قالا : حدّثنا الحارث ابن أبى أسامة قال : حدثنا محمد بن سعد عن الواقدى عن عبد الله بن يزيد .

عن عروة بن أذينة قال : قدمت مع أبى مكة يوم احترقت الكعبة ، فرأيت الخشب وقد خلَصتْ إليه النارُ ، ورأيت الكعبة متجرّدة ، من الحريق،ورأيت الركن قد اسودّ وتصدعَ من ثلاثة أمكنة ، فقلت : ما أصاب الكعبة ؟ فأشاروا

(١) فى الأصل : فقلت أبيت .

إلى رجل من أصحاب ابن الزبير فقالوا : هذا احترقتْ بسببه ، أخذ قَبَسا فى رأس رمح ، فطيّرَتِ الريحُ منه شيئا ، فضربت أستار الكعبة فيما بين اليمانى إلى الأسود ؛

حدثنى محمد بن جرير الطبرى وحفظته ، وأنبأنا به أحمد بن عبد العزيز الجوهرى وحبيب بن نصر المهلبى قالوا : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنى عمر ابن محروس الوراق بن أقيصر السلمى قال :

حدثنا يحيى بن عروة بن أذنية قال : أتى أبى وجماعةٌ من الشعراء هشام بن عبد الملك ، فنسبهم ، فلما عرف أبى قال له أنت القائل :

لقد علمت وما الإشراف من خلقى أنّ الذى هو رزقى سوف يأتينى
أسعى له فيُعَنِّينى تطلبــه ولوْ جلستُ أتانى لايُعَنِّينى

هذان البيتان فقط ذكرهما المهلبى والجوهرى ، وذكر محمد بن جرير فى خبره الأبيات كلها ؛

وأنّ حظ امرئٍ غيرى سيبلُغه لابُدّ لابُدّ أن يحتازه دونى
لاخير فى طَمَعٍ يُدْنى لمنقصةٍ وأغبر من كفاف العيش يكفينى
لا أركب الأمر تُزْرِى بى عواقبُه ولا يعاب به عِرضى ولا دينى
كم من فقيرٍ غنىّ النفسِ تعرفُه ومن غنىّ فقيرِ النفس مسكينِ
ومن عدوّ رمانى لو قصدتُ له لم يأخذ النُّصف منى حين يرمينى
ومن أخ لى طوى كشحافقلت له[١] إنّ انطواءك عنى سوف يَطْوِينى
إنى لأنطق فيما كان من أربى وأُكثر الصَّمتَ فيما ليس يعنينى
لا أبتغى وَصْلَ من يبغى مفارقتى ولا ألين لمن لايشتهى لينى

فقال له ابن أذينه : نعم أنا قائلها ، قال : أفلا قعدت فى بيتك حتى يأتيك رزقك؟

---

(٢) طوى كشحا : يكنى به عن الإعراض والقطيعة ، والكشح : هو من السرة إلى المتن .

وغفل عنه هشام ، فخرج من وقته وركب راحلته ومضى منصرفا ، ثم افتقده هشام فعرف خبره ، فأتبعه بجائزة وقال للرسول : قل له : أردت أن تكذبنا وتصدّق نفسك ، فمضى الرسول فلحقه وقد نزل على ماء يتغذى عليه ، فأبلغه رسالته ودفع الجائزة . فقال : قل له : صدّقنى ربى وكذبك .

قال يحيى بن عروة : وفرض له فريضتين ، فكنت أنا فى إحداهما .

أخبرنا وكيع قال: حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال: حدثنى الزبير بن بكار قال : حدثنى أبو غزية قال : حدثنى أنس بن حبيب قال :

خرج ابنُ أذينة إلى هشام بن عبد الملك فى قوم من أهل المدينة وفدوا عليه ، وكان ابنه مَسْلمة بن هشام سَنَةَ حَجَّ أُذِنَ لهم فى الوفود عليهِ ، فلما دخلوا على هشام انتسبوا له وسلموا عليه ، فقال : ما جاء بك يا ابن أذينة ؟ فقال

أتينا نمُتُّ بأرحامنا وجئنا بإذن أبى شاكرِ
فإن الذى سار معروفه بنجْدٍ وغار مع الغائرِ
إلى خير خندفَ فى ملكها لبادٍ من الناس أو حاضرِ

فقال له هشام : ما أراك إلا قد أكذبت نفسك حيث تقول :

لقد علمت وما الإشراف من خلقى أن الذى هو رزقى سوف يأتينى
أسعى له فيعّننى تطلّبــــه ولو صبرت أتانى لا يُعَنّينى

فقال له ابن أذينة : ما أكذبت نفسى يا أمير المؤمنين ، ولكنى صدّقتها وهذا من ذاك . ثم خرج من عنده فركب راحلته إلى المدينة ، فلما أمر لهم هشام بجوائزهم فقده ، فقال : أين ابنُ أذينة ؟ فقالوا : غضب من تقريعك له يا أمير المؤمنين ، فانصرف راجعا إلى المدينة ، فبعث إليه هشام بجائزته .

أخبرنا وكيع قال : حدثنا هارون بن محمد قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثنى عمى عن عروة بن عبيد الله قال :

كان عروة بن أذينة نازلا مع أبي في قصر عروة بالعَقيق ، وخرج أبي يوما يمشي وأنا معه وابنُ أذينة ، ونظر إلى غنم كانت له في يَدَيْ راعٍ يقال له كعب وهي مُهملة، وكعبٌ نائم حَجْرَةً[1] ، فجعل ابن أذينة يزو حوله وهو يضربه ويقول :

لو يعلم الذئب بنوم كَعْبِ   إذًا لأمسى عندنا ذا ذَنْبِ
أضربه ولا يقول حسبي   لابدَّ عند ضيعة من ضَرْبِ

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي وإسماعيل بن يونس الشيعي قالوا : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثني أبو غسان محمد بن يحيى عن بعض أصحابه قال :

مر ابنُ عائشة المُغَنِّيَ بعروة بن أذينة ، فقال له : قل لي أبياتا هَزَجا أُغنى فيها ، فقال له : اجلس ، فجلس فقال :

صوت

سُلَيْمى أجمعت بَيْنا   فأين تقولها أينا
وقد قالت لأترابٍ   لها زُهْرٍ تلاقَيْنا
تعالَيْنَ فقَدْ طابَ   لنا العيش تَعالَيْنا
وغاب البرمُ الليلةَ   والعين فلا عَيْنا[2]
فأقبلن إليها مسـ   رعات يَتهادينا
إلى مثل مهاة الرمـ   ل تكسو المجلس الزَّيْنا
تمنَّين مُناهُنَّ   فكُنَّا ما تَمنَّيْنا

(١) حجرة : ناحية .
(٢) البرم : الضجر .

قال أبو غسَّان : فحدُّثت أن ابن عائشة رواها ثم ضحك لما سمع قوله :

تمنين مُناهُــــنَّ فكنا ما تَّمنيـنا

ثم قال : يا أبا عامر تمنينك لما أقبل بخَرُك وأدبر ذكَرُك .

قال عمر بن شبة . قال أبو غسان : فحدثني حماد الحسيني قال :

ذُكر ابن أُذينة عند عمرَ بن عبد العزيز فقال : نِعْمَ الرجلُ أبو عامر ، على أنه الذى يقول :

وقد قالتْ لأترابٍ لها زُهْرٍ تلاقَينا

وأخبرنى : بهذا الخبر وكيع قال : حدثنى هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات عن الزبير ، عن محمد بن يحيى ، عن إسحاق بن إبراهيم ، عن قسطاس قال :

مر ابن عائشة بابن أذينة . ثم ذكر الخبر مثل الذى قبله .

أخبرنى حبيب بن نصر المهلبى والحرمى بن أبى العلاء قالا : حدثنا الزبير بن بكارقال : حدثنى أبو معاوية عبدالجبار بن سعيد المساحقى . وأخبرنا به وكيع قال : حدثنا أبو أيوب المدينى ، عن الحارث بن محمد العوفى قال :

وقفت سكينة بنت الحسين بن علىّ عليهما السلام على عروة بن أذينة فى موكبها ومعها جواريها ، فقالت : يا أباعامر ، أنت الذى تزعم أن لك مروءة وأن غزلك من وراء عفة وأنك تقىّ ؟ قال : نعم . قالت : أفأنت الذى تقول :

صوت

قالتْ وأبثثتها وَجْدِى فبحتُ به قد كنتَ عندى تحبُّ السَّتر فاستترِ

ألستَ تُبصر مَنْ حولى فقلتُ لها غطَّى هواك وما ألقَى على بصرى

قال لها : بلى ، قالت : هن حرائر إن كان هذا خرج من قلب سليم ، أو قالت : من قلب صحيح .

فى هذين البيتين لعلوية رمل بالبنصر ، وفيهما لإسحاق هزج بالوسطى ، وفيهما لمخارق ثقيل أول بالبنصر عن الهشامى وعمرو بن بانة . وذكر حبش أن الثقيل الأول لمعبد اليقطينى .

وذكر علىّ بن محمد بن نصر البَسَّامى أن خاله أبا عبد الله بن حمدون ابن إسماعيل قال : كنت جالسا بين يدى المتوكل ، وبين يديه المنتصر ، فأحضر المعتزّ وهو صبى صغير ، فلعب فأفرط فى اللعب ، والمنتصر يرمقه كالمُنكر لفعله ، فنظر إليه المتوكل عدة دفعات ثم التفت إلى المنتصر فقال : يا محمد :

قالت وأبثثتُها وَجدى فبُحت به قد كنتَ عندى تحبُّ السّتر فاستتر

قال : فاعتذر إليه المنتصر عُذْرا قبِلَه وهو مقطب مُعْرِض . قال : وكان المنتصر أشدّ خلق الله بُغْضا للمعتز ، وطعنا عليه ، ولقد دخلت إليه يوما ودخل إليه أبو خالد المُهلبى بعد قتل المتوكل وإفضاء الخلافة إليه ، ومع المهلبى دِرْع كأنها فضة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هذه درع المهلب ، فأخذها وقام فلبسها ، ورأى المعتزّ وعليه وشى مثقل وما أشبه ذلك ، فتمثل ببيت جرير :

لبستُ سلاحى والفرزدقُ لُعبةٌ عليه وِشاحا كُرَّجٍ وجلاجِلُهْ

أخبرنى وكيع قال : حدثنى هارون بن محمد قال : حدثنى عبدالله بن شعيب الزبيرى قال : حدثنى عبد العزيز بن أبى سلمة قال :

مرت امرأة بابن أذينة وهو بِفناء داره فقالت له : أأنت ابنُ أذينة ؟ قال : نعم ، قالت : أأنت الذى يقول الناس إنك امرؤ صالح وأنت الذى تقول :

إذا وجدتُ أُوار الحُبّ فى كبدى عَمَدتُ نحو سقاء القوم أبترِدُ
هبْنى بَرَدْتُ ببرد الماء ظاهرَه فمن لِحرّ على الأحشاء يتّقدُ

أخبرنى الحرمى بن أبى العلاء قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثنى عمى ، عن عروة بن عبد الله . وأخبرنا به وكيع ، عن هارون بن الزيات ، عن الزبيرى عن عمه ، عن عروة بن عبد الله ، وذكره حماد ، عن أبيه ، عن الزبيرى ، عن عروة قال :

كان عروة بن أذينة نازلا فى دار أبى بالعقيق ، فسمعه ينشد[1] :

صوت

إنّ التى زعمت فؤادك ملَّها ... جُعلت هواك كما جُلعت هوًى لها
فبك الذى زعمتْ بها وكلا كما ... يُبدى لصاحبه الصبابة كُلَّها
ويبيت بين جوانحى حبٌّ لها ... لو كان تحت فراشها لأقلّها
ولعمرها لو كان حبُّك فوقها ... يوما وقد ضَحِيتْ إذًا لأظلّها
وإذا وجدتُ لها وساوس سلوة ... شفع الفؤاد إلى الضمير فسلها[2]
بيضاءُ باكرها النعيم فصاغَها ... بلباقةٍ فأدقّها وأجلّها
لما عرَضْتُ مُسلِّما لى حاجةٌ ... أرجو معونتَها وأخشى ذُلّها
منعتْ تحيتَها فقلت لصاحِبى ... ما كان أكثرَها لنا وأقلَّها
فدنا فقال لعلها معذُورةٌ ... من أجل رِقبتِها فقلت لعلّها

قال : فأتانى أبو السائب المخزومى وأنا فى دارى بالعقيق ، فقلت له بعد الترحيب : بدت لك حاجة ؟ فقال : نعم أبيات لعروة بلغنى أنك سمعتها منه ، فقلت له وأية أبيات ؟ فقال : وهل يخفى القمر ؟ قوله :

---

(١) انظر شرح الحماسة للمرزوقى ١٢٣٥ ، وقال آخر : والأمالى ١ / ١٥٦ « وأنشدنا أبو بكر ولم يعم قائلا » وما بهامش الكتابين واختلاف الروايات .

(٢) الرواية له : شفع الضمير إلى الفؤاد فسلها . أو شفع الضمير لها إلى فسلها .

إن التى زعمت فوادك ملَّها

فأنشدتُه إياها ، فلما بلغت إلى قوله : فقلت لعلها . قال : أحسن والله ، هذا والله الدائمُ العهد ، الصادقُ الصَبابة ، لا الذى يقول :

إن كان أهلك يمنعونك رغبة عنى فأهلى بى أضنّ وأرغب

اذهبْ لاصحبك اللهُ ولا وسَّعَ عليك ، يعنى قائل هذا البيت . لقد عدا أعرابىّ طورَه ، وإنى لأرجو أن يغفر الله لصاحبك ، يعنى عروة ، لحسن ظنه بها ، وطلبه العذر لها . قال : فعرضت عليه الطعام فقال : لا والله ما كنت لآكل بهذه الأبيات طعاما إلى الليل . وانصرف .

ذكر ما فى هذا الخبر من الغناء

فى الشعر المذكور فيه لعروة فى البيت الأول والرابع من الأبيات خفيف رمل بالوسطى . نسبه ابن المكى إلى ابن مسجح ، وقيل إنه من منحوله إليه ، وفيهما وفى البيت الثالث من شعر ابن أذينة خفيف ثقيل لابن الهربذ ، والبيت :

ويبيت بين جوانحى حُبّ لها لو كان تحت فراشها لأقلَّها

أخبرنى الحرمى بن أبى العلاء قال :حدثنا الزبير بكار قال : حدثنا عمر بن أبى بكر المؤملى قال :

حدثنا عبد الله بن أبى عبيد ، قال : قلت : لأبى السائب المخزومى : ما أحسن عروة بن أذينة حيث يقول :

صوت

لبثوا ثلاثَ مِنًى بمنزلِ غبطة وهمُ على غرض لعمرُك ماهمُ
متجاورين بغير دارِ إقامة لو قد أجدَّ رحيلهم لم يندموا
ولهنَّ بالبيت العتيق لُبانَةٌ والبيتُ يعرفهن لو يتكلمُ
لو كان حيًّا قبلَهن ظعائِنا حيَّا الحطيمُ وجُوهَهنَّ وزمزمُ
وكأنهنَّ وقد حسرْنَ لواغِبا بَيْضٌ بأكنافِ الحطيمِ مُرَكَّمُ

فى هذه الأبيات الثلاثة لابن سريج ثانى ثقيل بالبنصر عن عمرو :

قال : فقال : لا والله ما أحسن ولا أجمل ، ولكنه أهجر وأخطل[1] فى صفتهن بهذه الصفة ، ثم لايندم على رحيلهن ، أهكذا قال كثير حيث يقول :

صوت

تفرّق أهواءُ الحجيج على مِنى وصدَّعهم شَعْبُ النوى صُبحَ أرْبعِ
فريقان : منهم سالكٌ بطن نَخْلَةٍ وآخرُ منهم سالكٌ بطنَ تَضرَعِ

فى هذين البيتين للدلال ثانى ثقيل بالوسطى عن الهشامى وحبش :

فلم أرَ دارا مثلها دارَ غِبطةٍ وملقى إذا التقت الحجيجُ بمَجْمعِ
أقلَّ مُقيماً راضيا بمكانــه وأكثر جارًا ظاعنا لم يُوَدَّعِ

انظر إليه كيف تقدَّمت شهادَتُه لِسمّه، وكفى لسانَه ببيانه ، وهل يغتبط عاقل بمقام لايرضى به ، ولكنى مُكَرَه أخوك لابطل . والعرجىٌّ كان بالعهد أوفى منهما ، وأولى بالصواب حين تعرض لها نافِرةً من منى ، فقال لها عانيا مستكينا :

(١) اهجر : قال الهجر « بضم الهاء » وأخطل : أتى بالخطل وهو الخطأ .

عُوجى علىّ فسلِّمى جَسْبَرُ فيمَ الصدودُ وأنتمُ سَفْرُ
مانلتقى إلاَّ ثلاث مِنى حتى يُفرِّق بيننا النَّفْرُ

فى هذين البيتين غناء قد تقدمت نسبته فى أخبار ابن جامع فى أول الكتاب .

أخبرنى الحرمى بن أبى العلاء قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثنى جعفر بن موسى اللهبى قال :

كان عبد الملك بن مروان إذا قدم مكة أذن للقرشيين فى السلام عليه ، فإذا أراد الخروج لم يأذن لأحد منهم وقال : أكذبنا إذاً قولَ المُلَحىّ يعنى كثيرا حيث يقول :

تفرّق أهواءُ الحجيج على مِنى وصدّعهم شَعْبُ النوى صُبْحَ أرْبعِ

وذكر الأبيات الأربعة .

أخبرنا على بن سليمان الأخفش قال : حدثنا محمد بن يزيد قال : حدثنا الزبيرى :

عن خالد صامة ، وكان أحد المُغنين قال : قدمت على الوليد بن يزيد ، فدخلت إليه وهو فى مجلس ناهيك به ، وهو على سرير ، وبين يديه معبد ومالك وابن عائشة وأبو كامل ، فجعلوا يغنون ، حتى بلغت النوبة إلى فغنيته .

صوت

سرى هَمِّى وهمٌ المرء يسرى وغار النجم إلا قِيسَ فِتْرِ[1]
أراقب فى المجرّةِ كلَّ نجمٍ تعرَّضَ للمجرةِ كيفَ يجرى

(١) قيس : مقدار .

لهمٌّ ما أزال لَهُ مُدِيماً كأن القلب أُضرم حرَّ جَمْرِ
على بَكْرٍ أخي وَلّى حميداً وأيُّ العيش يَصْفُو بعد بَكْرِ

فقال لى الوليد. أعِدْ يا صام ، ففعلت ، فقال لى : من يقول هذا الشعر ؟ قلت عروة بن أذينة يرثى أخاه بكرا . فقال لى : وأى العيش لايصفو بعده هذا العيشُ واللهِ الذى نحن فيه على رغم أنفهِ ، واللهِ لقد تحجَّرَ واسعا[1] .

لابن سريج فى هذه الأبيات ثانى ثقيل بالوسطى عن عمرو وابن المكى وغيرهما وفيها رمل ينسب إلى أبى عباد الكاتب ، وإلى صاحب الحرون ، وإلى مسكين بن صدقة .

حدثنا الأخفش عن محمد بن يزيد قال : قال الزبيرى :

حُدِّثت أن سُكينة بنت الحسين عليه السلام أُنشدت هذا الشعر فقالت : من بكر هذا ؟ أليس هو الأسود الدَّحْدَاحُ[2] الذى كان يمرُّ بنا ؟ قالوا : نعم ، فقالت : لقد طاب كل شئ بعده حتى الخبز والزيت :

وأخبرنى الحسن بن على الخفاف قال : حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقى قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثنى عمى قال :

لقى ابنُ أبى عتيق عروةَ بن أذينة فأنشده قوله :

لا بَكْرَ لى إذْ دعوتُ بَكْرًا ودُونَ بَكْرٍ ثَرًى وطينُ

حتى فرغ منها ثم أنشده :

سرى همِّى وهمُّ المرء يسرى

(١) تحجر واسعا : بالغ كثيرا .
(٢) الدحداح : القصير .

حتى بلغ إلى قوله :

وأى العيش يصلح بعد بكر

فقال له ابن أبى عتيق : كل العيش والله يصلح بعده حتى الخبز والزيت . فغضب عروة من قوله وقام عن مجلسه ، وحلف ألا يكلمه أبدا . فماتا متهاجرين :

ذكر مخارق وأخباره

هو مخارق بن يحيى بن ناووس الجزّار[٢] مولى الرشيد ، وقيل : بل ناووس لقب أبيه يحيى ، ويكنى أبا المُهَنَّأ ، كناه الرشيد بذلك ، وكان قبله لعاتكة بنت شُهْدة ، وهى من المغنيات المحسنات المتقدمات فى الضرب ، ذكر ذلك مخارق واعترف به . ونشأ بالمدينة ، وقيل : بل كان منشؤه بالكوفة ، وكان أبوه جزّارا مملوكا ، وكان مخارق وهو صبى ينادى على ما يبيعه أبوه من اللحم ، فلما بان طيب صوته علّمته مولاته طرَفا من الغناء ، ثم أرادت بيعه ، فاشتراه إبراهيم الموصلى منها ، وأهداه للفضل بن يحيى ، فأخذه الرشيد منه ثم أعتقه .

أخبرنى الحسين بن يحيى قال : قال حماد : حدثنى زكريا مولاهُم . وأخبرنى محمد بن يحيى الصولى قال : حدثنى عُبيد الله بن محمد بن عبد الملك قال : حدثنا حماد بن إسحاق عن زكريا مولاهم قال :

قدمت مولاة مخارق به من الكوفة ، فنزلت المخرِّم ، وصار إبراهيم إلى جَدَّىَّ الأصبغ بن سنان المُقَيِّن وسيرين بن طرْخان النَّخَّاس، فقالا له : إن هاهنا امرأة من أهل الكوفة قد قدمت ومعها غلام يتغنى ، فأحب أن تنفعها فيه ، قال : فوجهنى مع مولاته لأحمله ، فوجدته متمرغا فى رمل الجزيرة التى بازاء المخرِّم وهو يلعب ، فحملته خلفى وأتيت به إبراهيم ،فتغنى بين يديه فقال لها : كم أملكِ فيه ؟

(١) جاءت ترجمة مخارق فى الجزء الحادى والعشرين بعد أن سقطت من موضعها . استقيناها من النسخ الخطية الموثوقة ، ومكانه الطبيعى فى النسخ الكاملة هو هنا بعد عروة بن أذينة وقبل أبى محجن الثقفى .

(٢) فى المطبوع ونهاية الأرب ج ٣١٢/٤ : الجزار وفى مخطوط : الخزاز . والسياق بعد ذلك كما أثبتنا .

قالت: عشرة آلاف درهم، قال: قد أخذته بها وهو خير منها، فقالت: [أقلنى قال: قد فعلت، فكم أملك فيه؟ قالت: عشرون الفا، قال: قد أخذ ته بها وهو خير منها. فقالت:] والله ماتطيب نفسى أن أمتنع من عشرين ألف درهم بكبد رطبة[1] فهل لك فى خصلة؟ تعطينى به ثلاثين ألف درهم ولاأستقيلك بعدها؟ فقال: قد فعلت وهو خير منها، فصفقتُ على يده وبايعته، وأمر بالمال فأُحضر وأمر بثلاثة آلاف درهم فزيدت عليه وقال: تكون هذه لهدية تُهْدِينها أو كسوة تكتسينها ولا تَثْلمين المَال. قال: وراح إلى الفضل بن يحيى فقال له: ماخبر غلام بلغنى أنك اشتريته؟ قال: هو ما بلغك، قال: فأرنيه. فأحضره، فلما تغنى بين يدى الفضل قال له: ما أرى فيه الذى رأيت، قال: أنت تريد أن يكون فى الغناء مثلى فى ساعة واحدة، ولم يكن مثله فى الدنيا ولايكون أبدا. فقال: بكم تبيعنيه؟ فقال: قد اشتريته بثلاثة وثلاثين ألف درهم، وهو حرٌّ لوجه الله تعالى إن بعته إلاّ بثلاثة وثلاثين ألف دينار. فغضب الفضل وقال: إنما أردت أن تمنعنيه أو تجعله سببا لأن تأخذ منى ثلاثة وثلاثين ألف دينار، فقال له: أنا أصنع بك خصلة، أبيعك نصفه بنصف هذا المال، وأكون شريكك فى نصفه وأعلمه، فإن أعجبك إذا علّمته أتممْتَ لى باقى المال. وإلا بعتُه بعد ذلك وكان الربح بينى وبينك، فقال له الفضل: إنما أردت أن تأخذ منى المال الذى قدمت ذكره، فلما لم تقدر على ذلك أردت أن تأخذ نصفه، وغضب، فقال له إبراهيم: فأنا أهبه لك، على أنه يساوى ثلاثة وثلاثين ألف دينار، قال: قد قبلته، قال: قد وهبته لك، وغدا إبراهيم على الرشيد، فقال له: يا إبراهيم، ما غلام بلغنى أنك وهبته للفضل؟ قال: فقلت: غلام ياأمير المؤمنين لم تملك العرب ولا العجم مثله، ولايكون مثله أبدا، قال: فوجّه إلى الفضل فأمره بإحضاره، فوجه به إليه فتغنى بين يديه، فقال لى: كم يساوى؟ قال: قلت: يساوى خراج مصر

(١) فى مخطوط: والله ما تطيب نفسى أن أمنع كبدا رطبة عشرين ألف درهم.

وضِياعها ، فقال لى : ويلك ، أتدرى ما تقول ؟ مبلغُ هذا المال كذا وكذا ، فقلت : وما مقدار هذا المال فى شىء لم يملك أحد مثله قط ؟ قال : فالتفت إلى مسرور الخادم الكبير وقال : قد عرفت يمينى أن لا أسأل أحدا من البرامكة شيئا بعد فنفنة[١] ، فقال مسرور : فأنا أمضى إلى الفضل فأستوهبه منه ، فإذا وهبه لى وكان عبدى فهو عبدك ، فقال له : شأنك ، فمضى مسرور إلى الفضل فقال له : قد عرفتم ما وقعتم فيه من أمر فنفنة ، وإن منعتموه هذا الغلام قامت القيامة ، واستوهبه منه فوهبه له . فبلغ ما رأيت ، فكان علّويةُ إذا غضب على مخارق يقول له ـ حيث يقول : أنا مولى أمير المؤمنين ـ : متى كنت كذلك ؟ إنما أنت عبد الفضل بن يحيى أو مولى مسرور .

أخبرنى ابن أبى الأزهر قال : حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال :

كان مخارق بن ناووس الجزار ، وإنما لقب بناووس لأنه بايع رجلا أنه يمضى إلى ناووس الكوفة فيطبخ فيه قدرا بالليل حتى تنضج ، فطرح رهنه بذلك ، فدسّ الرجل الذى راهنه رجلا ، فألقى نفسه فى الناووس بين الموتى ، فلما فرغ من الطبيخِ مدّ الرجل يده من بين الموتى وقال له : أطعمنى ، فغرف ملْء المغرفة من المرقة فصبها فى يد الرجل ، فأحرقها ، وضربها بالمغرفة وقال له : اصبر حتى نطعم الأحياء أوّلا ثم نتفرّغ للموتى ، فلقب بناووس لذلك ، فنشأ ابنه مخارق ، وكان ينادى له إذا باع الجزور ، فخرج له صوت عجيب ، فاشتراه أبى وأهداه للرشيد فأمره بتعليمه فعلّمه حتى بلغ المبلغ الذى بلغه ، وكان يقف بين يدى الرشيد مع الغلمان لا يجلس ، ويغنى وهو واقف ، فغنى ابنُ جامع ذات يوم بين يدى الرشيد :

كأنّ نيراننا فى جنْب قلعتهمْ ... مُصبّغاتٌ على أرْسانِ قصّارِ[٢]

---

(١) هكذا هو فى المطبوع ، وأما المخطوط فالكلمة غير واضحة ، ولعل ذلك اسم جارية أو غلام .

(٢) فى المطبوع : كأن نيرانها . وما أثبته عن مخطوط ويتفق معه نهاية الأرب ج ٤ ص ٣٣١ . والقصار : محور الثياب .

هوَتْ هرَقْلَة لما أن رأت عجبا حوائما ترتمى بالنِّفْطِ والنارِ

فطرب الرشيد واستعاده عدة مرات ، وهو شعر مدح به الرشيد فى فتح هرقلة ، وأقبل يومئذ على ابن جامع دون غيره ، فغمز مخارق إبراهيم بعينه ، وتقدمه إلى الخلاء ، فلما جاءه قال له : مالى أراك مُنكسرا ؟ فقال له : أما ترى إقبال أمير المؤمنين على ابن جامع بسبب هذا الصوت؟فقال له : قد والله أخذتُه ، فقال : ويحك إنه الرشيد ، وابن جامع مَنْ تعلم ، ولا يمكن معارضته إلاّ بما يزيد على غنائه ، وإلاّ فهو الموت ، قال : دعنى وخلاك ذَمٌّ ، وعرَّفه بأنى أُغنى به ، فإن أحسنتُ فإليك يُنسب. وإن أسأت فإلىّ يعود ، فقال للرشيد : ياأمير المؤمنين ، أراك متعجبا من هذا الصوت بغير ما يستحقه وأكثر مما يستوجبه ، فقال : لقدأحسن ابن ُجامع ماشاء ، قال : أوَلابنِ جامع هو ؟ قال : نعم ، كذا ذَكَرَ ، قال : فإن عبدك مخارقا يُغنيه فنظر إلى مخارق ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، فقال : هاته ، فغناه وتحفظ فيه ، فأتى بالعجائب فطرب الرشيد حتى كاد يطير فرحا ، وشرب ، ثم أقبل على ابن جامع فقال له : ويلك ، ما هذا ؟ فابتدأ يحلف بالطلاق وكلّ مُحْرِجَة أنه لم يُسْمَع ذلك الصوت قط إلاّ منه ، ولاصنعه غيره ، وأنها حيلة جرَتْ عليه ، فأقبل على إبراهيم وقال : أصدقنى بحياتى ، فصدقه عن قصة مخارق ، فقال له : أكذلك يا مخارق ؟ قال : نعم يا مولاى ، فقال : اجلس إذن مع أصحابك فقد تجاوزت مرتبة من يقوم . وأعتقه ووصله بثلاثة آلاف دينار ، وأقطعه ضيعة ومنزلا .

أخبرنى محمد بن خلف وكيع : وحدثنى محمد بن خلف بن المرزبان . قال وكيع : حدثنى هارون بن مخارق ، وقال ابنُ المرزبان :

ذكر هارون بنُ مخارق قال : كان أبى إذا غنى هذا الصوت :

ياربْعَ سَلمى لقد هيَّجْتَ لى طربا زدْتَ الفؤادَ على عِلاّتِه وَصَبا

رَبْعٌ تبدَّل ممَّن كان يسكُنه عُفْرَ الظِّباءِ وظِلْمانا به عُصَبا

يبكي ويقول: أنا مولى هذا الصوت ، فقلت له : وكيف ذاك يا أبت ؟ فقال : غنيته مولاى الرشيد فبكى وشرب عليه رطلا، ثم قال : أحسنت يا مخارق فسلني حاجتك ، فقلت: أن تعتقني يا أمير المؤمنين أعتقك الله من النار ، فقال : أنت حر لوجه الله ، فأعِدِ الصوت ، فأعدته فبكى وشرب رطلا ثم قال : أحسنت يا مخارق فسلني حاجتك ، فقلت : ضيعة تُقيمني غلَّتها ، قال : قد أمرت لك بها ، أعِدِ الصوت ، فأعدته فبكى وقال : سل حاجتك ، فقلت: يا أمير المؤمنين تأمر لى بمنزل وفرش وخادم ، قال : ذلك لك أعِدِ الصوت ، فأعدته ، فبكى وقال : سل حاجتك ، فقبلت الأرض بين يديه وقلت : حاجتى أن يطيل الله بقاءك ويُديم عزك ويجعلنى من كل سوء فداءك . فأنا مولى هذا الصوت بعد مولاى

[وذكر محمد بن الحسن الكاتب أن أبا ن بن سعيد حدثه :

أن المأمون سأل إسحاق عن إبراهيم بن المهدى ومخارق فقال : يا أمير المؤمنين إذا تغنى إبراهيم بن المهدى بعلمه فضل مخارقا ، وإذا تغنى مخارق بطبعه وفضلِ صوته فَضَل إبراهيم ، فقال له : صدقت] .

أخبرنى على بن سليمان الأخفش قال : حدثنا المبرد بهذا الخبر فقال : حدثنى بعض حاشية السلطان : أن إبراهيم الموصلى غنى الرشيد يوما هذا الصوت فأعجب به وطرب له واستعاده مرارا ، فقال له : فكيف لو سمعته من عبدك مخارق ، فإنه أخذه عنى وهو يَفْضل فيه الخلق جميعا ويفضلنى ؟ فدعا بمخارق فأمره أن يغنيه ، وذكر باقى الخبر مثل الذى تقدم .

أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنا ابن أبى الدنيا ، عن إسحاق بن محمد النَّخعى ، عن الُحسين بن الضحاك .

عن مخارق ، أن الرشيد قال يوما للمغنين وهو مصطبح ، من منكم يُغَنّى .

يا رَبْعَ سَلْمى لقد هيَّجت لى طَرَبا

فقمت فقلت : أنا يا أمير المؤمنين ، فقال : هاته ، فغنيته ، فطرب وشرب ثم قال : عَلَىَّ بهَرْثمةَ بن أعْينَ ، فقلت في نفسي : ما يريد منه ؟ فجاءوا بهرثمة ، فأُدخل إليه وهو يجُرُّ سيفه ، فقال له : يا هرثمة ، مخارقٌ الشَّارِى[1] الذى قتلناه بناحية الموصل ما كانت كُنيته ؟ فقال : أبو المُهَنَّأ ، فقال : انصرِفْ ، فانصرف ، ثم أقبل عَلَىَّ وقال : قد كنيتُك أبا المهنأ لإحسانك ، وأمر له بمائة ألف درهم . فانصرفت بها وبالكنية .

أخبرنى جعفر بن قدامة قال : حدثنى على بن محمد بن نصر البسَّامى قال :

حدثنى خالى أبو عبد الله بن حمدون قال : رحنا إلى الواثق وأمه عليلةٌ ، فلما صلى المغربَ دخل إلى أمه ، وأمر بأن لانبرح ، وكان فى الصحن حُصُرٌ غيرُ مفروشة ، فقال لى مخارق : امض بنا حتى نَفرشَ[2] حصيرا من هذه الحصر فنجلس على بعضه ونتكئْ على المُدَرَّج منه ، وكانت ليلةٌ مقمرةٌ ، فضينا ففرشنا بعض تلك الحصر ، واستلقينا وتحدثنا ، وأبطأ الواثق عند أمه ، فاندفع مخارق فغنَّى :

أيا بَيْتَ ليلى إن ليلى غريبةٌ بِرِاذَانَ لا خالٌ لديها ولا ابن عَمْ[3]

فاجتمع علينا الغلمان ، وخرج الواثق فصاح ياغلام ، فلم يجبه أحد ، ومضى من المجلس إلى أن توسط الدار ، فلما رأيته بادرت إليه ، فقال لى : ويلك ، هل حدث فى دارى شىء ؟ فقلت : لا يا سيدى ، فقال : فما لى أصيح فلا أجاب ؟ فقلت : مخارق يغنى والغلمان قد اجتمعوا عليه ، فليس فيهم فضلٌ لسماع غيرِ ما يسمعونه منه فقال : عُذْرٌ والله لهم يا ابن حمدون وأىّ عُذر ، ثم جلس وجلسنا بين يديه إلى السَّحَرَ .

(١) الشارى : نسبة إلى الشراة من الخوارج .

(٢) فى المطبوع : وحتى نبسط .

(٣) فى مخطوط : « ولاعم » وانظر ديوان مجنون ليل تحقيقى .

وذكر هارون بن محمد بن عبد الملك أن مخارقا كان ينادى على اللحم الذى يبيعه أبوه ، فسُمع له صوتٌ عجيب ، فاشترته عاتكة بنت شُهْدَة وعلّمته شيئا من الغناء ليس بالكثير ، ثم باعته من آل الزُّبير ، فأخذه منهم الرشيد وسلّمه إلى إبراهيم الموصلى ، فأخذ عنه ، وكان إبراهيم يقدمه ويُؤثره ويخصّه بالتعليم لمَا يتبيّنه منه ومن جودة طبعه .

وأخبرنى على بن عبد العزيز الكاتب قال : حدثنى ابن خُرداذبه قال :

كان مخارقٌ ابنَ يحيى بن ناووس الجزار ، وكان عبدًا لعاتكة بنت شُهدة ، وكانت عاتكة أحذق الناس بالغناء ، وكان ابن جامع يَلُوذ منها بالترجيع الكثير ، فتقول له : أين يُذْهب بك ؟ هلمّ إلى مُعْظَم الغِناء ودَعْنى من جنونك ، قال : فحدثنى من حضرهما أن عاتكة أفرطت يوما فى الردّ على ابن جامع بحضرة الرشيد ، فقال لها : أى أمّ العباس أنا - يشهد اللهُ - أحبُّ أنْ تحتكّ شِعْرتى بشعرتك ، فقالت له : اسكت قطع الله لسانك ، ولم تعاود أذيّته بعد ذلك . قال : وكانت شُهدة أمُّ عاتكة نائحةً ، هكذا ذكرابن خُرْدَاذبه ، وليس الأمر فى ذلك كما ذَكَرَه .

حدثنى محمد بن يحيى الصولى قال : حدثنا الغلابىُّ قال : حدثنى على بن محمد النوفلى .

عن عبد الله بن العباس الرَّبيعى أنه كان هو وابنُ جامع وإبراهيم الموصلى وإسماعيل بن علىّ عند الرشيد ، ومعهم محمد بن داودُ بن علىّ ، فغنى المغنون جميعا ، ثم اندفع محمد بن داود فغناه :

صوت

أمَّ الوليد سلبْتِنِى حِلْمِى وقتَلْتِنِى فتَحلَّلِى إثْمِى[1]

بالله يا أُمَّ الوَلِيدِ أما تخشين فىَّ عواقبَ الظُّلْمِ

وتركتِنِى أبغى الطبيب وما لطبيبنا بالدَّاء من عِلْمِ

قال : فاستحسنه الرشيد وكلٌّ من حضر وطربوا له ، فسأله الرشيد عمن أخَذْتَه، فقال : أخذتُه عن شُهدة جارية الوليد بن يزيد ، قال عبد الله بن العباس ، وهى أمُّ عاتكة بنت شُهدة .

الأبيات المذكورة التى فيها الغناء لعُبيد الله بن قيس الرُّقَيات ، وتمامها :

لله دَرُّك فى ابنِ عمِّك قَدْ زَوَّدْتِه سُقْما عَلى سُقْمِ

فى وجهها ماءُ الشبـابِ ولمْ تُقْبِلْ بِمكروهٍ ولا جَهْمِ[2]

والغناء فيه لابن محرز لحنان ، كلاهما له ، أحدهما ثقيل الأول بالخنصر فى مجرى الوسطى عن إسحاق ، والآخر خفيف ثقيل الأول بالبنصر عن عمرو بن بانة ، وفيه لمالك ثانى ثقيل عن الهشامى وحبش ، وفيه لسليم خفيف رمل بالبنصر [3] عنهما ، وثقيل أول للحسين بن محرز .

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات : قال أبى :

قال الواثق أمير المؤمنين : خطأُ مخارقٍ كصواب عَلّـُوية ، وخطأ إسحاق كصواب مخارق ، وما غنانى مخارق قطُّ إلا قدرت أنه من قلبى خُلق ، ولا غنانى إسحاق إلا ظننت أنه قد زِيد فى ملكى مُلْكٌ آخر .

---

(١) تحلله : سأله أن يجعله فى حل من قبله . وفى مخطوط : فتجلى .

(٢) جهم : عبوس كريه .

(٣) فى مخطوط : بالخنصر .

قال : وكان يقول : أتريدون أن تنظروا فضل مخارق على جميع أصحابه : انظروا إلى هؤلاء الغلمان الذين يقفون فى السماط ، فكانوا يتفقدونهم وهم وقوف ، فكلهم يسمع الغناء من المغنين جميعا وهو واقف مكانه ضابط لنفسه ، فإذا تغنى مخارق خرجوا عن صُوَرِهم فتحركت أرجلهم ومناكبهم ، وبانت أسباب الطرب فيهم وازدحموا على الحبل الذى يقفون من ورائه .

قال هارون : وحُدِّثتُ أنه خرج مرة إلى باب الكُناسة بمدينة السلام ، والناس يرتحلون للخروج إلى مكة ، فنظر إلى كثرتهم واجتماعهم وازدحامهم ، فقال لأصحابه الذين خرجوا معه : قد جاء فى الخبر أن ابن سريج كان يتغنى فى أيام الحج ، والناس بمنى فيستوقفهم بغنائه ، وسأستوقف لكم هؤلاء الناس وأستلهيهم جميعا ، لتعلموا أنه لم يكن ليفضُلَنى إلا بصنعته دون صوته ، ثم اندفع يُؤَذِّن ، فاستوقف أولائك الخلق واستلهاهم ، حتى جعلت المحامل يَغشى بعضُها بعضا ، وهو كالأعمى عنها لما خامر قلبه من الطرب لحسن ما يسمع .

أخبرنى أحمد بن جعفر جحظة قال : حدثنى ابن أخت الحاركى وأبو سعيد الرامهرمزى ، وأخبرنى على بن سليمان الأخفش قال : حدثنا محمد بن يزيد المبرد الأزدى ، عن أحمد بن عيسى الجَلُودى ، عن محمد بن سعيد التِّرمذى ، ـ وكان إسحاق إذا ذكر محمداً وصفه بحسن الصوت ثم قال : قد أفلتنا منه ، فلو كان يُغَنِّى لتقدَّمنا جميعا بصوته ـ قالوا : جاء أبو العتاهية إلى باب مخارق فطرقه واستفتح ، فإذا مخارق قد خرج إليه ، فقال له أبو العتاهية : يا حُسَّان هذا الإقليم ، ياحكيم أرض بابل ، اصبُبْ فى أذنى شيئا يفرَحُ به قلبى ، وتنعَم به نفسى . فقال : انزلوا ، فنزلنا ، فغنانا ، قال محمد بن سعيد : فكدت أسعى على وجهى طربا . قال : وجعل أبو العتاهية يبكى ، ثم قال له : يا دواء المجانين لقد رَقَقْتَ حتى كِدْتُ أن أحْسُوَكَ ، فلو كان الغناء طعاما لكان غناؤك أُدْما ، ولو كان شرابا لكان ماءَ الحياة .

نسخت من كتاب ابن أبي الدنيا : حدثني بعض خدم السلطان قال :

قال رجل لأبي العتاهية وقد حضرته الوفاة : هل في نفسك شيء تشتهيه ؟ قال : أن يحضُر مخارقٌ الساعةَ فيغنيني :

سيُعرَض عن ذكرى وتُنسى مودتي ... ويَحدثُ بعدي للخليلِ خليلُ

إذا ما انقضتْ عني من الدهر مُدّتي ... فإنّ غَناءَ الباكياتِ قليلُ

أخبرني عمي قال : حدثنا محمد بن علي بن حمزة العلويّ قال : حدثنا علي بن الحسين بن الأعرابي قال :

لقِيَ مخارق أبا العتاهية ، فقال له : يا أبا إسحاق أأنت القائل :

اصْرِفْ بطَرْفِكَ حيث شئْ ... ت فلن ترى إلاّ بَخيلاَ

قال له : نعم . قال : بخّلت الناس جميعا ، قال : نعم ، فاصْرِفْ بطرفك يا أبا المهنأ فانظر فإنك لن ترى إلا بخيلا ، وإلاّ فأكذبني بجواد واحد ، فالتفت مخارق يمينا وشمالا ثم أقبل عليه فقال : صدقت يا أبا إسحاق ، فقال له أبو العتاهية : فديتك ، لو كنت مما يُشْرب لذُرِرْتَ على الماء وشُرِبتَ .

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال : حدثنا عمر بن شبة قال :

حدثني بعض آل نُوبَخْت قال : كان أبي وعبدُ الله بن أبي سهل وجماعة من آل نُوبخت وغيرهم وقوفا بكُناسَة الدوّاب في الجانب الغربي من بغداد يتحدثون ، فإنهم لكذلك إذ أقبل مخارق على حمار أسود ، وعليه قميصٌ رقيقٌ ورِداء مُسَهَّم(١) ، فقالَ : فيم كنتم ؟ فأخبروه ، فقال : دعوني من وسْواسكم هذا ، أي شيء لي عليكم إن رميت بنفسي بين قبرين من هذه القبور وغطّيت وجهي وغنيت صوتا ، فلم يبق أحد بهذه الكُناسة ولا في الطريق من مشتر ،

(١) مسهم : مخطط .

ولا بائع ولا صادر ولا وارد إلا ترك عمله وقرب منى واتبع صوتى ؟ فقال له عبد الله : إنى لأحب أن أرى هذا ، فقل ما شئت ، فقال : فَرَسُكَ الأشقر الذى طلبتُه منك فمنعتنيه ، قال : هو لك إن فعلت ما قلتَ ، ثم دخلها ورمى بنفسه بين قبرين وتغطّى بردائه ، ثم اندفع يغنى ، فغنى فى شعر أبى العتاهية :

نادتْ بِوشْكِ رحيلِكِ الأيّامُ   أفلست تسمَعُ أم بك استصمامُ

قالَ : فرأيت الناس يتقوّضون إلى المقبرة أرْسالاً [1] من بين راكب وراجل وصاحبَ شول [2] وصاحب جَدْيٍ ومارّ بالطريق ، حتى لم يبق بالطريق أحد ، ثم قال لنا من تحت ردائه : هل بقى أحد ؟ قلنا : لا . وقد وجب الرّهنُ ، فقام فركب حماره ، وعاد الناس إلى صنائعهم ، فقال لعبد الله : أحضر الفرس ، فقال : على أن تُقيم اليومَ عندى ، قال : نعم ، فانصرفنا معهما ، وسلّم الفرسَ إليه وبرّه وأحسن إليه وأحسن رِفْده .

نسبة هذا الصوت

صوت

نادَتْ بِوَشْكِ رحيلك الأيّامُ   أفلستَ تسمع أم بك استصمامُ
ومضى أمامَك من رأيت وأنت لا   باقين حتى يلْحقوك إمامُ
ما لى أراك كأن عينك لاترَى   عِبَرًا تمرُّ كأنهن سِهامُ [3]

(١) أرسالا : جماعات ، جمع رسل « بفتح الراء والسين » .

(٢) الشول : مفرد أو جمع شائلة ، وهى ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر .

(٣) فى مخطوط : عبرا تمر .

تَمضِي الخطوبُ وأنت منتبه لها فإذا مضتْ فكأنها أحلامُ

الشعر لأبى العتاهية ، والغناء لإبراهيم ثقيل أول بالوسطى ، وفيه لمخارق هزج بالوسطى ، كلاهما عن عمرو ، وفيه رمل يقال : إنه لعَلُّوية ، ويقال : إنه لمخارق عن الهِشامى .

أخبرنى جحظة قال : ذكر ابنُ المكى المُرْتجَلُ عن أبيه .

أن أبا العتاهية دخل يوما إلى صديق له وعنده جارية تُغَنى ، فقال : يا أبا إسحاق إن هذه الجارية تُغَنى صوتا حسنا فى شعر لك ، أفتنشط إلى سماعه ؟ قال : هاتيه ، فغنته لحنا لعمرو بن بانة فى قوله :

نادت بوشك رحيلك الأيامُ

فعبَسَ وبَسَر وقالَ : لاجزى الله خيرا من صنع هذه الصنعة فى شعرى ، قال : فإنها تغنى فيه لحنا لمخارق ، قال : فلْتُغَنِّنه فغنته ، فأعجبه وطرب حتى بكى ثم قال : جزى الله هذا عنى خيرا . وقام فانصرف .

وقد روى هذا الخبرَ هارونُ بن الزيات ، عن حماد بن إسحاق عن أبيه

عن غزْوان : أنه كان وعبيدُ الله بن أبى غسان ، وأبو العتاهية ، ومحمد بن عمرو الرُّومى . عند ابن أبى مريم ومعهم مغنية يقال لها بنتُ إبليس ، فغنى عبيد الله ابن أبى غسَّان لحن مخارق .

نادت بوشك رحيلك الأيامُ

فلم يستحسنه أبو العتاهية ، ثم غنى فيه لحنا لإبراهيم بن المهدى فأطربه ، ثم قال : جزى الله عنى هذا خيرا .

أخبرنى إسماعيل بن يونس الشيعى قال : حدثنا عمر بن شبة قال :

بلغنى أن المتوكل دخل إلى جارية من جواريه وهى تغنى :

صوت

أمِنْ قَطْرِ النَّدَى نَظَمْـ ـتَ ثغرَك أم من البَرَدِ
وريقُكَ من سُلاف الكَرْ م أم من صَفوَة الشُّهُدِ
أيا من قد جرَى مِـنِّى كمَجْرَى الرُّوح فى الجَسَدِ[١]
ضميرُك شاهـدى فيما أُقاسـيه من الكمَـدِ

والغناء لمخارقٍ رمَل ، فقال لها : ويحك ، لمن هذا الغناء ؟ فقالت : أخذته من مخارق ، قال : فألقيه على الجوارى جميعا ، ففعلت ، فلما أخذنه عنها أمر بإخراجهن إليه ، ودعا بالنبيذ ، وأمر بأن لا يُغَنِّيْنَه غيره ثلاثة أيام متوالية ، وكان ذلك بعد وفاة مخارق .

وأخبرنا إسماعيل بن يونس الشيعى قال : حدثنا عمر بن شبة قال :

قال عُمرُ بن نوح بن جَرِير : سألت أبا المضاء الأسدى أن ينشدنى فقال : أنشدك من شعرى شيئا ، قلته لرجل لقيته على الجسر ببغداد ، فأعجبه منى مايرى من دماثتى ، وأقبلتُ أحدثه وهو ينُصت لى وأُنشده وهو يُحسن الإصغاء إلى إنشادى ، ويحدثنى فيُحسن الحديث ، حتى بلغْنا منزله ، فأدخلنى فغدانى ، ثم لم يَرِمْ[٢] حتى كسانى وسقانى فروّانى ، ثم أسمعنى والله شيئا ماطار فى مسامعى شىء قط أحسن منه ، فلماخرجتُ سألت عنه ، فقال لى غلمانه : هذا أبو المُهَنَّأ مخارقٌ ، فقلت فيه :

أعادَ اللهُ يومَ أبى المُهنَّا علينا إنه يومٌ نَضيرُ
تغيَّبَ نحسُه عنَّا وأرْخَى علينا وابلٌ جَوْدٌ مَطِيرُ[٣]

(١) فى مخطوط : روى رواية أخرى أيضا : فى جسدى.
(٢) فى مخطوط : ثم لم يرض .
(٣) جود : غزير .

فلما أن رأيتُ القَطْرَ فوْقى وأقداحا يَحُثُّ بها المُدِيرُ
وأسعَدَنا بصوتٍ لو وَعاهُ وَلىُّ العهد خَفَّ به السريرُ[1]
تذكّرتُ الحبيبَ وأهلَ نجدٍ وروضا نبتُه غضٌ نَضيرُ

قال : فقلت له : ولم ذكرتَ نجدا مع ماكنت فيه ؟ وكان ينبغى لك أن تنساه ، قال : كلا إن المرء إذا كان فيما يُحبُّ تذكّرَ أهله ، قلت : فما غنّاك ؟ قال : غنانى :

وما روضةٌ جاد الربيعُ بِهَطْله عليها فروَّاها ورقّت غُصُونُها
وهبّت عليها الريحُ حتى تبسمتْ وحتى بدَتْ فوق الغصون عيُونُها
بأحسن منها إذْ بدتْ وسطَ مجلس وفى يدها عُودٌ فَصيح يزَينُها
وقد أنطقَتْه والشِّمالُ جَرِيَّةٌ على عقْدِ ماتُلْقِى عليها يَمينُها

قال : فلم يزل يُرَدِّده علىّ حتى قضيت وطرى من لذّتى وحفظته عنه .

أخبرنى جحظة قال : حدثنى حماد بن إسحاق عن أبيه قال :

دخلت على جدّك إبراهيم وهو جالس بين بابين له ، ومخارقٌ بين يديه وهو يغنيه :

يا رَبع بِشْرَةَ إنْ أضرَّ بك البلى فلقد رأيتُك آهِلا معْمُورَا

قالَ : واللحن الذى كان يغنيه لمالك ، وفيه عدة ألحان مشتركة ، فرأيت دموع أبى تجرى على خدّيه من أربعة أماكن وهو ينْشِج أحرّ نشيج ، فلما رآنى قال : يا إسحاق ، هذا والله صاحب اللّواءِ غدًا إن مات أبوك

أخبرنى الحسن بن على الخفاف قال : حدثنى محمد بن القاسم بن مَهْرُويَهْ قال : حدثنى هارون بن مخارق عن أبيه قال : رأيت وأنا حدَثٌ كأنَّ شيخا جالسا

(١) فى مخطوط روى رواية أخرى أيضا : « حف به السرور » .

على سرير في روضة حسنة قد دعاني ، فقال لي : ، غَنِّني يا مخارق ، فقلت : أصوتا تقترحه أو ما حضر ؟ فقال [ماحضر] فغنيته بصنعتي في :

صوت

دعى القلبَ لايزْددْ خَبالا مع الذى به منكِ أوداوِى جواهُ المُكتَما
وليس بتزويقِ اللسانِ وصوغِهِ ولكنَّه قد خالط اللَّحْمَ والدَّما

ولحن مخارق فيه ثقيل أول ، وفيه لابن سريج رمل .

قال : فقال لي : أحسنت يا مخارق ، ثم أخذ وترا من أوتار العود فلفَّه على المِضْراب ، ودفعه إلى ، فجعل المضرابُ يطول ويغلظ ، والوتر ينتشر ويَعْرُض حتى صار المضراب كالرُّمح ، والوتر كالعَذَبَةِ عليه ، وصار في يدى علَما ، ثم انتبهت فحدَّثت برؤياى إبراهيم الموصلى ، فقال لي : الشيخُ ، بلا شك إبليسُ ، وقد عقد لك لِواء صنعتك ، فأنت ما حييتَ رئيس أهلها .

قال مؤلف هذا الكتاب [١] وأظن أن الشاعر الذى مدح مخارقا إنما عنى هذه الرؤيا بقوله :

لقد عقَدَ الشيخُ الذى غرَّ آدَما وأخرجه من جنَّةٍ وحدائقِ
لِواءَىْ فُنُونٍ للقَريض وللغِنا وأقسَمَ لايُعطيهما غيرَ حاذقِ

وذكر محمد بن الحسن الكاتب ، أن هارون بن مخارق حدثه فقال :

كان الواثق شديد الشغف بأبى ، وكان قد اقتطعه عنا ، وأمر له بحجرة في قصره وجعل له يوما في الأسبوع لنوبته في منزله ، وكان جواريه يختلفن [٢] لذلك اليوم ،

(١) في مخطوط : قال الأصبهاني : وأظن . . . . . هذه الرواية بقوله
(٢) في مخطوط روى رواية أخرى أيضا : يحتفلن .

قال : فانصرف إلينا مرة فى نوبته ، فصلى عندنا الغداة مع طلوع الفجر على أسِرَّة فى صحن الدار فى يوم صائف وجلس يُسَبِّح [١] فما راعنا إلاَّ خدمٌ بِيضٌ قد دخلوا [٢] فسلموا عليه وقالوا : إن أمير المؤمنين قد دعا بنا فى هذه الساعة ، فأعدْنا عليه الصوتَ الذى طرحته علينا فلم يرضه من أحد منا ، وأمرنا بالمصير إليك لنُصَحِّحه عليك ، قال : فأمَرَ غلمانه فطرحوا لهم عدَّة كراسِيّ ، فجلسوا عليها ، ثم قال لهم : رُدُّوا الصوت ، فردُّوه ، فلم يرضه من أحد منهم ، فدعا بجاريته عَمِيم ، فردَّته عليهم ، فلم يرضه منها ، قال : فتحول إليهم ثم اندفع فَرَدَّ الصوت على الخدم ، فخرج الوصائف من حُجر جواريه حتى وقفن حوَالى الأسِرَّةِ ، ودخلَ غلام من غلمانه وكان يستقى الماء ، فهجم على الصحن بِدَلْوِهِ ، وجاءت جارية على كتفها جرَّة من جِرار المُزَمَّلات ، حتى وقفت بالقرب منه ، قال : وسبقتنى عيناى فما كففتُ دموعها حتى فاضت ، ثم قطع الصوت حين استوفاه ، فرجع الوصائف الأصاغرُ سعيا إلى حُجر الجوارى ، وخرج الغلام السَّقَّاء يشتدُّ إلى بغله ، ورجعت الجارية الحاملة الجرة المُزَمَّلة [٣] شدًّا إلى الموضع الذى خرجت منه ، فتبسم أبى وقال : ما شأنُك يا هارون ؟ فقلت : يا أبت جعلنى الله فداءك ، ما ملكتُ عينى ، قال : وأبوك أيضا لم يملك عينه [٤]

وذكر هارون بن الزيات عن أصحابه قال :

جمع إبراهيم بن المهدى المغنين ذات يوم فى منزله ، فأقاموا ، فلما دخلوا فى الليل ثَمِلَ مخارق وسَكِرَ سُكْرًا شديدا ، فسألوه أن يغنى صوتا ، فغنى هذا البيت من شعر عُمَر بن أبى ربيعة المخزومى :

---

(١) فى مخطوط : وجعل يسبح .
(٢) فى مخطوط : قد جاءوا .
(٣) المزملة : جرة أو خابية لتبريد الماء .
(٤) فى مخطوط : وأبوك لم تملكه أيضا عينه .

قال ساروا وأمْعنوا واستَقلُّوا وبِرَغْمِي لو استطعتُ سبيلا

فانتهى منه إلى قوله : واستقلوا . وانثنى نائما ، فقال إبراهيم بن المهدى : مَهِّدُوه ولاتنزِعجوه ، فهدوه ونام ، حتى مضى أكثر الليل ، ثم استقلّ من نومه فانتبه وهو يغنى تمام البيت :

وبرغمى لو استطعتُ سبيلا

قال : فجعل إبراهيم يتعجب منه ، ويعجب منه من حضَرَهُ ، من جودة طبعه ، وزكانته [1] وصحة فهمه .

حدثنا يحيى بن على بن يحيى المنجم قال : حدثنا حماد بن إسحاق .

قال : قال محمد بن الحسن بن مصعب : قلت لإسحاق يوما : أسألك بالله إلا صَدَقْتَنى فى مخارق وإبراهيم بن المهدى أيهما أحذق وأحسن غناء ؟ فقال لى إسحاق : أجادٌّ أنت ؟ والله ما تقاربا قط ، والدليلُ على فضل مخارق عليه أن إبراهيم لايُؤَدّى صوتا قديما ثقيلا جيّدا ولا يستوفيه ، وإنما يغنى الأهزاج والغناء الخفيف ، وأما الذى فيه عمل شديد فلا يُصيبه .

أخبرنى يحيى قال : حدثنا أبو أيوب المدينى قال : حدثنى بعض ولد سعيد ابن سَلْم قال :

دخل مخارق على سعيد بن سَلْم فسأله حاجة ، فلما خرج قيل له : أما تعرف هذا ؟ هذا مخارق ، فقال : ويحكم ، دخل ولم نعرفه ، وخرج ولم نعرفه ، رُدُّوه فرَدُّوه ، فقال له : دخلت علينا ولم نعرفك ، فلما عرفناك أحببنا أن لانخرج حتى نسمعك ، فقال له : أى شىء تشتهى أن أُسمعك ؟ فقال :

(١) الزكانة : إصابة الظن وصدقه و الفطنة .

يا ريحُ ما تصنعينَ بالدِّمَنِ[1] كم لك من مَحْوِ منظر حسَنِ

فغناه مخارق ، فلما خرج قال لبعض بنيه : أبوكم هذا نِكْسٌ[2] يتشهَّى على مثلى :

يا ريح ما تصنعين بالدمن

أخبرنا يحيى بن على قال : حدثنا حماد بن إسحاق قال : حدثنى عمى محمد قال : سمعت أبى يقول وقد غنّى مخارقٌ : نِعْمَ الفَسيلَةُ[3] غرس إبليس فى الأرض .

أخبرنى عمى قال : حدثنا عبد الله بن أبى سَعْد قال : حدثنى محمد بن محمد قال :

سمع محمدُ بن سعيدٍ القارىءُ مَهْدِيَّةَ جاريةَ يعقوب بن السَّاحر تغنى صوتا لمخارق بحضرته ، وقد كانت أخذته عنه وهو :

ما لقلبى يزداد فى اللهوِ غيًّا والليالى قد أنضجتنىَ كيّا

سَهُلَتْ بعدك الحوادث حتى لستُ أخشى ولا أحاذر شيّا

فأحسَنَتْ فيه ما شاءت ، وانصرف محمد بن سعيد ، وقرأ على لحنِه « يا يَحيى خُذِ الكِتابَ بِقُوَّةٍ »[4] .

حدثنى عمى قال : حدثنا عبد الله قال :

حدثنى محمد قال : كنت عند مخارق أنا وهارون بن أحمد بن هشام ، فلعب مع هارون بالنَّرْد ، فقَمَرَهُ مخارقٌ مائتى رطل باقِلاء[5] طَرِيًّا ، فقال مخارق: وأنتم عندى أطعمكم من لحم جزور من الصناعة ، يعنى من صناعة أبيه يحيى ابن نا ووس الجزار . قال : ومرَّ بهارون بن أحمد فَصِيلٌ يُنادى عليه ، فاشتراه

(١) الدمن : جمع دمنة ، وهى آثار الدار .

(٢) النكس : الذى لاخير فيه . وفى مخطوط : نكش .

(٣) الفسيلة : كل عود يقطع من شجرته فيغرس .

(٤) سورة مريم الآية ١٢ .

(٥) الباقلا : الفول .

بأربعة دنانير ، ووجَّه به إلى مخارق ، وقال : يكون ما تطعمنامن هذا الفصيل ، فاجتمعنا وطبخ مخارق بيده جَزُورِيَّةً ، وعمل من سنامه وكبده ولحمه غَضَائر[1] شُوِيت فى التَّنُّور ، وعمل من لحمه لونا يُشبه الهريسة بشعير مُقَشَّر فى نهاية الطِّيب ، فأكلنا وجلسنا نشرب ، فإذا نحن بامرأة تصيح من الشَّطّ : يا أبا المهنا ، اللهَ اللهَ فِىَّ ، حلَفَ زوجى علىَّ بالطلاق أن يسمع غناءك ويشرب عليه ، فقال : اذهبى وجيئى به ، فجاء فجلس ، فقال له : ماحملك على ما صنعتَ ، فقال له : يا سيدى ، كنت سمعت صوتا من صنعتك فطربت عليه حتى استخفنى الطرب ، فحلفت أن أسمعه منك ثقةً بإيجابك حقَّ زوجتى ، وكانت زوجتُه دايَة هارونَ ابن مخارق . فقال : وما هو الصوت ؟ فقال :

صوت

بكَرَتْ علىَّ فهيَّجتْ وجْدًا   هُوجُ الرِّياح وأذكَرَتْ نَجْدًا
أتحِنُّ من شوق إذا ذُكِرَتْ   نَجْدٌ وأنتَ تركتَها عَمْدًا

الشعر لحسين بن مطير ، والغناء لمخارق ثقيل أول ، وفيه لإسحاق ثقيل أول آخر ، فغناه إياه وسقاه رطلا ، وأمره بالانصراف ، ونهاه أن يعاود ، وخرج ، فما لبثنا أن عادت المرأة تصرخ : اللهَ اللهَ فىَّ يا أبا المهنَّا ، قد أعاد زوجى المشئوم اليمين أنك تغنيه صوتا آخر ، فقال لها : أحضريه ؛ فأحضرته أيضا ؛ فقال له : مالى ولك ؟ أيش قصتك ؟ فقال له : ياسيدى أنا رجل طروب ، وكنت قد سمعت صوتا لك آخر فاستفزّنى الطرب إلى أن حلفت بالطلاق ثلاثا أنى أسمعه منك ؛ قال : وماهو ؟ قال : لحنك :

(١) الغضائر : من غضر بمعنى قطع ، أى قطعا . وفى مخطوط : صغاير .

أبلغْ سلامةَ أنَّ البين قد أفِدا[١] وأنَّ صحبكَ عنها رائحون غدا
هذا الفراقُ يقيناً إنْ صبرتَ له أوْ لا فإنك منها ميِّتٌ كمدا
لاشك أنَّ الذى بى سوف يهلكنى إن كان أهلكَ حبٌّ قبلَه أحدا

فغناه إياه مخارق وسقاه رطلا ، وقال له : احذَر ويلك أن تعاود ، فانصرف . ولم تلبث أن عاودت الصياح تصرخ : يا سيدى قد عاود اليمين ثلاثة ، اللهَ اللهَ فىَّ وفى أولادى ، قال : هاتيه فأحضرته ، فقال لها : انصرفى أنت ؛ فإن هذا كلما انصرف حلف وعاد ، فدعيه يقيم يومهُ كلَّه ، فتركته وانصرفت . فقال له مخارق : ماقصتك أيضا ؟ قال : قد عرَّفتك يا سيدى أننى رجل طروب ، وكنت سمعت صوتا من صنعتك فاستخفنى الطرب له فحلفت أنى أسمعه منك . قال : وما هو ؟ قال :

أَلِفَ الظبىُ بِعادِى ونفَى الهمّ رُقادى
وعدا الهجرُ على الوَصْـ ـلِ بأسيافٍ حِدادِ
قل لمن زيّف وُدّى لستَ أهلاً لِوِدادِى

قال : فغناه إياه وسقاه رطلا ، ثم قال : يا غلامُ ، مقارعَ ، فجىء بها ، فأمر به فبطح ، وأمر بضربه فضُرِب خمسين مِقْرَعةً ، وهو يستغيث فلا يكلمه ، ثم قال له : احلِف بالطلاق أنك لاتذكُرنى أبدا ، وإلا كان هذا دأبَك إلى الليل ، فحلف بالطلاق ثلاثا على ما أمره به ، ثم أُقيم فأُخرج عن الدار ، فجعلنا نضحك بقيّة يومنا من حمقه .

أخبرنى عمى قال : حدثنا عبد الله بن أبى سعد قال : حدثنا محمد [٢] بن محمد قال :

---

(١) افد : دنا أو عجل .

(٢) فى مخطوط : أحمد بن محمد .

حدثنى إسحاق بن عُمَر بن بزيع قال : أتيت مخارقا ذات يوم ومعى زُرزور الكبير لنقيم عنده ، فوجدته قد أخرج رأسه من جناح له ، وهو مشرف على المقابر يُغنى هذا البيت ويبكى :

أين الملوكُ التى كانت مُسلّطة

قال : فاستحسنا ما سمعناه منه استحسان من لم يسمع قط غناء غيره ، فقال لنا : انصرفوا ، فليس فىّ فضلٌ اليومَ بعدَ ما رأيتم. قال محمد : وكان والله مخارق ممن لو تنفس لأطرب من يسمعه استماع نفسه .

وذكر محمد بن الحسن الكاتب أن محمد بن أحمد بن يحيى المكى حدثه عن أبيه قال : خرج مخارق مع بعض إخوانه [1] إلى بعض المتنزهات ، فنظر إلى قوس مُذْهَبَة معَ أحد من خرج معه ، فسأله إياها ، فكأنّ المسئول ضَنّ بها . قال : وسنحت ظباء بالقرب منه ، فقال لصاحب القوس : أرأيت إن تغنيتُ صوتا فعطفتُ عليك به خُدُودَ هذه الظباء ، أتدفع إلىّ هذه القوسَ ؟ قال : نعَمْ ، فاندفع يغنى :

صوت

ما ذا تقولُ الظباءُ أفُرْقةٌ أم لِقــاءُ
أم عَهْدُها بسُلَيْمى وفى البيان شِفاءُ
مرّت بنا سانحاتٍ وقد دَنا الإمساءُ
فما أحارَتْ جوابا وطال فيها العَناءُ

فى هذه الأبيات ليحيى المكى ثقيل أول بالوسطى .

(١) فى المطبوع : أصحابه .

قال : فعطفت الظباء راجعة إليه حتى وقفت بالقرب منه ، مستشرفة تنظر إليه ، مصغية إلى صوته ، فعجب من حضر من رجوعها ووقوفها ، وناوله الرجلُ القوسَ فأخذَها وقطع الغِناء ، فعاودت الظباء نِفارها ، ومضت راجعة على سَنَنِها [1] .

قال ابن المكى : وحدثنى رجل من أهل البصرة كان يألف مخارقا ويصحبه قال : كنت معه مرة فى طَيَّارٍ [2] ليلا وهو سكران ، فلما توسط دجلة اندفع بأعلى صوته فغنى ، فما بقى أحد فى الطيار من ملاَّح ولا غلام ولا خادم إلاَّ بكى من رقة صوته ، ورأيت الشمع والسُّرُج من جانبى دِجْلة فى صُحون القصور والدور تساعون بين يدى أهلها يستمعون غناءه .

حدثنى الصولى قال : حدثنى محمد بن عبد الله التميمىّ الحُزُنبل قال :

كنا فى مجلس ابن الأعرابى إذ أقبل رجل من ولد سعيد بن سَلْم كان يلزم ابنَ الأعرابى ، وكان يحبه ويأنس به ، فقال له : ما أخَّرك عنى ؟ فاعتذر بأشياء منها أنه قال : كنت مع مخارق عند بعض بنى الرشيد ، فوهب له مائة ألف درهم على صوت غناه إياه ، فاستكثر ابن الأعرابى ذلك واستهوله ، وعجب منه وقال له : بأى شىء غناه ؟ قال : ، غناه بشعر العباس بن الأحنف .

صوت

بكتْ عينى لأنواعٍ من الحُزْنِ وأوجاعِ
وإنى كلَّ يومٍ عنـ ـدكم يَحظَى بِىَ السَّاعِى

فقال ابن الأعرابى : أما الغناء فما أدرى ما هو ، ولكن هذا واللهِ كلام قريب مليح .

(١) سننها : وجهها ، يقال امض على سننك أى على وجهك .
(٢) الطيار : نوع من السفن .

لحن مخارق فى هذين البيتين ثقيل أول من جامع صنعته ، وفيهما لإبراهيم الموصلى ثانى ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانة . وذكر حبش أن فيهما لإبراهيم ابن المهدى لحنا ماخُورِيا .

أخبرنى أحمد بن جعفر جحظة قال : حدثنى هِبَةُ الله بن إبراهيم بن المهدى قال : غنت شاربة يوما بحضرة أبى صوتا ، فأحَدَّ النظرَ إليها وصبر حتى قطعت نفسها ، ثم قال لها . أمسكى ، فأمسكت فقال لها : قد عرفْتُ إلى أىّ شىء ذهبتِ : أردتِ أن تتشبهى بمخارق فى تزايُده ، قالت : نعم ياسيدى. قال : فإياكِ ثم إياك أن تعودى ، فإن مخارقا خلقه الله وحده فى طبعه وصوته ونفَسه، يتصرف فى ذلك أجمعَ كيف أحبَّ ، ولا يلحقه فى ذلك أحد ، وقد أراد غيرك أن يتشبه به فى هذه الحال فهلك وافتضح ولم يلحقه، فلا أسْمَعَنَّك تتعرضين لمثل هذا بعد وقتك هذا .

أخبرنى عمى قال : حدثنى على بن محمد بن نصر البسامى قال : حدثنى خالى أبو عبد الله عن أبيه قال :

كنا بين يدى المعتصم ذات ليلة نشرب إلى أن سكرنا جميعا ، فقام فنام ، وتوسَّدنا أيدينا ونمنا فى مواضعنا ، ثم انتبه فصاح فلم يجبه أحد، وسمعنا صياحه فتبادرنا نسأل عن الغلمان، فإذا مخارق قد انتبه قبلنا فخرج إلى الشط يتنسم الهواء، واندفع يغنى ، فتلاحق به الغلمانُ جميعا ، فجئت إلى المعتصم فأخبرته وقلت : مخارق يغنى على الشط ، والغلمان قد اجتمعوا عليه ، فليس فيهم فضلٌ لشىء غير استماعه ، فقال لى : يا ابن حمدون، عذرٌ والله وأىُّ عذر ، ثم جلس وجلسنا بين يديه إلى السحر .

وذكر محمد بن الحسن الكاتب أن أبان بن سعيد حدثه :

أن المأمون سأل إسحاق عن إبراهيم بن المهدى ومخارق ، فقال : يا أمير المؤمنين

إذا تغنى إبراهيم بعلمه فضَلَ مخارقا ، وإذا تغنى مخارق بطبعه وفَضْلِ صوتِه فَضَلَ إبراهيم ، فقال له : صدقت [١] .

نسخت من كتاب هارون بن الزيات :

حدثني هارون بن مخارق عن أبيه قال : دعاني محمدٌ الأمين يوما وقد اصطبح ، فاقترح عليّ :

استقبلَتْ وَرَقَ الرَّيحَانِ تقطفُه ... وعَنبرَ الهِنْدِ والوَرْدِيَّةَ الجُدُدا
ألست تَعْرِفني في الحيّ جاريةً ... ولم أخنْك ولم ترْفع إليّ يدا [٢]

فغنيته إياه ، فطرب شديدا وشرب عليه ثلاثة أرطالٍ وِلاءً ، وأمر لي بألف دينار وخلع عليّ جُبّةَ وَشْيٍ كانت عليه مُذْهَبة ، ودُرَّاعةً مثلها وعِمامةً مثلها تكاد تعشى البصر من كثرة الذهب ، فلما لبست ذلك ورآه عليَّ ندم ، وكان كثيرا ما يفعل ذلك ، فقال لبعض الخدم : قل للطبَّاخ يأتينا بِمَصْلِيَّةٍ معقودةَ الساعةَ ، فأتي بها ، فقال لي : كُلْ معي ، وكنتُ أعرفَ الناسِ بمذهبه وبكراهته لذلك ، فامتنعت ، فحلف أن آكل معه ، فحين أدخلت يدي في الغَضارَة رفع يدَه ثم قال : أُفٍّ نغّصتها عليّ واللهِ وقذّرْتَها عندي بإدخالك يدك فيها ، ثم رفس القصعةَ رفسةً فإذا هي في حِجري وَوَدَكُها [٣] يَسيل على الخِلعة حتى نَفَذَ إلى جلدي ، فقمتُ مبادرا فنزعتُها ، وبعثتُ بها إلى منزلي وغيرت ثيابي وعدت وأنا مغموم بها وهو يضحك ، فلما رجعت إلى منزلي جمعتُ كل صانع حاذق فجهدوا في إخراج ذلك الأثر منها فلم يخرج ، ولم أنتفع بها حتى أحرقتها فأخذت

(١) سبق أن تقدم هذا النص عن مخطوط ، وكرره المخطوط هنا أيضا .
(٢) في المطبوع : ولم أخنك ولم أرفع إليك يدا .
(٣) الودك : الدسم من اللحم والشحم .

ذهبا ، وضرب الدهر بعد ذلك من ضربه [١] ، ثم دعانى المأمون يوما ، فدخلت إليه وهو جالس ، وبين يديه مائدة عليها رغيفان ودجاجتان ، فقال لى : تعال فكُلْ ، فامتنعت ، فقال لى : تعالَ ويلك فساعدْنى . فجلست فأكلت معه حتى استوفى ، ووضع النبيذ ودعا علُّوية فجلس ، وقال لى : يا مخارق ، أتغنى :

أقولُ التماسَ العذْرِ لمَّا ظلمتنى ... وحمَّلتنى ذنبا وما كنتُ مُذنبا

فقلت : نعم يا سيدى ، قال : غَنِّه ، فغنيته فعبس فى وجهىَ ثم قال : قبحك الله ، أهكذا يغنى هذا ؟ ثم أقبل على علوية فقال : أتغنيه ؟ قال : نعم يا سيدى ، قال : غنِّه ، فغناه ، فوالله ما قاربنى فيه ، فقال : أحسنتَ والله ، وشرب رطلا وأمر له بعشرة آلاف درهم ، واستعاده ثلاثا ، وشرب عليه ثلاثة أرطال يعطيه مع كلٍّ عشرةَ آلاف درهم ، ثم خذف [٢] بأصبعه وقال : بَرْقٌ يمانٍ ، وكان إذا أراد قطع الشرب فعل ذلك ، وقمنا فعامتُ من أين أُتيت ، فلما كان بعد أيام دعانى فدخلت إليه وهو جالس فى ذلك الموضع بعينه يأكل هناك ، فقال لى : تعال ويلك فساعدنى ، فقلت : الطلاق لى لازم إن فعلتُ ، فضحك ثم قال : ويلك ، أترانى بخيلا على الطعام ؟ لا والله ، ولكننى أردت أن أودِّبك ، إن السادة لاينبغى لعبيدها أن تؤاكلها ، أفهمت ؟ فقلت : نعم ، قال : فتعال الآن فكل على الأمان ، فقلت : أكون إذًا أول من أضاع تأديبك إياه واستحق العقوبة من قريب ، فضحك حتى استغرب [٣] ، ثم أمر لى بألف دينار ومضيت إلى حجرتى المرسومة لى للخدمة ، وأُتيتُ هناك بطعام فأكلت ، ووُضع النبيذ ودعانى وبعلُّوية ، فلما جلسنا قال له : يا علىُّ ، أتغنى :

ألمْ تقولى نعم قالت أرى وَهَمًا ... منى وهل يُؤخذ الإنسان بالوَهَمِ [٤]

---

(١) فى المطبوع : بعد ذلك ضرباته .
(٢) يقال : خذف بالحصاة ونحوها : رمى بها من بين سبابتيه ، ويراد هنا أنه فعل كن يرمى . شيئا
(٣) استغرب فى الضحك : بالغ فيه :
(٤) الوهم : الغلط .

فقال : نعم يا سيدى ، فقال : هاته ، فغناه ، فعبس فى وجهه وبَسَرَ[1] وقال : قبحك الله ، أتغنى هذا هكذا ؟ ثم أقبل علىّ فقال : أتغنيه يا مخارق ؟ فقلت : نعم يا سيدى ، وعلمت أنه أراد أن يَستقيد[2] لى من علوية ويرفع منى ، وإلا فما أتى علويةُ بما يُعاب فيه ، فغنيته ، فطرب وشرب رطلا ، وأمرلى بعشرة آلاف درهم ، وفعل ذلك ثلاث مرات كما فعل به ، ثم أمر بالانصراف فانصرفنا ، وما عاودت بعد ذلك مواكلة خليفة إلى وقتنا هذا

نسبة ما فى هذا الخبر من الغناء

صوت

استقبلتْ وَرَقَ الريحان تَقْطِفه ... وعنبرَ الهند والوَرْدِيَّة الجُدُدَا
ألستَ تعرفنى فى الحىّ جاريةً ... ولم أخنْك ولم تَمْدُدْ إلىَّ يدا

الشعر – فيما يقال – لعمر بن أبى ربيعة ، والغناء للغَرِيض خفيف رمل بالسبابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق ، وأصله يمانى ، وفيه لابن جامع هزج .

صوت

أقولُ التماسَ العُذرِ لمَّا ظلمتنى ... وحمَّلتِنى ذنبا وماكنتُ مُذنِبا
هَبِينى امرءًا إمَّا بريئا ظلمتِه ... وإما مُسِيئا قد أناب وأعْتَبا[3]

الشعر للأحوص ، والغناء لمالك خفيف رمل بالوسطى عن عمرو .

---

(١) بسر : قطب .
(٢) يستقيد هنا : يأخذ بالثأر .
(٣) أعتب : أزال العتب وترك ماكان يغضب عليه وأرضاه .

صوت

أَلَمْ تقولى نعم قالت أرَى وهمًا مِنِى وهل يؤخذ الإنسان بالوَهمِ
قولى نعم إنَّ «لا» إنْ قلتِ قاتِلَتِى ما ذا تريدين من قتلى بغير دمِ

الغناء لسياط خفيف رمل بالبنصر عن عمرو ، ولم يقع إلىَّ لمن الشعر .

قال هارون : وحدثنى أبو معاوية الباهلى قال :

حضرتُ علُّوية ومخارقا مجتمعين فى مجلس ، فغنى علوية صوتا فأحسن فيه وأجاده ، فأعاده مخارق وبرز عليه وزاد ، فرده علوية وتحمّل فيه واجتهد فزاد على مخارق ، فجثا مخارق على ركبتيه وغناه وصاح فيه حتى اهتزَّ منكباه ، فما ظننا إلاَّ أن الأرض قد زُلْزِلت بنا ، وغلب والله ما سمعنا على عقولنا . ونظرتُ إلى لون علوية وقد امتقع وطاردمُه ، فلما فرغ مخارق توقعنا أن يغنى علُّوية ، فما فعل ولاغنى بقية يومه ، قال : وكان مخارق إذا صاح قطع أصحاب النايات .

أخبرنى وَسْوَاسة بن الموصلى ، وهو أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم قال :

حدثنا حماد بن إسحاق قال : قال لى مخارق : دعانى يوما محمدٌ المخلوعُ[1] ، فدخلت عليه وعنده إبراهيم بن المهدى ، فقال : غنى يا مخارق ، فغنيته أصواتا عديدة ، فلم يطرب لها وقال : هذا كله مُعاد ، فغنِّنى :

لقد أزمعت للبين هندٌ زِيالها

فقلت : لا والله ما أحسنه ، فقال : غنى :

لا والذِى نُحرت له البُدْنُ

فقلت : لا والله ما أحسنه ، فقال غَنِّ :

(١) محمد المخلوع : هو الخليفة الأمين .

يا دار سُعدى سَقى أطلالكِ الدّيما

فقلت : لا والله لا أحسنه. فغضب وقال : ويلك! أسألك عن ثلاثة أصوات فلا تحسن منها واحدا ، فقال له إبراهيم بن المهدى: ماذنبه ؟ إسحاق أستاذه وعليه يعتمد وهو يضايقه [1] فى صوت يعلمه إياه ، فقلت : قد والله صدق ، ما يعطينى شيئا ولا يعلمنيه ، قال : فما دواؤه ؟ فقد والله أعيانى . فقال له إبراهيم : توكّل به من يصُبُّ على رأسه العذاب حتى يعلمه مائة صوت ؛ قال : أما هذا فبعيد ، ولكن اذهب إليه عنى فمُره أن يعلمك هذه الثلاثة الأصوات ، فإن فعل وإلاّ فصُبَّ السوط على رأسه حتى يعلمك ، فدخلت إلى إسحاق ، فجلست بغير أمره ، وسلمت سلاما مُنْكَرًا ، ثم أقبلت عليه فقلت : يأمرك أمير المؤمنين أن تعلمنى كذا وكذا قال : ما أُحْسِنه ، فقلت : إنى أُنفذ فيك ما أمرنى به ، فقال : تُنَفِّذ فىَّ ما أُمرت به ، ألا تستحى ويحك منى ومن تربيتى إياك ؟ قلت : فلا بد من أن تعلمنى ما أمرك به أمير المؤمنين ، قال : فإنى لست أحسنه ، ولكنَّ فلانة تُحسنه . هاتوها . فجاءت وجعلت تطارحنى حتى أخذت الأصوات الثلاثة ، وجعل كلُّ من جاء يومئذ لا يَحْجُبُه ليرونى وجاريتُه تطارحنى ، فلما أخذت الأصوات رجعت إلى محمد وأخبرته الخبر وحضر إسحاق ، فغنيته إياها ، فطرب ، وجعل إبراهيم ابن المهدى يقول . أحسن والله ، أحسن والله ، فلما فرغت قال إسحاق : لا والله ما أحسن ولا أصاب هو ولا إبراهيم فى استحسانه ، ولقد جَهَدَتِ الجاريةُ جَهْدَها أن يأخذه عنها فلم يتوجّه له ، [ثم اندفع فغناها] فكأنى والله كنت ألعب عندما سمعت ثم أقبل على إبراهيم بن المهدى فقال له : كم أقول لك : ليس هذا من علمك ولا مما تحسنه وأنت تكابر وتُدْخل نفسك فيا لا تُحسنه ؟ فقال : ألا تراه يا أمير المؤمنين يُصَغِّرنى مغنيا ؟ فقال له إسحاق : ولم تجحد ذلك ؟ أو أسررت إلىَّ منه شيئا لم تظهره للناس وتعلمهم إياه ؟ ومتى صرت تأنف من هذا وأنت تتبجح به وتفخر ؟ فليتك

(١) فى المطبوع : وهو يطابقه .

تحسنه ، والله ما تفْرُقُ بين الخطأ والصواب فيه ، وإن شئت الآن ألقيتُ عليك ثلاثين مسألة من أيّ علم شئت ، فإن أجبتَ في واحدة منهن وإلا علمتُ أنك متكلِّف ، فقال : يا أمير المؤمنين ، يستقبلني بهذا بين يديك ، قال [1] : وما هذا مما لا أستقبلك به ؟ فقال له محمد : نعم اختر ما شئت حتى نسألك عنه . فقال : إنما يفعل هذا الصبيان [2] ، وانكسر حتى رحمتُه فقلت لمحمد : يا أمير المؤمنين لعلك ترى مع هذا القول أنه لا يُحسن ، بلى والله إنه ليُحسن كلّ شيء وما يقدر أحد أن يقول هذا غيرى ، وإنه ليتقدم كثيرا من الناس في كل شيء ، فجعل محمد يضحك وهو يقول . تَشُجُّه بيد وتَدْهُنُه بيد ، وتجرْحه بيد وتأسوه بيد.

نسبة هذه الأصوات

صوت

لقد أزمعتْ للبين هندٌ زيالَها ... وزَمُّوا إلى أرضِ العراق جِمالها
فما ظبيةٌ أدماءُ واضحةُ القرَا ... تَنُصُّ إلى بَرْدِ الظِّلال غزالها [3]
تَحُتُّ بقرْنيها بَرِيرَ أراكةٍ ... وتَعْطُو بظِلْفيها إذا الغُصْنُ طالها [4]
بأحسن منها مُقْلَةً ومُقَلَّدًا ... وجيدًا إذا دانتْ تَنُوطُ شِكالها [5]

الشعر لكثير ، والغناء لمعبد خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو ، وفيه لابن سريج

---

(١) في مخطوط : فقلت . وما هذا .

(٢) في مخطوط : بالصبيان .

(٣) القرا : الظهر . وتنص : تستحثه شديدا .

(٤) البرير : ورق الأراك . وتعطو : تتناول أو ترفع . وطالها : ارتفع عنها .

(٥) الشكال : خيط يوضع بين التصدير والحقب . وتنوط : تعلق . هذا والحقب : ما تشده المرأة على وسطها تعلق به الحلى .

فى الثالث والثانى ثقيل أول بالسبابة فى مجرى البنصر عن إسحاق ، ولإبراهيم ثقيل أول بالوسطى عن عمرو ، فى الثانى ثم الثالث ، وفى كتاب حَكَمٍ : لحكَمٍ فيه خفيف ثقيل ، وعن حبش لطويس فيه رمل بالوسطى ، وذكر أيضا أن لحن معبد ثانى ثقيل :

صوت

يادار سُعدى سقى أطلالكِ الدِّيَما مُسْتَقِى الرَّوَايا وإن هيَّجتِ لى سقَما
دارٌ خلَتْ وعفَتْ منها معالمُها إلاَّ الثُّمامَ وإلاَّ النُّؤْىَ والحُمَما[١]

الغناءُ لقَفَا النَّجَّارِ ثقيل أول بالوسطى عن عمرو والهشامى وإبراهيم .

صوت

لا والذى نُحِرَتْ له البُدُنُ وله بمكةَ قُبِّلَ الرُّكُنُ
ما زلتُ يا سكَنى أخا أرقٍ مُتَكَنَّفاىَ الهَمُّ والحَزَنُ
أخشى عليك وبعضه شَفَقٌ أن يَفتِنوكَ وأنتَ مُفْتَتَنُ

الغناء لابن سريج رمل بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر الهشامى أنه لسليمان الوادى أوله فيه لحن ، ونسبه إبراهيم إلى ابن عبَّاد ولم يُجَنِّسه .

أخبرنى عمى : حدثنا أحمد بن أبى طاهر قال :

حدثنى عبدالوهاب المؤذن قال : انحدرنا مع المعتصم من السِّنِّ ونحن فى حرَّاقته[٢] وحضر وقتُ الأذان فأذَّنت ، فلما فرغت من الأذان اندفع مخارق بعدى فأذَّن وهو جاثٍ على ركبتيه ، فتمنيت والله أن دجلة انفرقتْ لى فغرقتْ فيها .

(١) الثمام : نبت ضعيف لايطول . والنؤى : الحفير حول الخيمة يمنع السيل . والحمم : جمع الحمة وهو الفحم والرماد وكل ما احترق بالنار .
(٢) الحراقة : نوع من السفن والسن : مدينة على دجلة .

أخبرنى عمى قال : حدثنى عبد الله بن عبد الله بن حمدون قال : حدثنى أبى قال :

غضب المعتصم على مخارق فأمر به أن يُجعل فى المُؤذّنين ويلزمهم ، ففعل ذلك ، وأمهل حتى علم أن المعتصم يشرب وأُذّنت العصرُ ، فدخل هو إلى الستر حيث يقف المُؤذّن للسلام ، ثم رفع صوته جُهْدَه وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، الصلاة يرحمك الله ، فبكى حتى جرت دموعه وبكى كلّ من حضره ، ثم قال : أدخلوه إلىّ ،ثم أقبل علينا وقال : سمعتم هكذا قطّ ؟ هذا الشيطان لايترك أحدا يغضب عليه . فأُمر به فأُدخل إليه، فقبّل الأرض بين يديه ، فدعاه المعتصم إليه وأعطاه يده فقبّلها ، وأمر بإحضار عوده فأُحضر ، فأعاده إلى مرتبته .

وجدت فى بعض الكتب ، عن علىّ بن محمد البسّامى، عن جده حمدون بن إسماعيل قال :

غنى علّوية يوما بين يدى إسحاق الموصلى :

هجرتُكِ إشفاقا عليكِ من الأذى وخوفَ الأعادى واتّقاءَ النمائمِ

فقال له إسحاق: أحسنت يا أبا الحسن أحسنت ،واستعاده ثلاثا وشرب ، فقال له علوية : يا أستاذ،أين أنا الآن من صاحبى - يعنى مخارقا - مع قولك هذا لى ؟ فقال: لاتُرِدْ أن تعرف هذا . قال : بى والله إلى معرفته أعظم الحاجة . فقال : إذا غنّيتما ملِكا اختاره عليك وأعطاه الجائزة دونك ، فضجر علوية وقال لإسحاق : أُفّ مِن رضاك وغضبك .

نسبة هذا الصوت

صوت

هجرتُك إشفاقا عليكِ من الأذى   وخوفَ الأعادى واتقاءَ النمائمِ
وإنى وذاك الهجرَ لو تعلمينه   كساليةٍ عن طفلِها وهى رائمُ (١)

الشعر لهلال بن عمرو الأسدى ، والغناء لعلوية ثقيل أول بالوسطى عن عمرو .

وقال الجاحظ : قال أبو يعقوب الخُرَيمى :

ما رأيت كثلاثة رجال كانوا يأكلون الناس أكلا ، حتى إذا رأوا ثلاثة رجال ذابوا كما يذوب الرصاص على النار : كان هشامُ بن الكلبى علاّمة نسّابة وراوية للمثالب عيّابة ، فإذا رأى الهيثم بن عدى ذاب كما يذوب الرصاص . وكان على بن الهيثم جُونَقا (٢) مُفَقِّعاً نيِّناً صاحب تقعُّر يستولى على كل كلام لا يَحفِل بخطيب ولا شاعر، فإذا رأى موسى الضَّبِّىّ ذاب كما يذوب الرصاص. وكان علوية واحد الناس فى الغناء رواية وحِكاية ، ودِراية وصنعةً وجودةَ ضَرْبٍ وأضرابٍ وحُسْنَ خلق ، فإذا رأى مخارقا ذاب كما يذوب الرصاص على النار .

أخبرنى علىّ بن عبد العزيز الكاتب ، عن ابن خرْداذبةَ قال :

هَوِىَ مُخارقٌ جاريةً لأمِّ جعفر ، فحج فى السنة التى حجّت فيها أمُّ جعفر بسبب الجارية ، فقال أحمد بن هشام فيه :

---

(١) فى هذا الشعر إقواء، وهو اختلاف حركة الروى بالرفع والجر . هذا ورائم من رأمت الناقة ولدها : عطفت عليه فهى رائم ورائمة ورءوم .

(٢) فى المطبوع : : حريفا هذا وجونقا لقلب له والمفقع . الفقير . وفى مخطوط . مقمقما .

يحُجُّ الناسُ من بِرٍّ وتقْوَى وحجُّ أبى المُهنَّا للتَّصابى

قال : وكان المعتصم قد وهب دارَ مخارق لمّا قدم بغدادَ ليُونازَةَ خليفةِ الأفشين، فقال عيسى بن زينب فى ذلك :

يا دارُ غيَّر رَسمَها يُونازَهْ وبَقِى مخارقُ قاعدًا فى فازَهْ[١]
لا تجزَعنَّ أبا المُهنَّا إنَّها دُنيا تُنال بِذِلّةٍ وعزَازَهْ

أخبرنى إسماعيل بن يونس الشيعى قال : حدثنا عمر بن شبة . وحدثنى محمد بن يحيى الصُّولى قال : وجدت بخط عبد الله بن الحسين : حدثنى الحسن بن إبراهيم ابن رِياح ، قالا .

وكان مخارق يهوى جارية لأم جعفر يقال لها بَهارُ[٢]، ويستر ذلك عن أم جعفر، حتى بلغها ذلك ، فأقصَتْه ومنعته من المرور ببابها ، وكان بها كلفا . قال الصولى : فى خبره : فلما علم أن الخبر قد بلغ أمَّ جعفر قطعها وتجافاها إجلالا لأمِّ جعفر ، وطمعا فى السُّلُوِّ عنها ، وضاق ذرْعُه بذلك، فبينا هو ذات ليلة فى زَلاّل[٣]، وقد انصرف من دار المأمون ، وأمُّ جعفر تشرب على دجلة ، إذ حاذى دارَها ، فرأى الشمع يزْهَرُ فيها ، فلما صار بمسمع منها ومرأى اندفع فغنّى :

صوت

إنْ تمنعونى ممرّى قُربَ دارِهِمُ فسوف أنظرُ من بُعدٍ إلى الدار
سِيما الهوَى شُهِرَتْ حتى عُرِفتُ بها أنى محب وما بالحب من عارِ
ماضرَّ جيرانَكُمْ - واللهُ يُصلحهم لولا شقائىَ - إقبالى وإدبارى

(١) الفازة : مظلة بعمودين .
(٢) فى المطبوع : نَهار .
(٣) الزلال : نوع من السفن .

لايقدِرُون على منعى ولو جَهَدوا إذا مررتُ وتسليمى بإضمارى

الشعر للعباس بن الأحنف ، والغناء لمخارق رمل بالوسطى .

فقالت أم جعفر : مخارقٌ والله ، رُدُّوه ، فصاحوا بملاّحيه : قَدِّمْ ، فَقَدَّم ، وأمره الخدم بالصعود ، فصَعِد ، وأمرت له أم جعفر بكرسىٍّ وصينية فيها نبيذ ، فشرِب ، وخلعت عليه وأمرت الجوارى فغنَّين ، ثم ضربن عليه فغنى فكان أولَ ما غنى :

صوت

أغيبُ عنكِ بِوُدٍّ ما يُغَيِّرُه نَأْىُ المحَلِّ ولا صَرْفٌ من الزمَنِ
فإن أعِشْ فلعلَّ الدَّهرَ يجمعنا وإن أمُتْ فقتيلُ الهمِّ والحزَنِ
قد حسَّنَ اللهُ فى عينىَّ ما صَنَعَتْ حتى أرى حَسَنًا ماليس بالحسن

الشعر للعباس بن الأحنف ، والغناء لمخارق رمل .

قال : فاندفعتْ بهارُ فغنت كأنها تُبايِنُه[1] ، وإنما أجابته عن معنى ما عرَّض لها بِهِ .

تعتلُّ بالشُّغْلِ عنا ما تُلِمُّ بنا والشغلُ للقلب ليس الشغل للبدَنِ

فَفَطِنَتْ أم جعفر أنها خاطبته بما فى نفسها ، فضحكت وقالت : ماسمعنا بأملح مما صنعتما ـ وقال إسماعيل بن يونس فى خبره ـ ووهبتها له .

وقال هارون بن الزيات :

حدثنى هارون بن مخارق عن أبيه ، أن المأمون سأله لما قدم مكة عن أحدث صوت صنعه ، فغناه :

---

(١) فى مخطوط : تبايته ويكون المعنى تأتى بشعر على وزن أبياته أو لعلها : تباريه .

صوت

أقبلَتْ تَحْصِبُ الجمارَ وأقبلْ ... تُ لرَمْيِ الجِمار من عرَفاتِ
ليْتَنى كنْتُ فى الجمارِ أنا المحْ ... صوب من كَفِّ زينبٍ حَصَيَاتِ[1]

الشعر للنميرى ، والغناء لمخارق خفيف رمل بالبنصر . قال : فضحك ثم قال : لعمرى إن هذا لأحدثُ ما صنعت ، ولقد قنعتَ بيسير ، وما أظن بها كانت تبخلُ عليك بأن تحصِبك بحصاةٍ كما تحصب الجمار. واستعاده الصوت مرات .

أخبرنى جعفر بن قُدامة قال :

حدثنى هارون بن مخارق قال : حدثنى أبى قال : كنا عند المأمون يوما ، فجاءه الخادم الحرمىّ فأسرّ إليه شيئا ، فوثب فدخل معه ، ثم أبطأ علينا ساعة وعاود وعينُه تذْرِف ، فقال لنا : دخلت الساعة إلى جارية لى كنت أتحظّاها ، فوجدتها فى الموت ، فسلّمت عليها فلم تستطع ردّ السلام إلاّ إيماءً بأصبعها ، فقلتُ هذين البيتين :

سلامٌ على من لم يُطِقْ عند بَيْنِه ... سلاما فأوْمى بالبنان المخضّبِ
فما اسطعتْ توديعا له بسوى البُكا ... وذلك جُهْدُ المُستهامِ المُعذَّبِ

ثم قال : غنّ فيها يا مخارق ، ففعلت ، فما استعادنى ذلك الغناء قط إلا بكى .

أخبرنى الحسين بن القاسم الكوكبى إجازة قال : حدثنى أحمد بن أبى العلاء قال : حدثنى أبى قال :

حجّ رجل مع مخارق ، فلما قَضَيا الحج وعادا قال له الرجل فى بعض طريقه : بحق عليك غنِّنى صوتا ، فغناه :

رَحلْنا فشرّقْنا وراحوا فغرّبوا ... ففاضَتْ لروْعاتِ الفراقِ عيُونُ

(١) فى مخطوط . بحصاة . ويؤيده الكلام الآتى .

فرفع الرجل يده إلى السماء وقال : اللهم إنى أشهدك أنى قد وهبت حجتى له :

وتوفى مخارق فى أول خلافة المتوكل ، وقيل : بل فى آخر خلافة الواثق ، وذكر ابنُ خُرْدَاذبة أن سبب وفاته أنه كان أكل قِنَّبِيطِيَّةً باردةً فقتلته من فَوْرِهِ [1] .

صوت

إذا متُّ فادفِنِّى إلى جنب كَرْمَةٍ تُرَوِّى مُشاشى [2] بعد موتى عُرُوقُها
ولا تدفِنَنِّى بالفلاةِ فإننى أخافُ إذا ماتُّ أن لا أذوقُها [3]

عروضه من الطويل ، ويروى .

إذا رحت مدفونا فلست أذوقُها

الشعر لأبى مِحْجنٍ الثقفى ، والغناء لإبراهيم الموصلى ثقيل أول بالوسطى عن عمرو ، وفيه لحُنَينٍ لحنٌ ذكره إبراهيم ولم يُجَنِّسه .

(١) فى مخطوط : فقتلته فى يومه .
(٢) المشاش : جمع مشاشة ، وهى رأس العظم اللين . ورويت : تروى عظامى ، انظر الإصابة ترجمة أبى محجن فى الكنى .
(٣) يكون الرفع على تخفيف أن أى أنه .

ذكر أبي محجن ونسبه[١]

هو أبو مِحْجَن عبد الله[٢] بن حبيب بن عمرو بن عمير بن عَوْف بن عُقْدة بن عَنَزة ابن عَوْف بن قَسِيّ وهو ثقيف ، وقد مضى نسبه فى عدة مواضع .

وأبو محجن من المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام ، وهو شاعر فارس شجاع معدود فى أولى البأس والنجدة ، وكان من المُعاقرين للخمر المحدودين فى شربها

أخبرنى على بن سليمان الأخفش قال : حدثنا محمد بن الحسن الأحول ، عن ابن الأعرابى عن المفضل قال :

لما كثر شربُ أبى محجن الخمرَ ، وأقام عمر بن الخطاب رضى الله عنه عليه الحدّ مرارا وهو لاينتهى ، نفاه إلى جزيرة فى البحر يقال لها حَضَوضَى ، وبعث معه حَرَسِيًّا يقال له ابن جَهْرَاءَ ، فهرب منه على ساحل البحر ، ولحق بسعد ابن أبى وقاص ، وقال فى ذلك يذكر هربه من ابن جَهْرَاء :

الحمد لله نَجَّانى وخلّصنى ... من ابن جَهْرَاءَ والبُوصِيُّ قد حُبِسا[٣]
من يَجشِمِ البحْرَ والبُوصِيُّ مَرْكبه ... إلى حضَوضَى فبئس المركَبُ التمسا
أبلغْ لديك أبا حفصٍ مُغلغلةً ... عبدَ الإله إذا ما غارَ أو جلسا
أنى أكرُّ على الأُولى إذا فزِعوا ... يوما وأحبِس تحت الراية الفَرَسا
أغشى الهِياجَ وتغشانى مُضاعفةٌ ... من الحديد إذا ما بعضهم خَنَسا[٤]

(١) هذه الترجمة لأبى محجن جاءت بالجزء الحادى والعشرين جمعها المستشرق من المخطوطات التى لم تسقط منها . وموضعها كما أثبتنا .

(٢) مختلف فى اسمه ؛ فقيل عمرو بن حبيب ، وقيل مالك بن حبيب ، وقيل اسمه أبو محجن وكنيته أبوعبيد . انظر الإصابة ترجمته .

(٣) البوصى : السفينة .

(٤) خنس : تأخر وتنحى .

هذه رواية ابن الأعرابي عن المفضل ، قال ابن الأعرابي : وحدثني ابن دأب بسبب نفي عمر إياه ، فذكر أن أبا محجن هَوِيَ امرأةً من الأنصار يقال لها شَموسُ فحاول النظر إليها بكل حيلة ، فلم يقدر عليها ، فآجَرَ نفسه من عامل يعمل في حائط ، إلى جانب منزلها ، فأشرف من كَوَّة[1] في البستان ، فرآها فأنشأ يقول :

ولقد نظرتُ إلى الشَّمُوس ودونها حَرَجٌ من الرَّحمن غيرُ قليلِ
قد كنتُ أحسبني كأغنى واحدٍ وَرَد المدينة عن زراعة فُول[2]

فاستعدى زوجُها عليه عمرَ بن الخطاب ، فنفاه إلى حضوضى ، وبعث معه رجلا يقال له ابن جهراء قد كان أبو بكر رضى الله عنه يستعين به ، قال له عمر : لاتدع أبا محجن يُخْرِج معه سيفا ، فعمد أبو محجن إلى سيفه فجعل نَصْله في غِرارة وجعل جَفْنه في غِرارة أخرى ، فيهما دقيق له ، فلما انتهى به إلى الساحل وقَرُب البُوصى اشترى أبو محجن شاة وقال لابن جهراء : هلمَّ نتغدَّ ، ووثب إلى الغرارة كأنه يُخرج منها دقيقا فأخذ السيف ، فلما رآه ابنُ جهراء والسيفُ في يده خرج يعدو حتى ركب بعيره راجعا إلى عمر ، فأخبره الخبر ، وأقبل أبو محجن إلى سعد بن أبي وقاص وهو يقاتل العجم يوم القادسية ، وبلغ عمرَ خبرُه ، فكتب إلى سعدٍ بحَبْسه ، فحبسه ، فلما كان يوم أرماث[3] والتحم القتال سأل أبو محجن امرأة سعدٍ أن تُعطيه فرسَ سعدٍ وتَحُلّ قيده ليقاتل المشركين ، فإن استُشهد فلا تَبِعَةَ عليه ، وإن سلم عاد حتى يَضَع رِجله في القيد ، فأعطته ، الفرس ، وخلَّت سبيله ، وعاهدها على الوفاء ، فقاتل فأبلى بلاء حسنا إلى الليل ، ثم عاد إلى حبسه .

حدثني هذا الخبر عمي عن الخراز ، عن المدائني ، عن إبراهيم بن حكيم ، عن عاصم بن عروة :

(١) الكوة : بفتح الكاف وضمها : الخرق في الحائط .
(٢) في مخطوط : « ذراعة » بمنح الذال .
(٣) في مخطوط : يوم قس الناطف " وفي الإصابة : يوم القادسية " وذكر أن سعدا حبسه في الخمر .

أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه غرَّب رجلا من ثقيف وهو أبو محجن، وكان يُدْمِن الخمر ، وأمَرَ ابنَ جهراء النَّصْرِىَّ ورجلا آخر أن يحملاه فى البحر ، وذكر الخبر مثل الذى قبله وزاد فيه : وقال أبو محجن أيضا :

صوت

صاحِبا سَوْءٍ صحبتُهُما صاحِبانى يوم أرْتَحِلُ
ويقولان ارْتَحِلْ معَنا وأقولُ إننى ثَمِـلُ
إننى باكرت مُتْرَعَةً مُزَّةً رَاوُوقها خَضِلُ [1]

الغناء فى البيتين الأخيرين لـنَشْو خفيف رمل وأوله :

ويقولان اصطبح معنا

قال الأصبهانى : وهذه القصة كانت لأبى محجن فى يوم من أيام حرب القادِسيةِ يقال لهُ يوم أرْماث ، وكانت أيامها المشهورة يوم أغْواثٍ ويوم أرماثٍ ويوم الكتائب وخبرها يطول جدا ، وليس فى كلها كان لأبى محجن خبَرٌ ، وإنما ذكرنا هاهنا خبره ، فذكرنا منها ما كان اتصاله بخبر أبى محجن .

حدثنا بذلك محمد بن جرير الطبرى [2] قال : كتب إلىَّ السرى بن يحيى ، يذكر عن شعيب عن سيفٍ ، عن محمد بن طلحة وزياد وابن مخراق عن رجل من طيءٍ قال :

لما كان يوم الكتائب اقتتل المسلمون والفرس منذ أصبحوا إلى أن انتصف النهار ، فلما غابت [3] الشمس تزاحف الناس فاقتتلوا حتّى انتصف الليل ، وهذه الليلة التى كان فى صبيحتها يوم أرماث ، وقد كان المسلمون يوم أغواث أشرفوا

(١) الراووق : المصفاة وإناء يروق فيه الشراب والكأس . والخضل : الندى .
(٢) انظر الطبرى حوادث سنة ١٤ .
(٣) فى مخطوط : فلما قامت الشمس .

على الظَّفَر ، وقتلوا عامة أعلام والفرس ، وجالت خيلهم فى القلب ، فلولا أنَّ رَجْلَهم[١] ثبتوا حتى كرّت الخيل لكان رئيسهم قد أُخذ ، لأنه كان ينزل عن فرسه ، ويجلس على سريره ، ويأمر الناس بالقتال ، قالوا : فلما انتصف الليل تحاجز الناس ، وبات المسلمون ينْتَمون منذ لدن أمْسَوا ، وسمع ذلك سعد فاستلقى لينام ، وقال لبعض من عنده : إن تمَّ الناس على الانتماء فلا تُوقظنى فإنهم أقوياء على عدوهم ، وإن سكتوا وسكت العدو فلا تُنبهنى فإنهم على السواء ، وإن سمعت العدوّ ينتمون وهؤلاء سُكوت فأنبهنى ، فإن انتماء العدو من السُّوء . قالوا : ولما اشتد القتال فى تلك الليلة ، وكان أبو محجن قد حبسه سعد بكتاب عمر وقيَّده فهو فى القصر ، صعد أبو محجن إلى سعد يَستعفيه ويَستقيله، فزَبَره[٢] ورده، فنزل فأتى سَلْمى بنت حفصة[٣] فقال: يا ابنة آل أبى حفصة، هل لك إلى خير؟ قالت: وماذاك؟ قال: تُخلِّين عنى وتُعيريننى البلْقاء، فلله علىَّ إن سلَّمنى الله أن أرجع إليك حتى تضعى رجلى فى قيدى. فقالت: وما أنا وذاك؟ فرجع يَرْسُف فى قيوده ويقول:

كفى حزنا أن تَرْدِىَ الخيلُ بالقَنا ... وأُترك مشدودًا علىَّ وثاقيا
إذا قمتُ عنَّانى الحديدُ وغُلِّقَتْ ... مصاريعُ من دونى تُصِمُّ المُناديا
وقد كنتُ ذا مالٍ كثير وإخوةٍ ... فقد تركونى واحدًا لا أخاليا
وقد شفَّ جسمى أننى كلَّ شارق ... أعالج كَبْلاً مُصْمَتا قد بَرانيا[٤]
فلله دَرّى يوم أُترَكُ مُوثقا ... وتذهَلُ عنى أُسْرتى ورجاليا
حبيسا عن الحرب العوَان وقد بدت ... وإعمالُ غيرى يوم ذاك العوَاليا

(١) الرجل : جمع راجل ، ويراد بهم المشاة لا الركبان .
(٢) زبره : انتهره ومنعه .
(٣) فى الإصابة خصفة . وفى الطبرى : جفصة وخصفة . وفى المطبوع : بنت أبى حفصة .
(٤) الشارق : الشمس حين تشرق . والكبل : القيد .

ولله عَهْدٌ لا أخِيس بعهــده لئن فُرِجَتْ أن لا أزُور الَحوانيا[١]

فقالت له سلمى : إنى قد استخرت الله ورَضيت بعهدك ، فأطلقته وقالت : أما الفرس فلا أُعيرها ، ورجعت إلى بيتها ، فاقتاد أبو محجن الفرس وأخرجها من باب القصر الذى يلى الخندق ، فركبها ثم دبّ عليها ، حتى إذا كان بِحيال الميمنة وأضاء النهار ، وتصافّ الناس ، كَبَّر ، ثم حمل على ميسرة القوم فلعب برمحه وسلاحه بين الصَّفَّين ، ثم رجع من خلف المسلمين إلى القلب فبدر أمام الناس ، فحمل على القوم فلعب بين الصَّفَّين برمحه وسلاحه ، وكان يَقْصِف[٢] الناسَ ليلتئذ قَصْفًا منكرا ، فعجب الناس منه وهم لا يعرفونه ولم يروه بالأمس ، فقال بعض القوم : هذا من أوائل أصحاب هشام[٣] بن عتبة أو هشام بنفسه . وقال قوم : إن كان الخِضر يشهد الحروب فهو صاحب البلقاء ، وقال آخرون : لولا أن الملائكة لا تباشر القتال ظاهرا لقلنا هذا مَلَكٌ يُثَبِّتنا[٤] ، وجعل سعد يقول - وهو مُشْرِفٌ ينظر إليه - الطعْنُ طعنُ أبي محجَنٍ والضَّبْرُ ضَبْرُ[٥] البلقاء ، ولولا مَحْبِس أبي محجن لقلت هذا أبو محجن وهذه البلقاء ، فلم يزل يقاتل حتى انتصف الليل ، فتحاجز أهل العسكرين وأقبل أبو محجن حتى دخل القصر ، ووضع نفسه عن دابته ، وأعاد رجليه فى القيد ، وأنشأ يقول :

لقد علِمتْ ثقيفٌ غيرَ فَخْرٍ بأنَّا نحن أكرمُهم سُيوفا
وأكثرهم دُروعا سابغاتٍ وأصبرهمْ إذا كَرِهوا الوقوفا

(١) الحوانى : الحانات ، وهى مواضع بيع الخمور .
(٢) يقصفهم : يكسرهم .
(٣) فى المطبوع : هاشم وكذلك الطبرى .
(٤) فى المطبوع : ملاك بيننا .
(٥) الضبر : من ضبر الفرس : جمع قوائمه ووثب .

وأنا وفدُهم فى كل يوم ... فإن جحدوا فسلْ بهم عريفا[1]
وليلةَ قادسٍ لم يشعُروا بى ... ولم أكرَهْ بمخرجىَ الزُّحوفا
فإن أُحبَس فقد عرفوا بلائى ... وإن أُطلق أجرّعهم حتوفا

فقالت له سلمى : يا أبا محجن ، فى أىّ شىء حبسك هذا الرجل ؟ فقال : أما والله ما حبسنى بحرام أكلتُه ولا شربته ، ولكنى كنت صاحب شراب فى الجاهلية وأنا امرؤٌ شاعر يدبُّ الشعر على لسانى فينفثُه أحيانا ، فحبسنى لأنى قلت :

إذا متُّ فادفنّى إلى أصل كرمةٍ ... تروّى عظامى بعد موتى عروقُها
ولا تدفننّنى بالفلاةِ فإنّنى ... أخاف إذا ما مت ألاّ أذوقُها
ليُروَى بخمرِ الحُصِّ[2] لحمى فإننى ... أسيرٌ لها من بعد ما قد أسوقُها

قال : وكانت سلمى قد رأت فى المسلمين جولةً ، وسعدُ بن أبى وقاص فى القصر لِعلّة كانت به ، لم يقدر معها على حضور الحرب ، وكانت قبلَهُ عند المثنّى ابن حارثة الشيبانىّ ، فلما قُتل خلف عليها سعدٌ ، فلما رأت شدّة البأس صاحت : وامُثنّياه ولامُثنّى لى اليوم ، فلطمها سعد ، فقالت : أُفٍّ لك ، أجُبنا وغَيْرةً ؟ وكانت مُغاضِبةً لسعد عشيّةَ أرماثٍ وليلة الهَدْأةِ وليلة السَّوادِ ، حتى إذا أصبحتْ أتته وصالحته ، وأخبرته خبر أبى محجن ، فدعا به وأطلقه وقال : اذهب فلستُ مؤاخِذَك بشىء تقوله حتى تفعله . قال : لاجَرَمَ ، والله إنى لا أجبت لسانى إلى صفة قبيح أبدا .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرى وحبيب بن نصر المهلبى قالا : حدثنا عمر ابن شبة قال : حدثنا محمد بن حاتم قال : حدثنا محمد بن حازم قال : حدثنا عمرو

(١) فى المطبوع : رفدهم . والرفد ما يضاف إلى غيره ليعمده . والعريف العالم بالشىء والقيم بأمر الصوم .

(٢) الحص : الزعفران واللؤلؤة ، ولعله شبه به فى لونه هذا ، وفى رواية : المحص لحمى .

ابن المهاجر ، عن إبراهيم بن محمد بن سعد ، عن أبيه ، وأخبرني عليُّ بن سليمان الأخفش قال : حدثنا محمد بن الحسن بن دينار مولى بني هاشم ، عن ابن الأعرابي عن المفضل ، وروايته أتمّ قالوا :

كان أبو محجن الثقفي فيمن خرج مع سعد بن أبي وقاص لحرب الأعاجم ، فكان سعد يُؤتى به شاربا فيتهدَّدُه فيقول له : لست تاركها إلاّ لله عزّ وجل ، فأمّا لقولك فلا ، قالوا : فأُتي به يوم القادسية وقد شرب الخمر ، فأمر به إلى القيد ، وكانت بسعد جِراحة فلم يخرج يومئذ إلى الناس ، فاستعمل على الخيل خالدَ ابن عُرْفُطَة ، فلما التقى الناس قال أبو محجن :

كفى حزَنا أن تَرْدِيَ الخيل بالقَنا ... وأُترك مشدودا عليَّ وَثاقيا

وذكر الأبيات وسائر خبره مثل ما ذكره محمد بن جرير ، وزاد فيه : فجاءت زَبْرَاءُ امرأةُ سعد ، هكذا قال : والصحيح أنها سلمى ، فأخبرَتْ سعدا بخبره ، فقال سعد : أما والله لا أضرب اليوم رجلا أبْلى الله المسلمين على يده ما أبلاهم ، فخلى سبيله ، فقال أبو محجن : قد كنت أشربها إذ كان الحدُّ يقام عليَّ وأطَهَّرُ منها ، فأما إذْ بَهْرَجْتَنِي [1] فلا والله لا أشربها أبدا . وقال ابن الأعرابي في خبره : وقال أبو محجن في ذلك :

إن كانت الخمر قد عزَّت وقد مُنِعَتْ ... وحال من دونها الإسلام والحَرَجُ

فقد أُباكرها صِرْفا وأمزُجُها ... رِيًّا وأطرب أحيانا وأمْتَزِجُ

وقد تقومُ على رأسي مُنَعَّمَةٌ ... خَوْدٌ إذا رَفعت في صوتها غَنُجُ [2]

---

(١) بهرجتني : يراد بها أهدرتني بإسقاط الحد عني من قولهم بهرج الدماء : أهدرها . وانظر النهاية لابن الأثير مادة بهرج وكذلك اللسان .

(٢) في المطبوع : . . . . منعمة ٥ فيها إذا رفعت من صوتها غنج

تُرَفِّعُ الصَّوْتَ أحيانا وَتَخفضُه كما يطِنُّ ذبابُ الرَّوضة المزِجُ[١]

أخبرني الجوهرى والمهلبى قالا : حدثنا عمر بن شبة قال :

لما انصرف أبو محجن ليعود إلى محبسه رأته امرأة فظنته منهزما ، فأنشأت تُعيره بفراره :

مَنْ فارِسٌ كَرِه الطِّعان يُعيرُنى رُمحًا إذا نزلوا بِمَرْجِ الصُّفَّرِ

فقال لها أبو محجن :

إن الكرام على الجِياد مَبيتهم فَدَعِى الرِّماحَ لأهلها وتَعَطَّرِى

وذكر السرىُّ ، عن شعيب ، عن سيف فى خبره ، ووافقته رواية ابن الأعرابى عن المفضل .

أن الناس لما التقوا مع العجم يوم قَسٍّ النَّاطف ، كان مع الأعجام فيل يكُرُّ عليهم ، فلا تقوم له الخيل ، فقال أبو عُبيد بنُ مسعود : هل له مَقتل ؟ فقيل له : نعم . خُرْطُومه إلاَّ أنه لا يُفْلِت منه مَنْ ضَرَبه ، قال : فأنا أهبُ نفسى لله ، وكمن له ، حتى إذا أقبل وثب إليه فضرب خُرطومه بالسيف ، فرمى به ، ثم شدَّ عليه الفيل فقتله ، ثم استدار فطحن الأعاجم وانهزموا ، فقال أبو محجن الثقفى يرثى أبا عبيد :

أَنَّى تَسَدَّتْ [٢]نحونا أُمُّ يوسفٍ ومن دون مَسْراها فَيافٍ مَجاهلُ
إلى فتيةٍ بالطَّفِّ حلَّتْ سراتهم[٣] وغُودر أفراسٌ لهم ورواحلُ
وأضحى أبو جَبْرٍ خلاءً بيوتُه وقد كان يَغشاها الضِّعافُ الأرامل

(١) فى مخطوط : « كما يطير ذباب الروضة الزهج »
(٢) تسدت : نحت نحونا .
(٣) فى المطبوع : نيلت سراتهم .

وأضحى بنو عمرٍو لدَى الجِسر منهمُ ... إلى جانب الأبيات جود ونائلُ
وما لمْتُ نفسى فيهم غير أنها ... لها أجَلٌ لم يأتها وهو عاجلُ
وما رِمتُ حتى خرّقُوا بسلاحهم ... إهابى وجادت بالدماء الأباجلُ[١]
وحتى رأيتُ مُهرتى مُزْوَئِرّةً ... لدى الفيل يدمَى نحرُها والشواكلُ[٢]
وما رُحتُ حتى كنتُ آخرَ رائحٍ ... وصُرِّعَ حولى الصالحون الأماثلُ
مررتُ على الأنصار وسْطَ رحالهم ... فقلت ألا هل منكم اليوم قافِلُ
وقرَّبْتُ رَوَّاحا وكُوراً ونُمْرُقاً ... وغُودِرَ فى الأبيات بكرٌ ووائل[٣]
ألا لعن الله الذين يَسُرُّهُمْ ... رَدَاىَ وما يَدْرُون ما اللهُ فاعل

قال الأخفش فى روايته ، عن الأحول ، عن ابن الأعرابى ، عن المفضل : قال أبو محجن فى تركه الخمر :

رأيت الخمر صالحةً وفيها ... مناقبُ تُهْلِكُ الرجُلَ الحليما
فلا والله أشرَبُها حياتى ... ولا أسْقِى بها أبداً نديما

أخبرنى عمى قال : حدثنا محمد بن سعد الكُرانىّ قال : حدثنا العُمرىُّ ، عن لقيط ، عن الهيثم بن عدى . وأخبرنى محمد بن الحسن بن دريد قال : حدثنا عبد الرحمن ابن أخى الأصمعى عن عمه . وأخبرنى إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة قالوا :

دخل ابن أبي مِحْجن على معاوية ، فقال له : أليس أبوك الذى يقول :

إذا متُّ فادفنى إلى أصل كَرْمَة[٤] ... تُرَوِّى عظامى بعد موتى عروقُها

(١) رمت : فارقت وبرحت من رام يريم . والإهاب : الجلد . والأباجل : عروق غلاظ فى الأيدى أو الأرجل .
(٢) مزوئرة : من ازور بمعنى أعرض وانحرف . والشواكل : جمع شاكلة وهى الخاصرة .
(٣) النمرق : الوسادة الصغيرة . وروى : وغودر فى أليس » وهو موضع وانظر معجم البلدان
(٤) فى لمطبوع : إلى جنب كرمة .

ولا تدفِنَنّى بالفـلاة فإنّنى أخافُ إذا مامت ألاّ أذوقُها

فقال ابن أبى محجن : لو شئت لذكرتُ ما هو أحسن من هذا من شعره ، قال : وما ذاك ؟ قال : قوله :

لاتَسألى الناسَ عن مالى وكثرتِه وسائلى الناس ما فعلى وما خُلُقى
أُعطى السِّنانَ غداة الرَّوْع حصّتَه وعامِلَ الرمح أرويه من العَلَق[1]
وأطعن الطعنةَ النجلاء عن عُرُضٍ وأحفظُ السرَّ فيه ضَرْبةُ العُنُق
عَفٌّ المطالب عما لست نائِلَه فإن ظُلِمْتُ شديد الحِقد والحَنق
وقد أجود وما مالى بذى فَنَعٍ وقد أكُرُّ وراء المُحجَرِ الفَرِق[2]
والقومُ أعلم أنى من سَرَاتِهِمُ إذا سما بَصَرُ الرِّعديد للشَّفَقِ[3]
قد يُعْسِر المرءُ حينا وهوذو كرَم وقد يثوبُ سَوَامُ العاجزِ الحمِقِ[4]
سَيَكثُرُ المالُ يوما بعد قِلَّته ويكتسى العودُ بعد اليُبْس بالوَرَق

فقال معاوية : لئن كنا أسأنا لك القول لنحسِنَنَّ لك الصَّفَد[5] . ثم أجزل جائزته وقال : إذا ولدت النساء فلتلد مثلك .

أخبرنى الحسن بن على وعيسى بن الحسين الوراق قالا: حدثنا ابنُ مهرويه قال : حدثنى صالح بن عبد الرحمن الهاشمى ، عن العمرى ، عن العُتْبى قال : أُتى عمرُ بنُ الخطاب رضى الله عنه بجماعة فيهم أبو محجن الثقفى وقد شربوا الخمر، فقال : أشربتم الخمر بعد أن حرمها الله ورسوله ، فقالوا: ماحرمها الله ولا رسوله إن الله تعالى يقول : « لَيْسَ عَلى الّذِينَ آمَنُوا وعمِلُوا الصالحاتِ جُناحٌ فيما

(١) عامل الرمح : ما يلى السنان . والعلق : الدم .

(٢) فنع : كثرة ونماء . والمحجر : المستور . وفى المطبوع : البرق : وهو المدهوش .

(٣) فى المطبوع : الرعديدة الشعق .

(٤) يثوب : يجتمع .

(٥) الصفد : العطاء .

طَعِمُوا إِذَا ما اتَّقَوْا وآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات » [١] فقال عمر لأصحابه : ما ترون فيهم ؟ فاختلفوا فيهم ، فبعث إلى على بن أبي طالب عليه السلام فشاوره ، فقال علىّ : إن كانت هذه الآية كما يقولون فينبغى أن يستحلُّوا الميتة والدم ولحم الخنزير ، فسكتوا ، فقال عمر لعلىّ : ماترى فيهم ؟ قال : أرى إن كانوا شَرِبُوها مُسْتَحِلِّين لها أن يُقْتَلُوا ، وإن كانوا شربوها وهم يؤمنون أنها حرام أنْ يُحَدُّوا ، فسألهم ، فقالوا : والله ما شككنا فى أنها حرام ، ولكنا قدَّرْنا أن لنا نجاةً فيما قلناه ، فجعل يَحُدُّهم رجلا رجلا ، وهم يخرجون ، حتى انتهى إلى أبي محجن ، فلما جلده أنشأ يقول :

ألم تَرَ أن الدهر يَعْثُرُ بالفتى ولا يستطيع المرءُ صَرْفَ المقادر
صبرْتُ فلم أجزَعْ ولم أكُ كائعا [٢] لحادثِ دهر فى الحكومة جائرِ
وإنى لذو صبر وقد مات [٣] إخوتى ولستُ عن الصهباءِ يوما بصابرِ
رماها أميرُ المؤمنين بِحَتْفِها فخُلاَّنُها يبكون حول المَعاصرِ

فلما سمع عمر قوله :

و لست عن الصهباء يوما بصابر

قال : قد أبديت ما فى نفسك ولأزيدَنَّك عقوبة لإصرارك على شرب الخمر ، فقال له علىّ عليه السلام : ما ذلك لك ، وما يجوز أن تعاقب رجلا قال لأفعلن وهو لم يفعل . وقد قال الله فى الشعراء « وأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مالايَفْعَلُونَ » [٤] فقال عمر : قد استثنى الله منهم قوما فقال « إلاَّ الذين آمنوا وعمِلُوا الصالحات » [٥] فقال على

(١) سورة المائدة الآية ٩٣ .
(٢) كائعا : جبانا هيابا . وفى مخطوط : ولم أك جازعا .
(٣) فى مخطوط : وقد فات إخوتى .
(٤) سورة الشعراء الآية ٢٢٦ .
(٥) سورة الشعراء الآية ٢٢٧ .

عليه السلام : أفهؤلاء عندك منهم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لايشرب العبدُ الخمر حين يشربها وهو مومن » .

أخبرنا محمد بن خلف بن المرزَبان قال : حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال : حدَّثنا العُمَرىُّ ، عن الهيثم بن عدى قال :

حدثنى من مرَّ بقبر أبى محجن الثقفى فى نواحى أذربيجان — أو قال فى نواحى جُرْجان — قال : فرأيت قبره وقد نبتتْ عليه ثلاثةُ أصولِ كَرْمٍ قد طالت وأثمرت ، وهى معروشةٌ — وعلى قبره مكتوب : هذا قبرُ أبى محجن الثقفى . فوقفت طويلا أتعجب مما اتفق له حتى صار كأمْنِيَّةٍ بلغها حيث يقول :

إذا متُّ فادفنى إلى أصلِ كَرْمَةٍ ... تُرَوِّى عظامى بعد موتى عُرُوقُها

صوت

ألا يا لَقَومى لأرى النَّجم طالعا ... ولا الشمسَ إلاَّ حاجبى بيمينى

مُعَزَّبَتى خَلْفَ القفا بعمودها ... فجُلُّ نَكيرى أن أقول ذَرِينى

أمينٌ على أسرارهنَّ وقد أُرَى ... أكون على الأسرار غيرَ أمينِ

فلَلموتُ خيرٌ من حِداجٍ موطَّأٍ ... مع الظُّعْنِ لايأتى المحلَّ لِحينِ

عروضه من الطويل ، والمُعزِّبة امرأة تكون مع الشيخ الخَرِف تكلأُه ، وقوله :

أمينٌ على أسرارهن

أى أن النساء صرن يتحدَّثن بين يدىَّ بأسرارهن ، ويفعلن ماكُنَّ قبل ذلك يرهبننى فيه ، لأنى لا أضرُّهن . والحِداج والحِدْجُ : مركب من مراكب النساء .

الشعر لِزُهير بن جنابٍ الكلبى ، والغناء لأهل مكة ، ولحنه من خفيف الثقيل الأول بالوسطى عن الهشامى وحبش ، وفيه لُحنَينٍ ثانى ثقيل بالوسطى :

أخبار زهير بن جناب ونسبه[1]

زُهير بن جَناب بن هُبَل بن عبد الله بن كِنانة بن بكر بن عوف بن عُذْرَة ابن زيد اللات بن رُفَيْدة بن ثور بن كَلْب بن وَبَرَة بن تَغلب[2] بن حُلْوان ابن عِمْران بن الحافِ بن قُضاعة.

شاعر جاهلى، وهو أحد المعمَّرين، وكان سيد بنى كلب وقائدهم فى حروبهم، وكان شجاعا مُظَفَّرًا ميمون النَّقِيبة فى غَزَواته، وهو أحد من مَلَّ عُمْره فشرب الخمر صِرفا حتى قتلَتْه، ولم يوجد شاعر فى الجاهلية والإسلام ولَدَ من الشعراء أكثر ممن ولد زهير، وسأذكر أسماءهم وشيئا من شعرهم بعقب ذكر خبره إن شاء الله تعالى:

قال ابنُ الأعرابى: كان السببُ غزوةِ زهير بن جنابٍ غَطفانَ أن بنى بَغيض حين خرجوا من تِهامة ساروا بأجمعهم، فتعرضت لهم صُداء وهى قبيلة من مَذْحِج، فقاتلوهم وبنو بغيض سائرون بأهليهم ونسائهم وأموالهم، فقاتلوا عن حَرِيمِم فظهروا على صُداء فأوجعوا فيهم ونَكَوْا[3] وعزّت بنو بَغيض بذلك وأثْرت وأصابت غنائم، فلما رأوا ذلك قالوا: أما والله لنتخذَنَّ حَرَمًا مثل حرم مكة لا يُقتل صَيدُه، ولا يُعْضَد[4] شجره، ولا يُهاج عائذه. فَوليت ذلك

(١) هذه الترجمة جاءت فى الجزء الحادى والعشرين مما جمعه المستشرق من المخطوطات وهنا موضعها.

(٢) فى مخطوط: ثعلبة.

(٣) نكوا، من نكى العدو وفى العدو: قتل فيهم وجرح وأثخن، وقد تقال نكئوا «بالهمز».

(٤) يعضد: يقطع.

بنو مرّة بن عوف ، ثم كان القائم على أمر الحرم وبناء حائطه رِياح بن ظالم ، ففعلوا ذلك وهم على ماءٍ لهم يقال له بُسَّ . وبلغ فعلُهم وما أجمعوا عليه زهيرَ بنَ جناب ، وهو يومئذ سيدُ كَلْب ، فقال : والله لايكون ذلك أبدا وأنا حيّ ، ولا أُخَلِّى غطفان تتخذ حرَمًا أبدا . فنادى فى قومه فاجتمعوا ، فقام فيهم ، فذكر حال غطفان وما بلغه عنها ، وأنّ أكرمَ مأثرة يَعْتَقِدُها [1] هو وقومه أن يمنعوهم من ذلك ، ويحولوا بينهم وبينه ، فأجابوه واستمدّ بنى القَيْن من جُشَم فأبَوْا أن يَغزُوا معه ، فسار فى قومه حتى غزا غطفان ، فقاتلهم فظفر بهم زهير وأصاب حاجته فيهم . وأخذ فارسا منهم أسيرا فى حرَمهم الذى بَنَوهُ ، فقال لبعض أصحابه : اضرب رقبته ، فقال : إنه بَسْلٌ [2] ، فقال زهير : وأبيك مابَسْلٌ علىَّ بحرام ، ثم قام إليه فضرب عنقه وعطّل ذلك الحرم ، ثم منّ على غطفان ورد النساء واستاق الأموال ، وقال زهير فى ذلك :

ولم تَصبِرْ لنا غطفانُ لمّـا ... تلاقينا وأُحرزَت النساءُ
فلولا الفضلُ منّا ما رجعتمْ ... إلى عذْراءَ شيمتُها الحياءُ
وكم غادرتمُ بطلاً كميًّـا ... لدى الهيجاء كان له غَناءُ
فدونكمُ دُيونا فاطلبـوها ... وأوتارا ودونكمُ اللقاءُ
فإنّا حيث لاتخفى عليـكمْ ... ليوثٌ حين يَحتَضِرُ اللواءُ [3]
فخلّى بعدَها غطفانُ بُسًّا ... وما غَطفانُ والأرض الفضاءُ
فقد أضحى لحىّ بنى جَناب ... فضاءُ الأرض والماءُ الرَّواءُ [4]
ويصدق طعننا فى كل يوم ... وعند الطعن يُختبر اللقاءُ

---

(١) يعتقدها : يقتنيها أو يعتقد عليها قلبه وضميره ويتدين بها .
(٢) البسل : الحرام والحلال « ضد » ، وهنا بمعنى الحرام . وفى مخطوط : دبل .
(٣) يحتضر : يحضر . وفى بعض النسخ : ينهصر .
(٤) الرواء : العذب والكثير .

نَفَيْنا نخوةَ الأعداءِ عنّا بأرماحٍ أسنّتها ظِماءُ
ولولا صبرُنا يوم التقينا لقينا مثلَ ما لقيتْ صُداءُ
غداة تعرّضوا لبنى بَغيضٍ وصدْقُ الطعنِ للنَّوكى شفاءُ
وقد هربتْ حذارَ الموتِ قَينٌ على آثار من ذهب العفاءُ
وقد كنا رجونا أن يُمِدّوا فأخلفنا من اخوتِنا الرَّجاءُ
وألهَى القينَ عن نصر الموالى حِلابُ النِّيبِ والمَرْعى الضَّراءُ ١

وقال أبو عمرو الشيبانى : كان أبرهة حين طلع نجداً أتاه زهير بن جناب ، فأكرمه أبرهة وفضله على من أتاه من العرب ، ثم أمَّره على بنى وائل : تغلبَ وبكرٍ ، فوَليهم حتى أصابتهم سنةٌ شديدة ، فاشتدّ عليهم ما يطلبُ منهم زهيرٌ ، فأقام بهم زهير فى الجَدْب ، ومنعهم من النُّجْعَة حتى يؤدّوا ما عليهم ، فكادت مواشيهم تَهْلك ، فلما رأى ذلك بن زيّابة أحد بنى تيم الله بن ثعلبة ، وكان رجلا فاتكاً ، بيّتَ زهيراً وكان نائما فى قُبّة له من أدَمٍ ، فدخل فألفى زُهيرا نائما ، وكان رجلا عظيم البَطْنِ فاعتمد التيمِيُّ بالسَّيف على بطن زهير حتى أخرجه من ظهره مارِقا بين الصِّفاق وسلمت أعفاجُ بطنه ٢ ، وظن التيمى أنه قد قتله ، وعلم زهير أنه قد سلم ، فتخوّف أن يتحرّك فيُجهز عليه ، فسكت وانصرف ابن زيّابة إلى قومه ، فقال لهم : قد والله قتلت زهيرا وكفيتكموه ، فسرّهم ذلك ، ولما علم زهير أنه لم يُقْدِم عليه إلاّ عن ملإٍ من قومه بكر وتغلب - وإنما مع زهير نفرٌ من قومه بمنزلة الشُّرَط ، فأمر زهيرٌ قومه فغيّبوه بين عمودين فى ثياب ثم أتوا القوم فقالوا لهم : إنكم قد فعلتم بصاحبنا ما فعلتم ، فأْذَنوا لنا فى دفنه ففعلوا ، فحملوا زهيرا ملفوفا فى عمودين والثياب عليه ، حتى إذا بَعُدوا عن القوم أخرجوه فلفّفوه فى ثيابه ، ثم حفروا حَفيرةً

(١) الضراء : الشجر الملتف فى الوادى .

(٢) الصفاق : الجلد الأسفل الذى تحت الجلد الذى عليه الشعر ، وقيل ما بين الجلد والمصران ، أوهو جلد البطن كله . والأعفاج : جمع عفج وهو الموضع الذى ينتقل إليه الطعام بعد المعدة

وعمّقوا ، ودفنوا فيها العمودين ، ثم ساروا ومعهم زهير ، فلما بلغ زهيرٌ أرضَ قومه جمع لبكرٍ وتغلبَ الجموع ، وبلغهم أن زُهيرا حيّ ، فقال ابن زَيّابة :

طعنةٌ ما طعنتُ فى غبَشِ الليـ ... ـل زُهيرا وقد توافى الخُصومُ
حين تَجْبِى له المواسِمَ بكرٌ ... أين بكر وأين منها الحُلُومُ
خاننى السيفُ إذ طعنتُ زهيرا ... وهو سيفٌ مضلّلٌ مشئُومُ

قال : وجمع زهير بنى كلب ومن تجمّع له من شُذّاذ العرب والقبائل ، ومن أطاعه من أهل اليمن ، فغزا بكرا وتغلب ابنى وائل . وهم على ماء يقال له الحُبَىّ ، وقد كانوا نَذِرُوا[1] به فقاتلهم قتالا شديدا ، ثم انهزمت بكر وأسلمتْ بنى تغلب ، فقاتلت شيئا من قتال ثم انهزمت ، وأُسر كُلَيبٌ ومُهلهلٌ ابنا ربيعة ، واستِيقت الأموالُ ، وقتَلت كلبٌ فى تغلب قتلى كثيرة . وأسروا جماعة من فُرْسانهم ووجوههم ، وقال زهير بن جناب فى ذلك :

تبًّا لتغلب أن تُساق نساؤُهمْ ... سَوْقَ الإماء إلى المواسم عُطَّلا[2]
لحقتْ أوائلُ خيلنا سَرَعانَهم ... حتى أسرْنَ على الحُبَىّ مُهلْهِلا[3]
إنّا مهلهلُ ما تَطيش رماحُنا ... أيام تَنْقُفُ فى يديك الحنظلا[4]
ولّتْ حُماتُك هاربين من الوَغَى ... وبقيت فى حَلَق الحديد مُكبّلا
فلئنْ قُهِرْتَ لقد أسرتُك عَنْوَةً ... ولئنْ قُتِلْتَ لقد تكون مُرَمَّلا

وقال أيضا يعيّر بنى تغلب بهذه الوقعة فى قصيدة أولها :

حَىِّ دارًا تغيّرَتْ بالجَنابِ ... أقفرتْ من كواعبٍ أترابِ

---

(١) نذروا به : علموه فحذروه .

(٢) عطل : بدون حلى .

(٣) سرعانهم : أوائلهم . هذا وروى : الحبى . وكلاهما موضع .

(٤) نقف الحنظل : شقه .

يقول فيها :

أين أين الفِرار من حذَرِ المو ت وإذ يتَّقون بالأسلابِ
إذْ أسرْنا مهلهِلاً وأخـاه وابنَ عمرٍو فى القِدِّ وابن شهاب
وسبينا من تغلب كلَّ بيضا ءَ رَقود الضُّحى بَرُود الرُّضابِ
يوم يدعو مُهَلهِلٌ يالَ بَكْرٍ ها أهذِى حفيظة الأحساب[1]
ويحَكُمْ ويحكمْ أُبيح حماكم يا بنى تغلب أما من ضِرابِ
وهمُ هاربونَ فى كلِّ فـجٍّ كشريد النعام فوق الرَّوابى
واستدارت رَحَى المَنايا عليهمْ بليوثٍ من عامرٍ وجَنابِ
طحنَتْهمْ أرْجاؤُها بطحونٍ ذاتِ ظُفْرٍ حَدِيدَةِ الأنيابِ
فهمُ بينَ هارب ليس يأْلُـو[2] وقتيلٍ مُعَفَّرٍ فى التُّرابِ
فضَلَ العِزُّ عِزُّنا حين نسمو مِثْلَ فَضْل السماء فوق السحابِ

أخبرنى محمد بن الحسن بن دريد قال : حدثنا عمى ، عن ابن الكلبى ، عن أبيه قال :

وفد زهير بن جناب وأخوه حارثةُ على بعض ملوك غسّان . فلما دخلا عليه حدّثاه وأنشداه ، فأعجب بهما ونادمهما ، فقال يوما لهما : إنّ أمّى عليلة شديدة العِلّة ، قد أعيانى دواؤها ، فهل تعرفان لها دواء ؟ فقال حارثة : كميرة[3] حارّة ، وكانت فيه لُوثة ، فقال الملك : أىّ شىء قلت ؟ فقال له زهير : كُمَيْئَة حارّة تُطْعِمُها ، فوثب الملك وقد فهم الأولى والآخِرة يريهما أنه يأمر بإصلاح الكَمْأة لها ، وحلمُ عن مقالة حارثة . وقال حارثة لزهير : يازهير اقلبْ ماشئت ينقلب . فأرسلها مَثَلاً .

(١) فى رواية : اين حامى حفيظة الأحساب .
(٢) ليس يألو : ليس يقصر ، أى لايقصر فى هربه .
(٣) الكمرة : رأس الذكر . وتصغيره : كميرة .

أخبرنى عمى قال : حدثنا عبد الله بن أبى سعد قال : حدثنى أحمد بن الغيث الباهلى عن أبيه قال :

كان من حديث زهير بن جناب الكلبى أنه كان قد بلغ عمرا طويلا حتى ذهب عقله ، وكان يخرج تائها لا يدرى أين يذهب ، فتلحقه المَرْأَةُ من أهله والصبىُّ فتَردّه وتقول له : إنى أخاف عليك الذئب أن يأكلك ، فأين تذهب ؟ فذهب يوما من أيامه ، ولحقته ابنةٌ له فردّته، فرجع معها وهو يَهْدِج كأنه رَأْلٌ[١] ، وراحت عليهم سماء فى الصيف فعلّتهم منها بَغْشَةٌ[٢] ثم أردفها غيث، فنظر وسمع له الشيخ زَجلا مُنْكرا . فقال : ما هذا يا بُنَيَّة؟ فقالت : عارِضٌ هائِلٌ إن أصابنا دون أهلنا هلكْنا ، فقال انعَتيه لى ، فقالت أراه منبطحا مُسْلَنْطِحا[٣] . قد ضاق ذَرْعا وركب رَدْعا[٤] ، ذا هيدب[٥] يطير ، وهماهم[٦] وزفير ، ينهض نهض الطير الكسير ، عليه مثل شباريق[٧] الساج ، فى ظلمة الليل الداج ، يتضاحك مثل شُعَل النيران ، يهرب منه الطير وتوائل[٨] منه الحَشَرةُ ، قال : أىْ بنية : وائلى منه إلى عَصَر[٩] قبل أن لا عين ولا أثر .

أخبرنى محمد بن القاسم الأنبارى قال : حدثنى أبى قال : حدثنى أحمد بن عبيد عن ابن الكلبى عن أبيه من مَشْيخة من الكلبيين قالوا[١٠] :

---

(١) يهدج : يمشى مشية فيها ارتعاش . والرأل : ولد النعام .

(٢) البغشة : المطرة الضعيفة .

(٣) مسلنطح : واقع على وجهه .

(٤) ركب ردعا : سقط وكأنه وقع على ردعه وهو عنقه .

(٥) الهيدب : السحاب المتدلى الذى يدنو مثل هدب القطيفة .

(٦) هماهم : جمع همهمة : وهى ترديد الزئير .

(٧) الشباريق : القطع .

(٨) توائل : تطلب النجاة وتبادر وتلجأ .

(٩) العصر : المنجاة والملجأ .

(١٠) انظر الاختلاف فى قدر ما عاشه فى كتاب المعمرين ترجمته ص ٢٤ — ٢٩ .

عاش زهيرُ بن جناب بن هبُل بن عبد الله خمسين وما ئتى سنة أوقع فيها مائتا وقعة فى الحرب ، ولم تجتمع قُضَاعة إلا عليه وعلى حن[1] بن زيد العُذْرى ، ولم يكن فى اليمن أشجع ولا أخطب ولاأوْجه عند الملوك من زهير ، وكان يدعى الكاهن ، لصحة رأيه .

قال هِشام : ذكر حمادٌ الرواية أن زهيرا عاش أربعمائة وخمسين سنة ، قال : وقال الشَّرقىُّ بن القَطامى : عاش زهير أربعمائة سنة ، فرأته ابنةٌ له فقالت لابن ابنها : خذ بيد جدّك ، فقال له : من أنت ؟ فقال فلان بن فلان بن فلانة ، فأنشأ يقول[2] :

أُبنىَّ إن أهْلِكْ فقد ... أورثتكمْ مجْداً بنَيِّهْ
وتركتكم أبناء سا ... دات زِنادكُم وريَّهْ
ولَكُلُّ مانال الفتى ... قد نِلْتُهُ إلاَّ التحيَّهْ
والموتُ خيرٌ للفتى ... فَلْيهلِكَنْ وبه بقَيِّهْ
من أنْ يُرى الشيخ البَجا ... ل وقد تهادى بالعَشِيَّهْ[3]
ولقد شهدت النار للأسـ ... ـلاف تُوقد فى طَمِيَّهْ[4]
ولقد رحلت البازلَ الـ ... ـكَوْماء ليس لها وَلِيَّهْ[5]
وخطبت خطبة ماجدٍ ... غيرالضعيف ولا العَيِيَّهْ

(١) فى كتاب المعمرين ص ٢٨ : إلا عليه وعلى رزاح بن ربيعة بن حرم بن ضنة بن عبد كبير بن عذرة بن سعد . وفى مخطوط : جز بن زيد .

(٢) انظر كتاب المعمرين ص ٢٦ واختلاف الترتيب وبعض الرواية .

(٣) البجال : الذى يبجله أصحابه ويعظمونه .

(٤) طمية : جبل ، والبيت فى معجم البلدان :

ولقد شهدت النار بالأنـــفار توقـد فى طميـة

وفسره بأنه الأنفار : الذين ينفرون إلى الحرب . أما المعمرون ففيه : للسلاف توقد .

(٥) الولية للدابة : ما يوضع عليها كالرحل والبرذعة أو ما تحتها .

ولقد غدوتُ بِمُشرِف الـ قُطرين لم يغمزْ شظيه[١]
فأصبتُ من بَقَرِ الجنا بِ ضُحى ومن حُمُر القفيه[٢]

قال ابن الكلبى : وقال زهير فى كبره أيضا :

ألا يالقومى لا أرى النجمَ طالعا ولا الشمس إلا حاجبى بيمينى
مُعَزِّبَتى عند القفا بعمودها فأقصى نكيرى أن أقول ذَرِينى
أمينٌ على أسرارهِنّ وقد أرَى أكونُ على الأسرارِ غيرَ أمينِ
فَلَلْموتُ خيرٌ من حِداجٍ مُوَطّإٍ على الظُّعْن لا يأتى المحلَّ لِحينِ

قال : وقال زهير أيضا فى كبره :

إن تُنْسِنِى الأيام إلاّ جلالةً أَمُتْ حين لا تأسى علىّ العوائدُ
فيأذى بِىَ الأدنى ويشمتَ بى العدا ويأمن كيدى الكاشحون الأباعد

قال : وقال زهير أيضا :

لقد عُمِّرْتُ حتى لا أبالى أحتْفِى فى صباحى أم مسائى
وحُقّ لمن أتت مائتانِ عاما عليه أن يمَلّ من الثَّواءِ
شهدت المُوقدين على خَزازَى وبالسُّلاّن جمعا ذا زُهاء[٣]
ونادمتُ الملوك من آلِ عمرو وبعدهمُ بنى ماءِ السماءِ

قال ابن الكلبى : وكان زهير إذا قال : ألا إن الحىّ ظاعن ، ظعنت قضاعة ، وإذا قال : ألا إن الحى مُقيم نزلوا وأقاموا ، فلما أن أسَنّ نصبَ ابن أخيه عبد الله ابن عُلَيم للرياسة فى كلب ، وطمع أن يكون كعمه وتجتمعَ قضاعةُ كلُّها عليه ، فقال زهير يوما : ألا إنّ الحى ظاعن ، فقال عبد الله : ألا إن الحى مقيم ، فقال زهير : ألا إن الحى مقيم ، فقال عبد الله : ألا إن الحى ظاعن . فقال زهير : من هذا

(١) مشرف القطرين : هو الجواد . وأقطار الفرس : ما أشرف منه وهو كاثبه وعجزه . وكذلك أقطار الجمل . والشظية : عظم الساق : أى لم يغمز من جهة عظم ساقه بمرض أو ضعف .
(٢) القفية : الناحية ، وقد تكون سمى بها موضع .
(٣) خزازى والسلان : جبلان ، وكانت أيضا عندهما وقائع .

المخالف عليّ منذُ اليوم ؟ فقالوا : ابن أخيك عبد الله بن عُليم ، فقال أعدَى الناسِ للمرء ابنُ أخيه إلاّ أنه لايدَعُ قاتِلَ عمِّه أويقتلَه ، ثم أنشأ يقول :

وكيف بِمَنْ لا أستطيع فِراقَهُ ومن هو إن لم تجمع الدارُ آلِفُ
أميرُ شقاقٍ إن أُقِمْ لايُقِمْ معى ويرْحَلْ ،وإن أرحلْ يُقم ويخالفُ[١]

ثم شرب الخمرَ صِرْفا حتى مات .

قال : وممن شرب الخمر صرفا حتى مات عمرو بن كلثوم التغلبى ،وأبو براء عامر بن مالك مُلاعب الأسنة .

قال هشام[٢] : عاش هُبَل بن عبد الله جدُّ زهير بن جناب ستمائة سنة وسبعين وهو القائل :

يا رُبَّ يومٍ قد غَنِيَ فيه هُبَل له نوالٌ ودُرُوءٌ وجَذَلْ[٣]
كأنه فى العزّ عَوْفٌ أو حَجَلْ

قال : عوف وحجل قبيلتان من كلب .

قال أبو عمرو الشيبانى : كان الجُلاح بن عوف السُّحَيمى قد وطّأ لزهير ابن جناب وأنزله معه ، فلم يزل فى جناحه حتى كثُر ماله وولدُه . وكانت أخت زهير متزوجة فى بنى القين بن جَسر ، فجاء رسولها إلى زهير ومعه بُرْد فيه صِرارُ رملٍ وشوكةُ قتادٍ ، فقال زهير لأصحابه : أتتكم شوكة شديدة ، وعدد كثير فاحتَمِلُوا ، فقال له الجُلاح : أتحتمل لقول امرأة؟والله لانفعل،فقال زهير :

أمّا الجُلاحُ فإننى فارقْتُه لاعن قِلىً ولقد تَشِطّ بنا النَّوَى
فلئن ظعنتَ لأصبحنّ مخيِّما ولئن أقمتَ لأظعَنَنّ على هوًى

(١) ويخالف . هنا على إضمار وهو يخالف . وفى مخطوط : أمير شقاء إن أقم . . .
(٢) فى مخطوط : قال هاشم .
(٣) غنى : أقام . والجذل : الفرح . والدروء التلألؤ . وفى المطبوع : ودرور وجدل .

قال : فأقام الجلاح وظعن زهير ، وصبَّحهم الجيش فقتل عامة قوم الجلاح وذهبوا بما له .

قال : واسم الجُلاح عامرُ بن عوف بن بكر بن عوف بن عامر بن عوف بن عذرة .

ومضى زهير لوجهه حتى اجتمع مع عشيرته من بنى جناب ، وبلغ الجيشَ خبرهُ فقصدوه ، فحاربهم وثبت لهم فهزمهم وقتل رئيسا منهم ، فانصرفوا عنه خائبين ، فقال زهير :

أمن آل سَلمى ذا الخيالُ المُؤرِّقُ ... وقد يَمِق[1] الطيفَ الغريبَ المشوِّقُ
وأنَّى اهتدتْ سلمى لوجْهِ محلِّنا ... ومادونها من مهمَهِ الأرض يَخفِق
فلم تر إلاَّ هاجعا عند حُـــرَّةٍ ... على ظهرها كُورٌ عتيق و نُمرُق[2]
ولما رأتنى والطَّليحَ تبَسَّمت[3] ... كما انهلَّ أعلى عارضٍ يتألَّقُ
فحُيِّيتِ عنا زوِّدينا تحيَّــةً ... لعلَّ بها العانى من الكَبْل يُطلَق
فردَّت سلاما ثم ولَّت بحاجة ... ونحن لعَمرى يا ابنةَ الخير أشوَق
فياطيب ما رَيًّا ويا حُسنَ منظرٍ[4] ... لهوتُ به لو أن رؤياك تَصْدُقُ
ويوم أُثالى قد عرفتُ رُسُومَها[5] ... فعُجْنا إليها والدموعُ ترقْرَقُ
وكادت تُبينُ القولَ لمَّا سألتُها ... وتُخبرُنى لو كانت الدار تَنطق
فيادارَ سلمى هِجْتِ للعين عَبرَةً ... فماء الهوى يرْ فَضُّ أو يترقرق

وقال فى هذه القصيدة يذكر خلاف الجُلاح عليه :

---

(١) ومق يمق : أحب . وفى المطبوع : وقد نمق .
(٢) الكور : الرحل . والنمرق : الوسادة الصغيرة .
(٣) الطليح : الهزيل . ويريد وصف الناقة وأنها رأته وناقته . والعارض : السحاب .
(٤) فى نسخة : فياطيب مثوانا .
(٥) أثالى : لعله موضع . وفى نسخة : ليالى .

أيا قومنا إن تقبلوا الحقّ فانتهوا — وإلاّ فأنيابٌ من الحرب تَحْرُقُ[١]

فجاءوا إلى رَجراجةٍ مُكفهرّةٍ — يكاد المدير نحوها الطَّرْفَ يَصْعَق[٢]

سيوف وأرماح بأيدى أعزّةٍ — وموضونةٌ مما أفاد مُحرِّق[٣]

فما برحوا حتى تركنا رئيسهم — وقد مارَ فيه المَضْرَحىُّ المُذَلَّق[٤]

وكائن ترى من ماجد وابن ماجدٍ — له طعنةٌ نجلاءُ للوجه يَشهَق

وقال زُهير فى ذلك أيضا :

سائل أميمة عنّى هل وَفَيْتُ لها — أم هل منعتُ من المخزاة جيرانا

لا يمنع الضيفَ إلاّ ماجدٌ بَطَلٌ — إن الكريم كريم حيثما كانا[٥]

لما أبى جيرتى إلاّ مُصمّمةً — تكسو الوجوهَ من المخزاة ألوانا

مِلْنا عليهم بوردٍ لا كِفاءَ له — يَفلِقْنَ بالبِيض تحت النَّقع أبدانا

إذا ارجحنّوا علَوْناهامهم قُدُماً — كأنّما تختلى بالهام خُطبانا[٦]

كم من كريم هوى للوجه مُنعفِرا — قد اكتسى ثوبَه فى النَّقع ألوانا

ومن عَميد[٧] تناهى بعد عثرته — تبدو ندامته للقوم خَزْيانا

وأما الشعراء من ولد زهير :

فنهم مَصاد بن أسعد بن جُنادة بن صَهبان بن امرئ القيس بن زهير بن جناب وهو القائل :

---

(١) تحرق : تسحق فيسمع لها صريف . وفى مخطوط : فانتهوا إلينا وأنياب .

(٢) الرجراجة المكفهرة : أراد بها الجيش الكثير الكثيف .

(٣) الموضونة : يريد بها الدروع المنسوجة حلقتين حلقتين .

(٤) مار : تردد . والمضرحى : الصقر والنسر والسيد الكريم . ، ولعله يراد هنا الجواد الكريم والمذلق : المضمر .

(٥) فى المطبوع : أينما كانا .

(٦) تختلى : تحز . والخطبان : جمع خطبانة ، وهى الحنظل .

(٧) العميد : سيد القوم .

تمنّيتَ أن تبقى لِقاحُ ابن مُحرز وقبلك شامتها العيونُ النواظرُ[١]
ممنّحةً فى الأقربين مُبـــاحة[٢] وللضّيف فيها والصّديق مَعاقرُ

فهلا بنى عيناء عاينتَ جمعهم بحالكَ إذ سُدّتْ عليك المصادرُ

ومنهم حريث بن عامر بن الحارث بن امرئ القيس بن زهير بن جناب ، وهو القائل :

أرى قومى بنى قَطَنٍ أرادوا بأن لا يتركوا بيدىَّ ما لا
فإن لم أجزهم غيظا بغيظٍ وأُوردْهُمْ على عَجَل شِلالا[٣]
فليت التغلبيّةَ لم تَلِـدْنى ولا أغنت بما ولدت قِبالا[٤]

ومنهم الخَزْنَبل بن سلامة بن زُهير بن أسعد بن صهبان بن امرىء القيس بن زهير ابن جناب ، وهو القائل :

عبثَت بمنخرِق القميص كأنه وَضَحُ الهِلالِ على الخُمُورِ معذَّلِ
يا سَلْمَ ويحك والخليلُ مُعاتِبٌ أزمعتِ أن تَصِلِى سواى وتبخلى
لمّا رأيتِ بعارِضَىَّ ولمّــتى غيرَ المشيب على الشاب المُبدَل[٥]
صرّمتِ حبل فتى يَهشُّ إلى الندى لو تطْلُبين نَداهُ لم يتعَلّلِ
إنا لنصبر عنـد مُعترَكِ الوغى ونَبُذُّ مكرُمَةَ الكريم المُفْضِلِ[٦]

ومنهم غُرير[٧] بن أبى جابر بن زهير بن جناب ، وهو القائل :

أبلغ أبا عمـــرو وأنـ ـت علىَّ ذو النّعم الجزيله

---

(١) شامتها : تطلعت إليها .
(٢) فى المطبوع : ممنحة فى الآمرين مناحة .
(٣) شلالا : متفرقين .
(٤) القبال : ما يقبل عليك .
(٥) فى نسخ : غير الشباب على المشيب .
(٦) فى أصل : نبذ « بضم النون وكسر الباء » فتكون من أبذ بمعنى أعطى أو من بذ بمعنى فرق .
(٧) فى بعض الأصول : عرين ، وعزير .

أنّا منعنا أنْ تـذِ ... لَّ بلادُكُم وبنوجَدِيلَه[١]
وطرقتهمْ ليـلا أُخـ ... بِّرهمْ بِهمْ ومعى وَصِيله[٢]
فصدقتهم خـبَرِى فطا ... روا فى بلادِهم الطويله

ومنهم عَرْفَجة بن جُنادة بن أُبَيّ بن النعمان[٣] بن زهير بن جناب وهو القائل :

عفا أبرَقُ العزّاف من أُمّ جابرٍ ... فَمُنعرجِ الوادى عفا فَحفيرُ
فَرَوْضُ ثُوَيْرٍ عن يمينِ رَوِيّةٍ ... كأنْ لم تَربَّعْهُ أوانسُ حورُ[٤]
رِقاقُ الثنايا والوجوه ، كأنها ... ظباءُ الفلا فى لحْظهن فتورُ

ومنهم المُسَيّب بن رفل[٥] بن حارثة بن جناب بن قيس بن امرئ القيس بن أبي جابر بن زهير بن جناب ، وهو القائل :

قتلْنا يزيدَ بن المهلَّب بعدما ... تمنيتمُ أن يغلب الحقَّ باطلُهْ
وما كان منكم فى العراقِ منافقٌ ... عن الدِّين إلاّ من قُضاعة قاتلُه
تجلّله قَحْلٌ بأبْيَض صـارِمٍ ... حُسامٍ جلا عن شفرتَيْه صياقِلُه[٦]

يعنى بالقَحْلِ ابنَ عياش بن شمر بن أبي شراحيل بن غرير بن أبي جابر بن زهير ابن جناب ، وهو قتل يزيد بن المهلب .

ومن بنى زهير شعراء كثير ، ذكرت منهم الفحول دون غيرهم :

---

(١) فى مخطوط : وبنى جديلة .
(٢) الوصيلة : الرفقة والسيف .
(٣) فى المطبوع : بن أبي النعمان .
(٤) أبرق العزاف وحفير وروض ثوير وروية : أماكن . وتربعه : تقيم به فى زمن الربيع . وفى مخطوط : فرفض ثوير .
(٥) فى نسخة : زفر .
(٦) فى الأصل : فحل والتصويب من ابن خلكان ترجمة يزيد بن المهلب : إذ قال القحل بفتح القاف وسكون الحاء المهملة وآخره لام ابن عياش الكلبى . وقيل أيضا : إن الذى قتل يزيد بن المهلب هو الهذيل بن زفر .

صوت

تَدَّعى الشوق إن نأتْ ... وتَجَنَّى إذَا دنَتْ
سرّنى لو صبرتُ عَنْـ ... ـها فتُجزَى بما جنَتْ
إنَّ سَلْمى لوِ اتَّقَتْ ... ربَّها فيَّ أنجزتْ
زرعت فى الحشا الهوى ... وسقتهُ حتى نَبَتْ

الشعر لمسلم بن الوليد ، والغناء [العريب][1] خفيف ثقيل . وقيل : إنه لأبى العبيس بن حمدون . وذكر الهشامى : أن لإسحاق فى : إن سلمى . . .

وما بعده لحنا من الثقيل الأول بالبنصر

(١) ما بين أقواس هكذا [ ] دون إشارة إلى مصدره هو زيادة من مخطوط لم يرجع إليه الدكتور سامى الدهان ولا المستشرق ناشر ديوان مسلم من قبل ، والمخطوط الذى راجعته هو ما يرمز إليه بحرف «ط» فى نسخ دار الكتب ، صورته الجامعة العربية من تركيا وكان أصله بمصر وسرق منها قديما .

نسب مسلم بن الوليد وأخباره[١]

هو مسلم بن الوليد ، أبو ه الوليد مولى الأنصار ، مولى أبي أُمامة أسعَد بن زُرارة الخزرجي .

يلقَّب صريعَ الغواني ، شاعر متقدم من شعراء الدولة العباسية ، منشؤه ومولده الكوفة . وهو فيما زعموا أول من قال الشعر المعروف بالبديع : وهو لقَّبَ هذا الجنسَ البديعَ واللطيف . وتبعه فيه جماعة، وأشهرهم فيه أبو تمام الطائى فإنه جعل شعره كله مَذْهبا واحدا فيه . ومسلم كان متفننا متصرّفا فى شعره :

أخبرنى على بن سليمان الأخفش قال : قال أبو العباس محمد بن يزيد :

كان مسلم شاعرا حسن النمط ، جيد القول فى الشراب ، وكثيرٌ من الرُّواة يقرِنه بأبي نواس فى هذا المعنى .

وهو أوَّل من عقد هذه المعانى الظريفة واستخرجها .

حدثنا أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مَهرُويَة قال : سمعت أبي يقول :

أول من أفسد الشعر مسلمُ بن الوليد،جاء بهذا [٢] الذى سماه الناس البديع ، ثم جاء الطائى بعده فجنّن فيه فتحير الناس .

(١) هذه الترجمة والصوت السابق لها خلت منها النسخ المطبوعة ، وهى فى مخطوطات عدة للأغانى هنا موضعها ، وقد جمع أحد المستشرقين ديوان مسلم ، وأتى بروايات مخطوطات الأغانى .

(٢) فى طبعة المستشرق لديوان مسلم بن الوليد « بهذا الفن الذى » .

أخبرنى إبراهيم بن أيوب عن [١] عبد الله بن مسلم الدينورى قال :

كان مسلم بن الوليد وأخوه سليمان منقطعين إلى يزيد بن مَزْيَد ومحمد بن منصور بن زياد ، ثم الفضل بن سهل بعد ذلك . وقلّد الفضلُ مسلما المظالم بجرجان فمات بها .

أخبرنى على بن سليمان قال : حدثنا محمد بن يزيد قال :

كان السبب فى قول مسلم :

تدَّعى الشوق إن نأتْ　　وتَجنَّى إذا دَنتْ

أنه علِق جاريةً ذات خطَرٍ وشرف ، وكان منزلها فى مَهَبِّ الشمال من منزله ، وفى ذلك يقول :

صوت

أُحبّ الريحَ ما هبّتْ شمالا　　وأحسدُها إذا هبّتْ جَنوبا
أهابُكِ أن أبوحَ بذات نفسى　　وأفرَقُ إن سألتُك أن أخيبا
وأهجرُ صاحبى حُبَّ التّجنى　　عليه إذا تجنّيتِ الذُّنوبا
كأنى حين أُغضى عن سواكمْ　　أخافُ لكم على عينى رقيبا

غنّى عبد الله بن العباس الربيعى فى هذه الأبيات هزجا بالبنصر عن الهشامى :

قال : : وكانت له جارية يُرسلها إليها ويبثّها سِرّه ، وتعود إليه بأخبارها ورسائلها ، فطال ذلك بينهما حتى أحبّتها الجاريةُ التى علِقها مسلم ومالت إليها وكلتاهما فى نهاية الحسن والكمال ، وكان مسلم يحب جاريته هذه محبة شديدة ؛ ولم

(١) فى طبعة المستشرق : « عن ابن قتيبة عبد الله بن مسلم » .

يكن يهوى تلك ، إنما كان يريد الغزل والمجون والمراسلة ، وأن يشيع له حديث بهواها ، وكان يرى ذلك من الملاحة والظَّرف والأدب ، فلما رأى مودّة تلك لجاريته هجر جاريته مُظهرًا لذلك ، وقطعها عن الذهاب إلى تلك ، وذلك قوله :

وأهجر صاحبي حُبَّ التجنّي ... عليه إذا تجنّيت الذّنوبا

وراسلها مع غير جاريته الأولى ، وذلك بقوله :

تدّعى الشوق إنْ نأتْ ... وتجنّى إذا دنَتْ
واعدتْنا وأخْلَفَتْ ... فأساءت وأحسَنتْ[1]
سرّنى لو صبرتُ عَنْ ... ها فتُجزَى بما جنَتْ

أخبرنى الحسين بن يحيي ومحمد بن يزيد قالا : حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال :

لقى مسلم بن الوليد أبا نواس فقال له : ما أعرف لك بيتا إلاّ فيه سَقَطٌ ، قال : فما تحفظ من ذلك ؟ قال : قل أنتَ ما شئت حتى أريك سَقَطَهُ[2] فيه ، فأنشده :

ذكر الصَّبوحَ بسُحْرَة فارتاحا ... وأملّه ديكُ الصَّباح صِياحا

فقال له مسلم : فلِمَ أملّه وهو الذى أذكره وبه ارتاح ؟ فقال أبو نواس : فأنشدْنى شيئا من شعرك ليس فيه خلل ، فأنشده مسلم :

عاصَى الشَّبابَ فراح غيرَ مُفَنَّدِ[3] ... وأقامَ بين عَزيمة وتَجلُّدِ

(١) فى مخطوط : فأخلفتنا أساءت وأحسنت .
(٢) فى مخطوطات : سقطك فيه .
(٣) مفند : مخطأ .

فقال له أبو نواس : قد جعلته رائحا مقيما فى حال ٍ واحدة ، [وبيت واحد [1]] فتشاغبا وتسابا ساعة ، وكلا البيتين صحيح المعنى .

أخبرنى جعفر بن قدامة قال : قال لى محمد بن عبدالله بن مسلم : حدّثنى أبى قال :

اجتمع أصحاب المأمون عنده يوما ، فأفاضوا فى ذكر الشعر والشعراء ، فقال له بعضهم : أين أنت يا أمير المؤمنين عن مسلم بن الوليد ؟ قال : حيث يقول ماذا ؟ قال : حيث يقول وقد رثى رجلاً .

أرادوا ليُخفوا قبره عن عدُوّه فَطِيبُ تُرابِ القبر دلّ على القبرِ

وحيث مدح رجلاً بالشجاعة فقال :

يَجود بالنفْس إذْ ضَنّ الجوادُ بها والجودُ بالنفس أقصى غاية الجودِ

وهجا رجلاً بقُبح الوجه والأخلاق فقال :

قبُحَتْ مناظره فحين خَبَرْتُه حَسُنَتْ مناظره لقُبْح المَخبَرِ

وتغازل فقال :

هَوًى يجدّ وحبيبٌ يَلْعَبُ أنت لَقًى بينهما مُعَذّبُ

فقال المأمون : هذا أشْعَرُ من خضتم اليوم فى ذكره :

أخبرنى محمد بن عمران الصيرفىّ والحسن بن علىّ الخفاف قالا : حدثنا الحسن ابن عُليل العَنَزى قال : حدثنى قَعْنَبُ بن المحرز وابنُ النطاح ، عن القَحْذَمىّ قال :

قال يزيد بن مَزْيَد : أرسل إلىّ الرشيدُ يوما فى وقت ٍ لا يُرسَل فيه إلى مثلى فأتيتُه لابسا سلاحى ، مستعداً لأمر إن أراده ، فلما رآنى ضحك إلىّ ثم قال : يا يزيد خبّرنى من الذى يقول فيك :

تراهُ فى الأمْن فى درْع ٍ مضاعفة ٍ لا يأمَنُ الدهرَ أن يُدْعى على عَجَل ِ

(1) زيادة فى طبعة المستشرق .

لله ِ من هاشم ٍ فى أرضه ِ جبَل ٌ   وأنت وابنُك ركنا ذلك الجبل ِ

فقلت : لا أعرفه يا أمير المومنين . فقال : سَوْءَة ٌ لك من سيد قوم ٍ يُمدَح بمثل هذا الشعر ولا تَعْرِفُ قائله ، وقد بلغ أميرَ المؤمنين فروَاه ووصل قائله ، وهو مسلم بن الوليد . فانصرفتُ فدعوتُ به ووصلته ولّيته .

أخبرنى محمد بن عمران الصيرفى ، والحسن بن على الخفاف قالا : حدثنا الحسن بن عُليل العنزى قال : حدثنى أبو عبد الله أحمد بن محمد بن سليمان الحنفى ذو الهِدْمَين قال : حدثنى أبى قال :

دخل يزيد بن مَزْيد على الرشيد فقال له : يا يزيد ، من الذى يقول فيك :

لايَعْبَقُ الطِّيبُ خدّيه ومفرِقَه   ولا يُمَسِّحُ عينيه من الكُحُل ِ
قد عوّد الطيرَ عاداتٍ وَثِقْنَ بها   فهُنّ يتبعنه فى كل مُرْتحل ِ

فقال : لا أعرف قائله يا أمير المؤمنين . فقال له هارون : أيقال فيك مثل هذا الشعر ولا تعرف قائله ؟ فخرج من عنده خجلاً ، فلما صار إلى منزله دعا حاجبه فقال له : من بالباب من الشعراء ؟ قال : مسلم بن الوليد . فقال : وكيف حجبته عنى فلم تُعلمنى بمكانه ؟ قال : أخبرته أنك مُضِيق ٌ ، وأنه ليس فى يديك شىء تعطيه إياه ، وسألته الإمساك والمُقام أياما إلى أن يتّسع [١] . قال : فأنكر ذلك عليه وقال : أدخله إلىّ ، فأدخله إليه ، فأنشده قوله :

أجرَرْتُ حبل خليع فى الصِّبى غزل ِ   وشمّرَتْ هِمَمُ العُذّال ِ فى عذَل ِ
رَدّ البُكاءَ على العين الطَّموح هوًى   مُفَرّق بين تَوْديع ٍ ومُرْتحَل ِ
أمَا كَفَى البَيْنَ أنْ أُرْمَى بأسهُمِه   حتى رمانى بلحظ الأعين النُّجُل ِ

(١) صححها الدكتور سامى الدهان : إلى أن تتسع . على أنه فى ذلك التفات : أى إلى أن يتسع يزيد بن مزيد .

مما جنتْ لى ـ وإن كانت مُنًى صدَقتْ ـ صبابةٌ خُلَسُ التسليم بالمُقَلِ[١]

فقال له : قد أمرنا لك بخمسين ألف درهم ، فاقبضها واعذِر : فخرج الحاجبُ فقال لمسلم : قد أمرنى أن أرهن ضَيْعَةً من ضِياعه على مائة ألف درهم ؛ خمسون ألفا لك ، وخمسون ألفا لنفقته . وأعطاه إياها ، وكتب صاحبُ الخبر بذلك إلى الرشيد ، فأمر ليزيد[٢] بمائتى ألف درهم وقال : اقض الخمسين الألف التى أخذها الشاعر وزده مثلها ، وخُذْ مائة ألف لنفقتك . ففتَكَّ ضَيعته ، وأعطى مسلما خمسين ألفا أُخرَى .

أخبرنى الحسن بن علىّ الخفاف قال : حدثنا محمد بن القسم بن مهروية قال : حدثنى علىُّ بن عُبيد الكوفى وعلىّ بن الحسن كلاهما قال : أخبرنى علىّ بن عمرو[٣] قال :

حدثنى مسلم بن الوليد المعروف بصريع الغوانى قال : كنتُ يوما جالسا فى دُكّان خياط بإزاء منزلى ، إذْ رأيت طارقا ببابى ، فقمتُ إليه فإذا هو صديقٌ لى من أهل الكوفة قد قدم من قُمٍّ ، فسُررتُ به ، وكأنّ إنسانا لطم وجهى [لأنه][٤] لم يكن عندى درهم واحد أُنفقه عليه ، فقمتُ فسلمتُ عليه ، وأدخلته منزلى ، وأخذتُ خُفَّين كانا لى أتجمَّل بهما ، فدفعتهما إلى جاريتى ، وكتبتُ معهما رقعةً إلى بعض معارفى فى السوق ، أسأله أن يبيع الخفين ويشترى لى لحما وخبزا [بشىء سمَّيته][٥] . فمضت الجارية وعادت إلىّ وقد اشترى لها ما قد حدَّدتُه له ، وقد باع الخفّ بتسعة دراهم ، فكأنها إنما جاءت بخفين جديدين : فقعدتُ

(١) يريد : خلس التسليم بالمقل مما جنى لى صبابة ، وإن كانت مناى التى كنت أتمنى فيها رؤية أحبتى قد صدقت . انظر ديوانه ص ٣ .
(٢) فى مخطوط : : فأمر لى .
(٣) فى مخطوط على بن محمد .
(٤) زيادة فى طبعة المستشرق .
(٥) زيادة فى طبعة المستشرق .

أنا وضيفى نطبخ ، وسألتُ جارًا لى أن يسقينا قارورة نبيذٍ ، فوجَّه بها إلىّ ، وأمرتُ الجارية بأن تُغْلِقَ باب الدار [مخافة طارق يجىء فيشركنا فيما نحن فيه. ليبقى لى وله ما نأكله إلى أن ينصرف][1] ، فإنَّا لجالسان نطبخ ، حتى[2] طرق طارقٌ البابَ ، فقلت لجاريتى : انظرى مَنْ هذا؟ . فنظرت من شقّ الباب ، فإذا رجل عليه سواد وشاشِيَّة ومِنطقَة ؛ ومعه شاكِرِىٌّ[3] فخبرتنى بموضعه[4] فأنكرت أمرى ؛ ثم ، رجعتُ إلى نفسى فقلتُ : لست بصاحب دعارة ، ولا للسلطان علىَّ سبيل ؛ ففتحتُ البابَ وخرجتُ إليه ، فنزل عن دابته ، وقال : أأنت مسلم بن الوليد ؟ قلت : نعم ، فقال : كيف لى بمعرفتك ؟ قلت : الذى دلك على منزلى يصحح لك معرفتى . فقال لغلامه : امْضِ إلى الخياط فَسَلْه عنه . فمضى فسأله عنى . فقال : نعم هو مسلم بن الوليد . فأخرج إلىّ كتابا من خُفِّه ، وقال : هذا كتاب الأمير يزيد بن مَزْيد إلىّ ، يأمرنى ألاّ أفضّه إلاّ عند لقائك . فإذا فيه : إذا لقيتَ مسلم بن الوليد فادْفَعْ إليه هذه العشرة آلاف درهم ، التى أنفذتها تكون له فى منزله ، وادفع ثلاثة آلاف درهم نفقةً ليتحمَّلَ بها إلينا ، فأخذت الثلاثة والعشرة ودخلت إلى منزلى والرجل معى ، فأكلنا ذلك الطعام ، وازددت فيه وفى الشراب ، واشتريت فاكهة ، واتّسعتُ ووهبتُ لضيفى من الدراهم ما يُهدِى به هدِيَّةً لعياله ، وأخذت فى الجهاز ، ثم ما زلت معه حتى صرْنا إلى الرَّقّة إلى باب يزيد ، فدخل الرجل وإذا هو أحد حُجَّابه ، فوجده فى الحمَّام ، فخرج إلىّ فجلس معى قليلاً ، ثم خُبِّرَ الحاجبُ بأنه قد خرج من الحمَّام ، فأدخلنى إليه ، وإذا هو على كرسى جالسٌ ، وعلى رأسه وصِيفة بيدها غِلافُ مرآة ،

(١) زيادة فى طبعة المستشرق .

(٢) فى طبعة المستشرق : إذ طرق .

(٣) الشاشية : لعلها شبه العمامة . والشاكرى : الأجير والمستخدم .

(٤) صححها الدكتور سامى الدهان : بموصفه .

وبيده هو مرآة ، ومشط يسرّح لحيته ، فقال لى : يا مسلم ، ما الذى بَطّأ بك عنا ؟ فقلت : أيها الأمير ، قِلَّةُ ذات اليد ، قال : فأنشدنى ، فأنشدته قصيدتى التى مدحته فيها :

أجرَرْتُ حبلَ خليعٍ فى الصِّبى غزِلٍ   وشمّرَتْ هِمَمُ العُذّال فى عَذَلى

فلما صرت إلى قولى :

لايَعْبَق الطِّيبُ خَدَّيْهِ ومفرِقَه   ولا يُمَسِّح عينيه مِن الكُحُلِ

وضع المرآة فى غلامها ، وقال للجارية : انصرف ، فقد حرَّم علينا مسلمٌ الطِّيبَ ، فلما فرَغت من القصيدة قال لى : يا مسلم ، أتدرى ما الذى حدانى إلى أن وَجَّهتُ إليك ؟ فقلت : لا والله ما أدرى . قال : كنتُ عند الرشيد منذُ ليالٍ أُغمِزُ رِجليه ، إذ قال لى : يا يزيد ، من القائل فيك :

سلَّ الخليفَةُ سيفا من بنى مَطَرٍ   يَمضى فيخترِمُ الأجساد والهاما
كالدهر لايَنثنى عَمَّا يَهُمُّ به   قد أوسعَ الناس إنعاما وإرغاما

فقلت : لا والله ما أدرى . فقال لى الرشيد : ياسبحان الله ، أنت[1] مقيم على أعرابيّتك . يقال فيك مثل هذا الشعر و لاتدرى من قائله . [فسألت عن قائله] فأخبرت أنك أنت هو ، فقُمْ حتى أُدخلك على أمير المؤمنين ، ثم قام فدخل على الرّشيد ، فما علمتُ حتى خرج علىَّ الإذْن فأُذن لى ، فدخلتُ على الرشيد ، فأنشدته ما لى فيه من الشعر ، فأمر لى بمائتى ألف درهم ، فلما انصرفت إلى يزيد أمر لى بمائة وتسعين ألفا ، وقال : لا يجوز لى أن أعطيك مثل ما أعطاك أميرُ المؤمنين . وأقطعنى إقطاعاتٍ تبلغ غلَّتها مائتى ألف درهم .

قال مسلم : ثم أفضَتْ بى الأمور بعد ذلك إلى أن أغضبنى فهجوته ، فشكانى

---

(١) فى طبعة المستشرق : « إنك لمقيم » .

إلى الرشيد ، فدعانى وقال : أتبيعنى عِرْض يزيد ؟ فقلت : نعم ، يا أمير المؤمنين فقال لى : بكَم ؟ فقلتُ : برغيف ، فغضب حتى خِفته على نفسى . وقال : قد كنتُ أرى أن أشتريه منك بمال جسيم ، ولستُ أفعلُ ولا كرامةَ ، فقد علمتُ إحسانه إليك ، وأنا نَفِىٌّ من أبى ، ووالله ِ ثم والله ِ لئن بلغنى أنك هجوته لأنزِعَن لسانك من بين فكّيك . فأمسكتُ عنه بعد ذلك ، وما ذكرته بخير ولا شرّ .

أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَة قال : حدثنى محمد بن عبد الله اليعقوبى قال :

حدثنى البيدق الراوية — وكان من أهل نَصِيبين — قال : دخلتُ داريزيدَ بن ِ مَزْيد يوما وفيها الخَلْق ، وإذا فتى شابٌّ جالس فى أفناء ِ الناس ، ولم يكن يزيدُ عَرَفَه بعدُ ، وإذا هو مسلم بن الوليد ، فقال لى : ما فى نفسى أن أقول شعراً أبداً ، فقلت : ولمَ ؟ قال : لأنى قد مدحتُ هذا الرجل بشعر ما مُدِح بمثله قطّ ، ولستُ أجِدُ من يُوصله ، فقلت له : أنشدنى بعضه ؛ فأنشدنى منه :

مُوفٍ على مُهَجٍ فى يوم ذى رَهَجٍ [1] ... كأنه أجَلٌ يسعى إلى أمَلِ
يقْرِى السُّيوفَ نفوسَ الناكثين به ... ويَجعل الرُّوس تيجانَ القنا الذُّبلِ [2]
لا يَعْبَق الطّيبُ خدَّيهِ ومَفرِقَه ... ولا يُمَسِّحُ عينيْه من الكُحُلِ
إذا انتضى سيفه كانت مسالكُه ... مسالكَ الموت فى الأجسام والقُلَلِ [3]
وإن خلَتْ بحديث النفس فكْرَتُه ... عاش الرجاءُ ومات الخوفُ من وَجَل
كالليث إن هِجْتَه فالموت راحتُه ... لا يستريح إلى الأيام والدُّوَلِ

(١) ذو رهج : ذو غبار .

(٢) فى رواية : ويجعل الهام .

(٣) القلل هنا : أعالى الرءوس .

لله من هاشم فى أرضه جبَــــلٌ وأنت وابنُك ركنَا ذلك الجبلِ
صدّقْتَ ظنى وصدّقْتَ الظنون به وحطَّ جودُك عقدَ الرَّحْلِ عن جملى

قال : فأخذتُ منها بيتين ، ثم قلت له : أنشدنى أيضًا مالك ، فأنشدنى قصيدة أخرى ابتداؤها :

طَيْفَ الخيالِ حَمِدْنا منك إلمامَا داوَيْتَ سُقماوقد هيَّجْتَ أسقامَا

يقول فيها :

كالدهرِ لاينثنى عمَّا يَهُمُّ به قد أوسع الناس إنعاما وإرغاما

قال : فأنشدتُ هذه الأبيات يزيد بن مزيد ، فأمر له بخمسمائة [١] درهم ، ثم ذكرته بالرقة فقلت له : هذا الشاعر الذى قد مدحك فأحسن تقتصر به على خمسمائة درهم ، فبعث إليه بخمسمائة درهم أخرى ، قال : فقال لى مسلم : جاءتنى وقد رهنتُ طَيْلَسانى على رؤوسٍ لإخوانى [٢] فوقعت منى أحسن موقع .

أخبرنى محمد بن عمران قال : حدّثنا العنزى ، عن محمد بن بدر العجلى ، عن إبراهيم بن سالم ، عن أبى فرعون مولى يزيد بن مزيد قال :

ركب يزيد يوما إلى الرشيد فتغلَّف بغالية [٣] ، ثم لم يلبَثْ أن عاد فدعا بِطَسْتٍ فغسل الغالية ، وقال : كرهتُ أن أُكذّب قول مسلم بن الوليد :

لايَعْبَق الطِّيبُ خدّيه ومَفرِقَه ولا يُمَسِّح عينيه من الكُحلِ

أخبرنى جعفر بنُ قُدَامة قال : حدثنى عبد الله بن أبى سعد قال : حدثنى أبو تَوْبة قال :

---

(١) فى طبعة المستشرق : « بخمس مائة درهم » . وفى مخطوط : « بخمس مائة ألف درهم » .
(٢) فى طبعة المستشرق : رءوس الإخوان .
(٣) تغلف بغالية : غشاها بغالية ، وهى أخلاط من الطيب .

كان مسلم بن الوليد جالسا بين يدى يزيد بن مزيد ، فأتاه كتاب فيه مهمّ [له ، فقرأه سِرّا ووضعه ، ثم أعاد قراءته ووضعه] [١] ، ثم أراد القيام ، فقال له مسلم بن الوليد :

الحزم تحريقه إنْ كنتَ ذا حذَر ... وإنما الحزم سوءُ الظنّ بالناسِ
لقد أتاكَ وقد أدّى أمانتَه ... فاجعلْ صيانته فى بطن أرْماسِ

قال : فضحك يزيد وقال : صدقت لعمرى . وخرّق الكتاب ، وأمر بإحراقه .

حدثنى عمى وجحظة قالا : حدثنا على بن الحسين بن عبد الأعلى قال : حدثنى أبو مُحَلِّم . وحدّثنى عمى قال : حدثنى عبد الله بن أبى سعد قال : حدثنى أبو توبة ، قال :

كان مسلم بن الوليد صديقا ليزيد بن مزيد ومدّاحا له ، فلما مات انقطع إلى ابنه محمد بن يزيد ، ومدحه كما مدح أباه ، فلم يصنع إليه خيرًا ، ولم يُرْضِه ما فعله به ، فهجره وانقطع عنه ، فكتب إليه يَستجفِيه ويلومه على انقطاعه عنه ، ويذكّره حقوق أبيه عليه ، فكتب إليه مسلم :

لَبِستُ عزاءً عن لقاء محمدٍ ... وأعرضتُ عنه مُنصِفا ووَدُودا
وقلتُ لنفسٍ قادها الشّوقُ نحوه ... فعوّضَها حبُّ اللّقاءِ صُدودا
هَبِيه امرءًا قد كان أصفاكِ ودّه ... فماتَ وإلاَّ فاحسُبِيه يَزِيدا
لعمرى لقد ولّى فلم ألقَ بعده ... وفاءً لذى عهد يُعَدُّ حَمِيدا

أخبرنى محمد بن القاسم الأنبارىّ قال : حدّثنى أبى قال : حدثنى أحمد بن محمد بن أبى سعد قال :

أُهديَتْ إلى يزيد بن مزيد جارية وهو يأكل ، فلما رُفِعَ الطعام من بين يديه

(١) زيادة فى طبعة المستشرق .

وَطِئْنها ، فلم ينزل عنها ، إلا ميتا وهو بِبَرْذَعة ، فدفن فى مقابر بَرْذَعة ،وكان مسلم معه فى صحابته فقال يرثيه :

قبرٌ ببرذعةَ استسرَّ ضريحه خطرًا تقاصر دونه الأخطارُ[١]
[أجلٌ تنافسه الحِمامُ وحُفْرَةٌ نفِسَت عليها وجهك الأحجارُ]
أبقى الزمانُ على ربيعةَ بعده حزْنا كعُمْرِ الدهرِ ليس يُعارُ
سلكت بك العُرْبُ السبيل إلى العلا حتى إذا بلغوا المدَى بك حارُوا

ويروى : حتى إذا سبق الردَى[٢] بك حاروا .

نُفِضَتْ بك الأحلاسَ نفضَ إقامةٍ واسترجعَتْ رُوَّادها الأمصارُ[٣]
فاذهَبْ كما ذهبتْ غوادى مُزْنَةٍ أثنى عليها السَّهلُ والأوْعارُ

نسختُ من كتاب جدّى يحيى بن محمد بن ثوابة : حدثنى الحسن بن سعيد عن أبيه قال :

كان داود بن يزيد بن حاتم المهلبى يجلس للشعراء فى السنة مجلسا واحدًا فيقصدونه لذلك اليوم وينشدونه ، فوجه إليه مسلم بن الوليد راويته بشعره الذى يقول فيه :

جعلتَه حيث ترتابُ الرياح به وتحسُدُ الطيرَ فيه أضْبعُ البيدِ

فقدم عليه يوم جلوسه للشعراء ، ولحقه بعقب خروجهم عنه ، فتقدم إلى الحاجب وحسر لثامه عن وجهه ثم قال له : استأذن لى على الأمير . قال: ومن أنت ؟ قال : شاعر . قال : قد انصرم وقتك ، وانصرف الشعراء ، وهو على القيام ، فقال له : ويحك قد وفدت على الأمير بشعرٍ ما قالت العرب مثله . قال :

---

(١) زيادة فى طبعة المستشرق .
(٢) فى طبعة المستشرق : سبق المدى .
(٣) فى مخطوطة : « نزاعها» و « روادها » بالروايتين . والأحلاس : جمع حلس ، وهو كساء يوضع على ظهر البعير تحت الرحل .

وكان مع الحاجب أدب يفهم به ما يَسْمع ، فقال : هاتِ حتى أسمع ، فإن كان الأمر كما ذكرتَ أوصلتك إليه ، فأنشده بعضَ القصيدة ، فسمع شيئا يقصُرُ الوصفُ عنه ، فدخل على داود فقال له : قد قدم على الأمير شاعر بشعر ما قيل فيه مثلُه ، فقال : أدخل قائله ، فأدخله ، فلما مَثَلَ بين يديه سلَّم وقالَ : قدمتُ على الأمير - أعزه الله - بمدح يسمعه فيعلم به تَقَدُّمى على غيرى ممن امتدحه ، فقال : هات . فلما افتتح القصيدة قال :

لا تَدْعُ بى الشَّوْقَ إنى غيرمعْمُود نَهَى النُّهَى عن هوَى البيض الرَّعاديد[1]

استوى جالسا وأطرق ، حتى أتى الرجلُ على آخر الشعر ، ثم رفع رأسه إليه ثم قال[2] : أهذا شعركَ ؟ قال : نعم أعزَّ الله الأمير ، قال : فى كم قلتَه يافتى ؟ قال : فى أربعة أشهر ، أبقاك الله . قال : لو قلتهفى ثمانية أشهر لكنت محسنا . وقد اتَّهمتك بجودة شعرك وخُمول ذكرك ، فإنْ كنتَ قائل هذا الشعر فقد أنظرتُك أربعة أشهر فى مثله ، وأمرت بالإجراء عليك ، فإنْ جئتنا بمثل هذا الشعر وهبتُ لك مائة ألف درهم ، وإلاَّ حرمتك . فقال : أو الإقالة أعز الله الأمير . قال : قد أقلتُك . قال : الشعر لمسلم بن الوليدِ ، وأنا راوِيته والوافد عليك بشعره . فقال : أنا ابن حاتم إنك لما افتتحتَ شعره فقلتَ :

لا تدع بى الشوق إنى غير معمود

سمعتُ كلام مسلم ينادينى فأجبتُ نداءه واستويتُ جالسا . ثم قال : يا غلام ، أعطه عشرة آلاف درهم ، واحمل الساعة إلى مسلم مائة ألف درهم .

أخبرنى الحسين بن القاسم الكوكبى قال : حدثنا عبد الله بن أبى سعد قال : حدثنى مسعود بن عيسى العبدى قال : أخبرنى موسى بن عبد الله التميمى قال : دخل مسلم بن الوليد الأنصارى على الفضل بن سهل لينشده شعرًا ، فقال له :

---

(١) المعمود : العاشق والمقروح القلب . والنهى : العقل . والرعاديد : المرتجات الأكفال .

(٢) فى الطبعة : فقال .

أيها الكهل، إنى أُجِلّك عن الشعر، فسلْ حاجتك . قال : بل تستتمُّ اليدَ عندى بأن تسمع ، فأنشده :

دُموعها من حِذارِ البَينِ تَنسكبُ وقلبها مُغرَمٌ من حَرِّها يَجِبُ[1]

جدَّ الرحيلُ به عنها ففارَقَها لبينه اللهوُ واللذاتُ والطربُ

يهوَى المسيرَ إلى مَرْوٍ ويحزُنُه فراقُها فهو ذو نَفْسَينِ يَرتقبُ

فقال له الفضل : إنى لأجلُّك عن الشعر ، قال : فأغننى بما أحببت من عملك . فولاه البريدَ بِجُرْجان .

أخبرنى الحسن بن على قال: حدَّثنا محمّد بن القاسم بن مَهْرُويَة قال : حدثنى الحسين بن أبي السرّى . وأخبرنى بهذه الأخبار محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثنى إبراهيم بن محمد الورَّاق ، عن الحسين بن أبي السرى قال :

قيل لمسلم بن الوليد : أىُّ شعرك أحبّ إليك ؟ قال : إن فى شعرى لبيتا أخذت معناه من التوراةِ ، وهو قولى :

دَلّتْ على عيبها الدنيا وصدّقها ما استرجعَ الدهرُ ممَّا كان أعطانى

قال الحسين : وحدثنى جماعة من أهل جرجان أن راوية مسلم جاء إليه بعد أن تاب ليعرضَ عليه شعره ، فتغافله مسلم ، ثم أخذ منه الدفتر الذى فى يده ، فقذف به فى البحر ، فلهذا قلَّ شعره ، فليس فى أيدى الناس منه إلاَّ ما كان بالعراق ، وما كان فى أيدى الممدوحين من مدائحهم.

قال الحسين: وحدثنى الحسين بن دِعْبل قال: قال أبى لمسلم : ما معنى قولك:

لاتدعُ بى الشوقَ إنى غير مَعْمُودِ

قال : لاتَدْعُنى صريعَ الغوانى فلست كذلك : وكان يلقب هذا اللقب وكان له كارها .

---

(١) يجب : يرجف ويخفق .

أخبرنى محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال : عتب عيسى بن بردابيرود[١] على مسلم بن الوليد فهجره ، وكان إليه محسنا ، فكتب إليه مسلم :

شكرتُك للنُّعْمَى فلمَّا رميتنى بصدِّك تأديبا شكرتُك فى الهجرِ
فعندِىَ للتأديبِ شُكْرٌ وللنَّدَى وإنْ شئت كان العفوُ أدنى إلى الشكرِ
إذا ما التقاك[٢] المستليمُ بعُـذْرِه فعفوك خير من مَلامٍ على عذْرِ

قال : فرضى عنه وعاد له إلى حاله .

أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنى ابن مَهْرُويَةَ قال : حدثنى محمد بن الأشعث قال : حدثنى دعبل بن على قال :

كان مسلم بن الوليد من أبخل الناس ، فرأيته يوما وقد استقبل الرّضا عن غلام له بعد مَوْجِدة ، فقال له : قد رضيتُ عنك وأمرتُ لك بدرهم .

أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنى ابن مهروية قال : حدثنى محمد بن عمرو ابن سعيد قال :

خرج دِعْبل إلى خُراسان لما بلغه حُظوةُ مسلم بن الوليد عند الفضل بن سهل . فصار إلى مَرْوٍ ، وكتب إلى الفضل بن سهل :

لا تَعبأنْ يابن الولِيـد فإنه يرميك بعد ثلاثةٍ بملالِ
إن الملولَ وإنْ تقادمَ عهدُه كانت مودَّته كفَىْءِ ظلالِ

قال : فدفع الفضل إلى مسلم الرقعة وقال له : انظر يا أبا الوليد إلى رقعة دعبل فيك ، فلما قرأها قال له : هل عرفتَ لقب دعبل وهو غلام أمرد وهو يُفسَق به ؟ قال : لا ، قال : كان يلقب بِمَيَّاس ، ثم كتب إليه :

ميَّاسُ قل لى أين أنت من الورَى لا أنت معلومٌ ولا مجهولُ

---

(١) فى طبعة الديوان : يزدانيروذ .
(٢) فى مخطوط : أورد الروايتين معا : « التقاك » و « اتقاك » .

أما الهجاء فدقّ عِرضُك دونه ... والمدحُ عنك كما علمتَ جليلُ

فاذهبْ فأنتَ طليق عرْضك إنه ... عرضٌ عزَزْتَ به وأنت ذليلُ

أخبرنى محمد بن الحسين الكندى الكوفى مُؤَدِّبى قال : حدثنى أزهر بن محمد قال :

حدثنى الحسين بن دعبل قال : سمعت أبى يقول : بينا أنا جالس بباب الكَرْخ إذ مرّت بى جارية لم أر أحسن منها وجها ولا قدّا تتثنى فى مشيها[1] وتنظر فى أعطافها فقلت متعرضًا لها :

دموع عينى بها انبساطٌ ... ونومُ عينى به انقباضُ

فأجابتنى بسرعة فقالت :

وذا قليلٌ لمن دهتْهُ ... بلحظها الأعينُ المراضُ

فأدهشتنى وعجبت منها فقلت :

فهل لمولاى عطفُ قلب ... وللذى فى الحشا انقراضُ

فأجابتنى غير متوقفة فقالت :

إنْ كنت تهوى الوِدادَ مِنّا ... فالوُدُّ فى دِيننا قِراضُ[2]

قال : فما دخل أذنى كلامٌ قطّ أحلى من كلامها ، ولا رأيت أنضر وجها منها ، فعدلت بها عن ذلك الوجه ، وقلت :

أترى الزمان يَسرُّنا بتلاقٍ ... ويضُمُّ مشتاقا إلى مشتاقِ

فأجابتنى بسرعة فقالت :

(١) فى طبعة المستشرق : « فى مشيتها » .

(٢) القراض : المقابلة بالمثل والمجازاة .

ما للزمانِ وللتحكم بَيْنَنا أنت الزمان فسُرَّنا بتلاقى

قال : فمضيت أمامها أؤمّ بها دار مسلم بن الوليد وهى تتبعنى ، فصرتُ إلى منزله، فصادفتُه على عسرة ، فدفع إلى مِنْديلاً وقال : اذهب فبعه ، وخذ لنا ما نحتاج إليه وعُدْ ، فمضيتُ مسرعا . فلما رجعت وجدتُ مُسلما قد خلا بها فى سرداب، فلما أحسّ بى وثب إلىّ وقال : عرّفَكَ اللهُ يا أبا علىّ جميلَ ما فعلت ، ولقّاك ثوابه ، وجعله أحسنَ حسنةٍ لك . فغاظنى قوله وطَنْزُه[1] . وجعلت أفكر أىّ شىء أعمل به[2] ، فقال : بحياتى يا أبا على أخبرنى من الذى يقول ؟ :

بتُّ فى دِرْعها وبات رفيقى جُنُبَ القلب طاهِرَ الأعطافِ[3]

فقلت :

من لهُ فى حِرامِهّ ألفُ قَرْن قد أنافَتْ على عُلُوّ منافِ

وجعلت أشتمه وأثب عليه، فقال لى: يا أحمق، منزلى دخلتَ ، ومنديلى بِعت ودراهمى أنفقتَ : علَى مَنْ تَحْرَدُ أنت ؟ وأىّ شىء سببُ حَرَدِك يا قوّاد ؟ فقلت له : مَهْما كذبتَ علَىّ فيه من شىء فما كذبت فى الحمق والقِيادة .

أخبرنى الحسن بن على قال ؛ : حدثنى ابن مهرويَة والعنزى، عن محمد بن عبد الله العبدى قال :

هجا مسلم بن الوليد سعيد بن سَلْم ويزيد بن مَزيَد وخُزَيمة بن خازم فقال :

دُيونك لا يُقْضَى الزَّمانَ غرِيمُها وبُخْلُك بُخْلُ الباهلىّ سَعيدِ

---

(١) طنزه : تهكمه .

(٢) فى المطبوع من ديوانه : أغمه .

(٣) فى مخطوط : « الأعطاف » و « الأطراف » بالروايتين معا .

سعيدُ بن سُلم أبخلُ الناس كلّهم ... وما قومُهُ من بخله ببعيدِ
يزيدُ له فَضْلٌ ولكنّ مَزْيَدًا ... تدارك فينا بخلُهُ بيزيدِ[1]
خزيمةُ لا عيبٌ له غيرَ أنّه ... لمطبخه قُفْلٌ وبابُ حَديدِ

أخبرنى هاشم بن محمد الخزاعى قال : حدثنا عيسى بن إسماعيل تينَةُ قال : حدثنا الأصمعىُّ قال :

قال لى سعيد بن سلم : قدِمَتْ علىَّ امرأةٌ من باهلة من اليمامة ، فمدحتنى بأبيات ، ما تمَّ سرورى بها حتى نغّصَنيها مسلمُ بن الوليد بهجاء بلغنى أنه هجانى به ، فقلت : ما الأبيات التى مُدِحْتَ بها ؟ فأنشدنى :

قتيبةُ قَيْسٍ سادَ قيسا وسَلْمُها ... فلما توّلى ساد قيسا سعيدُها
وسيّدُ قيسٍ سيّدُ الناسِ كلهم ... وإنْ ماتَ من رَغْمٍ وذلَّ حسودها
همُ رفعوا كفَّيك بالمجد والعُلا ... ومن يرفعُ الأبناءَ إلاّ جُدودُها
إذا مدّ للعليا سعيدٌ يمينه ... ثنت كفُّه عنها أكفًّا تُريدُها

قال الأصمعى : فقلتُ له : فبأىّ شىء نغّصها مسلم ؟ فضحك وقال : كلّفْتنى شططا ؛ ثم أنشد :

وأحببتُ من أجلها الباخلينَ ... حتى وَمِقتُ ابنَ سلْم سَعيدًا
إذا سِيل عُرْفا كَسا وجهَهُ ... ثيابا من النَّقْعِ صُفْرًا وسُودا
أغار[2] على المال فِعْل الجوا ... دِ وتأبى خلائقُه أن يجودا

أخبرنى عمى : قال حدثنا الكرانىّ قال : حدثنى النّوشجانى الخليل بن أسد قال : حدثنى على بن عمرو قال :

وقف بعضُ الكتّاب على مسلم بن الوليد وهو ينشد شعرًا له فى محفلٍ ، فأطال

---

(١) فى الديوان رواية أخرى : تدارك أقصى مجده بيزيد . انظر الديوان ص ٢٧١ .
(٢) فى مخطوط أورد وجهين : « أغار » و « يغار » . وفى مخطوط : أن تجودا .

ثم انصرف، وقال لرجل كان معه: ما أدرى أىّ شىء أعجب الخليفةَ والخاصّة من شعر هذا؟ فوالله ما سمعت منه طائلاً، فقال مسلم: ردّوا علىّ الرجلَ، فرُدّ إليه، فأقبل عليه ثم قال:

أما الهجاء فدَقّ عرضك دونه ... والمدحُ عنك كما علمتَ جليلُ
فاذهبْ فأنت طليقُ عرْضك إنه ... عرض عززْتَ به وأنتَ ذليلُ

أخبرنى محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثنى إبراهيم بن محمد الوراق قال: حدثنى الحسين بن أبى السرىّ قال:

كان مسلم بن الوليد أستاذ دعبل وعنه أخذ. ومن بحره استقى. وحدثنى دِعبلٌ أنه كان لايزال يقول الشعر فيعرضه على مسلم، فيقول له: إياك أن يكون أوّلُ ما يظهر لك ساقطا فتُعْرَف به، ثم لو قلت كلّ شىء حسنٍ كان الأول أشهرَ عنك، وكنت أبدًا لاتزال تُعيّرُ به. حتى قلت:

أين الشبابُ وأيّةً سلَكا

فلما سمع هذه قال لى: أظهرِ الآن شعرَك كيف شئت.

قال الحسين: وحدثنى أبو تمام الطائى قال:

ما زال دعبل متعصّبا لمسلم، مائلاً إليه، معترفا بأُستاذيّته حتى ورد [عليه] جرجان، فجفاه مسلم، وهجره دعبل، فكتب إليه:

أبا مَخْلَدٍ كُنّا عقيدَىْ مودّةٍ ... هوَانا وقلْبانا جميعا معًا معَا
أحوطُك بالغيب الذى أنتَ حائطى[1] ... وأجزع إشفاقا بأن تتوجّعا
فصيرتَنى بعد انتكاثِك متْهِما ... لنفسى عليها أرهبُ الخلْقَ أجمعا

(١) فى مخطوط: أحوطك بالغيب الذى لست جاهلى.

غششتَ الهوى حتى تداعت أصولُه بنا وابتذلْتَ الوَصل حتى تقطَّعا
وأنزلتَ من بين الجوانح والحشا ذخيرةَ وُدٍّ طال ما قد تمنَّعا
فلا تلْحيَنِّي ليس لى فيك مطمع تخرَّقت حتى لم أجدْ لك مَرْقعا
فهبك يمينى استأكلَتْ فقطعتُها وجشَّمتُ قلبى صبرَهُ فتشجَّعا

قال : ثم تهاجر ابعد ذلك ، فما التقيا حتى ماتا .

أخبرنى عمى قال : حدثنا أحمد بن أبى طاهر قال :

أخبرنى أحمدُ بنُ أبى أُمية قال : لقى أخى محمدُ بنُ أبى أمية مسلمَ بنَ الوليد وهو يمشى ، وطَويلتُه[1] مع بعض رُواته ، فسلَّم عليه ، ثم قال له : قد حضرنى شىء . فقال : هاته ، قال : على أنه مُزاح ولا تغضَب . قال : هاته ولو كان شتما ، فأنشدته :

من رأى فيما خلا رجلاً تيهُه أربى على جِدَتِهْ
يتمشَّى راجــلاً وله شاكِرِىٌّ فى قَلَنْسِيَتِهْ

فسكت عنه مسلم ولم يجبه ، وضحك ابن أبى أمية وافترقا . قال : وكان لمحمد برذونٌ يركبُه فنَفَق ، فلقيه مسلم وهو راجل ، فقال : ما فعل بِرْذَوْنُك ؟ قال : نفق قال : فنُجازيك إذًا على ما أسلفتناه ، ثم أنشده :

قل لابن مَىَّ لا تكُنْ جازعا لن يَرْجعَ البِرْذَوْنُ باللَّيْتِ
طامنَ أحشاءَك فِقْدانُه وكنتَ فيه عالىَ الصَّوْتِ
وكنتَ لا تَنزِل عن ظَهرِه ولو من الحشِّ إلى البيتِ[2]
ما مات من سُقْمٍ ولكنَّه مات من الشوق إلى الموْتِ

(١) الطويلة : حبل تشد به الدابة ويمسك صاحبه طرفه أو لعلها شىء يوضع على الرأس كالطاقية : أى أن طويلته كانت مع بعض رواته .

(٢) الحش « بفتح الحاء وضمها وكسرها » : البستان ، ويكنى به أيضا عن بيت الخلاء .

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدثنى ابن مَهْرُويَةَ قال : حدثنى أحمد ابن سعيد الحريرىّ .

أن أبا تمامَ حَلفَ ألاّ يُصلى حتى يحفظ شعرمسلمٍ وأبى نواس ، فمكث شهرين كذلك حتى حفظ شعرهما . قال : ودخلتُ عليه فرأيت شعرهمابين يديه فقلتُ له : ما هذا ؟ قال : اللاتُ والعزّى أعبدهما من دون الله .

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدثنا ابن مهروية قال : حدثنى سمعان بنُ عبد الصمد قال :

حدثنى دعبلُ بن علىّ قال : كان أبو نواس يسألنى أن أجمع بينه وبين مسلم ابن الوليد : وكان مسلم يسألنى أن أجمع بينه وبين أبىنواس ، وكان أبو نواس إذا حضر تخلّف مسلم ، وإذا حضر مسلم تخلّف أبو نواس ، إلى أن اجتمعا ، فأنشده أبو نواس :

أجارَةَ بَيْتَيْنا أبوكِ غَيُورُ ومَيْسُورُ ما يُرْجَى لديكعسيرُ

وأنشده مسلم :

لله من هاشمٍ فى أرضِهِ جَبَلٌ وأنتَ وابنُك رُكْناذلك الجبلِ

فقلت لأبى نواس : كيف رأيتَ مسلما ؟ فقال : هو أشعرالناس بعدى ، وسألت مسلما وقلت: كيف رأيت أبا نواس ؟ فقال: هو أشعر الناس وأنا بعده:

أخبرنى الحسن قال : حدثنا ابن مهروية قال : حدثنى إبراهيم بن عبد الخالق الأنصارى من ولد النّعمان بن بَشير قال :

حدثنى مسلم بن الوليد قال: وجّه إلىّ ذو الرّياستَيْنِ،فحُملْت إليه ، فقال أنشدنى قولك :

بالغَمْرِ من زَيْنَبَ أطلالُ مرّت بها بعدك أحْوالُ

فأنشدته إياها حتى انتهيتُ إلى قولى :

وقائلٍ : ليستْ له هِمّةٌ كلاً ولكنْ ليس لى مالُ
وهِمَّةُ المُقتِر أُمْنيَّةٌ هَمٌ مع الدَّهْر وأشغال
لاجِدَةٌ أُنْهِض عزمى بها[1] والناس سُؤّالٌ وبُخّالُ
فاقعدْ مع الدهر إلى دوْلةٍ ترفَعُ فيها حالكَ الحالُ

قال : فلما أنشدته هذا البيت قال : هذه والله الدولة التى ترفع حالك . وأمر لى بمال عظيم ، وقلّدنى ـ أو قال : قبّلنى[2] ـ حَوْزَ جُرْجان .

حدثنى جحظة قال : حدثنى ميمون بن هارون قال :

كان مسلم بن الوليد قد انحرف عن معن بن زائدة بعد مدحه إياه، لشىء أوحشه ، فسأله يزيد بن مزيد أن يهبه له ، فوعده ولم يفعل ، فتركه يزيد خوفا منه ، فهجاه هجاءً كثيراً ، حتى حلف له الرشيد إن عاود هجاءه قطع لسانه ، فمن ذلك قوله فيه :

يا معنُ إنك لم تزل فى خَزْيَةٍ حتى لففتَ أباك فى الأكفانِ
فاشكر بلاءَ الموت عندك إنه أودَى بلُؤْمِ الحىّ من شَيْبانِ

قال : وهجا أيضًا يزيد بن مزْيد بعد مدحه إياه فقال :

أيزيدُ يا مغرور ألأمَ من مشى ترجو الفلاحَ وأنت نُطْفةَ مَزْيد
إنْ كنت تُنكر منطقى فاصرخْ به يوم العَرُوبةِ عند باب المسجدِ[3]
فى منْ يزيدُ فإن أصبتَ بمَزْيَدٍ فَلْسا فهاكَ على مُخاطرة يدِى[4]

(١) رواية الديوان ص ١٥٠ : لاحدة تنهض فى عزمها . هذا والجدة : الغنى والقدرة .

(٢) قبله العمل : جعله يلتزمه بعقد .

(٣) يوم العروبة : يوم الجمعة .

(٤) من يزيد : هو السوق وسمى بذلك لأن الناس يزيد فيه بعضهم على بعض . ويريد أن يقول : ناد عليه يوم الجمعة فى السوق فإنك لن تجد من يشتريه بفلس .

هكذا روى جحظة فى هذا الخبر والشعران جميعا فى يزيد بن مزيد ، فالأول منهما أوّله :

أيزيدُ إنك لم تزل فى خَزْيَة

وهكذا هو فى شعر مسلم . ولم يلْقَ مسلمٌ معنَ بن زائدة ، ولا له فيه مدح ولا هجاء .

أخبرنى عمى قال : حدثنا عبد الله بن أبى سعد قال : حدّثنا محمد بن عبد الله ابنُ جُشْمَ قال :

كان يزيد بن مزيد قد سأل مسلمَ بن الوليد عمّا يكفيه ويكفى عيالَه ، فأخبره فجعله جِرَاية له ، ثم قال : ليس هذا مما تُحاسب به بدَلاً من جائزة أو ثواب مديح ، فكان يبعث به إليه فى كل سنة ، فلما مات يزيد رثاه مسلم فقال :

أحقًّا أنّهُ أوْدَى يزيدُ ... تبيّنْ أيها النّاعى المشيدُ
أتدرى ما نعيتَ وكيف دارت ... به شفتاك دارَ بها الصَّعيد[1]
أحامىَ الأرض[2] والإسلام أودى ... فما للأرض ويحك لا تميدُ
تأمل هل ترى الإسلام مالتْ ... دعائمه وهل شاب الوليدُ
وهل شِيمَتْ سيوفُ بنى نزار ... وهل وُضِعت عن الخيل اللُّبود[3]
وهل تُسقَى البلاد ثقال مزنٌ ... بدِرّتها وهل يخضَرُّ عُودُ
أما هُدَّت لمصرعه نِزَارٌ ... بلى وتقوّض المجدُ المشيد
وحلَّ ضريحَه إذ حلَّ فيه ... طَريفُ المجدِ والحسبُ التّليد
أما واللهِ ما تَنفكُّ عينى ... عليك بدمعها أبدًا تجود

(١) فى الديوان : كان بها الصعيد . وفى العقد : وأراك الصعيد ٣/٢٩٣ .
(٢) فى المطبوع من الديوان : أحامى المجد .
(٣) شيمت : أغمدت .

وإنْ تجمُدْ دُموعُ لئيمِ قومٍ فليس لدمعِ ذى حَسَبٍ جمود
أبعد يزيدَ تختزنُ البواكى دُموعا أو تُصانُ لها خُدُودُ
لتبكِكَ قبَّةُ الإسْلام لمَّا وهتْ أطنابها ووَهَى العَمُود
ويبكك شاعرٌ لم يُبْقِ دهرٌ له نَشَبا وقد كَسَدَ القَصيدُ
فإن يهلكْ يزيدُ فكُلُّ حىٍّ فَرِيسٌ للمنيَّةِ أو طَرِيدُ

هكذا فى الخبر . والقصيدةُ للتيمى[١] :

أخبرنى محمد بن يحيى الصُّولى قال : حدثنا الهِشامىُّ قال : حدثنى عبد الله ابن عمرو قال : حدثنى موسى بنُ عبد الله التميمى قال :

دخل مسلم بن الوليد على الفضل بن سهل ، فأنشده قوله فيه :

لو نطق الناس أو أنْبَوا بعلمهمُ ونبَّهتْ عن معالى دهرك الكتبُ
لم يبلغوا منك أدنى ما تمُتُّ به إذا تفاخرت الأملاكُ وانتسبوا[٢]

فأمر له عن كل بيت من هذه القصيدة بألفِ درهم . ثم قُتِلَ الفضلُ فقال يرثيه :

ذَهلْتُ فلم أنقع غليلاً بعبرة وأكبرتُ أن ألقى بيومك ناعيا[٣]
فلما بدا لى أنه لاعجُ الأسى وأنْ ليس إلا الدمعُ للحزن شافيا
أقمت لك الأنواح ترتدُّ بينها مـآتم تندبن النَّدى والمعاليا[٤]
وما كان منْعَى الفضلِ منعى وحادة ولكنَّ منْعَى الفضل كان مَناعيا
ألِلبأسِ أم للجود أم لمَقاوِمٍ[٥] من المُلكِ يزْحمنَ الجبالَ الرواسيا

(١) فى طبعة المستشرق للديوان : التميمى . وانظر العقد ٣/٢٩٣ لجنة التأليف .
(٢) فى مخطوط : الآمال وانتسبوا .
(٣) فى مخطوط : ذهلت فلم أمتع غليلا .
(٤) فى مخطوط : يبدين .
(٥) مقاوم: لعلها جمع مقامة، وهى المجلس ، أو جمع مقام، وهوموضع القدمين ، وضبطها الدكتور سامى الدهان : بضم الميم .

عفتْ بعدك الأيّام لابل تبدّلَت وكنّ كأعيادٍ فعُدْنَ مباكيا
فلم أرَ إلاَّ قبل يومك ضاحكا ولم أرَ إلاَّ بعد يومك باكيا

أخبرنى الحسين بن القاسم الكوكبي قال : حدثنا محمد بن عجلان قال : حدثنا يعقوب ابن السّكّيت قال : أخبرنى محمد بن المهنّا قال :

كان العباس بن الأحنف مع إخوان له على شراب ، فذكروا مسلم بن الوليد ، فقال بعضهم : صريع الغوانى ، فقال العباس : ذاك ينبغى أن يسمى صريع الغيلان لاصريع الغوانى . وبلغ ذلك مسلما فقال يهجوه :

بنو حنيفة لايرْضَى الدّعىُّ بهم فاتركْ حنيفةَ واطلُبْ غيرَها نَسبا
فاذهبْ فأنت طليقُ الحلم مرتَهنٌ بِسَوْرَة الجهل ما لم أملك الغضَبا
اذهبْ إلى عربٍ ترْضَى بنسبتهمْ إنى أرَى لك خَلْقا يُشبه العرَبا
مُنيتَ مِنّى وقد جدّ الجِراءُ بنا بغايةٍ منعتْكَ الفوْتَ والطّلَبا

أخبرنى محمد بن يزيد قال : حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن جده قال :

قلتُ لمسلم بن الوليد . ويحك أما استحييْتَ من الناس حين تهجو خُزيمة بن خازِمٍ ولا استحييتَ منا ونحن إخوانك ، وقد علمتَ أنّا نتولاّهُ[1] وهو مَن[2] تعرف فضلاً وجُوداً ؟ فضحك ، وقال لى : يا أبا إسحاق لغيرك الجهلُ . أما تعلم أن الهجاء آخِذ بِضَبْعِ[3] الشاعر وأجْدَى عليه من المديح المُضْرِع ، وما ظَلَمتُ مع ذلك منهم أحداً ، وما مَضَى فلا سبيل إلى رَدّه . ولكن قد وهبتُ لك عِرْض خُزَيمْة بعد هذا . قال : ثم أنشدنى قوله فى سعيد بن سَلْم :

ديونُك لايُقْضَى الزمانَ غَرِيمُها وبخْلُك بُخلُ الباهلىّ سَعِيدِ

(١) تولاه : اتخذه وليا .
(٢) فى طبعة المستشرق : « وهن ممن » .
(٣) الضبع : العضد والإبط .

سعيدُ بن سلمٍ أبخلُ الناس كلّهم   وما قومُهُ من بُخله ببَعيدِ

فقلتُ له : وسعيد بن سلم صديقى أيضًا ، فهبه لى ، فقال : إنْ أقبلتَ على ما يعنيك ، وإلاّ رجعتُ فيما وهبتُ لك من خزيمة . فأمسكتُ عنه راضيا بالكفافِ.

أخبرنى حبيب بن نصر المهلّبىُّ قال : حدثنا عبد الله بن أبى سعد قال : حدثنى عبد الله بن محمد بن موسى بن عمر [1] بن حمزة بن بزَيع قال : حدثنى عبد الله بن الحسن اللّهبى [2] قال :

كان مسلم بن الوليد مدّاحا ليزيد بن مزيد ، وكان يُؤثره ويُقدّمه ويُجزِل صِلتَه ، فلما مات وفد على ابنه محمد ، فمدحه وعزّاه عن أبيه ، وأقام ببابه أياما فلم يرَ منه ما يُحِبّ ، فانصرف عنه وقال فيه :

لَبِسْتُ عزاءً عن لِقاء محمّدٍ   وأعرضتُ عنه مُنصِفا وَوَدُودا
وقلتُ لنفسٍ قادها الشوق نَحْوَهُ   فعوّضَها منهُ اللقاءُ صُدودا
هَبيه امرأً قد كان أصفاكِ وُدّه   وماتَ وإلاّ فاحسُبيه يزيدا
لعمرى لقد ولّى فلم ألْقَ بعدَه   وفاءً لذى عهدٍ يُعَدُّ حَميدا

أخبرنى حبيب بن نصر قال : حدثنا عبد الله بن أبى سعد قال : حدثنى أحمد ابن إبراهيم بن إسماعيل بن داود قال :

دخل مسلم بن الوليد يوما على الفضل بن يحيى ، وقد كان أتاهُ خبرُ مسيرِه ، فجلس للشعراء فمدحوه وأثابهم ، ونظر فى حوائج الناس فقضاها ، وتفرّق الناسُ عنه ، وجلس للشرب ، ومسلم غيرُ حاضر لذلك ، وإنما بلغه حين انقضى المجلسُ فجاءه فأُدخل إليه فاستأذن فى الإنشاد ، فأذن له ، فأنشده قوله فيه [3] :

(١) فى طبعة المستشرق : « عمران بن حمزة » .
(٢) فى طبعة المستشرق : « المهلبى » .
(٣) فى طبقات الشعراء لابن المعتز تحقيق ص ٢٣٧ قوله للفضل بن يحيى أو الفضل بن جعفر بن يحيى . وفى الشعر والشعراء : يمدح الفضل بن يحيى انظر ص ٨١٢ . وفى الديوان ص ٢٦٠ الفضل ابن جعفر بن يحيى .

أتتك المطايا تهتدي بمطيةٍ   عليها فتى كالنَّصل مؤنسه النصل

يقول فيها :

وردتُ رِواق الفضل آمُل فضله   فحطَّ الثناء الجزلَ نائله الجزلُ
فتى ترتعي الآمالُ مُزنةَ جوده   إذا كان مرعاها الأمانيُّ والمَطْل
تساقطُ يُمناه الندى وشماله الـ   ـرَّدى وعيون القول منطقه الفصل
ألحَّ على الأيام يفري خطوبَها   على منهجٍ ألفى أباه به قبلُ
أنافَ به العلياءَ يحيى وخالدٌ   فليس له مِثلٌ ولا لهما مِثلُ
فروعٌ أصابت مَغرِسا متمكّنا   وأصلاً فطالتْ حيث وجهها الأصلُ
بكفِّ أبي العباس يُستمطر الغِنى   وتُستنزل النُّعمى ويسترعف النَّصْلُ

قال : فطرب الفضل طرَبا شديدا ، وأمر بأن تُعَدَّ الأبيات . فعدَّت ، فكانت ثمانين [بيتا] [1] فأمر له بثمانين ألف درهم ، وقال : لولا أنها أكثرُ ما وُصل به الشعراء لزدتُك ، ولكنه شأوٌ لا يمكنني أن أتجاوزه ، يعني أنَّ الرَّشيد رسمه لمروان بن أبي حفصة . وأمره بالجلوس معه والمُقام عنده لمنادمته ، فأقام عنده ، وشرب معه ، وكانت على رأس الفضل وَصيفة [تَسقيه] كأنها لؤلؤة ، فلمح الفضلُ مُسلما ينظر إليها ، فقال : قدْ وحياتي يا أبا الوليد أعجبتك ، فقل فيها أبياتا حتى أهبها لك ، فقال :

إنْ كُنتِ تسقين غيرَ الراحِ فاسقيني   كأسا ألذُّ بها من فيكِ تَشفيني
عيناكِ راحي وريحاني حديثُكِ لي   ولونُ خدَّيكِ لونُ الورد يكفيني
إذا نهاني عن شُربِ الطِّلا حرَجٌ [2]   فخمر عينيك يُغنيني ويَجزيني
لولا علاماتُ شيبٍ لو أتتْ وعظت   لقد صحوتُ ولكن سوف تأتيني

(١) زيادة في طبعة المستشرق .
(٢) في نسخة : عن خمر الطلا

أُرضِي الشباب فإن أهلك فعن قدَر　　　وإنْ بَقيتُ فإنّ الشيب يُشقينى [١]

فقال : خذها بورك لك فيها ، وأمر بتوجيهها مع بعض خدمه إليه .

أخبرنى حبيب بن نصر [المهلبى] [٢] قال : حدثنا عبد الله بن أبى سعد قال : حدثنى أحمد بن إبراهيم قال :

كانت لمسلم بن الوليد زوجة من أهله ، كانت تَكفيه أمرَه وتَسُرُّه فيما تَلِيه له منه ، فماتت فجزع عليها جزعا شديدًا ، وتنسَّك مدة طويلة ، وعزم على ملازمة ذلك ، فأقسم عليه بعض إخوانه ذات يوم أن يزوره ففعل ، فأكلوا وقدّموا الشراب ، فامتنع منه [مسلم] [٣] وأباه ، وأنشأ يقول :

بُكاءٌ وكأسٌ كيف يتَّفقانِ　　　سبيلاهما فى القلب مختلفانِ

دَعانى وإفراطَ البكاءِ فإننى　　　أرى اليوم فيهِ غيرَ ما تريانِ

غدت والثّرى أوْلى بها من وَليها　　　إلى منزلٍ ناءٍ لعينك دانِى

فلا حزن حتى تذرِف العينُ ماءَها　　　وتَعترِفَ الأحشاءُ للخفقانِ [٤]

وكيف بدفع اليأس للوجد بعدها　　　وهمّاهُما [٥] فى القلب يعتلجانَ

أخبرنى حبيب بن نصر قال : حدثنا عبد الله بن أبى سعد قال : حدثنى علىُّ ابن الصَّباح قال : حدثنى مالك بن إبراهيم قال :

كان مسلم بن الوليد يُهاجى الحكَم بن قَنْبرٍ المازنى ، ، فغلب عليه ابنُ

(١) فى طبعة المستشرق : الشيب يسلبنى ، وفى مخطوط : الشيب يشفينى .

(٢) زيادة فى طبعة المستشرق .

(٣) زيادة فى طبعة المستشرق .

(٤) تعترف له : تصبر .

(٥) فى طبعة المستشرق : والوجد بعدها وسهماهما .

قَنْبر مدّة وأخرسه ، ثم أثاب [1] مسلم بعد أن انخزل وأُفحم ، فهتك ابن قنبر حتى كفَّ عن مناقضته ، فكان يهرب منه ، فإذا لقيه مسلم قبض عليه وهجاه وأنشده ما قاله فيه فيمسك عن إجابته . ثم جاءه ابنُ قنبر إلى منزله واعتذر إليه مما سلف ، وتحمَّل عليه بابنه وسأله الإمساكَ ، فوعده بذلك ، فقال فيه :

حَلُمَ ابنُ قنبرَ حين أقصر جهلُه ... هل كان يحلُم شاعرٌ عن شاعرِ
ما أنت بالحكم الذى سُمِّيتَهُ ... غالتْك حِلْمَك هفوةٌ من قاهر [2]
لولا اعتذارك لارتمى بك زاخرٌ ... مَرِحُ العُبابِ [3] يفوتُ طرفَ الناظر
لا ترْتَعِنْ لحمى لسانَك بعدَها ... إنى أخاف عليك شَفْرَةَ جازرِ
واستغنم العفوَ الذى أُوتيتَهُ ... لا تأمنَنَّ عقوبة مِن قادر

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مهروية قال :

حدثنى محمد بن عبد الله أبو بكر العبدى قال : رأيتُ مسلم بن الوليد وابن قنبر فى مسجد الرُّصافة فى يوم جمعة ، وكل واحد منهما بإزاء صاحبه ، وكانا يتهاجيان فبدأ مسلم فقال :

أنا النارُ فى أحجارها مُستكِنَّةٌ ... فإن كنتَ ممن يقدَحُ النارَ فاقدحِ

فأجابه ابن قنبر فقال :

قد كنتَ تَهْوِى وما قوسى بموتَرة ... فكيف ظنُّك بى والقوس فى الوَترِ

قال : فوثب إليه مسلم وتواخذا وتواثبا ، وحجز الناس بينهما فتفرقا .

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدثنى محمد بن القاسم بن مهروية وقال :

---

(١) أثاب : رجعت إليه الصحة . ويراد هنا : عاد إلى قدرته فى الشعر .

(٢) فى مخطوط : « من قادر » .

(٣) فى مخطوط : مرح العنان . وأثبتنا مافى مخطوط يتفق مع مطبوع المستشرق من الديوان نقلا عن مخطوطات أخر راجعها هو .

حدثنى علىّ بن عُبيد الكوفى قال : حدثنى على بْن عُمرُوس الأنصارى قال :

جاء رجل من الأنصار ثم من الخزرج إلى مسلم بن الوليد فقال له : ويلك ما لنا ولك ، قد فضحتنا وأخزيتنا تعرَّضتَ لابن قنبر فهاجيته ، حتى إذا أمكنته من أعراضنا انخزلت عنه وأرْعيته لحومَنا ، فلا أنت سكتَّ وَوَسِعك ما وسع غيرك، ولا أنت لمَّا انتصرت انتصفتَ . فقال له مسلم : فما أصنع ؟ فأنا أصبر عليه ، فإن كفَّ وإلا تحمَّلت عليه بإخوانه ، فإن كفَّ وإلاَّ وكلْتُه إلى بغيه ، ولنا شيخ يصوم الدهر ويقوم الليل ، فإن أقام على ما هو عليه سألته أن يسهر له ليلة يدعو الله عليه فيها فإنها تُهلكه ، فقال له الأنصارى : سَخِنَت عينك[1] وبهذا تنتصف ممن هجاك ؟ ثم قال له :

قد لاذ من خوف ابن قنبرَ مسلمٌ ... بدعاء والده مع الأسحارِ
ورأيتُ شر وعيده أنْ يشتكِى ... ما قد عراه إلى أخٍ أو جارِ
ثكِلتْك أمُّك قد هتكتَ حريمنا ... وفضحت أُسرَتنا بنى النَّجارِ
عمَّمت خزْرَجنا ومعشر أوْسنا ... خِزْيا جنَيْتَ به على الأنصارِ
فعليك من مولًى وناصرِ أسرةٍ ... وعشيرةٍ غضَبُ الإله البارى

قال : فكاد مسلم أن يموت غمًّا وبكاءً وقال له : أنت شرٌّ علىَّ من ابن قنبر ثم أثابَ وحَمِىَ ، فهتك ابنَ قنبر ومزَّقه حتى تركه وتحمَّل عليه بابنه[2] وأهله حتى أعفاه من المهاجاة .

ونسختُ هذا الخبر من كتاب جدّى يحيى بن محمد بن ثوابة بخطه قال :

حدثنى الحسن بن سعيد قال : حدثنى منصور بن جُمْهور قال :

---

(١) فى طبعة المستشرق : « عينك بهذا تنتصف » .

(٢) فى طبعة الديوان ص ٣٨٤ : بأبيه .

لما هجا ابنُ قنبر مسلمَ بنَ الوليد أمسك عنه مسلم بعد أن أشلى ١ عليه لسانه قالَ : فجاءهُ عمٌ له فقال له : يا هذا الرجلُ إنكَ عند الناس فوق ابنِ قنبر فى عَمُود الشعر ، وقد بعثتَ عليك لسانه ثم أمسكتَ عنه ، فإما أنْ قارعته أو سالمته . فقال له مسلم : إن لنا شيخا وله مسجد يتهجّدُ فيه ، وله بين ذلك دعوات يدعو بهن ، ونحن نسأله أن يجعله من بعض دعواته ، فإنّا نُكْفاهُ . فأطرق الرجلُ ساعة ثم قال :

غلب ابنُ قنبرَ واللئيمُ مغلّبٌ ... لما اتّقيتَ هجاءَه بدُعاءِ
ما زال يَقْذِف بالهجاء ولذْعه ... حتى اتقوه بدعوةِ الآباءِ

قال : فقال له مسلم : والله ما كان ابن قنبر يبلغ منى هذا كلّه ، فأمْسِك لسانك عنى ، وتعرف خبره بعد هذا : قال : فبعث والله عليه من لسان مسلم ما أسكته . هكذا جاء فى الأخبار .

وقد حدثنى بخبر مناقضته ابنَ قنبر جماعةٌ ذكروا قصائدهما جميعا ، فوجدت فى الشعر الفَضْلَ لابن قنبر عليه ، لأن له عدة قصائد لانقائض لها ، يذكر فيها تَعْرِيدَه ٢ عن الجواب ، وقصائدَ يذكر فيها أن مسلما فخر على قريش وعلى النبى صلى الله عليه وسلم ورماه بأشياء تُبيح دمه ، فكفَّ مسلم عن مناقضته خوفا منها ، وجحد أشياء كان قالها فيه . فمن أخبرنى بذلك هاشم بن محمد الخزاعى قال : حدثنى عبدُ الله بن عمرو بن أبى سعد قال : حدثنى محمد بن عبد الله بن الوليد مولى الأنصار ، وكان عالما بشعر مسلم بن الوليد وأخباره ، قال :

كان سبب المهاجاة بين مسلم بن الوليد والحكم بن قنبر أنَّ الطرماح بن حكيم قد كان هجا بنى تميم بقصيدته التى يقول فيها :

(١) أشلى : أغرى .

(٢) عرد تعريدا : ترك الطريق وانحرف عنها .

لاعزَّ نَصْرُ امرئٍ أضحى له فرسٌ ... على تميم يُريدُ النصر من أحدِ
إذا دعا بشعار الأزد نفَّرهم ... كما يُنفِّرُ صوتُ اللَّيث بالنَّقَدِ [1]
لو حان وِرْدُ تميم ثم قيل لهم ... حوضُ الرسولِ عليه الأزدُ لم ترِدِ
أو أنزلَ اللهُ وحيًا أن يُعذِّبها ... إن لم تَعُدْ لقتال الأزد لم تعُدِ

وهى قصيدة طويلة . وكان الفرزدق أجاب الطرماح عنها ، ثم إن ابن قنبر المازنىّ قال : بعد خبر طويل ، يردّ على الطرماح :

ياعاوياً هاجَ ليثا بالعُواء لَهُ ... شَثْنَ البراثنِ وَرْدَ اللَّونِ ذا لِبَدِ
أىّ الموارد هابتْ جَمَّ غَمْرَته ... بنو تميم على حالٍ فلم تَرِدِ [2]
ألم تَرِدْ يومَ قندابيلَ مُعْلِمة ... بالخيل تَضْبِرُ نحو الأزْدِ كالأسد [3]
بفتيةٍ لم تُنازعها فتَطبعَها [4] ... بلؤمها طَيِّءٌ ثَدْيا ولم تَلِدِ
خاضتْ إلى الأزد بحرًا اذا غوارب مَن ... سُمْرٍ طوالٍ وبحرًا من قَناقِصَدِ [5]
فأوردتها مناياها بمُرْهَفَةٍ ... مُلْسِ المضاربِ لم تُفلَل ولم تكد

وهى قصيدة طويلة . وقد كان الطرماح قال أيضًا :

تميم بطرْقِ اللؤم أهدى من القَطا ... ولو سلكت طُرْقَ المكارم ضَلَّتِ
أرَى الليلَ يجلوهُ النهارُ ولا أرَى ... عِظام المخازى عن تميم تجلَّتِ

وقال الفرزدق يجيبه أيضا [6] :

---

(١) النقد : جنس من الغنم صغير الأرجل ، واحدته نقدة .
(٢) الجم : الكثير من كل شىء ، والجم من الماء : معظمه . وغمرته : مزدحمه وشدته .
(٣) تضبر : تجمع قوائمها وتثب .
(٤) فى مخطوط : « لم ينازعها فيطبعها وفى نسخ فتطعها .
(٥) غوارب الماء : أعالى موجه . والقصد : القطع مما يكسر جمع قصدة .
(٦) فى طبعة المستشرق : « وقد كان الفرزدق أيضا أجابه عنها ، فقال ابن قنبر ينقضها » .

لعمرُك ماضَلَّتْ تميم ولا جرَتْ على إثر أشياخ عن المجد ضَلَّتِ
ولا جُبُنت بل أقدمت يوم كسَّرت لها الأزد أغمادَ السيوفِ وَسَلَّتِ
لغائط [١] قنْدَابيلَ والموت جائل عليها بآجال لهم [٢] قد أظلَّتِ
فما برحت تُسقى كؤوسَ حِمامها إذا نَهِلتْ كرُّوا عليها فعَلَّتِ
إلى أنْ أبادتهم تميمٌ وأكذبت أمانيَّ للشيطان عنها اضمحلَّتِ
وحان [٣] فراقٌ منهم كلَّ خَدْلةٍ مفارِقةٍ بعلاً به قد تملَّتِ

وهى أيضا طويلة قال : فبلغ مسلم بن الوليد هجاءُ ابنِ قنبر للأزد وطيء، وردُّه على الطِّرمَّاح بعد موته ، فغضب من ذلك ، وقال : ما المعنى فى مناقضة رجل ميت وإثارة الشر [٤] بذكر القبائل ، لاسيما وقد أجابه الفرزدق عن قوله ؟ فأبى ابنُ قنبر إلاَّ تماديا فى مناقضته ، فقال مسلم قصيدته التى أولها :

آياتُ أطلالٍ برامةَ دُرَّسِ هِجْنَ الصبابةَ إذ ذكرتُ معرَّسى [٥]
أوحَتْ إلى دِرَرٍ [٦] الدموع فأسبلَت واستفهمتْها غيرَ أنْ لم تَنبِسِ

يقول فيها يصف الخمر :

صفراءَ من حلب الكروم كسوتُها بيضاءَ من حلب الغيُوم البُجَّس
طارتْ ولاوَذَها الحَباب فحاكها فكأن حِلْيَتها جَنَى النرجسِ [٧]

يقول فيها يصف السيوف :

(١) فى طبعة المستشرق : بغائط .
(٢) فى طبعة المستشرق : « بآجال لها » .
(٣) فى طبعة الديوان : وخان . . . ما تملت . والخدلة : الممتلئة الساق . وتملت : تمتعت .
(٤) فى مخطوط : وإثارة الشعر .
(٥) فى مخطوط : والهوى بمعرس . وفى الديوان : واستثرن معرس .
(٦) درر : جمع درة ، وهى الدفعة من الدمع أو من اللبن .
(٧) لاوذها : تابعها .

وتُفارقُ[1] الأعمادَ تبدو تارةً حُمْرًا وتَخفى تارةً فى الأرْؤُسِ
حربٌ يكونُ وقُودُها أبْناءَها لَقِحَتْ على عُقْرٍ ولمَّا تُنْفَسِ[2]
منْ هاربٍ ركبَ النَّجاءَ ومُقْعَصٍ جَشِمَتْ مَنِيَّتُهُ على المُتَنَفَّسِ[3]
غَصَبَتْهُ أطرافُ الأسِنَّةِ نفسه فثوى فَريسةَ وُلَّغٍ أو نُهَّسِ[4]
إن كنتِ نازلةَ اليَفاعِ فنَكِّبى دارَ الرَّبابِ وخزرجى أوأوسى[5]
وتجنَّبى الجَعْراءَ إنَّ سُيوفهم حُدْثٌ وإن قناتُهم لم تَضْرَسِ[6]
هل طيِّءُ الأجبالِ شاكرةُ امرىءٍ زادَ القوافىَ عن حِماها مِردَسِ[7]
أحْمِى - أبا نَفْرٍ - عظامَ حفيرةٍ دَرَسَتْ وباقى غرْسِها لم يدرُسِ[8]
كافأتُ نِعْمَتَها بضِعْفِ بَلائها ثم انفردْتُ بمنصِبٍ لم ينْجُسِ
وإذا افتخرتُ عددتُ سَعْىَ مآثرٍ
قَصَرَتْ على الإغضاءِ طرْفَ الأشوسِ[9]
رفعَتْ بنو النجَّارِ حِلْفِى فيهمُ ثم انفردتُ فأفسَحوا عن مجْلسِى
فاعقِلْ لسانَكَ عن شتائمِ قومنا لايَعْلقَنَّكَ خادِرٌ من مأنَسِ[10]
أخْلَفْتَ نَجْرَكَ من أبيكَ وجئتنى بأبٍ جديدٍ بعد طُولِ تَلَمُّسِ[11]

---

(١) فى طبعة المستشرق : « وبوارق الأغماد » ، وانظر الديوان ص ١٣٥ .

(٢) عقر : عقم . ولما تنفس : لم تكن نفساء إلى هذا الوقت. هذا وفى شرح الديوان : على عقر ولما تنفس » بفتح تاء تنفس » أى حملت بعد أن كانت عاقرا ولم تلد .

(٣) مقعص : مقتول مكانه .

(٤) النهس : الآكلات اللحم بمقدم الأسنان .

(٥) اليفاع : التل المشرف . نكبى : تجنبى . والرباب : عدة قبائل من بنى عم تميم . وخزرجى أو أوسى : اذهبى للخزرج أو الأوس .

(٦) الجعراء : لقب لقبيلة هم بنو العنبر ولهذا قصة فى شرح القاموس و اللسان مادة جعر

(٧) المردس : الآلة التى تسوى وتكسر . ويصف هنا كلمة امرئ . وفى الديوان : عن حماها الأقعس

(٨) أبو نفر : كنية الطرماح ، وهو بسكون الفاء ، وضبط فى الديوان خطأ بفتحها .

(٩) الأشوس : الناظر بمؤخر عينه تكبرا أو تغيظا .

(١٠) الخادر : الأسد فى عرينه .

(١١) النجر : الأصل .

أخذتْ عليه المُحْكَماتُ طريقَها فغَدَا يُهاجى أعظُمًا فى مَدْرَسِ[1]

قال : فلم يجبه ابنُ قنبر عن هذه بشىء ، ثم التقيا فتعاتبا ، واعتذر كلٌ واحد منهما إلى صاحبه ، فقال مسلم يهجوه :

حَلُمَ ابنُ قنبرَ حين قصَّر شعرهُ هل كان يحلُم شاعرٌ عن شاعرِ

وقد مضت هذه الأبياتُ متقدِّما . قال : ومكث ابن قنبر حينا لا يجيبه عن هذا ولا عن غيره بشىء طَلَبا للكِفافِ ، ثم هجا مسلم قريشا وفخر بالأنصار فقال :

قلْ لمنْ تاهَ إذْ بنا عزَّ جَهْلاً ليس بالتِّيهِ يَفخر الأحرارُ
فتناهَوْا وأقصِروا فلقد جا رَتْ عن القصد فيكُم الأنصارُ
أيُكُم حاط ذا جِوارٍ بعزٍّ قبل أن تحتويه مِنَّا الدَّارُ
أو رَجا أن يفُوت قوما بِوِتْرٍ لم تَزَلْ تَمْتَطيهمُ الأوتارُ
لم يكن ذاك فيكمُ فدعوا الفَخْ رَ بما لا يَسوغ فيه افتخارُ
ونِزارًا ففاخِرُوا تَفْضُلُوهم ودعُوا من له عَبيدًا نِزارُ
فبِنا عزَّ منكمُ الذُّلُّ والدَّ هرُ عليْكُمْ بِرِيْبِهِ كَرَّار
حاذروا دولة الزمانِ عليكمْ إنَّه بين أهله أطْوارُ[2]
فتُرَدُّوا ونحن للحالة الأو لى وللأوحدِ الأذَلِّ الصَّغارُ
فاخرَتْنا لما بسطنا لها الفَخْ رَ قريشٌ وفَخْرُها مُستعارُ
ذكرَتْ عِزَّها وما كان فيها قبل أنْ يَستجيرَنا مُسْتَجارُ
إنَّما كان عِزُّها فى جِبالٍ ترْتَقيها كما ترَقَّى الوِبارُ[3]

(١) المحكمات : يريد بها القوافى المحكمة . والمدرس : موضع الدروس وهو الانمحاء . وفى الديوان : فى أرمس .

(٢) فى طبعة المستشرق : أو طار .

(٣) الوبار : جمع وبر ، وهو دويبة كالسنور .

أيها الفاخرون بالعز والعز لقوم سواهم والفخار
أخبرونا من الأعز أألمن صور حتى اعتلى أم الأنصار[١]
فلنا العز قبل عز قريش وقريش تلك الدهور تجار

قال : فانبرى له ابن قنبر يجيبه فقال :

ألا امثل أمير المؤمنين بمسلم وأشق به الأحشاء من كل مجرم[٢]
ولا ترجعن عن قتله باستيابه فما هو عن شتم النبي بمحرم[٣]
ولا عن مساواة له ولقومه قريش بأصداء[٤] لعاد وجرهم
ويفخر بالأنصار جهلا على الذى بنصرته فازوا بحظ ومغنم
وسموا به الأنصار لا عز قائل أراد قريشا بالمقال[٥] المذمم
ومنهم رسول الله أزكى من انتمى إلى نسب زاك ومجد مقدم
وما كانت الأنصار قبل اعتصابها بنصر [قريش فى المحل المعظم
ولا بالألى يعلون أقدار قومهم صداء وخولان ولخم وسلهم
ولكنهم بالله عاذوا ونصرهم قريشا ومن يستعصم الله يعصم
فعزوا وقد كانوا وفطيون فيهم من الذل فى باب من العز مبهم[٦]
يسومهم الفطيون مالا يسامه كريم ومن لا ينكر الظلم يظلم
وإن قريشا بالمآثر فضلت على الخلق طرا من فصيح وأعجم

(١) فى مخطوط : أخبرونا من الأغر أم المنصور .

(٢) امثل : نكل .

(٣) أحرم عن الشىء : أمسك عنه . وفى طبعة المستشرق : باستتابه فما هو .

(٤) فى طبعة المستشرق : « قريشا » هذا والأصداء : الموتى ويريد أنه : ولا يمسك عن مساواة النبى صلى الله عليه وسلم وقومه بموتى من عاد وجرهم .

(٥) فى طبعة المستشرق « بالمقام » .

(٦) فطيون : كان من اليهود يحكم يثرب ويذل الأوس والخزرج . وفى مخطوط وقيطون .

فما بال هذا العِلْجِ ضلّ ضلالُهُ ... يَمدّ إليهم كفَّ أجذَمَ أعسمِ[1]
يسامي قريشا مسلمٌ وهمُ همُ ... بمولًى يمانيّ وبيتٍ مهدَّمِ
إذا قام فيه غيرهم لم يكن له[2] ... مقامٌ به من لؤمِ مَبْنًى ومَدْعَمِ
جعاسيس أشباهُ القرودِ لو انّهم ... يُباعون ما ابتيعوا جميعا بدرهمِ[3]
وما مسلمٌ من هؤلاءِ ولا أُلى ... ولكنه من نسلِ عِلْجٍ مُلَكَّمِ[4]
تولّى زمانا غيرَهم ثمّتَ ادّعى ... إليهم فلم يُكرَمْ ولم يتكرّمِ[5]
فإن يكُ منهم فالنَّضيرُ ولِفُّهُم[6] ... مواليه لا من يدّعى بالتزعّمِ
وإن تدعه الأنصارُ مولًى أسمْهُمُ ... بقافيةٍ تستنكره الجلدَ بالدّمِ
عقابا لهم فى إفكهم وادّعائهم ... لأقلفَ منقوشِ الذراعِ موشّمِ
فلا تدّعوه وانتفوا منه تسلموا ... بنفيكموه من مقالٍ ومأثمِ
وإلا فغضّوا الطرفَ وانتظروا الرّدى ... إذا اختلفتْ فيكم صوارِدُ أسهمى[7]
ولم تجدوا منها مجنًّا يجنُّكُمْ ... إذا طلعت من كلّ فجٍّ ومَعْلَمِ[8]
وأنتم بنو أذنابِ مَن أنتمُ لهُ ... ولستمْ بأبناء السَّنامِ المقدَّمِ
ولا ببنى الرأسِ الرفيعِ محلُّهُ ... فيسمو بكم مولًى مسامٍ وينتمى
فكيف رضيتمْ أن يسامىَ نبيَّكُمْ ... ببيتكُمُ الرّثّ القصيرِ المهدَّمِ
سأحطِمُ مَن ساما النبيَّ تطاوُلا ... عليه وأكوى مُنتماهُ بميسمِ
أيعدِلُ بيتٌ يثربىٌّ بكعبةٍ ... ثوتْها قريشٌ فى المكانِ المحرَّمِ

(١) الأعسم : من عسم الكف : يبس مفصل الرسغ حتى تعوج .
(٢) فى طبعة المستشرق : « لم يكن لهم » .
(٣) جعاسيس : جمع جعسوس وهو القصير الدميم
(٤) ملكم : مضروب بجميع الكف .
(٥) فى طبعة المستشرق : « ولما يكرم » .
(٦) النضير : من اليهود . ولفهم : حزبهم وصنفهم .
(٧) صرد السهم : نفذ حده فهو صارد ، وجمعها صوارد .
(٨) المعلم : ما يستدل به على الطريق . وفى طبعة المستشرق : ولم تجدوا عنها مجنا .

قريشٌ خيارُ اللهِ واللهُ خصَّهم بذلك فاقعَسْ أيها العِلْجُ وارْغَمِ[1]
ومنْ يدَّعى منه الولاءَ مؤخَّرٌ إذا قيل للجارى إلى المجد أقْدِمِ

قال : وكان مسلم قال هذه القصيدة فى قريش وكتمها ، فوقعت إلى ابن قنبر ، وأجابه عنها ، فاستعلى عليه وهتكه ، وأغرى به السلطان ، فلم يكن عند مسلم فى هذا جوابٌ أكثر من الانتفاء منها ، ونَسَبْها إلى ابن قنبر ، والادّعاء عليه أنه ألصقها به ونسبها إليه ، ليُعَرّضه للسلطان ، وخافه ، فقال ينتفى من هذه القصيدة ويهجو تميما :

دعوتَ أميرَ المؤمنين ولم تكنْ هناك ، ولكن من يَخَفْ يتجشمِ
وإنك إذْ تدعو الخليفةَ ناصرًا لكا لمُترَقى فى السماء بسُلَّمِ
كذاك الصَّدى تدعوه من حيث لا ترَى وإنْ تتوَهَّمْهُ تَمُتْ فى التوَهُّمِ
هجوتَ قُريشا عامدًا ونحلتنى رُوَيدَك يظهرْ ماتقول فيُعلم
إذا كان مثلى فى قبيلى فإنَّه على ابْنى لُؤَىّ قُصْرَةً غيرمتّهِم[2]
[سيَكشفك التّعديل عما قرفتنى به فتأخَّرْ عارفا أوتقدَّمِ][3]
فإن قريشا لا تُغَيّر[4] وُدَّها ولا يُستمال عهدُها بالتّزَعُّمِ
مضى سلفٌ منهم وصلَّى بعَقْبهم[5] لنا سلف فى الأوّل المتقدّمِ
جروا فجرينا سابقين بسَبْقهم كما اتّبعَتْ كفٌّ نواشرَ معصمَ[6]
وإن الذى يسعى ليقطعَ بيننا كملتمس اليرْبُوع فى جُحْرِ أرْقم[7]

---

(١) اقعس : تأخر من أتى بما يتهم عليه .

(٢) فى طبعة المستشرق : على ابن لؤى . والقصرة : القريب دنية . والمتهم من أتى بما يتهم عليه .

(٣) انفردت به مخطوطتنا . وقرفتنى : اتهمتنى . والتعديل : تزكية الشهود .

(٤) فى طبعة المستشرق : « لايغادر ودها » . . . « بالترحم » . والتزعم : الادعاء .

(٥) صلى : جاء تاليا .

(٦) النواشر : عروق وعصب باطن الذراع ، وهى جمع ناشرة .

(٧) فى نسخة : من جحر أرقم . هذا واليربوع يشبه الفأر . والأرقم : الحية .

أضلّكَ قدْعُ الآبدات طريقَها[1] فأصبحتَ من عميائها فى تَهيّمِ
وخانتْك عند الجرْيِ ـ لمّا اتبعتَها ـ تَميمٌ فحاولتَ العلا بالتّقحّمِ
فأصبحتَ ترمينى بسهمى وتتّقى يَدَى بيدى ، أصْليتَ نارَك فاضرَمِ

قال : ثم هجاه ابنُ قنبر بقصيدة أوّلها :

قل لعبدِ النّضير مسلمِ الوغْـ ـدِ الدنىّ اللئيم سِنْخِ النّصابِ[2]
إخسَ يا كلبُ إذ نبحتَ فإنى لستُ ممن يجيبُ نبحَ الكلابِ
أفأرْضَى ومنصبى منصب العزّ وبيتى فى ذِرْوَةِ الأحْسابِ
أنْ أحطّ الرفيعَ من سَمْكِ بيتى بمهاجاة أوْشَبِ الأوْشابِ
منْ إذا سِيلَ من أبوه بَدَا منـ ـه حياءٌ يحميه رَجْعَ الجوابِ
وإذا قيل حين يُقْبِلُ من أنـ ـتَ ومن تعتَزيه فى الأنسابِ[3]
قلتَ : هاجِى ابنِ قنبرٍ ، فتسربلْـ ـتَ بذِكرِى فخرًا لدى النُّسّابِ

وهى قصيدة طويلة ، فلم يجبه مسلم عنها بشىء ، فقال فيه ابن قَنْبر أيضا :

لست أنفيك إنْ سواىَ نفاكا عن أبيك الذى له مُنْتَماكا
ولماذا أنفِيكَ يا ابنَ وَلِيدٍ من أب إن ذكرتَه أخزاكا
ولوَ انى طلبت الأم منهُ لم أجِدْه إن لم تكن أنت ذاكا
لو سواه أباكَ كان جعَلنَا[4] ه إذا الناسُ طاوعونا أباكا
حاكَ دهرًا بغير جَدّ لِبُرْدٍ[5] وتحوك الأشعار أنت كذاكا

(١) القدع : المجاوزة .
(٢) السنخ : الأصل . والنصاب : مقبض السكين وسنخ النصاب : الطرف الداخل فيه .
(٣) فى الأصل : « فى الأحساب » . وفى طبعة المستشرق : « فى الأنساب »
(٤) فى المطبوع : لو « سواه أبوك كان » . وأثبتنا فى مخطوطتنا ، والمراد « لو سواه كان أباك » أو لو سواه كان رفضك .
(٥) فى طبعة المستشرق : بغير حذق .

وهى طويلة ، فلم يجبه مسلم عنها [بشىء] ، فقال ابن قَنبر أيضا يهجوه :

فخر العبدُ عبدُ قِنٍّ اليهودِ بضعيف من فَخره مَرْدُودِ
فاخر الغُرَّ من قريش بإخْوا نِ خنازيرِ يثْربٍ والقرودِ
يتوَلّى بنى النَّضيرِ ويدعُو بهمُ الفخر من مكان بعيدِ
وبنِي الأوس والخزارج أهل الذّ لّ فى سالف الزمان التليدِ
إذ رضوا باقتضاص فِطيَوْنَ منهم كلَّ بِكْرٍ ريَّا الروادِفِ رُودِ[١]
وبنُو عَمِّها شهود لما يَفْ عل فِطْيون قُبِّحوا من شُهودِ
خلْفَ باب الفِطْيون والبعل منهم لا بِذى غَيْرَةٍ ولاَ بنجيدِ[٢]
فإذَا ما قضى اليهودىُّ مِنْها وطَرًا قُنِّعوا بخِزْىٍ جديدِ

قال : فلما أفحش فى هذه القصيدة وفى عدة قصائد قالها ، ومسلم لا يُجيبه[٣] ، مشى إليه قوم من مشيخه الأنصار ، واستعانوا بمشيخة[٤] من قُرَّاء تميم وذوى العلم والفضل منهم ، فمشوا معهم إليه فقالوا له : ألا تستحى من أن تهجو من لا يجيبك ؟ أنت بدأت الرجل فأجابك ، ثم عدت فكفَّ ، وتجاوزت ذلك إلى ذكر أعراض الأنصار التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحميها ويذبُّ عنها ويصونها ، لغير حال أحلّت لك ذلك منهم ، فما زالوا به يعظونه ويقولون له كل قول حتى أمسك عن المناقضة لمسلم ، فانقطعت .

---

(١) اقتضها : أزال بكارتها ، مثل افتضها . والرود : الشابة الحسنة .
(٢) فى مخطوط : « لا يرى غيرة ولا بمجيد » . هذا والنجيد : الشجاع الماضى فيما يعجز غيره . وفى الديوان المطبوع : والبعل فيهم .
(٣) فى المطبوع : ومسلم ممسك عنه .
(٤) فى المطبوع من مشايخ .

صوت

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتهم شمس الضحى وأبو إسحاق والقمرُ
يحكى أفاعيلَه فى كل نائبة الغيثُ والليثُ والصمصامة الذكرُ

الشعر لمحمد بن وهيب، والغناء لعلوية ثقيل أول بالوسطى، وفيه لإبراهيم بن المهدى ثقيل أول آخر عن الهشامى .

استدراك وتصويب[١]

للمجلد الثامن عشر

الصفحة	السطر		
٥	٥	عياض بن حماد	جعلها الشنقيطى : عياض بن حمار
٢٤	٢	إذا ما عاينتك	جعلها الشنقيطى : إذا ما عاتيتك
٢٦	٧	حرب اليحابر	جعلها الشنقيطى : حرب الفجائر
٥٦	١٣	والحدب عليهن	جعلها الشنقيطى : والخوف عليهن
٦٠	١٢	مذهب الشراية	جعلها الشنقيطى : مذهب الشراة
٨٥	٣	خويلد بن عدنان	جعلها الشنقيطى : جديلة بن عدوان
٩٧	١٢	لذرفهما ٤	
١١٨	١٩	الحر العنزى	جعلها الشنقيطى : الحر العنبرى
١٢٢	١٥	نسخت	بُسُخْتُ
١٢٢	٤	الفالح	صوابها الفالج. وهو الجمل ذو السنامين
٢٠٣	٩	السرقان	صوابها المسرقان
٢١٣	٧	صواب البيت كما فى معجم البلدان كربج وشستق وصححه الشنقيطى :	
		إلى الكُرْبُجِ الأعلى إلى رامهرمز	إلى قريات الشيخ من فوق شَسْتُقَا
٢٣١	١١	أنواع الربيع	جعلها الشنقيطى : أنواء الربيع
٢٣٨	٨	قديد	جعلها الشنقيطى : قدير ، وهو اللحم المطبوخ فى القدر

(١) وجدت تصحيحا لكتاب الأغانى للشنقيطى وأحمد زكى ، ولعلهما اطلعا على مخطوطات أخر ، وهما وإن كانا قد صوبا القليل النادر مما حفلت به المطبوعتان لهما اطلاع واسع ، وأثبت بعض ما فاتنى من تصحيحهما للمجلدات السابقة وسأوالى التصويب مع ما أتداركه أو يتداركه القراء .

تصويب

للمجلد الخامس عشر

الصفحة	السطر	
٣٨	٢٣	لبابه إقليدا
٨٦	١١	الحكم بن أبي العاص
١٦٤	٣	الهمداني أبو مسروق
١٦٥	١	جعفى وزبيد
١٧٢	٨	أقتلت عكاشة ؟ « ويريد أنه قتل عكاشة بن محصن فى حروب الردة » ويحذف الهامش رقم ١
١٨٠	١٨	أبداً يعاطِ « يعاطِ : زجر للذئب وغيره »
٢٣٤	٥	وأنت حرٍ بدائك مستهام « هكذا جعله الشنقيطى »
٢٣٧	٣	شوًى إذا فارقته « الشوى : الأمر الهين »
٢٣٩	٧	صواب البيت كما صححه الشنقيطى
		جزانى بلائى ذو الخمار وصنعتى بما باتَ أطواءً بنىّ الأصاغرُ
٢٤٤	١٧	أبو زيد عمر بن شبة
٢٤٥	٨	ابن جُلُنْدَى « انظر اللسان جلد »
٢٤٩	١٣	أغدر الناس أأغدر
٢٨١	١٨	بجىّ إذا قيل
٢٨١	٢٠	متى ما نواف . . . . نصبرِ
٢٩٢	٢٠	لبيد بن ربيعه بن مالك بن جعفر
٣٠٤	١٣	فالقفالِ

تصويب

للمجلد السادس عشر

الصفحة	السطر	
١٩	١١	دوسرة كالجمل « أى ضخمة » ويحذف شرح ذو شرة
٣٠	١	جعل الشنقيطى الشطر الأول : سبقتْ به يوم الكديد منية
٣٠	٤	عاجر تنبيل : جعلها الشنقيطى : تنبيل ؟
٣٠	٧	كالشَّعب دفاق « الشعيب : المزادة » ويحذف شرح السعيب
٧٨	٦	إذا أخلفَتْ
١٣٩	٢١	أوصال عمك
١٤٧	٧	قد أعيته
١٦٤	١١	بعد أخبار كعب وأبيه
١٦٥	١٧	أكل وشرب وبِعال
١٧٩	٥	إن حج عيسى
٢١٥	١٠	و٢١٨ السطر ١٤ جبَّار بن سلمى
٢١٨	١٣	ابن سيَّار بن عمرو
٢١٩	١٠	عامر وبنو مالك
٢٢٦	٩	لنعم المرء
٢٩٤	٣	حُذاقة بن زهير

تصويب

للمجلد السابع عشر

الصفحة	السطر	
١١١	٧	عن شيخ من قريش قال : إنى وفتية من قريش
١١٨	١٨	شَرَىً ودى
١٢٧	٧	وخيل قيس بن زهير
١٤٠	٨	عروضه من البسيط
٢٠٥	٢	لم أستجز ذكرها
٢٠٦	١٦	يعنى بالدعلجة السرقة

ورجائى إلى كل قارىء أن يتفضل بإرسال ما يراه من ملاحظات وتصويب لأثبته شاكرا له خدمته للأدب ،

عبد الستار أحمد فراج

مجمع اللغة العربية

فهرس

المجلد الثامن عشر

تراجم

المجلد الثامن عشر

مراجع هذا الجزء المذكورة بالهوامش

عدا كتب اللغة ومطبوع الأغانى والمخطوطات

أخبار أبى نواس لأبى هفان : تحقيق عبد الستار أحمد فرّاج

الاشتقاق : تحقيق عبد السلام هارون

الإصابة : مطبعة السعادة. وأشرت إلى الترجمة

الأمالى : مطبعة دار الكتب

أنساب الأشراف : ج ٥ تحقيق جوتين

الأوراق للصولى أخبار الشعراء : مطبعة الصاوى

تاريخ بغداد : مطبعة السعادة

تاريخ الطبرى : طبع أوربا

تهذيب ابن عساكر : طبع الشام

تهذيب التهذيب : طبع الهند

جمهرة أنساب العرب : مطبعة دار المعارف

الخزانة : مطبعة بولاق

ديوان عمرو بن قميئة : طبع أوربا

ديوان مسلم بن الوليد : تحقيق سامى الدهان

شرح الحماسة للمرزوقى : تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون

الشعر والشعراء : تحقيق أحمد شاكر

الصبح المنير : طبع أوربا

طبقات ابن سعد : طبع أروبا

طبقات الشعراء لابن المعتز : تحقيق عبد الستار أحمد فراج

العقد الفريد : مطبعة بولاق

عيون الأخبار : مطبعة دار الكتب

الكامل للمبرد : طبعة مصطفى محمد ١٣٥٥

كتاب المعمرين : مطبعة السعادة ١٣٢٣

معاهد التنصيص : تحقيق محمد محيي الدين

معجم البلدان : طبع أوربا . وأشرت للبلد

معجم الشعراء : القدسي . وانظر :

معجم الشعراء : تحقيق عبد الستار أحمد فراج ص ٢٦٣ وص ٢٩٩

مهذب الأغانى : للخضرى

المؤتلف والمختلف : القدسى ١٣٥٤

نهاية الأرب : مطبعة دار الكتب

النهاية لابن الأثير : وأشرت للمادة

الورقة لابن الجراح : تحقيق عبد الوهاب عزام وعبد الستار أحمد فراج

Kitab Al-aghani vol. 18

بدل الاشتراك بكتاب الأغانى

« يصدر الكتاب ٢٥ مجلدا بما فيه الفهارس » .

بدل الاشتراك بكامل كتاب الأغانى فى عموم البلاد العربية :

١٥٠ ليرة لبنانية (غلاف) أو ما يعادلها ، بما فيه أجور البريد العادى .

٢٠٠ ليرة لبنانية (مجلد ومبصوم بالذهب) بما فيه أجرة البريد العادى .

ثمن الجزء (غلاف) ٦ ليرات لبنانية (مجلد ومبصوم بالذهب) ٨ ليرات

بدل الاشتراك خارج البلاد العربية يضاف إليه فرق أجور البريد ترسل قيمة الاشتراك باسم السيد خليل طعمه ص . ب ٥٤٣ بيروت

وكلاء التوزيع والاشتراكات

الوكلاء العموميون	: دار الثقافة ومكتبتها	— ساحة رياض الصلح	— بيروت
مصر والسودان	: مؤسسة المطبوعات الحديثة	— شارع مسبيرو	القاهرة
العراق	: مكتبة المثنى	— قاسم الرجب	بغداد
شرق الأردن والقدس	: مكتب التوزيع العربى	— محمد المحتسب	القدس
المملكة العربية	: مكتبة دار الفكر	— عبد الرحمن المنيعى	الرياض
إيران	: مكتبة الأسدى	— محمد الأسدى	طهران
الكويت	: مكتبة الطلبة	— عبد الرحمن الخرجى	الكويت
الخليج الفارسى	: مكتبة الأندلس	— فيصل عليوات	البحرين
عدن	: أحمد سعيد حداد		المكلا
تونس	: دار الكتب الشرقية	— محمد الخوجة	تونس
الجزائر	: المكتبة الجزائرية	— شريف عمرو	الجزائر
المغرب	: دار الكتاب	— ساحة المسجد	الدار البيضاء
طنجة	: المكتبة العصرية	— نصر الله الحريثى	طنجة
فرنسا	: المكتبة الشرقية	— صموليان	باريس

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر — الثمن ٦٥٠ غ . ل . أو ما يعادلها